

حب الله العظيم في القرآن الكريم

حول سيرة الحب الإلهي في القرآن الالامتناهي

بقلم

وفيقة نصحي



مكتبة سيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : حب الله العظيم في القرآن الكريم

المؤلف : وفيقة نصحي

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى 2017



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

شجرة المعرفة



تربتها	قلب المؤمن
بذورها	العلم
مائها	الشوق
جذورها	الشرع
ساقها	التوحيد
لحائها	الإخلاص
فروعها	الطاعات
أوراقها	الصالحات
أزهارها	الحمد
ثمارها	المحبة
براعمها	الحكمة
هوائها	رضي الله
سمائها	الجنة
شمسها	نور الله
أعلاها	المكاشفة
أسفلها	التواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]

منذ 1426 سنة وكل من كان له القدرة على التحليل من علماء المسلمين يغوص في كلمات القرآن بحثاً عن كنوز معاني كلام الله دون أن ينضب الماعون .. ومازال هناك من أسرار الكتاب ما تعجز كل عقول البشر على إحصائها أو حصرها. وقد استعنت بالله على توضيح معاني حب الله لخلقه من خلال آيات القرآن الكريم. فالقرآن هو رسالة الحب الإلهي للكون كله و للبشرية جمعاء ، وتوضيح بما ذا تفيدنا كل آية في عصرنا الحديث ، حيث أن القرآن مفصل لكل عصر وكل زمان...

أنا القرآن في آياته الحب ظاهر	فهل سائلوا الرحمن عن أسراري
سلوا المحب في أشواقه النور باهر	لروحه فيتلو آياتي بحب وانبهار
لله حبي والقرآن كتابه منه	وردي وبقرائه عزي وازدهاري

* إن أول آية في المصحف (بسم الله الرحمن الرحيم) وبها خلق الله الكون ثم خلق ادم

و أول آية في الفاتحة (الحمد لله رب العالمين) وهي أول كلمة نطقها ادم حين نفخت فيه الروح.

قال رسول الله ﷺ : «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي»

رواه البخاري.

رأيت رسول الله في رؤية في سبتمبر عام 1990 ،وقال لي :تعلموا قرآن الخريف ... ولم افهم معنى قوله هذا ،وسالت علماء وفقهاء ولم أصل إلى أى معنى إلى أن قال لي احدهم اصبري فمن قال لك ..يعنى الرسول ﷺ هو الذي يعرفك المعنى والمقصد من هذا القول ..ومرت أعواموفي عام 2005

وفي آخر سبتمبر،وبعد مرور خمسة عشر عام ،عرفت قصد رسول الله ،فلقد بدأت في دراسة المصحف وتوضيح ما في آياته من رحمة الله وحبه للعالمين مما يستوجب شكره وحمده ..

ومعني قرآن الخريف :أن الدنيا في خريفها وهذه الخواطر قد تكون آخر ما يبحث من البحوث التي تتعمق في المشاعر الإلهية حول خلقه والبرية ..

ولذلك وجب مع كل معني أبينه أن أقول الحمد لله رب العالمين وهي أول قول نطق به بشر ..

إن الفرق بين الحمد والشكرهو أن الحمد التام لا يكون إلا لله علي كل حال نفعا أو ضرا، فرحا أو حزنا، غنى أو فقر، صحة أو مرض ..لان فعل الله كله خير وان كان في ظاهره شر لان عقولنا لا تستوعب حكمة الله وقدراته لتحويل الشر إلى خير وفير .

أما الشكر فهو لله ولغير الله لأنه لا يكون إلا على النعم الظاهرة فقط .

ولذلك بحثت بعون الله في آياته عن مشاعر الحق في كل آية في المصحف ، بمعنى :حين قال الحق هذه الآية ماذا كان انفعاله فيها ،هل هو راضى أو غاضب ، هل هنا يحب أم يكره ،وهكذا من مشاعر الحق التي لا حصر لها.... ولذلك أذيل تفاسير الآيات بأهم قول مطلوب من البشر وهو : (الحمد لله رب العالمين)

الحب هو الإسلام:

إنها منظومة من النغم الراقى الرائع الذي يدخل الاذن ومنها إلى العقل و القلب يتخطف اللب و يشجي النفس و يرقى بالروح فتعلو و تعلو حتي تصل إلى ليس عنان السماء و لكن إلى كرسي عرش الرحمن حيث تستريح في دوح الله و تهيم في روح الله و تنتشي من السكر بلذة كأس القرب من الله ما هي هذه المنظومة إنها العلاقة بالله.

سأبذر حب الله في الأرض	وأرويه بدمع الهوى
لينبت حب الله في الأرض	هدي للبشر من الغوي
يا إلهي لا تسل لما الغوي	كان طبعاً في الورى اعطني
وارحم أخطائي	وارضي عني فالنفس في نوى
اهدني واغفر على أهوالي	وأعفو عني طالما الدمع جري
لست أنساك وقد أغريتني	بعفو من الهى رقيق
ويد تمتد نحوى لعبدا تائها	في بحار حبك غريق
وبريقك يملا كياني ليتني	من حبك لا أفيق

الهي أريد أن أغني بحبك بالكلمات واسمع من له أذن
وأروى بالشعر ظمأى من الآهات والقلب به شجن
هل تساعدني يا وكيل في الساعات ولك الحب طول الزمن
لأشعل نار حبك في المخلوقات وألهب الشوق في المزن
فينزل المزن علي النبات فينبت الشجر بالله مفتتن
بحسن جمالك يا الهى وروعة الصفات يا مالك الكون

أهواك ربي وأبكى من اللوعات واهدأ بمنحك لي المنن
ليس طمعا في ما في الدنيا من لذات ولكن لأنها ممن لي فتن
تشير لقلبي إن اطمئن بالعلامات فالله لا ينسي من حزن
أقام الليل في الحب والصلوات لا يرضي إلا إذا الإله حن
وفتح له مغاليق الغيب بالنفحات التي يهدا لها كل قلب أن

الكانبة....

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

سورة الفاتحة - سورة (1) - عدد آياتها (7)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

أول آية في القرآن وتشمل كل معاني الحب الإلهي للبشر.

﴿بِسْمِ﴾

معناها: هذا الكلام من الله عز وجل وموجه إلى كل البشر، منقول عن الله عز وجل على لسان جبريل عليه السلام لمحمد عليه الصلاة والسلام ثم لكل من قرأ القرآن من بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، وكلمه (بسم) اختص الرحمن بها نفسه إشارة لكل عبد انه ليس لك أيها العبد غير الله حبيب تبدأ بإسمه كل قول وفعل فيسخر لك كل شيء وتحتمي به من أي شيء وينجيك من أي شيء ويعطيك من كل شيء ، فاسمه يخضع له كل شيء هل لك إلا أن تقول (الحمد لله رب العالمين).

﴿اللَّهُ﴾

هو لفظ الجلاله الذي يطلق على كل أسماء الله الحسنی فنقول مثلاً (الله الرحمن)، (الله الرحيم)، (الله النافع)، (الله الجبار) وهكذا كل أسماء الجلال و الجمال والكمال .

وقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه وإن عفوه سبق عقابه،
وحين يقول انه نفخ في آدم من روحه هذا له معاني ضخمة فهذا النفس النوراني
الرباني حين سرى في الجسد الترابي الآدمي اكسب آدم من صفات الله من الجمال
والجلال ولكنها صفات محدودة على قدر الروح الآدمية وليست مطلقة مثل ذات
الله.

كل أسماء الله الحسنى تبدأ ب (أل) التعريف فلو حذفنا (أل) التعريف من لفظ
الجلالة (الله) يتبقى (له) و بحذف لام الملكية يتبقى (الهاء)...تنطق ها وهى
صوت الشهيق والزفير داخل رثتي الإنسان استمع في صمت إلى صوت النفس
الذي يتردد في صدرك ستسمع الهواء الداخل والخارج من صدرك يقول (ها..ها)
فهو تسبيح أبدى أزلي منذ أن نفخ الله في آدم من روحه هذا النفس الرباني النوراني ،
فكل البشر يسبحون الله حتى من أشرك أو كفر بالله فهو يسبح دون أن يدري ،
والمسلم إذا قال (أف) استغفر الله فورا دون أن يدري أنه يستغفر الله لأنه أخرج
نفسا من أنفاسه دون أن يسبح الله فيه وهو لا يعلم هذا المعنى.

والحب هنا في بسم الله أن يضع الله سره في روحك حتى تسبحه آناء الليل
وأطراف النهار لتستوجب مع هذا التسبيح المجهول لك رحمته وحنانه.

ولذلك يتبع لفظ الجلاله صفتان هما أجمل صفات الله عز وجل، وهما الرحمن
والرحيم ، فالرحمن معناه واسع الرحمة ولا يوصف به إلا الله عز وجل ، والرحيم
معناه دائم الرحمة عظيم الرحمة وهاتان الصفتان أولهما الرحمن وهو واسع الرحمة
تسع رحمته البار والفاجر الإنس والجن والملائكة و سائر المخلوقات التي نعلمها
و ما لا نعلمها ولذلك لا نطلق لفظ الرحمن إلا على الله عز وجل، أليس هذا حبا من
الله لخلقه جميعا؟

أليست هذه إشارة لقمة الرحمة والحب والعطاء والعظمة الإلهية؟

أن يسع برحمته كل شيء من مخلوقاته.

(الرحيم): يدل على أن رحمته دائمة بديموميته لأنه الحي الدائم الذي لا ينتهي ورحمته دائمة وعظيمة، فهو يرحمنا ونحن قد لا نرحم أنفسنا، انه ارحم بنا منا نحن بأنفسنا.

وهل يرحم إلا من أحب !؟

وهل يرحمنا إلا لأنه يحبنا؟! لقد اشتق اسم الرحم من هذين الاسمين ،والرحم وظيفته حماية الجنين الضعيف في بطن الأم وهو مثال للحنان وللرحمة ..

إن الله هو الحب، وهو الأصل للحب بجميع معانيه، فهو الحب ومنه الحب ويجب أن يكون له كل الحب، ولا يشاركه في قلوبنا أحد ولا شيء ، ومهما زاد حبه في قلوبنا فلن نستطيع أن نوف له ذرة واحدة في بحر حبه لنا، وعظمة رحمته، وحنانه علينا. واقل ما يقال (الحمد لله رب العالمين)

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

هنا وكأن الحق سبحانه وتعالى يعلمنا كلمات تنفعنا ، وهذا حرص علينا وحب لنا منه . حين نقول الحمد لله معناها :الشكر والثناء والاستحسان وكل المعاني الحسنة تحتويها كلمة الحمد، وهل يحمد إلا الحميد الخصال الكريم الصفات العظيم المجال . وكلمة رب معناها: أنه المربي المدبر للشئون. وهل هناك مربي ومدبر للشئون إلا وهو يحن من ربه ودبر شئونه، وهل هناك من اجبره على أن يخلقنا ويربنا ويدبر شئونا ؟ لا ليس عليه إجبار من أحد ولكنه كونه هو الحب وهو الحنان المنان فعل هذا بمحض إرادته ،خلقنا وربانا ودبر شئونا ويسر لنا كل شيء ليس البشر فقط ولكن كل العالمين .

وكلمة رب لو عكست حروفها لأصبحت (بر) أي رحيم، مجيب، ملاذ، ملجأ، إحسان، عطف، حنان، حب. كل حرف في القرآن ينطق بالحب ، يعبر عن معاني الحنان والجمال الالهي . وكلمة العالمين : هي جمع عالم أو أصناف العوالم

المعلومة لنا أو غير المعلومة لنا . إذن رب العزة يعلمنا كيف نتكلم معه ، وهو يتولى شئوننا قبل أن نوجد وبعد أن نوجد وحين نموت وحين نبعث وحين ندخل الجنة أو النار ، أليس هذا حبا منه لنا ؟! ولذلك أول كلمة قالها آدم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾

يعيدها هنا الحق تأكيدا لما بدأ به من قوله بسم الله الرحمن الرحيم ، فكأنه مازال وسيظل يؤكد إلى الأبد أنه هو الرحمة والحنان والحب وكأن كل كلمة يقولها: يا عبادي أحبوني لأني أحبكم، أنا أرحم بكم من أنفسكم ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾

هنا يصف الكريم نفسه بأنه الذي بدأنا وسيظل يرحمنا بأن يكون هو المالك لأمرنا يوم البعث ولذلك لا ظلم يقع علينا في يوم الدين، وكلمة الدين معناها هنا رائع حيث أن دين آتية من معنى القرض ، أي أننا مدينين لله عز وجل بكل شيء، منذ أن خلقنا الله في عالم الذر وأشهدنا على أنفسنا وإذ يقول الحق سبحانه (وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريته وأشهدهم) (الآية)

إذا هذا هو الدين الذي يجب أن نعترف به في الدنيا قبل يوم القيامة

وهو إن لا اله إلا الله لأننا رأيناه في عالم الذر وهو يقول(هو الذي خلقكم ثم صوركم) (الآية) إذن الخلق سابق التصوير ، خلقنا الله وأشهدنا على أنفسنا رأيناه حين قال : أأست بربكم وقلنا : نعم أنت ربنا الواحد ، ثم صورنا من الطين وطمس الطين على ذاكرة الروح التي رأت الحق ، فمننا من استعاد الذاكرة وصدق بأن لا اله إلا الله ، ومننا من ختم الطين على قلبه وروحه فلم يذكر أنه شاهد الله وشهد له بأنه لا اله إلا هو ، ولذلك يقول رب العزة (وذكرهم بأيام الله) (الآية)

أي أعد لهم الذاكرة حيث كانوا عندي في عالم الذر وهم يرونني ويعترفون منذ خلق الخليقة أن لا اله إلا أنا الله .

إذن نحن مدينون أمام الله بأن نشهد له أنه هو الله لا اله غيره ، بناء على سابق الرؤيا له حين الخلق ، وحين يقول رب العزة (مالك يوم الدين) كأنه يطمئن المؤمنين بأنه الحق العدل المحب لهم الذي يملك يوم الفزع فلا تخافوا ولا تحزنوا فالله حبيبكم . سأل أعرابي رسول الله ﷺ : من يحاسبنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله ﷺ : الله ، فقال الأعرابي : نجونا ورب الكعبة ، إن الكريم إذا قدر عفا . إذن الأعرابي بفطرته علم أن الله صاحب الجبروت هو الذي لا يستخدم جبروته إلا في الرحمة وحتى ما نراه من مظاهر القسوة في العقوبة فإنها هي الرحمة بعينها . قرأت في الأثر أن شيخا كان يعلم طلابه معنى قول الحق (لو اطلعت على الغيب لا اخترتم الواقع) فأطال في هذا الحديث وأسهب حتى أن أحد طلابه قد ملّ ، فسأله أن يغير هذا الحديث ، في تلك الليلة قبض على هذا الطالب بتهمة قتل هو منها برئ وحكم عليه بالإعدام ، فأرسل للشيخ يسأله : أي غيب أطلع عليه حتى أرضى أن أعدم مظلوما ؟! فجاءهم رسول الله ﷺ في المنام وقال : لو لم يمت هذا العبد هذه الميتة الشهيدة لمات كافرا .

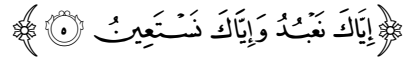
إذن رحمة الرحمن وحنانه وحبه لخلقه يختار لهم ما فيه مصلحتهم وإن قصر تفكير العبد عن إدراك الحكمة والمصلحة .

نعود لمعنى (مالك يوم الدين) فنجد كلمة (مالك) لو عكست حروفها لكانت (كلام) ، إذن لا أحد يملك يوم الدين شيئا غير الله بدءا من الكلام ونهاية بالأفعال وهل هناك شيء يحدث دون كلام ويقودنا لكلمة (لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي)

إذن كلام الله سيكون منجى لنا في الدنيا وفي الآخرة ويوم القيامة.

حين خلق الله الأرض تحركت فأرسي فيها الجبال فلم تثبت وحين انزل عليها أية الكرسي ثبتت إذن كلام الله ملك وقوة وعظمة، إذن إن ربنا هو حبيبنا الذي يرعانا يوم لا يكون هناك راعي لنا ومن حبه يطمئنا ويقول (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)

(الدين) تعني : الإسلام ، والإسلام أمر من الله لجميع مخلوقاته ، لم يخلقنا الله في الدنيا في بادئ الأمر ، ولكن كل المخلوقات كانت عنده في ملكوته ، وحين أراد الله أن يعمر الأرض عرض هذه الأمانة علي جميع المخلوقات مثل السماوات والأرض والجبال وهي من أقوى مخلوقات الله فأبين أن يحملنها ، وهذه الأمانة هي إقامة ملك صغير في الأرض ، وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا ، فترك الله له أن يفعل ما يشاء بالعقل البشري القاصر وذلك ليعلم الله الإنسان أنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء بدون التسليم لله وانه يجب أن يسلم كل أموره لله ، ومن المدهش أننا لا ننتبه لمعاني الكلام ، نحن نقول أننا ندين بالإسلام وهذا معناه أننا مدينون بالتسليم لله والتنازل عن أمانة الاختيار ب أفعل ولا تفعل ، وهذا معني كلمة (دين) و(الحمد لله رب العالمين)



اسألوني بالعبادة والاستعانة . ولنبدأ بكلمة (نعبد) إن العبادة هي قمة الحب فحين يحب بشر بشرا مثله ويريد أن يبالغ في وصف إحساسه له بالحب يقول: أنا أعبدك ، لذا العبادة هي قمة الحب ، وحين تكلم الله عن حبيبه محمد قال (سبحان الذي اسري بعبده) إذن العبودية هي اعلي مقام للقرب من الله ، إذن ربنا يطلب منا أن نحبه ومن هنا من حبنا له نستعين به لأنه حبيبنا . وكأن الحبيب من شدة حبه لعباده يدلهم على أهم شيء مطلوب منهم ويقول: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) أي لا يريد منا إلا أن نحبه . إذا أحب إنسان إنسانا مثله لأنه ثري وانه يعطيه من ماله يريد أن يحبه لذاته لا لماله وهو الفاني ولكن الدائم (الله) يرضى بان تحبوه ولو من اجل عطائه لكم ، رضي بأقل درجات الحب ولم يحرم عباده من

رحمته على تقصيرهم في حبه ، يعلمنا أن نقول :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

دون فهم المعنى حبا في عباده ، رضي بان نقولها ترديدا باللسان فقط واكتفى بقولنا دون أن نفهم المعنى ووعدنا بالإجابة والرحمة والإعانة ، نلاحظ أن الله يعلمنا أن نكلمه بكاف المخاطب كناية على أنه معنا وأنه يسمعنا ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١﴾

ما هو الصراط المستقيم ؟ الصراط المستقيم يبدأ في الدنيا منذ لحظة ولادة الإنسان فيها وهو طريق بها على جوانبه خطاطيف من الذنوب والآثام التي تملأ الدنيا مثل الكذب والزنا والسرقة فمن يولد في الدنيا ويسير فيها يجب أن يتنبه لخطئه فيها فيسير على المنهج الإلهي ، من الملاحظ أن كلمة منهج عكس حروفها (جهنم) إذن من ترك منهج الله ذهب إلى جهنم الدنيا و جهنم الآخرة (، لذلك كلمة اهدنا الصراط المستقيم يعلمنا فيها الحق أن نسأله الهداية للسير في الدنيا باستقامة دون ارتكاب للذنوب ، وهذا هو صراط الذين أنعمت عليهم بمعرفة الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾

ما زال الحق يعلمنا كيف الطلب منه سبحانه ؛ فنحن نسأله طريق الذين انعم عليهم بماذا ؟ بمعرفة الله ؛ فمن عرف الله عاش في نعيم الدنيا والآخرة وجعلنا الله ندعوه ليلا ونهارا بهذا الدعاء محبة لنا ، وقوله سبحانه ولا الضالين يعني الذين أضاعوا أنفسهم بأن ضلوا عن طريق الله . إن كل حب يزول بزوال سبب الحب ، لا يوجد من يحب شيئا لذات الشيء ، ولكن يحب الفائدة التي تعود عليه من هذا الشيء ، وهذا الحب يزول بزوال الفائدة ، أما الله عز وجل فان حبه لخلقه خالي

من أي منفعة فهو لا يريد منا شيئاً ولا ننفعه بشيء ، وحتى ما فرضه علينا من عبادات وسلوك كان حبا منه خالصا لعباده ، وحرصا منه عز وجل على عباده وعلى خليقته من أن تهلك وتضيع وتضل عن الحقيقة فيكون مصيرها إلى الهلاك في النار، فجعل قراءة الفاتحة مع كل ركعة صلاة حتى يرحمنا بها . أليس هذا حبا ؟

(الحمد لله رب العالمين)

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

سورة البقرة - سورة (2) - عدد آياتها (286)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾

هذه الحروف المقطعة تقرأ كل حرف باسمه ، ليس لها حتى الآن معني ثابت في أي تفسير فكل الفقهاء يجتهدون برأيهم كل علي حسب فكره ، ولكني أري أنها إشارة لنا من الله يقول فيها أن للكلمات إعجاز في فك حروفها ، وكأن هذه الحروف شفرة يجب أن تحل . إن اللغة العربية هي لغة الله الذي اختارها لعبقريتها ، فهذه اللغة فيها من إعجاز بعض كلماتها أن الكلمة إذا عكست حروفها أعطت عكس معناها مثل : (جهنم) عكس حروفها (منهج) ، (قراح) عكس حروفها (حارق) . كل كلمات المصحف ليست صماء علي معني واحد ولكنها حية متحركة وكأن الحق يقول لنا استخرجوا المعاني ، هذا كلام الله المعجز الذي إذا وضع علي أي وضع فهو حق ، لا تجعلوه في قالب واحد انه حي مرن لائق لكل زمان ومكان . ومن عظمة هذه اللغة أن فيها كلمات في تبديل وتغيير أماكن الحروف في الكلمة الواحدة تعطي معاني متعددة لنفس الكلمة مثل : كلمة (أنبياء) عكس حروفها (أي بناء) وقال رسول الله ﷺ (أنا والأنبياء من قبلي كرجل بنى بيت فجمله وحسنه إلا موضع لبنة) وهذا دور الأنبياء في الحياة الدنيا وهو بناء كل حياه . وكلمة سورة معناها يأتي من السوار أو البرواز والإطار الذي يحيط بشيء غالي ثمين ، وإذا عكست حروف كلمة (سورة) لكانت (تروس) ومعناها دروع ،

وكذلك كلمة بقرة المسمى بها السورة لماذا سميت سورة البقرة بهذا الاسم؟ وما معناه؟ ... يقول المفسرين لأن فيها قصة ذبح البقرة في عصر موسى وبني إسرائيل، وقد يكون هذا صحيح لأن هذه القصة مشهورة في هذه السورة وعلامة بارزة فيها، ولكن دائماً الله له كثير من الحكم في الشيء الواحد ولذلك نلاحظ ما يلي : كلمة بقرة إذا عكست حروفها تكون ... ترقب.!!!!؟

ترقب بمعنى تلاحظ وتنظر : فهذه السورة تلاحظ وتنظر في أحوال كثير من البشر من مؤمنين وكفار ويهود ونصارى ، والأحكام وكيف تنفذ ..

ترقب بمعنى الانتظار : وهذا واضح في معاني كلماتها فهذه الكلمات يملأها الحلم والتمهل والصبر علي سوء فعل الناس وتمهل إلى أجل مسمى إلى الساعة
ترقب بفتح القاف : بمعنى لاحظ أيها القارىء ما في هذه السورة من معاني وانتظر ..

ومع تبديل وضع حروف كلمة بقرة تعطي معاني كثيرة مثل : تبرق : بمعنى تشق بقوة... أي تكشف الكفار والمنافقين ، تبرق : بمعنى تلمع وتير القلوب المظلمة، تقبر : بمعنى الكلام عن مرحلة البرزخ والنجاة من عذاب القبر فمن حفظ البقرة وآل عمران لا يعذب في القبر ، رقة : بمعنى عنق أي أنها عنق الدخول إلى الإسلام أو عاتقة للرقاب من الرق ومن النار ، قرية : من الله أو صلة أولي القرية والرحم ، بقرت : أي فجرت وكشفت كل خفايا النفوس ، تقرب : من الله ..

إذا قرئت بقرت فمعناها : فتحت بشدة وهذا ما احتوته معاني السورة ، وإذا عكست حروف كلمة (بقرة) فإنها (ترقب) فمعناها أن السورة فيها انتظار ومراقبة ، فليس هناك في كلمات المصحف حرف ليس له معنى ، وهذا من معاني الحروف المقطعة في أوائل السور . وهناك جمل لو عكست حروفها لأعطت نفس المعني مثل : ربك فكبر عكسها ربك فكبر ؛ وهذا من إعجاز القرآن ومن رحمة الله بخلقه ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين).

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢٠ ﴾

يطلق لفظ الكتاب على الكتب والصحف والرسائل، وسوف نأخذها هنا بمعنى الرسالة، في هذه الآية أجد الله يحفزنا على أن نأخذ هذه الرسالة بثقة أنها فيها لنا هدى، فيقول كلمة التخصيص (ذلك) الكتاب لا شك فيه هداية ونور وإصلاح، ولكن لمن تكون الهداية؟ للذين يستمعون لكلام الله، ويتقوا الله، كل لفظ يشير إلى أنك يا عبدي إن اتقيت ما أمرتك أن تتقيه واتييت ما أمرتك أن تأتيه، تكون من المتقين الذين يستحقون حبي، لأنك بتقواك أسعدتني لأنني حريص على أن تكون في أكمل صورة من الأخلاق (أليس هذا حبا من الخالق للخلق؟!)

ماذا يريد الله منا؟ يريد أن نكون في أكمل أخلاق وأن نحبه. وإن نوحده ونشكره ونقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٢١ ﴾

إن كلمة إيمان تعطي معني عقد النفس علي تصديق شيء لا يري. ولذلك يتبعها قول الله عز وجل بالغيب، وكل ما لا يدرك بالحواس الخمسة فهو غيب، والروح التي بين جنابتنا هي بالنسبة لنا غيب، ولكننا نؤمن بأنها بداخلنا، ومن خلال هذا الإيمان يجب أن نؤمن بمن نفخها فينا وإن كان لحواسنا غيبا. وكان الله يقول آمنوا بي بالغيب لأنني حق ولاني أحبكم واحرصوا علي إقامة الصلاة واتوا الزكاة. الصلاة وصل واتصال بين العبد وربّه، هناك صلاة فرضها الله في أوقات محددة وذلك ليَجبرنا علي الاتصال به لا لشيء إلا ليصلح من أرواحنا وأبداننا. ومن عظمة الصلاة أنها فرضت في الملاء الأعلى وكانت خمسين صلاة، لو قسمنا عدد الصلوات الخمسين علي ساعات اليوم لكانت كل ساعة في اليوم فيها أكثر من صلاتين، وهذا من حب الله لعباده يدعوهم للاتصال به في كل أوقات الليل والنهار دون كلل أو ملل. والله لو أنك اتصلت بأحد من الناس أكثر من مرة

لمل منك وسخط علي أنك كثير الكلام، وقد يصفك بالتطفل إذا سألته شيء وألححت في طلبه، أما الرحمن فلا يمل حتى تمل ولا يضيق من كثرة سؤالك له وإلحاحك عليه، بل يحزن علي عباده الذين ينصرفون عن دعائه، فهو يريد أن نظل في حالة وصل واتصال به أثناء الليل وأطراف النهار. الصلاة وما فيها من حب الله لنا : أولا الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عقد منظوم من الحب المتوالي قولاً وفعلًا وحركات وسكنات أولاً معني كلمة صلاة : نقول اتصل الشيء بالشيء إذا التصق به ،فمعني الصلاة هو الاتصال المباشر بالله والاتصاف به عز وجل وكأنك تدخل على طبيبك الذي يعمل لك كشف أشعة من كل أنواع الأشعة ليعرف موضع الخلل وموضع المرض فيعالجك من جميع أمراض الروح والجسد وأنت لا تدري ما الذي ذهب عنك من الأمراض والآفات في الروح أو البدن . لنري متي وكيف وأين فرضت الصلاة ؟ فرضت الصلاة في أعلى مكان في الوجود ،المكان الذي اختاره الله لذاته العليا في الملاء الأعلى حيث لازمان ولا مكان حيث خالق الزمان والمكان ،بعث إلى نبيه من يحضره إلى حضرته الجليلة لرؤية طلعتة البهية والسرور مع صاحب الأبدية والوصل بصاحب الأزلية .يقول الحق في آخر سورة الكهف (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) هذه الآية تدل على أن الإنسان إذا تمنى أن يقابل الله وان يراه في الدنيا وفي الآخرة وليس الموت لان لا احد يتمني الموت ،واللقاء قد يكون في الدنيا أو الآخرة لان الآية لم تحدد لا مكان ولا زمان للقاء .من أراد هذا اللقاء يكون عمله كله صالحاً أي أن أعماله تقاس بمقياس الصلاح من عدمه ،والشرط الثاني : أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً ، أي انه يجعل كل فعل يقوم به جسده وروحه وقلبه وعقله لله وحده أي انه حين قيامه بهذا العمل لا يكون في قلبه إلا الله . ومهما كان هذا العمل بسيطاً فلا يكون في ذهنك احد وأنت تقوم به إلا الله . مثال :آكل لله ، أنام لله ،اعمل لله ،وقس على هذا كل شيء .وبذلك تروض نفسك على مكارم الأخلاق وتكون أهلاً للقاء الله في الدارين الدنيا والآخرة .ولذلك نرى أن رسول

الله ﷺ كان أسوة لنا فقد جملة ربه بمكارم الأخلاق فأصبح لائقا لرحلة المعراج و رؤية الله وهو في حقيقة الأمر بشر له جسد مثل كل البشر، قال الإمام البوصيري في قصيدته (البردة) عن الرسول ﷺ: فمبلغ العلم فيه انه بشرا وانه خير خلق الله كلهم. إذن يجب أن نصل بأنفسنا إلى مكارم الأخلاق المحمدية وحقيقة التوحيد الكامل لله. وحقيقة التوحيد أن كل ما في بالك هالك وربك بخلاف ذلك. إذن لماذا لا نعمل للدائم. هذا إن استطعت أن تقوم نفسك، فإن لم تستطيع فاستعن بالله وقل له يا ربى هذه نفسي لا أستطيع تقويمها فتولها أنت واصرفها عن السوء، وإن كان صادقا في قوله استجاب له الله فورا وهذب له نفسه. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، فلا يكون في نفسك شيء تضره وتقول غيره لله، فانه يعلم السر وأخفى. نعود إلى الصلاة حيث فرضت في الملائ الأعلى، هذا المكان يدل على عظمة وقيمة هذه العبادة، فأنت تحب الله ولكنه هو الذي يضع لك المراسيم التي تلائم هذا الحب، وكان على قمة هذه المراسم الصلاة.

إذا أتاك ضيف في بيتك فقد حق له كرم الضيافة ووجب أن يقدم له قري الضيف، فما بالك إن كان هذا الضيف هو الحبيب، ألا تخرج له كل غالي وثمانين؟!، حين دخل المصطفى ﷺ إلى سدره المنتهى وقال له جبريل: ولكل منا مقام معلوم لا أستطيع أن أتقدم فتقدم أنت يا حبيب الله، فقال الحبيب: أها هنا يترك الخليل خليله، فقال جبريل: يا رسول الله إذا تقدمت أنت احترقت وعبرت وإذا تقدمت أنا احترقت، فأمر الله جبريل بدفع الحبيب دفعة واحدة ففعل فإذا المصطفى فيما لا يعلم، حيث لا مكان ولا زمان، وفي سورة النجم يقول الحق: ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى (الآية)، من الذي دنى فتدلى؟ انه رب العزة نزل إلى مستوى القرب من حبيبه، وما هم القوسين؟ إذا نظرت إلى شكل الذراعين حين نلقى أحبابنا بالأحضان فهما كالقوسان، إذن كان الله يقول انه قابل

حبيبه محمد بالأحضان والدليل على ذلك كلمة (أو أدنى) ما هو أدنى من الحضن؟ انه الضم إلى الصدر، وهذه هي وقفة كل مسلم في الصلاة، ألا نقف ضامين ذراعينا إلى صدورنا، أليست هذه وقفة حضن، (فأوحى إلى عبده ما أوحى) ... أوحى الله لرسوله كل ما شاء له إن يوحيه ومنه فرض الصلاة. ومن هذا كانت الصلاة اتصال بالله وحضن رباني حين وصل رسول الله ﷺ إلى مرحلة قاب قوسين أو أدنى وشعر بالحضن الرحماني والضممة الالهيه، وهذا تشبيه مجازي عن ملكوت الحنان الرحماني لأن الله سبحانه تنزه عن الأفعال البشرية، فهذا تشبيه مادي يقصد به إحساس معنوي، وحين شعر رسول الله ﷺ بالحب والحنان الالهى يملأ روحه وكيانه رجا الله أن يبقيه في هذا الإحساس الرائع فقد وجد نفسه في قمة الأمان وقمة الحب وقمة السعادة وقمة المتعة بقربه من حبيبه، اغلب العباد يتمنون نظرة من الله فما بالك بموقع القاب قوسين؟ هنا أشفق الرحمن على حبيبه وقال له أنت الرحمة المهداة لباقي البشر، ولكن لك عندي كلما قمت إلى الصلاة أن تشعر نفس إحساسك هذا في ألقاب قوسين أو أدنى، ولذلك كان رسول الله ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه ولا يشعر بهم من المتعة التي يجدها في الصلاة. يقول الحق (ففرؤا إلى الله) (الآية) حين يفر الإنسان باحثا عن الأمان لن يجده إلا في حضن الله في الصلاة، ففيها علاج للأرواح والأبدان وهو يشير لنا بأنه هو الأمان لنا حتى منافسنا.

نعود إلى كيفية الصلاة، تبدأ بالوضوء :

وضوء : الواو حرف عطف ،ضوء تعنى نور إذن الوضوء هو زيادة ضوء وكمال النور والأعضاء التي تغسل في الوضوء كلها ليست عورة لا في الرجال أو النساء.

لماذا حدد الله هذه الأعضاء بالذات ليتم بها الوضوء ؟

لان يوم القيامة ستكون الأرض في ظلام دامس قبل أن يشرق نور الله عليها

فيأتي المصلون بأنوار الوضوء لينيروا الأرض للبشر بوجوههم وأيديهم وأرجلهم، فهؤلاء هم مصابيح الأرض يوم القيامة وبأنوارهم يعرفهم المصطفى ﷺ في وسط الحشر فيجمعهم على الحوض ليسقيهم منه شربة لا يظمأوا بعدها أبداً ، (وترى المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم.....)

نبدأ بعد ذلك في الصلاة :نقف متوجهين للقبلة حيث توجد الكعبة ،وحروف كلمة قبله هي نفس حروف كلمة قبله بضم القاف ،وكان توجهنا للقبلة هو تقبيل للأرض التي تحت عرش الرحمن (أليس هذا حبا) .

حين يقف الإنسان واضعاً يديه بجانبه وفارجا بين رجليه فجسمه يكتب أولا واحد وإذا نظرنا عليه من فوق لكانت الذراعان مع الرجلين يكتبان الله ، وحين يرفع ذراعيه بمحاذاة رأسه لوجدت الرأس مع الذراعين يكتبان لله ،ثم يركع واضعاً ذراعيه على ركبتيه فيأخذ الجسم من الجنب شكل (الهاء) وهى صوت الشهيق والزفير وهى التسبيح اللاشعورى الذي ذكرناه في الفاتحة ،ثم السجود هذا الوضع الجنينى إشارة للضعف البشرى أمام الله ،والجسم كله يكتب الله لو نظرنا إليه من الجنب .هذا عن الحركات الجسمانية في الصلاة كلها تسبيح لله أما الكلام فيبدأ بتكبير الإحرام (الله اكبر) لو عكست حروفها لكانت (ربك أهل).....ثم الفاتحة وهى كلمات علمها الله لنكلمه بها ولقد شرحتها من قبل .ثم التسبيحسبح عكسها حبس ، وهذا معناه إذا شعرت بضيق سبح ،وإذا سجت سبح تخرج من السجن ،مثل نبي الله يونس حين حبس في بطن الحوت قال (لا اله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) (الآية)فيكون رد الحق عليه (فنجيناك من الغم وكذلك ننجى المؤمنين)(الآية).....اى إن كل من سبح خرج من الضيق ومن الغم ومن السجن ...

ثم التشهد :يعنى افتعال المشاهدة لله والملائكة والنبين والدخول في الحضرة الالهية ،وهذا علما منى باني بين يدي الله وأنا أحييه بأجمل التحيات ، فجلوسي هذا

بين يدي الله جلوس العبد المؤدب بين يدي سيده ،فيبدأ بتحية سيده بتحية تليق بجلاله وجماله وعظيم سلطانه فيقول : التحيات المباركات ومعناها تحيات مستمرة ومتزايدة من طيبتك وحنانك ،والصلوات اى الوصل منك والقرب من عظمتك يا الله

ثم يسلم على رسول الله لأنه في حضرة الله ... ويسلم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة ومن البشر والجن الموجودين في الحضرة الالهيه ثم يدعو لرسول الله ﷺ وآله ولسيدنا إبراهيم وآله ويبارك عليهم أجمعين عرفانا منه بالجميل لهم لان الله جعلهم سببا في إسلامه

ثم يسلم على ملكين اليمين واليسار الذين انصرفوا حين تكبيرة الإحرام... التي معناها أن ربك أهل وان العبد دخل الحضرة الالهيهأو معناها أن ربك أهل لان تقوم بين يديه ... في كل الأحوال يجب انصراف الحفظة الكاتبين ،هذا مجال العبد مع ربه لا يحضره الحاسبين.....

هذه هي الصلاة كلها حب من أولها لآخرها فهي اتصال بالله

قال رسول الله ﷺ : (من أراد أن يكلم الله فليصلى ،ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن) إذن الصلاة فرضت من الله حبا للمسلمين وللصلاة معاني وفوائد كثيرة فهي تواصل واتصال مع الله في الماضي والحاضر والمستقبل ... ففي الماضي : الصلاة تذكرة بحالنا في عالم الذر حيث كانت كلمات الفاتحة هي كلامنا مع الله في عالم ما قبل الدنيا والصلاة في الدنيا تدريب للدخول عند الله حين الوفاة ، حين تصعد الروح مع الملائكة إلى عرش الله وتدخل الروح للرحمن وهي تردد كلمات فاتحة الكتاب وفي المستقبل حين البعث حين تشرق الأرض بنور ربها ونقف بين يدي الله للحساب نفعل نفس حركات الصلاة ونقول نفس كلماتها وتسيحاتها بين يدي الله كما علمنا في الدنيا وفرض الله الصلاة في أوقات اليوم كله المختلفة لأننا لا نعلم في أي وقت سوف نموت هل في الصباح أو

في الظهر أو في العصر أو في المغرب أو في جوف الليل فبذلك نكون قد تدرّبنا على الدخول عند الله في كل وقت... ومن محبة الله لنا أنه فرض علينا هذا التدريب حتى لا نفزع من لقاء الله وحبد الحق صلاة الليل حتى إذا خرجت الروح ليلاً فلا تفزع من ظلمته... كل هذه الرحمة من الله بنا أن يفرض علينا مصلحتنا ،

قرن الله إقامة الصلاة بالإِنفاق من ما رزقنا الله ذلك لان الصلاة هي التوحيد الخالص لله ودليل على محبة اللهفماذا بقي من مراد الله منا ؟

بقي حسن الخلقوأعظم الخلق عند الله هو الكرم ..لم يحدد الله نوع الإِنفاق تركها للعبد كل حسب رزقهمن أنواع الإِنفاق الزكاة المحددة وأيضا الصدقات التطوعية ،والتي هي دليل على حسن الخلق أن الزكاة حب من الله للمسلمين لماذا؟ لان العبد قد يشوب ماله بعض المال الحرام أحيانا بعلمه أو بشك فيه ، فمن رحمة الله جعل الزكاة ليظهر هذا المال الدنس ،حتى لا يحاسبه عليه في الدنيا أو الآخرة وهذا من منطلق حبه لعبدهويزكى يعنى ينقى ويظهر ويعطر والزكاة هي التي تعطى المزكي السيرة العطرة أمام كل الخلقومن حب الله لعبده أيضا يعطيه صفة من صفاته وهو أن يكون هذا العبد معطاء ...والزكاة أيضا تعطير وانسراح للروح ...لماذا؟.....انظر الى نفسك حين ترى سعادة الفقير حين يأخذ منك الصدقات ألا تشعر في روحك ونفسك بخفة وسعادة ونشوى ...إن السعادة تكمن في انك ترضى ذاتك بالشعور بأنك معطاء ..ثم من الذي أعطاك الصحة التي تعمل بها المال ؟ومن الذي أعطاك العمل الذي حصلت منه على المال ؟ومن الذي أعطاك المال أيضا ؟.....أليس هو الله ...حبك لله هو ان تفعل مثل ما يفعل حبيبك ،وان لا يكون لديك شيء تحبه عن الله ولو كان المال والبنون الذين هم زينة الحياة الدنيا ..انظر الى كلمة مال :عكس حروفها لام بمعنى انب ،فمن جاد بماله نجا من تأنيب الله ونجا من حقد الناس عليه ونجا من تأنيب ضميره ...ومن رحمة الله انه يغنى بعض الناس حتى لا

يفسدوا وان اشرفوا على الفساد فيكتب عليه الزكاة ليجبره على دفع جزء من ماله ليكتب له به حسنات لان الحسنات يذهبن السيئات... هذا حب الله للأغنياء ، فماذا عن الفقراء ؟ إما أن الله يعلم أن المال يفسده فيمنع عنه الفساد أو يريد الله أن يرفع هذا العبد درجات في البرزخ ثم في الجنة يقول رسول الله ﷺ : (اطلعت على الجنة فوجدت أغلب سكانها من الفقراء) (البخاري)

ثم ليكون في الدنيا توازن فتعمر بسبب سعي المحتاجين ... قسم الله للفقير جزء من مال الغنى ومن العجيب انك ترى كل من الفقير والغنى سعداء بهذه القسمة . فان رأيت مجتمع أغنياؤه وفقراؤه تعساء فاعلم أن شرع الله معطل في الزكاة ...

الزكاة :تجعل الإنسان يوم القيامة عطر الرائحة ،ويكون حبيب رسول الله ﷺ الذي يقول : حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ..

إذن الرسول ﷺ يحب الرائحة الزكية ويقبل علي صاحبها ويسقيه من حوضه شربة ماء لا يظماً بعدها أبدا....

إذن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة جزء من صفات المتقين و(الحمد لله رب العالمين).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

ما زال الله يبين من هم المتقين ،هم الذين يؤمنون بالقران وبالرسالة المحمدية وبجميع الرسالات السابقة ،ثم أهم وصف للمتقين إنهم عندهم يقين بالآخرة

أولاً: ما هي الآخرة ؟... هناك عدة مراحل وحيوات يمر بها الإنسان منذ يخلق إلى أن يصل للجنة أو للنار .. أولاً (الحياة الأولى) حياة الذر التي في علم الله للأطفال قبل أن يوجدوا في بطن الأم ، فأرواح هؤلاء الأطفال موجودة في حياة

عند الله لا بعلمها إلا هو ، ثم يجمع الله تراب هذا الطفل بجمع الحيوان المنوي لأبيه مع بويضة أمه في رحمها الذي يشبه بطن الأرض حيث تنبت حبتهم وتتحول إلى جنين كامل التكوين فينفخ فيه الروح وهذه مرحلة (الحياة الثانية) ثم يخرج من بطن الأم إلى الحياة الدنيا (الحياة الثالثة) التي هي أوسع من بطن الأم ، وهي الحياة التي يحاول أن يكون له دور في أن يجعلها راقية مثل الحياة التي كان يعيشها ادم وحواء قبل أن ينزلوا إلى الحياة الدنيا وهي (الحياة القصوى) أو (الحياة العليا) ثم يموت فان كان عمله صالحا في الحياة الدنيا ، يذهب إلى الحياة العليا التي هي

(الحياة الرابعة) حيث قمة التكنولوجيا ، والتعامل فيها (بكرات التقوى) يشتري ويبيع ويتزوج ويتمتع بدون تعب طالما أن رصيد كارت التقوى وفير ثم يبعث مرة أخرى إلى الحياة الدنيا ، حيث القيامة ثم الحساب ثم بعد ذلك (الحياة الأخيرة)

وهي الآخرة فإما نارا أبدا وإما جنة أبدا ...

ما هو اليقين ؟....اليقين بالشيء هو التصديق به بعد معاينته بالحواس الخمسةكيف نوقن بالآخرة ؟....نقف قليلا مع أنفسنا إلى أين المصير ،ثم نستشعر معنى أن الموت هو اليقين الوحيد في الحياة الدنيا ثم كل شيء غيره نسبي ومتغير، فمن تذكر الموت عمل له (والحمد لله رب العالمين) ...

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

يولد الإنسان في الحياة الدنيا وهو يبكي انه داخل إلى مرحلة النضوج العقلي والروحي والجسماني، فالدنيا دار نضج وابتلاء وجمع رصيد لحياة البرزخ والآخرة.

في هذه الآية اختص الله الذين هداهم بتكرار كلمه (أولئك) مرتين في الآية بأنهم هم المفلحون، وكلمه المفلحون آتية من فلاحه الأرض وزراعتها إذن، الدنيا مزرعة للحياة التي تليها ، وتكرار كلمة أولئك تعنى المحبة لهم .. فيصفهم بأنهم الناجحون

والفائزون .إذن المقياس الذي يقاس عليه النجاح في الدنيا هو كم الهدى من الله... وهذا يدل على أن الله يحب عباده ،ولذلك اختصهم بالهدى الذي يملا لهم به كارت التقوى ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

في هذه الآية يقول الحق :أن هناك نوع من الخلق لا يدخل النور إلى أرواحهم أبدا مهما انذرهم الرسول أولم ينذرهم

وكان أرواحهم قد صبت في اغلفة من الرصاص فلا ينفذ إليهم نور الإيمان ولا يخرج منهم الكفر... وكان الله أشفق على نبيه من هؤلاء الخلق فأعطاه هذه الآية حتى لا يكلف نفسه بإنذارهم... وهذا حب الله لرسوله ﷺ..ومواساة له حتى لا يظن انه قد قصر..حنانا منه ورحمة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

يقول الحق:إن هؤلاء الخلق قد ختم الله على أرواحهم التي في قلوبهم وعلى سمعهم بختم لا يفتح، وجعل على أبصارهم غشاوة ،لماذا؟ هناك من البشر من أخفى رأسه وأغلق سمعه وبصره وحتى روحه أغلق عليها فلا يرى أى نور ولا يقبل أى هداية ،فمنهم الذي يدعى أن الطبيعة هي الخالقة وان هي إلا حياتنا الدنيا وقدراتنا على إقامة الحياة على الأرض بعلمنا ،مع انه لا يعلم شيء حتى عن نفسه أو حياته داخل جسده ويدعى انه قادر على كل شيء ،ونسى أن وراء كل صنعة يوجد صانع ،وبسبب إصرارهم على الإنكار والكفر يختم الله على حواسهم فتمنع أى نور يدخل إلى القلب... ثم بعد ذلك ينزل الله عليهم عذاب عظيم في الدنيا والبرزخ والآخرة ..والحب هنا للمؤمنين يظهر في أن الله فتح قلوبهم للنور والتقوى والهداية... ومن حب الله للبشر انزل هذه الآيات لينذرهم لعلهم يهتدون..مثلا(ولله المثل الأعلى) كما تقول لابنك إذا لم تفعل كذا وكذا عاقبتك كأنك تنذره حتى لا يخطأ..ونجد في هذه الآيات مع إنذار الله لهؤلاء الكفار إلا أنهم لا

يستجيبوا لله وحين يخبر الله حقيقة هؤلاء للذين امنوا ويتحقق أمامهم هذا الأمر فيزيد هم إيماننا وثبات على دين الله... و(الحمد لله رب العالمين).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨)

ما الذي جعل الإنسان يختار الأمانة وهي (الإرادة الحرة) في أن يفعل أولا يفعل؟

إنها الروح التي نفخها الله في ادم لأنها من روح الله وفيها ذرة من صفات الله عز وجل، فحين وافق الإنسان على حمل الأمانة كان هذا من ظهور الجزء من صفة القادر التي في روح ادم عليه حين سأله الله، ونسى الإنسان ما فيه من ضعف بشري...

في هذه الآية يخبرنا الله عن بعض خلقه المنافقين، وهم الذين يدعون الإيمان وما يعرفون حتى معنى الإيمان، وما أكثرهم الآن... فممن الناس من يدعى انه مؤمن للحصول على دنيا أو سلطة أو مال... وهؤلاء هم اشر خلق الله ..

لماذا يذكركم الله ؟

أولا: ليحذرهم بأنه يعلم ما في أنفسهم، لعلهم يحذروه .

ثانيا: لينبه المؤمنين فلا ينخدعوا بهم . وفي الحالتين هذا من محبة الله لخلقه ، فهو لا يترك أي وسيلة ليهدى خلقه و(الحمد لله رب العالمين)..

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١)

في هذه الآية نجد أن الحق يسخر من هؤلاء المخادعون، ويكشف أمرهم أمام أنفسهم وأمام الناس، ويقول لهم انتم لا تخدعون إلا أنفسكم ولكنكم لا ت شعرون بما انتم فيه من غباء... وكان الله ينادى عليهم أفيقوا أيها الغافلون ..

اشعر في هذه الآية إن الله مع انه يسخر منهم إلا أنه حزين عليهم ويود أن يتنبهوا

من غفلتهم ، لان الله لا يرضى لعباده الكفر .. و (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ١٠ ﴾

ما زال الله يتكلم عن الذين خدعوا أنفسهم ، إن قلوبهم فيها مرض ، لا يقصد الله المرض العضوي فقط فقد لا يكون عضو القلب مصاب إلا أن الروح عيلة ... وأمراض القلوب كثيرة ، منها الحقد والحسد والطمع والجشع والغل والشح والكسل ، وغيرهم مما لا يحصى من الصفات الذميمة .. كل هذا السواد داخل القلوب ، فبعد هذا التنبيه في الآيات السابقة ومع حرصهم على عدم تغيير أنفسهم بل يزدون في غيهم ، فماذا يفعل بهم الله يفتح عليهم من أسباب الدنيا ليزدادوا في غيهم .. فحين يجدوا المال والصحة والبنين والسلطان والجاه يغتروا ويستمروا في طغيانهم ... ويتركهم الله لأهوائهم يعيسوا في الأرض فسادا ، ثم بعد ذلك ، لا يكون لهم عند الله شيء ومن شدة حلم الله بهم فانه يتركهم يفعلون ما يحلو لهم حتى إذا جاء وقت الحساب لا يكون لهم عنده أى رصيد ، فيعذبهم عذاب اليم على كذبهم . و (الحمد لله رب العالمين).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ ﴾

قلنا قبل ذلك أن الإنسان حمل نفسه الأمانة بسبب جهله بإمكانيات نفسه ، حقا أن الروح الإنسانية إذا انفصلت عن الجسد الترابي كانت لها قدرات شديدة لا يقدر عليها إلا الله ، ولكنها أدخلت بالضغط داخل الجسد ، فتحدت قدراتها على قدر جسدها ، ولذلك يقول الحق سبحانه عن لحظة الموت وخروج الروح من الجسد : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (الآية)

وحديد آتية من الحدة أى شديد ، فبصرا الروح خارج الجسد قوى جدا .. وقس على هذا باقي الحواس ، تكون تلك الحواس قوية جدا في الروح ، ومن هذا المنطلق اعتقد الإنسان انه على كل شيء قدير ... في هذه الآية يتكلم الحق عن

الذين يدعون الإيمان بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، هؤلاء سولت لهم أنفسهم إنهم قادرين على إصلاح الأرض ... مثال ذلك الذي يستخدم المبيدات الحشرية للتخلص من حشرة ضارة فيلوث الماء والهواء وقتل الحيوانات والحشرات النافعة مثل النحل . هل هذا إصلاح في الأرض ؟ أم هذا هو الفساد بعينه ؛ وإذا قال لهم احد لا تفسدوا في الأرض ، تأخذهم العزة بالإثم وقولوا إنما نحن مصلحون . نجدا لحق سبحانه حريص على صلاح الكون من حولنا وهذا من حرصه على خلقه وحبه لصنعتة . و (الحمد لله رب العالمين) ..

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٣)

في هذه الآية يوضح الحق لنا ولهم أنهم هم المفسدون وذلك ليحذرنا منهم حتى لا ننساق خلفهم وندمر البيئة على الأرض . إن الله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك بالله والإضرار بالناس . إن الله جميل يحب أن لا يريالا الجمال .. و (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

إن خطيئة الإنسان انه تحمل الأمانة وهي حرية الإرادة في أن يؤمن أو يكفر واعتقد أن عقله هذا راجح يستطيع أن يميز به كل الاختيارات ، وهذا وان كان فيه شيء من الصبح ، فهو الخطأ بعينه لان كل الرسائل السماوية كانت تدعو الإنسان أن عود إلى الله وتخلي عن حرية الاختيار لنفسك فأنت لا تستطيع بهذا القدر من العقل الذي حصلت عليه من النفخة الربانية ، أن تدبر الكون الذي تعيش فيه . ولذلك نجد أن الإنسان لا يترك هكذا سدى ، ولكن الله دائما يذكره بأنك أيها الإنسان قاصر وعاجز عن إدارة الكون وذلك بإنزال الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والأعاصير والأمراض والأوبئة ليؤكد للإنسان عجزه وكأنه يقول له : أيها الإنسان أنت لا تستطيع أن تمنع ميكروب صغير من أن يصيب

جسمك ، ويرسل الرسل ليقولوا للإنسان أفق استيقظ من غفلتك وامن بالله فتأخذه العزة بالإثم ويقول نحن عظماء بعقلنا ،كيف نؤمن كما امن السفهاء ضعاف العقول ، وكان كل من برئ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته في نظرهم سفیه وعاجز عن التفكير . يقول الحق: لا أيها المغرور بعقلك انك أنت العاجز السفیه لأنك تحملت ما لا تستطيع أن تحمله . في هذه الآية يحاول الحق أن ينبه هؤلاء السفهاء إلى الحقيقة، وهذا حرص من الله عز وجل على عباده حتى السفهاء منهم لعلهم يرحمون .. أو ليس هذا حبا من الله لعباده ؟.....

يا الهي كم أنت حلیم رحيم ، تعلم كل هذه المعاصي عن عبادك ومع ذلك تمد لهم مدا بعد مد ، يذكر الله هذه الحقائق ويواجههم بها ومع ذلك مازال الأغبياء في غيهم ، ومازال الله فاتحا باب التوبة ليقبل توبتهم على الرغم من علمه المسبق بأنهم لن يتوبوا ، وحين يفرغ الله منهم لن يكون هناك مجال لان يرحمهم غيره ، ولا ادري ما هي البراهين التي يستندون عليها في عقولهم القاصرة عن استيعاب كلام الله .و(الحمد لله رب العالمين)..

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ (١٤)

هنا في هذه الآية أضيف إلى صفات الغباء والغفلة في هؤلاء السفهاء صفة النفاق، فحين يلتقوا بالذين امنوا يدعون أنهم مؤمنين وإذا خلوا إلى أقرانهم من الشياطين وزعمائهم من صناديد الكفر قالوا لهم أننا معكم ولم نؤمن ،بل نحن نسخر ونستهزئ بالذين امنوا يرى الحق كل هذا ويسمعه ويمد لهم مدا .. هذا لأنه هو الحلیم .و(الحمد لله رب العالمين)...

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥)

وهنا يوضح الحق انه هو الذي يسخر ويهزأ بهم ويمد لهم ليزدادوا في غيهم وكفرهم يترددون تحيرا .

قال رسول الله ﷺ: إن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص.. هكذا العدل الإلهي و(الحمد لله رب العالمين)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

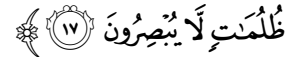


هؤلاء قد يأس الله من أن يهتدوا وتركهم لغيهم وكفرهم وصفهم الحق بأنهم تجار فاشلين وخاسرين لأنهم باعوا الهدى واشتروا الكفر والضلال والضياع ولذلك خسرت تجارتهم ولم يهتدوا .

هذه الآية ينبهنا الحق سبحانه إلى أن التجارة الربحية لا تكون إلا مع الله، هنا إشارة من الله إلى الآخرة وخاصة حياة البرزخ حيث التعامل هناك فيه تجارة فمن كان رصيده في الإيمان والهدى والتقوى كثير فهو من ربحت تجارته، وأما الذين خسرت تجارتهم واشتروا الضلال والكفر، هؤلاء ليس لهم رصيد وهم في سجون البرزخ .

حين يرى المؤمنون السعادة في البرزخ ويروا عذاب الكفار في السجون يفرحوا بان وعد الله حق .. وان الساعة حق وان الجنة حق ذلك لأصحاب اليمين، أما المقربين فهم في عليين حيث يرون الله والجنة والنار وكل الحق ... و(الحمد لله رب العالمين).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي



دائما يضرب الله الأمثال للناس ليوضح الأشياء المعنوية بأشياء مادية، وهذه من صفات الربوبية، فالرب هو المربي والمعلم ... والمثل الذي يضربه هنا عبارة عن مشهد تصويري، يصور لنا الحق هؤلاء السفهاء الذين يرون آيات الله من

العلماء والمفكرين ولا يهتدون ويعتمدون على أنها الطبيعة هي التي تفعل ذلك وهذا غباء منهم فمن خلق الطبيعة التي ينسبون إليها كل فعل .. والمثل الذي يضربه الله هنا من الظواهر الطبيعية التي هم لها عابدون من دون الله ، جعلهم كقوم أشعلوا نارا في ليلة مظلمة شديدة السواد فلما أضاءت النار الظلام من حولهم أصابهم الله بالعجز في حواسهم وأطفأ الحق نور بصيرتهم فلم يروا النور المنبعث من النار لأنهم فقدوا التمييز ولم تنفعهم النار ، وهذا يشير إلى معنى أن الآيات قد تأتي للإنسان جلية واضحة كالنار في الليلة المظلمة ولكنه من شدة كفره لا يميزها لأنه فاقد لنور الروح والعقل ، فالنار هي آيات الله التي أضاءت ليل الكفر ولكن هؤلاء السفهاء فقدوا الحواس فلا يستطيعون الاستفادة بها ولا تمييزها . ومن رحمته سبحانه انه يضرب لنا الأمثال لعلنا نهتدي و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨ ﴾

يكمل الحق التصوير للسفهاء بمن لا يقتنعون إلا بما تلمسه أيديهم فلا مجال لفتح العقول والبحث فيما وراء الأشياء بأنهم صم لا يسمعون الحقائق ، بكم لا ينطقون بالحق ، عمي لا يرون أي حقيقة ولذلك فإنهم لا يرجعون إلى من الذي وراء خلق الأشياء وأنهم لا يرجعون الأمور إلى الله . حين يذكر الله صفات هؤلاء فهو ينبههم لغبائهم ويحذرنا ان نكون مثلهم ، ويجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعٌ وَيَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَ إِذَا نِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ١٩ ﴾

يضرب لنا هنا الله مثلا آخر يوضح المعنى السابق فهو يصور هؤلاء الكفار كأنهم يقفون في العراء في ليلة حالكة السواد والمطر فيها سيول والرعء كأنه قنابل مدوية والبرق كأنه نور يخطف الأبصار صاعق للبشر ، وهؤلاء الكفار يغلقون

آذانهم بأصابعهم خوفاً أن تقتلهم الصواعق ولكن الله محيط بهم ، يشبه الله شدة وضوح آياته بالسيول الشديدة في قوتها ووضوح صوتها كوضوح صوت الرعد ونور البرق ولكنهم لا يفهمون شيئاً . إن الحق حريص كل الحرص على خلقه وما يضرب هذه الأمثال إلا ليستحثهم على الإيمان والعودة إلى الله ، يريد أن يصلح حالهم حتى ينسجموا مع الكون الذي كل شيء فيه يسير بميزان دقيق ليس فيه خلل حتى ينجيهم من عذاب الدنيا والآخرة (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)

قد تكون آيات الله في الأرض مادية مثل سيل حقيقي وإعصار حقيقي وبرد ورعد حقيقي ، هذه الظواهر يسمونها الكوارث الطبيعية وهذه التسمية خاطئة فيجب أن يسمونها الآيات الإلهية للحكم الربانية ، فما نراه نحن بأعيننا كارثة إنما هو في حكمة الله نعم ورحمة . يقول الحق في هذه الآية : يكاد نور البرق أن يسلبهم أبصارهم بسرعة من شدته وكلما أضاء لهم لحظة مشوا فيه ، وكلما أظلم وقفوا وثبتوا في أماكنهم متحيرين ، ولو شاء الله لسلبهم سمعهم وأبصارهم وكل شيء فان الله على كل شيء قدير ، ولكن من رحمة الله التي تتضح من هذه الآية أنه لم يسلبهم حواسهم بل على العكس ترك حواسهم وآتاهم بالآيات حرصاً منه على هدايتهم ، وقد نزلت هذه الآية في رجالان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر الذي ذكره الله ، فجعل كلما أصابهما الصواعق جعلاً أصابعهما في آذانهما خوفاً من أن تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلهم ، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوءه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا فيقفان في مكانيهما ، فجعل يقولان : ليتنا نصبح فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده ، فأتياه فأسلما ووضعاً أيديهما في يده ، وحسن إسلامهما .

وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم خوفاً

من كلام النبي ﷺ أن ينزل فبهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا ، كما كان ذلك المنافقان الخارجان يضعان أصابعهما في أذانيهما وإذا أضاء لهم مشوا فيه . فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابه غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد حينئذ صدق ، واستقاموا عليه ، كما كان ذلك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهم البرق وإذا أظلم عليهم قاموا . وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا : هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفارا ، كما قال ذلك المنافقان حين اظلم البرق عليهم . وفي الوقت الحالي نجد هذا في كثير من المسلمين إذا أصابته نعمة من الله فرح وقال هذا من اعمالي الحسنة ، وإذا أصابه ما يكره بسبب ذنوبه ليظهره الله منها في الدنيا ، ضاق ذرعا وكره الدين والأخلاق . وهذا ما ينبهنا الله إليه فالحذر من الدنيا وتقلباتها . و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

هنا ينادي الله على الناس نداء اشعر فيه بالرحمة والحب والحنان علي خلقه ، فيقول: يا أيها الناس كل الناس لا فرق بينهم كلهم عبيده .. يوجه لهم أمر كله رحمة بهم ، أن اعبدوا ربكم ... وكلمة العبادة معناها رائع ، فالعبادة هي قمة الحب . كان الله يأيها الناس اجعلوا علاقتكم بي هي قمة الحب ، ولذلك استخدم كلمة ربكم ، لان المربي تعني المنشئ والكفيل والمطعم والراعي والشافي والحامي والرازق وهو كل شيء لكم ، ألا يستحق من يفعل هذا أن يحب ، من منا من لا يحب من يربيه ثم يضيف الله لذاته أهم صفاته فيقول :الذي خلقكم ..

هل هناك احد خلقنا غير الله ؟ لا ... أن الله هو خالقنا والذين من قبلنا ، والذين من قبلنا تفيد معنى كل الخلق الذين خلقهم الله قبل البشر

ثم يقول :لعلكم تتقون .. قلت قبل ذلك أن العملة التي يستخدمها أهل البرزخ من أصحاب اليمين هي التقوى ، وللوصول لهذه العملة لابد من الدخول خزائن الرحمن عن طريق الحب والعبادة لله وحده .. ومن حب الله للناس دلهم علي

حبه. وتقواه .. نتقي عذابه في الدنيا والآخرة .. إن عبادة الله وحبه تجعل العبد في وقاية من كل سوء .. (الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)

يذكرنا الحق سبحانه ببعض آلائه ونعمائه علينا فيقول : انه هو الذي مهد لكم الأرض وبسطها وزللها لكم وكأنها فراش ، ولم يجعلها وعرة لا يمكن الاستقرار عليها

والسماء بناها بناء لا يستطيع احد أن يصفه ، من روعته وإحكامه ، ثم يصف كيف انزل المطر وانبت لنا به الثمرات

كان الحق يصور لنا كيف بني لنا حياتنا علي الأرض وجهاز لنا أسباب الافامة المريحة فيها من بيوت وطعام وأمان ... هل هناك من اجره علي هذا ؟ .. لا

لا احد يستطيع ذلك .. لكن الله هو الكريم وهو الخالق وهو الرازق وهو الذي يفعل لنا كل شيء .. فلماذا لا نحبه ؟ لم يطلب منا شيء سوى التوحيد لله ، فلا يصح ان نجعل له في قلوبنا ند أو شريك ، فهو المعبود الوحيد وهذا حقه ..

اشعر في كلمته (وانتم تعلمون) بعتاب من الله للناس ... كأنه يقول : انتم تعلمون كل ما فعلته لكم وحدي ومع ذلك تجعلون لي في قلوبكم شركاء ... أليس هذا حب من الله لعباده يستوجب قولنا (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣)

هنا يتكلم الحق بأسلوب التحدي مع التأييب والتعجيز لمن عنده شك في القرآن فيقول سبحانه وتعالى : يا من تشكون فيما أنزلت علي عبدي من قرآن فاتوا ولو بسورة واحدة مشابهه له واستعينوا واستغيثوا بألهمتكم ونصرائكم وأعوانكم

الذين زعمتم من دون الله، إن كنتم صادقين في دعواكم تلك ...

أجد الحق حريص علي توضيح عجزهم حتي لا يفتنوا احد وأيضا لعلمهم
يعقلون هكذا الله دائما لا يدخر جهد في هدي خلقه (أليس هذا حب من الله
لخلقه يوجب قولنا له الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾



في هذه الآية يصدر الحق قرار ثم يزيله بنصيحة صادقة ،ولكن بأسلوب
حواري رائع ،فيه حزم الله واشعر فيه برحمته علي خلقه .. فيقول :فان لم تستطيعوا أن
تأتوا بسورة مثل سور القرآن ولن تستطيعوا أن تأتوا بها ،فتوبوا واتقوا الله حتي
يحميكم من النار النبي تشعل وتلتهب بوقود غريب جدا ألا وهو الناس
والحجارة، كأنها تزداد اشتعال كلما بقي فيها ناس ويزيد لهيبها إذا رجم هؤلاء
الناس بالحجارة (أعوذ بالله)... اعد الله هذه النار مسبقا للكافرين ...ما زال الحق
بنبه وينصح الناس الغافلين ..وهذا من رحمته بالعالمين ألا يجب أن نقول (الحمد
لله رب العالمين)

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ
فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

هكذا الرب ..بما انه هو المربي فان تعامله مع من يريه بين ضدين الخوف
والرجاء ... والترغيب والترهيب ،في هذه الآية يبشر الله المؤمنين ،ويرغبهم في
الجنة التي هي اجر الذين يعملون الصالحات ...ذلك بعد أن توعد الكافرين في
الآية السابقة بالنار ..ثم كما وصف أهوال النار فهو يصف نعيم الجنة هكذا الله
دائما يرهب ويرغب عباده .

يقول الحق في وصف الجنات أن الأنهار تجري من تحتها وكأن أرض الجنة تطفو

على ماء الأنهار ، ويصف الرحمن حال أهل الجنة وحوارهم مع بعضهم حين يرون ثمار الجنة فيجدوها تشبه في الشكل ثمار الدنيا ولكنها تختلف في الطعم والتكوين ، فيقولون لبعضهم هذا الذي رزقنا الله به من قبل ... وكلمة من قبل قد يكون معناها الرزق في الدنيا أو رزق البرزخ ، ولأهل الجنة أيضا أزواج طهرهم الله من كل عيب وكمل فيهم كل نقص واضح من هذا الكلام أن أهل الجنة في وضع متعة وحوارات فيما بينهم هادئة سامرة .. لا يشغلهم إلا التفكير في متعهم فقط . وفي هذا النعيم هم فيه خالدون .. هذا من رحمة الله بعباده .. (فلنقول الحمد لله رب العالمين)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦١)

حين ضرب الله المثلين في المنافقين فقال: (مثلهم كمثل الذي استوقد نار...) وقوله سبحانه (أو كصيب من السماء ...) ، قال المنافقون :الله اعلي واجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فانزل الله هذه الآية .. مهما كان سبب نزول هذه الآية فان الله سبحانه يعلم الناس بأنه من العظمة بحيث انه لا ينقص من عظمتة سبحانه شيء أن يضرب الأمثال بأقل الأشياء في نظرهم ، فان كان ما يضرب به المثل قليل في نظرهم فان الله الخالق المحكم لخلقه لا يحقرن من خلقه شيء ولو كان بعوضة ، فان كان هو الجبار وهو المتكبر فهو الرحيم وهو الرؤف .. هذه الآية تزيد المؤمنين إيماناً وتثبتهم لأنهم يتعرفون من خلالها على عظمة ورحمة ربهم ، ويتعلمون كيفية التعامل مع مخلوقات الله برحمة وتواضع ، لان الرب رباهم علي قيمة ومبادئه السامية ، ولذلك يقول الحق عن الذين امنوا أنهم يعلمون أن هذه الأمثال هي الحق من ربهم ليربيهم ويعلمهم ويهديهم بها

وأما الذين كفروا فهم في حيرة لا يعرفون ما الذي يريد الله من هذه الأمثال كذلك الله يهدي بهذه الأمثال كثيرا من المؤمنين ويضل بها كثيرا من الكافرين

ومن عدل الرحمن ورحمته أن الضلال يكون فقط للقوم الفاسقين ، أي الميئوس من هداهمبعد كل هذه العظمة لله يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٧)

من هم الفاسقين الذين أضلهم الله ؟...أنهم المنافقين الذين لا عهد لهم فبعد أن يوثقوا العهد بأنهم مؤمنون بالله فإنهم يغدرون وينقضون العهود والمواثيق فلا أمان لهم ولا عهد ولا ذمة لهم ..ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ..مثل قطع الرحم وقطع الطريق علي الناس بالأذى ، وكل قطع فيه فساد في الأرض من قطع الأشجار وتلويث مياه الأنهار ونشر الفساد في الأرض ،مثل الفاحشة والربا والحروب وغيرها من أنواع الفساد ..هؤلاء هم الخاسرون ...ماذا خسروا؟..أولا خسروا الحياة الدنيا ..ثم الآخرة...وفي الآخرة لهم الجحيم ...هل هناك خسارة اكبر من ذلك.....أجد الحق هنا يذكر ويحذر كل من تسول له نفسه أن يفسد في الأرض ،أو يقطع ما أمر الله به أن يوصل لعلمهم يرجعون ،فهو يوضح لهم المصير المؤلم حتى لا يكون لهم أي عذر ألا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨)

يسال الحق مستنكرا علي من كفر ..كيف يكفر ويعرض عليهم من رحمته وحلمه بهم قضية لو فهمها لآمن فوراألا يري هذا الكافر أن كل يوم يولد ناس وأيضا يموت ناس ولا يرجعون إلينا ثانيا ..الم يسال نفسه من أين أتت هذه الأطفال ولاين ذهب هؤلاء الناس ؟؟؟ في هذه الآية يبين لهم الله أن الناس كانوا أموات فأحياهم ثم يميتهم ...هذا يحدث أمامهم ،هناك أرحام تدفع وارض تبلع كل يوم فيما أن أول الآية حق فان آخرها لا بد أن يكون حق ...أي أن الله سيحيي الناس مرة أخرى ثم في النهاية كلهم إليه راجعون ..لان له وحده سبحانه

حق الملكية للبشر..الم يخلقهم من عدم ثم يميتهم ويعيدهم للعدم ثم يعيدهم للحياة ثم يرجعهم إليه....كأنه يفيقهم من غفلتهم بهذه الحقائق ،حتى يفكروا وينقذوا أنفسهم بالآيمان بالله...(الحمد لله رب العالمين)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

ان الله سبحانه وهو المبدع خلق أولا البيئة الملائمة لحياة الخلق قبل أن يخلقهم ،ليس البشر فقط ولكن كل مخلوقات الله من ملائكة وجن حيوانات ونباتات وكل ما على الأرض ،وكل ما في السماوات من مخلوقات لا يعلمها إلا الله وحده ،وفي هذه الآية يقول الحق هذه الحقيقة ،فهو الذي اعد لنا الأرض بان خلق لنا كل ما فيها،لثلاثم حياتنا عليها ،ثم بعد تمام إنشاء كوكب الأرض بكل ما فيه إلا البشر ،خلق الله السماوات السبع ومعني (استوي إلى السماء).....أي قصد إلى خلق السماء قصدا سويا بلا صارف عنه فآتمهن وقومهن واحكمهن سبع سماوات....هذا لان الله يعلم كل شيء عن كل شيء وما يلزم لكل شيء..لا أجد في نفسي إلا أن أقول وأنا في غاية الانبهار والإعجاب والحب لله سبحانه وتعالى يا الله كم أنت عظيم وأقول في حبه (الحمد لله رب العالمين)..

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

أجد في هذه الآية مشهد تصويري رائع يصوره لنا رب العزة بلغة القران، أعظم تصوير ، في الآية السابقة خلق الله الأرض والسماوات وما فيهم من كل المخلوقات إلا الإنسان ، ثم نظم عمل كل مخلوقاته في الكون....وكلمة (كون) هي (كاف...و...نون) وهم الحروف التي يخلق بها الله كل شيء ،نعود إلى التصوير الإلهي لمشهد جمع فيه الحق سبحانه كل ملائكة الأرض والسماوات

السبع في مكان واحد وقال لهم انى جاعل في الأرض خليفة، في قول الحق (خليفة) وضع للملائكة سجل يحوي كل دور سيقوم به الملائكة بالنسبة لآدم، فطلب الله من الملائكة أن يسجدوا لآدم. ما نوع السجود لآدم؟

إن الملائكة يعلمون تماما أن السجود لله وحده ويعلمون إن الأمر بالسجود لآدم هو سجود خدمة... للإنسان في الأرض وفي السماء وفي أجساد البشر، فحين نفخ الله الروح (النفس النوراني الرباني) في آدم دخلت هذه الروح عنوة، فمن ادوار الملائكة تثبيت الروح في خلايا الجسد... فليست الروح هي سر الحياة لان الإنسان يكون أثناء النوم في حالة وفاة، لان الله يقول (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) (الآية) .. إذن الخلايا الحية تعمل بالملائكة، علمت الملائكة من خلال تعلمها لدورها مع الإنسان في الأرض أن الإنسان سيفسد في الأرض ويسفك الدماء... ويعلمنا الحق من حواراه مع الملائكة التواضع مع من هم دوننا... ويضرب لنا الحق المثل للرحمة في رده علي الملائكة، فقد رحم تحيرهم فهم مبرمجين على الصبح والإصلاح فكيف يطيعوا الإنسان المفسد في الأرض السافك للدماء... وسؤال الملائكة لله سؤال تعجب لأنهم يعرفون أن الله هو الكمال وانه يحب كل كمال وصلاح وأنه سبحانه لا يحب الفساد، وأنه سبحانه حين خلقهم فطرحهم على الإصلاح وعدم الفساد وعلى العبادة والتسبيح وتقوى الله وخشيته وطاعته وهم لا يعصون الله ما أمرهم لأن الملائكة في خلقهم لا تتنازعهم الأهواء وليس لهم رغبات إلا ما جبلوا عليه من طاعة لله عز وجل، وحين سألوا الله هذا السؤال كان لتعجبهم من فعل بني آدم وليس لرد الأمر على الله، فقالوا: يا رب أنت الكمال والصلاح، وأرضك وكونك الذي أنشأته على أكمل وجه وأصلح صورة، فلما تستخلف فيه من يفسده؟، والفساد هنا مقصود به التلوث والدمار والإحراق وسفك الدماء والحروب وما نراه من إفساد البشر بالكون، فأسكت الله الملائكة بقوله: انى أعلم ما لا تعلمون، تتجلى رحمة الرحمن في هذه الآية في أنه سخر الملائكة لخدمة آدم على الرغم من

عصيانه لله وفساده في الأرض والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، فوجب أن نقول
(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١)

يقول الحق عن نفسه في الآية السابقة أنه عالم بكل غيب وبكل شيء ومن ضمن علمه أنه رأى أن الملائكة طائعة له ولكن في كيانهم شيء من التعجب وأراد الرحمن الرحيم أن يهدئهم ويرضيهم ويعلمهم أنه يعلم ما لا يعلمون عن آدم ، وهذا من رحمته وحنانه بخلقه الذين لم يصل تفكيرهم لحكمته البالغة في أفعاله التي قد تتعارض مع منطق الملائكة المبرمجين على الإصلاح والكمال ، علم الله آدم كل الأسماء كيف ؟ ، في الآية رقم (29) قال الحق : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) ، من هذا القول يتضح أن الله قد خلق في الأرض كل ما يجعلها على أعلى مستوى تكنولوجي حضاري ممكن أن يتصوره عقل بشري وهذه هي الجنة التي وصفها بكلمة الجنة فهي جنة أرضية وأسميها أنا الحياة العليا التي خلق الله فيها آدم حين قال (اني جاعل في الأرض خليفة) ، وعلم الله آدم أسماء الأشياء التي في الأرض ثم عرض الأسماء على الملائكة وقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، ما هي الأسماء ؟ إنها أسماء الأشياء مثل الطائرة ، الصاروخ ، السيارة ، الكهرباء ، أي كل ما خلقه الله في الأرض ، ولرحمة الله بملائكته وحبه لهم ، ومع ذلك يفضلنا عليهم إذن يجب أن نقول : (الحمد لله رب العالمين) .

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٢)

لم تستطيع الملائكة أن تعرف أسماء الأشياء وتعجبوا من سؤال الله عز وجل لهم . وكان الحق يريد أن يبين لهم أن لآدم مميزات وصفات تختلف عنهم وهي أن آدم فيه من روح الله التي فيها شيء من صفات الله ، مثل المشاعر والأحاسيس والإبداعات ، التي تؤهله لان يكون خليفة يتولي حكم الأرض ..

بحكمة الله الحكيم رضيت الملائكة وعادوا إلى تسييحهم لله معتردين لله عن سؤالهم في خلق آدم ومعترفين بانه عليهم بحكمة... وحكيم بعلم .

نحن نري موقف الملائكة ورحمة الله بهم ، وهم عالم من العالمين الذين يحبهم الله فهم يقولون مثلنا : (الحمد لله رب العالمين) ..

﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنِيَّتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٢)

يكمل الحق لنا تصوير هذا المشهد الرائع فيقول لآدم : قل لهم يا آدم ما اسماء الاشياء .. فقال لهم آدم كل الاسماء .. وعاد الحق يكلم الملائكة برحمة وحنان قائلاً : ألم أقل لكم من قبل اني اعلم غيب السماوات والارض ، واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .. وهنا بكلمات الله تلك للملائكة رضيت الملائكة واستعدت لتنفيذ باقي أوامر الله لآدم .. الا يجب في هذا المشهد ان نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٤)

هنا صدر الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ، فسجد الملائكة كلهم ولم يسجد إبليس ... أصاب إبليس التكبر فعصي الله وأصبح من الكافرين .

من الملائكة أنواع كثيرة مثل ملائكة العرش ، وهم خلق خاص ، وملائكة السماوات ولهم أيضا خلق مختلف عن ملائكة العرش ومهام مختلفة أيضا ، وهناك من الجن والأنس من يصل بسلوكه وطاعته وتقواه مع الله إلى أن يتصف بصفات الملائكة ، وهؤلاء هم اعلي أنواع الملائكة . قلنا من قبل أن للملائكة أنواع كثيرة مختلفة في خلقتها وتكوينها وعملها المكلفة به ، وكان سجود الملائكة لآدم سجود خدمة منها الخدمة العامة ومنها الخدمة الخاصة ، فمثلا في سور الصافات ، والزاريات ، والنازعات ، يصف الرحمن الملائكة بأفعالهم فيقول (الصافات ، الزاجرات ، المدبرات) ... وهكذا ، فمن الملائكة من يعمل في

صفوف داخل خلايا جسم الإنسان ، و صفوف من الملائكة تعمل في الأرض وإنبات النبات والعمليات الحيوية في الحيوانات ، ومنهم من يعمل بدون إرادة روح الإنسان مثل الذين يعملون في العضلات اللاإرادية مثل عضلة القلب ..

يقول الدكتور أحمد زويل أن الخلية الواحدة تعمل بنظام يفوق أحدث المصانع على الأرض ، وكل ما حير الدكتور زويل هو من أين تستمد هذه الخلية الطاقة التي تهيمن على النظام الخلوي الدقيق وكأن كل جزء في الخلية يتمتع بالعقلانية ، وهذا يعود بنا إلى أعمال الملائكة المصفوفة في داخل خلايا جسم الإنسان ، أي رحمة من الله تلك التي جعلت للإنسان كل هذا الاهتمام ، فالله يهتم بأدق تفاصيل شئونه ولا يطلب من الإنسان إلا أن يذكره ويعترف بالفضل لصاحب الفضل (الحمد لله رب العالمين) .. من الملاحظ أن الحياة على كوكب الأرض ضوء كيميائية (فوتو سنسز) ، لأن كل شيء يستمد طاقة حركته من النور ومن الشمس بالأخص .. أن النبات يقوم بعملية البناء الضوئي وهي طهي الطعام في الأوراق ليتغذى ، ومن العجيب أن أغلب غذاء النبات قائم على 70٪ من امتصاص غاز النيتروجين والأكسجين وثاني أكسيد الكربون من الهواء مباشرة والباقي أملاح وماء من التربة ، وفي ذلك يقول رب العزة ... (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) ، فهناك ملائكة تعمل مع كل حبة حتى تصبح نبات كامل ، فالملائكة هي التي تمد النبات بالطاقة المأخوذة من الشمس ، وما نور الشمس إلا ظل من ظلال الله في الكون فان ظل الله نور تستمد منه الملائكة طاقاتها النورانية التي تقوم بإنبات النبات وإحياء الحيوانات وتسجيل السجلات عن كل المعلومات عن من في الأرض من مخلوقات وحسابات مكتوبة في صحائف ، ومنهم حفظة من كل الشياطين على كل ما في الأرض ، ولهم أدوار يضيق المكان عن ذكرها .

كان إبليس لعنه الله قد وصل لتلك المكانة بالعبادة والطاعة لله ، وظن انه خير أنواع الخلق ، لان الله رقاہ علي ملائكة الأرض .. ولما خلق الله ادم ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له ، وقال لهم إن ادم سيكون خليفة في الأرض

..ظهر إبليس علي حقيقته المنكرة حيث تكبر أمام الله المتكبر بحق ،ظهر حمق إبليس وغبائه وعصي أمر الله في السجود لآدم... ما الذي أجرا إبليس علي معصية الله ؟ ليس الكبر فقط ولكن ما رآه وما عرفه من رحمة الله وحلمة وحبه سبحانه وتعالى لخلقه ..وجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

حين علم الله آدم الأسماء لم يعلمه معاني الأشياء ،هذا مثل ما يعلم الإنسان الطفل (ولله المثل الأعلى) فيريه الشيء وينطق أمامه اسم هذا الشيء فيردد الطفل اسم الشيء بدون أن يعرف معناه أو فيما يستخدم... كذلك ادم تعلم الأسماء فقط ومثله كمثال الطفل مع الوقت والتعامل يعرف المعاني والاستخدامات ،نلاحظ أن الشجرة الوراثية الموروثة من جينات ادم لأولاده تحمل مسميات الأشياء لأنها من تعليم الله لآدم ،ولذلك نجد مع الوقت الأجيال تتعاقب وكل جيل يخرج منه من يحلم بالمسميات التي تعلمها أبوه ادم ،مثل من حلم بالطائرة فاخترعها ومن حلم بالكهرباء فاكشفها....ومنهم من حلم بالفضاء فاخترع سفينة الفضاء...من أين أتت تلك الأحلام إلا من مخزون الأسماء المتوارث من ادم إلى الأجيال التالية..ذلك لان تعليم الله ليس شيء يكتسب بالخبرة كتعليم البشر للبشر ،ولكن تعليم الله هي صفات تلتصق في السلسلة الوراثية للأجيال . اسكن الله الزوجين ادم وحواء في ارض مجهزة علي اعلي مستوي حضاري ممكن أن يتخيله عقل ولذلك اسماها الله الجنة ، ويوجد الآن أماكن علي الأرض مجهزة بشكل يجعل من يعيش فيها يشعر كأنه في الجنة ،وكلمة الحق (اسكن) تفيد معاني كثيرة رائعة ،مثل :اهدأ ، إئمن ، افرح ، تمتع ، تزوج ، العب ، وأضاف (وكلا) من مما فيها رغدا ، أي إن الله أباح لهم كل شيء في تلك الجنة ولم يمنع عنهم إلا شجرة واحدة ، ما أكرمك يا رب وما أطمعك يا ادم

حذر الله ادم وحواء من الأكل من تلك الشجرة ،لأنه يعلم خطورتها عليهم ،

ولكي يثبت لآدم انه اخطأ في تحمله الأمانة وحرية الاختيار ، ونبهه لذلك بقوله لهم (فتكونا من الظالمين) أي يتضح لكم ظلمكم ... وذاك بأنهم ،.أولا ظلموا أنفسهم بمعصية الله عز وجل ،ثانيا ظلموا أولادهم وأحفادهم بسبب طردهم من الجنة الأرضية المجهزة للحياة فيها بدون أي تعب ..أجد الحق من رحمته ينبه ادم وحواء لما فيه مصلحتهم ..ويجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾

قلنا من قبل أن للملائكة أنواع كثيرة مختلفة في خلقها وتكوينها وعملها المكلفة به ، وكان سجود الملائكة لآدم سجود خدمة منها الخدمة العامة ومنها الخدمة الخاصة ،

حين أمر الحق الملائكة بالسجود لآدم كان إبليس ممن صدر لهم الأمر أيضا ، لأنه خلق من نار والنار طاقة لازمة لعمار الأرض .. إذن السجود كله كان خدمة وليس عباده ،.فحين امتنع عن السجود امتلاء قلبه حقد وحسد علي ادم ،وقرر أن يضل ادم وأبنائه ،فاستغل وجود الشجرة المحرمة فأوقعهما في الزلل ومعصية الله ، ذلك ليخرجهم من رحمة الله ، وبالفعل نجح وأخرجهما من النعيم الذي كانا فيه وقال لهم الحق :

(اهبطوا)والهبوط هنا له معاني كثيرة أولا :هبوط في المكانة مع الله وثانيا : هبوط معنوي حيث أن حالتهم النفسية سيئة للغاية وفي اشد أنواع الحزن .. وثالثا هبوط من ارض راقية كأنها الجنة إلى ارض قاحلة وعرة لا زرع فيها ولا راحة ..

هكذا الحسد ،حسد إبليس ادم فأخرجه من الجنة ولذلك أخرجهم الله كلهم أعداء بعض .

آدم عدو لحواء وحواء عدوة لآدم وإبليس عدو لهما ..نزلوا جميعا إلى الأرض

وقال لهم الله أنهم سيستقرون فيها إلى وقت معين ، وسوف يكون لهم فيها شيء من المتاع ، ثم كل إلى فناء . الكل سيهلك ويعود إلى الله ليحاسبه .. علي الرغم من غضب الله علي آدم إلا انه لم يعجل بالعقوبة ولكن أمهلهم جميعا ، لعلهم يتوبوا إلى الله ، ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين) ...

﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٧)

تتجلي رحمة الرحمن لترحم آدم وزوجه شعر الحق بآلامهما وند مهمما علي المعصية واكتفي الحق بتحديد العقوبة بالطرد من الجنة ..
ألهم الله آدم كلمات فقالها آدم فتاب الله عليه ..

قيل إن هذه الكلمات التي تلقاها آدم هي قوله تعالى (ربنا إنا ظلمنا أنفسنا) ..

وقال الحسن :هي قول آدم :الم تخلقني بيدك ؟الم تسكني جنتك ؟..الم تسجد لي ملائكتك؟..الم تسبق رحمتك غضبك ؟ ..ارايتم إن تبت أكنت معيدي إلى الجنة؟ قال:نعم.....وقيل :هي الأمانة المعروضة علي السماوات والأرض في قوله تعالى (أنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال)(الآية) يصف الحق نفسه بأنه هو التواب الرحيم لأنه من رحمته ألهم آدم الكلمات التي تاب عليه بها لأنه هو التواب الرحيم.....

مهما كانت تلك الكلمات التي تلقاها آدم ،فالمهم أن الرحمن ظهر حبه وحنانه ورأفته لآدم وتاب عليه ،ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٨)

أجد أن الله قد علم آدم كلمات التوبة عليه قبل نزوله من الجنة ..وهذه الآية تصور لنا أحداث تلك اليوم الرهيب ،فترتيب الأحداث كالآتي :عصي آدم ربه واكل من الشجرة ثم غضب الله غضبا شديدا ،وأصدر حكمه القضائي بطرد آدم

وحواء والشيطان من الجنة الأرضية التي هي الحياة العليا أو الحياة القصوى حيث أقصى قمة حضارية ممكن أن تتوفر على الأرض، إلى الحياة الدنيا حيث يبدأ الإنسان ببناء الحضارة من أول درجاتها ونلاحظ أن أمل كل إنسان أن يصل بدنيته إلى أقصى رفاهية ممكنة وهذا مما طبع في جيناته الموروثة عن آدم ...

وقبل أن يخرج آدم من الجنة سبقت رحمة الله فالهم آدم الكلمات التي تاب عليه بها.. ولكن الحكم قد صدر سابقا، وذلك الهبوط للأرض للتكفير عن الذنب .

نزل آدم وحواء إلى الأرض ورحمة الله تسبقهم إليها، وهذه الآية تدل على ذلك فهو يقول لهما: انزلوا من الحياة القصوى إلى الحياة الدنيا، ولكن لا تخافوا ولا تحزنوا فسوف يأتيكم مني ما يهديكم للعيش في الدنيا ومن يهديكم إلى العمل للحياة الآخرة فمن تبع منكم هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهنا يقصد الحق الرسالات السماوية . كل تلك المعاني المملوءة بالرحمة والحب لآدم لا يسعني إلا أن أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

في هذه الآية والتي قبلها قسم الحق البشر إلى صنفين .. الأول : من امن وهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،أنهم إلى جنة أبيهم آدم عائدون ثم بعد البعث إلى جنات الخلد داخلون .. أما الصنف الآخر :من كفر وكذب بآيات الله هؤلاء هم أصحاب النار هم فيها خالدون .. هكذا الحق دائما هو العدل فمن رحمة الله أن لا يتساوى الصالح والفاقد لا يستوي المؤمن والكافر ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴿٤٠﴾﴾

من هذه الآية يبدأ الحق في كلامه عن بني إسرائيل .. ومعنى إسرائيل هو كناية

عن أولاد يعقوب .. لماذا اهتم الله ببني إسرائيل؟ ... لأنهم أحفاد إبراهيم ولأن كل الأنبياء منهم إلا محمد ﷺ ... بدا الحق في الكلام إلى بني إسرائيل بالذكورة بنعمه عليهم ورحمته بهم ثم يأمرهم بأن يوفوا بعهد الله الذي عاهدوه عليه حتي يوفي لهم بعهد الذي وعدهم به .. ثم يحذرهم ويرهبهم من بطشه بهم ... يعلم الله في سابق علمه إن بني إسرائيل هم اشد الناس عداوة لرسالة محمد ﷺ ... وإنهم سيحاربون الإسلام إلى يوم الدين .. وكان هذه الآية هي القاعدة التي سنها من بني إسرائيل إلى يوم البعث ومن هذا البيان وجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ﴾ (٤١)

نجد الحق هنا يلخص أفعال بني إسرائيل مع الإسلام ، ويوجه لهم الأمر بالإيمان بالقران لأنه جاء مؤكدا لكتبكم السابقة وفيه من شرعتكم ، ولا تكونوا أول من يكفر بالقران ، ولا تبيعوا آيات الله بأن تكذبوها لتكسبوا مال من الكفار ، فكل ما في الدنيا ثمن قليل لا يشتري به ولو آية من آيات الله ، فما عند الله خير وابقى ، ثم يحذرهم الله نفسه قاتلا في حزم (وإياي فاتقون)

من الآيات السابقة تتجلي صفة الرب وهو المربي في أكمل صورة حين علم آدم كلمات ليخاطب الله بها ليغفر الله له ، ثم يعاقب المربي آدم بأن ينزله للأرض ليروض نفسه عن الهوى ، وهذا هو المنهج المتبع لترويض النفس والهبوط بها إلى الدونية لإذلالها لكي لا تتحكم فينا وتملي علينا شهواتها بالحلال أو بالحرام ، وأسلوب الرحمن في التربية هو إن كل من أراد أن يربي ابنه أو تلميذه على منهج رباني مبني على قاعدة ثابتة وهي الثواب والعقاب ، التدبير والحزم ، الترغيب والتهديد دون الإفراط ... وكلمة منهج وجدنا من قبل أن عكس حروفها هي (جهنم) والتي تعني العذاب والجحيم والعياذ بالله ، وليس الجحيم في الآخرة فقط ولكن هنا في الدنيا جهنم من جميع أنواع العذاب ، ولهذا يجب أن نقول (الحمد لله

رب العالمين) .

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُمَا الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٢)

نجد الحق في هذه الآية حريص علي خلقه حتي العصاة منهم ، وبخاصة بني إسرائيل وهنا يقول لهم : لا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم بالباطل الذي تفترونه ، يعرفهم الله انه يعلم كل شيء في ضمائرهم ويحذرهم حتي لا يتمادوا في غيهم ، وحتى لا يحملوا أوزار من يستمع لهم وهو لا يعلم فيضل مثلهم ، إن الحق يحرص علي هداية الخلق جميعا ويحب أن يكون الكون والخلق جميعا في أحسن حال وأصلح مآل ليتصفوا بالكمال ، وهنا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣)

ما زال الحق يخاطب بني إسرائيل خاصة والمسلمين عامة قائلا لهم : أقيموا الصلاة واتوا الزكاة بطريقة محمد ﷺ وشرعة الإسلام ويتضح هذا من قوله سبحانه (واركعوا مع الراكعين) أي اخضعوا لأمري مثل خضوع المؤمنين ، يخاطب الله بني إسرائيل لأنهم أهل كتاب ولم يقول لهم وحدوا الله فهم علي دين إبراهيم موحدين ولكن الله يعدل في شريعتهم ويأمرهم باتباع شرع الله الخاتم لكل شرع ، فالإسلام نسخ ما قبله من شرائع ، وهذا يدل علي أن الدين منذ ادم عليه السلام إلى محمد ﷺ واحد وهو التوحيد ، حتى وان اختلفت العبادات من نبي إلى آخر ... يريد الله أن يكون كل البشرية واحدة مسلمة لله ، ولقد شحت من قبل معنى الصلاة والزكاة في سورة البقرة وما فيهم من حب الله للناس المؤمنين ولا بد أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤)

يسال الحق هنا بني إسرائيل سؤال تعجب واستنكار من سلوكهم فهم يدعون

الناس بان يصدقوا في أقوالهم ،وان يستقيموا في أخلاقهم وان يعملوا الصالحات ويكثروا من فعل الطيبات ،وهم لا يفعلون شيء من هذا ،والأعجب من هذا أنهم يقرءون كتاب الله ويعرفون الحق والباطل ،ومع ذلك لا يعقلون ،لو أنهم عقلوا قليلا لوجدوا أن الكتاب الذي معهم فيه نفس تعاليم القرآن ، ذات المعاني ولكن بلغة وأسلوب مختلف ..ألاحظ أن الحق حريص على كشف أنفسهم أمام أنفسهم ... لماذا ؟ لعلمهم يعقلون ويفهموا أن القرآن كتاب الله ،وانه جاء مصدقا لما معهم من الكتب السابقة ...

لذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

هذه الآية يوجهها الله لبني إسرائيل خاصة وللمسلمين كافة ،فهي تذكرة علاج لكل من عمل بها ،الوصفة الأولى هي الاستعانة بالصبر،وهذا بان نمني أنفسنا بان الوقت الذي نتظر فيه الفرج في صالحنا ،وكيف الوصول إلى الصبر ؟...بالصلاةهنا يدعوهم الرحمن للاستعانة علي أنفسهم بالصلاة ولقد ذكرت معني الصلاة سابقا،وقلت أنها اتصال بالله ودخول إلى حضرة الرحمن، فحين نقف بين يديه لا نعلم ماذا عالج في أنفسنا وفي أجسامنا وأرواحنا امرنا الله بالصلاة لنستعين به علي ضلال أنفسنا ، فنحن المحتاجون إليه ...هل رثيتم مربى حريص علي من يريه كل هذا الحرص ؟ يدعو له لينجيه من كل ما يضره في الدنيا والآخرة ،ومع ذلك نفر من الله .ولا نقول الحمد للهلماذا الصلاة كبيرة إلا علي الخاشعين ؟ حين نقف بين يدي الله في الصلاة فانه يعالج أجسامنا ويصلح في أرواحنا وأنفسنا ما لا نعلمه من أمراض في الجسد والقلب والروح ،ولذلك لا يتحمل الصلاة إلا من خشع قلبه لله ويعلم ما هي قدرة الله ،ويتقيه ويسلم نفسه وجسده لله طواعية وبخشوع ليعالج الله ما بداخله من آفات ،أما الذي لا يخشع قلبه ويتكبر حين يأتي للصلاة يكون معاندا مكابرا لا يسلم لله بهدوء حتي يعالجه بوصله في الصلاة مع الله ..

والفرق بين الخاشع بقلبه في الصلاة وغير الخاشع ،كالذي تجري له عملية جراحية الأول حتن بمخدر فهو خاشع وهادئ ،والآخر لم يخدر فهو يقظ متحفز متألم من الجراحة ...وعلي سبيل المثال (ولله المثل الاعلي) أن تقول لابنك خذ هذا العلاج وهيا لأحملك علي كتفي حتى لا تتعب واحل لك مشاكلك كلها حتى لانحزن وابنك يتمتع فما شعورك تجاه هذا الولد ،أليس الغضب والضيق من الخوف عليه وعلي آلامه وضياعه ،،إن الله احرص علي عبيده منك علي ولدك لأنه هو الحنان المنان ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين) ..

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦)

من هم الخاشعين ؟..هم الذين يظنون أنهم سيلتقون بالله ما معني اللقاء بالله هنا ؟ معناه أن العبد حين يصل إلى مرحلة اليقين بالله والحب لله ويصل إلى درجة العبد العارف بالله تتفتح له مغاليق الغيب ومن الممكن أن يلتقي بالله عز وجل في الحياة الدنيا .سيقول احدهم كيف ؟...أقول :إن رسول الله ﷺ وصل وهو بشر إلى تلك الدرجة حتى انه وصل إلى مكانة قاب قوسين أو ادني من رب العزة ،ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ..والدليل من الآية هو وجود (الواو) وهو حرف عطف بعد ربهم ، وقوله سبحانه (وإنهم إليه راجعون) إذن اللقاء كان قبل الرجوع إلى الله في الآخرة ..وقوله سبحانه (راجعون) لها معاني كثيرة ، مثلا :أنهم عائدون إليه تائبون أو راجعون إليه في كل أمورهم أو إنهم لا يهتمهم الجنة بقدر رغبتهم في العودة إلى الله ورؤيته ...وكثير من المعاني التي لاحصر لها ..ومن تلك الآية يتضح أن الحق سبحانه وتعالى يمن علي عباده الخاشعين بتواجدهم معه في الدنيا ،قال سبحانه في الحديث القدسي :مازال عبيدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بهاإلي آخر الحديث ..هذا العبد في معية الله في الدنيا ..هنا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٤٧﴾

اشعر في هذا النداء من الرحمن بالحنان والرحمة علي بني إسرائيل ،يقول الرحمن لهم يا أبناء يعقوب وأحفاد إسحاق وإبراهيم الأنبياء ،اذكروا نعمي التي أنعمتها عليكم واذكروا أني فضلتكم علي العالمين ،ليس لتمييزكم ولكن لأجل آبائكم الأنبياء ..يناديههم برحمة ويدعوهم بحنان ،إشفاق منه عليهم مماهم فيه من ضلال ، فيذكرهم بنعمه عليهم من مال وسلطان وأولاد وعافية واهم من ذلك الكتاب والدين الذي اختصهم به ،وذلك من اجل آبائهم الأنبياء ..نلاحظ هنا أن ..عمل الآباء ينفع الأبناء والأحفاد أيضا ..ونلاحظ أيضا أنها حقيقة ثابتة علي مدي التاريخ ..فحين عصي ادم ربه واكل من الشجرة المحرمة اخرج من الجنة وجاء أبنائه في الأرض ، والأرض التي نحن فيها ماهي إلا عقوبة علي معصية ادم ..ليكفر عن ذنبه ،حتى يرضي الله عنه ...ونلاحظ من معني كلمة (ارض) أنها تفيد معني الرضي ..وأحيانا يقول الله في بعض الآيات مثلا (إن ارضي واسعة) وكلمة (ارض) تفيد معني الرضي من الله ..فماذا فعل أبناء ادم ليخرجوا من الجنة ؟....حقا لم يفعلوا شيء ولكن الله يعلم الطبيعة الآدمية أن البشر كلهم خطاؤون وسوف يخطئون لو ظلوا في الجنة ،فأخرجهم منها ليميز الخبيث من الطيب ..ونلاحظ هنا أن خطأ الآباء يعاقب به الأبناء وكذلك العمل الصالح للآباء يرحم الله به الأبناء اللهم ارحم آبائنا وأجدادنا أجمعين حتى ترحمنا وترحم أبنائنا يا ارحم الراحمين . ولان الله هو العدل والرحمة يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

من رحمة الله يحذر عباده بني إسرائيل خاصة والناس كافة من عذاب يوم الحساب ..هنا فقط في هذا اليوم يلغي الله الأنساب ،بمعني أن من كان يرحم

لأجل آباءه وأجداده لأن عملهم كان صالحا لن يرحم بهم في هذا اليوم لأن ذلك اليوم كل يأتي الرحمن فردا ولو كانت نفس طيبة لا تنفع إلا نفسها، ولا يقبل الله من الأنفس الظالمة أن تشفع لنفسها ولا غيرها، ولا يأخذ منها ما يعادل الخطيئة لأنها في ذلك اليوم لا تملك شيء لتقدمه بدل من العقوبة، وفي هذا اليوم لا ينصرهم أحد.. ألاحظ أن الله جاء بالفعل (ينصرون) في صيغة المبني للمجهول.. بحيث لم يقل مثلا: ولا ينصرهم أحد لماذا؟.. لينفي تماما أن يكون لهم أي نصر... أجد أن الحق بعد آيات الترغيب السابقة يبدأ هنا بآيات التهيب، هكذا المربي الحق، ويجب أن يكون المسلم مع الله بين الخوف والرجاء، ولأن الله عدل لا يستوى عنده الحق والباطل، ولا يضيع عنده شيء من الخير فيجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)

يذكر الحق بني إسرائيل بأحد نعمه عليهم فيقول هل تذكرون حين نجيناكم من الفراعنة ولقد جاء بكلمة (نجيناكم) أولا: لتعظيم ذاته وثانيا: لأنه أرسل لهم أنبياءه موسي وهارون ليخرجوهم من عبودية الفراعنة... ماذا كان يفعل الفراعنة في بني إسرائيل؟ كانوا لا يتناهون عن منكر إلا فعلوه فيهم.. أذاقوهم الويل من الأعمال الشاقة في الزراعة وحفر الترع وبناء القصور والمعابد الضخمة بالتسخير والقهر والذل بمعنى جميع أنواع الاستعباد والقهر للبشر، ولم يقف العذاب عند هذا الحد بل كانوا يقتلون أبنائهم الذكور حتى لا تقوى شوكة بني إسرائيل، ويتركوا نساءهم أحياء للخدمة وللإستغلال لأجسادهم، وهذا بلاء من الله لهم عظيم، هناك فرق بين البلاء والابتلاء فالبلاء عقاب، أما الابتلاء فهو اختبار من الله وتمحيص لبني إسرائيل، ومن الملاحظ أن بني إسرائيل قد تهاونوا في دينهم فابتلاهم الله بظلم الفراعنة، لأن الله لا يعاقب إلا بذنب ولا يغفر إلا بتوبة لأن الله عدل ومع إنهم اخطأوا إلا أن الله غفر لهم ونجاهم من آل فرعون لأنه غفور رحيم فهو يرحم جميع خلقه ويغفر للتائبين منهم،

ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ما زال الله يذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم ، ويصور لنا الحق كيف ينجى ويهلك بشيء واحد وهو البحر ، فحين لحق فرعون وجنوده بني إسرائيل شق الله البحر وجعله طريق يابس ليعبره بني إسرائيل فقط ، ثم بعد عبورهم كان فرعون وجنده قد نزلوا أيضا إلى هذا الطريق بين جبال الماء ولم يتنبه فرعون إلى تلك المعجزة وهي شق البحر ، فأعاد الله البحر إلى طبيعته الأصلية ، وهي أن يستطرق الماء في البحر فيغمر ال فرعون ويغرقهم ، ويصور لنا الله هذا المشهد بإعجاز في كلمتين وهما (وانتم تنظرون) .. وإذا أردنا أن نصوره نحن لكان : بني إسرائيل تعبر البحر مسرعين وهم في حالة من الرعب والهلع يهرولون وبين لحظة وأخرى ينظرون خلفهم ليروا إلى أين وصل فرعون وجيشه كل هذا وماء البحر واقفا علي جانبي الطريق كأنه يحتضنهم ويخاف عليهم ويحميهم وكأن الله نقل إحساسه بالرحمة علي بني إسرائيل إلى الماء ، ثم هاهم قد وصلوا إلى البر وهذا فرعون وجيشه وصلوا إلى عرض البحر ، نقل الله إلى الماء إحساسه بالغضب علي آل فرعون ، فاندفع الماء بغضب وشدة ليغرق من اغضب الرحمن ، ذلك لان كل مخلوقات الله تحب الله وتحب ما يحبه الله وتكره ما يغضب الله ، ولذلك الله يحب كل مخلوقاته لأنه رب العالمين و (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

ما زال الحق يذكر بني إسرائيل بفضله عليهم حين واعد موسى عليه السلام فغاب عنهم أربعين ليلة ليعلمه الله التوراة التي فيها الشرع الإلهي والمنهج الرباني الذي سينجيهم به الله من عذاب الدنيا والآخرة ، فعبثتم العجل من دون الله وهذا ظلم عظيم ، ومع ذلك غفر الله لكم ولم يعجل بعقابكم ، تظهر هذه الآيات كم الرحمة التي رحم الله بها بني إسرائيل وكم العناد والجهل في بني إسرائيل ذلك لأنه

هو الرحمن الرحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

تتجلى رحمة الرحمن ومع كل هذا الظلم من بني إسرائيل إلا انه عفى عنهم ، والعفو هو اعلي درجات الرحمة حيث الله العفو يمحو من الصحائف الذنب ولا يحاسب عليه وكأنه لم يكن ، وما الذي يطل به الله منهم ومن البشر أجمعين (الشكر) فقط لم يطلب شيء سوى الشكر ، ويقولها برحمة وحنان مع وجود الشك في أن يشكروه (لعلكم تشكرون) لا استطيع إلا أن أقول وأنا في غاية الحب لله والحياء منه والامتنان له (الحمد لله رب العالمين) ..

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

في الآية السابقة صدر العفو الإلهي لبني إسرائيل ، ثم في هذه الآية يذكرهم بأعظم منحة لهم ، انه الكتاب الذي آتاه موسى ، والفرقان هنا تفيد معاني كثيرة منها ، الفرق بين الحق والباطل ، ولكني أرى أن الله أعطي موسى التوراة التي فيها شرع اليهود ، وأعطاه آيات من القرآن ترجمها موسى لقومه ، هي الآيات التي لا تبدل من أحكام الله وحكمه في أي من الكتب السماوية .. وأيضا يشك الله في أنهم سيهتدون ويقول (لعلكم تهتدون) .. كل هذه النعم من الله لأحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء ، مع إنهم عصاة ، لنتعلم أن صلاحنا في الدنيا ينفع أبنائنا وأحفادنا وننتقي الله في الحياة الدنيا ولان الله رحيم بنا علمنا هذا ، و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاذْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

حين يتكلم نبي من أنبياء الله لقومه يكون هذا بوحى من عند الله ، هنا من نعم الله علي بني إسرائيل أن أرسل لهم رسوله موسى ، يقول موسى لقومه ، معلما

ومعاتباً يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم حين اتخذتم العجل، إنكم لن تضروا الله في شيء ولكنكم أضللتكم أنفسكم وانتم الخاسرون، فتوبوا إلى الله الذي خلقكم واقتلوا أنفسكم، لان قتلكم لأنفسكم أهون عليكم عند الله مما فعلتم، وتتجلى رحمة الله ولأنه هو التواب الرحيم تاب عليهم ورحمهم من قتل أنفسهم، ولذلك (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ۖ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾

إن هذه الآية لها معاني مختلفة، مازال الله يذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم، ويذكرهم بموقفهم أمام الله في الموعد الذي سمح الله فيه لهم أن يكلمهم مع موسى، وكيف تجرأوا على الله وقالوا لموسى لن نصدقك حتى نري الله جهرة، بعد كل هذه المعجزات من العصا التي تحولت ثعبان إلى شق البحر ونجاتهم وغرق الفراعنة، والكتاب والفرقان، كل هذا ولم يؤمنوا، ومع ذلك أجد أن الله الحليم في تلك اللحظة قد تجلي لهم كما تجلي للجبل، ولذلك أخذتهم الصاعقة وهم يحاولون النظر إلى الله.. ويتضح هذا من قوله سبحانه وتعالى (وأنتم تنظرون) ..ألاحظ أن الله لم يترك لهم طلب إلا ونفذه وهذا يدل على رحمة الله وحلمه بهم...ومن شدة رحمته وعظمة حلمه يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

يكمل لنا الحق المشهد الرهيب، حين طلب بني إسرائيل من موسى أن يروا الله جهرة، وحين رفعوا أبصارهم لينظروا إلى الله قتلتهم الصاعقة، قد تكون تلك الصاعقة منشدة نور الله ليثبت لهم الله عجزهم عن رؤيته، أو تكون صاعقة كهربية من غضب الله عليهم...

(ملاحظة)..كلمة: كهرباء من الأسماء التي تعلمها ادم والمصدر منها (كهرب) ذكرت سابقاً في تفسير معنى لفظ الجلالة (الله) أننا لو أزلنا منه (ال)

التعريف يتبقى (له)

اللام هي لام الملكية و(الهاء) ضمير غائب تقديره (هو) ولو أزلنا (الام) بقيت (الهاء) وهي اسم الله الذي نسبحه به ليل ونهار ونحن نيام ونحن أيقاظ لأنه هو صوت الشهيق والزفير لكل البشر، استمع لصوت أنفاسك تجدها (ها) وهي طريقة نطق (الهاء) في القرآن في الحروف المقطعة... نقول: كاف ها يا عين صاد .

نعود لكلمة كه رب ---- نجدها عبارة من الحروف المقطعة هي (كاف)، (ها) (رب) حتى الكهرباء تسبح اللهقائلة: كفاية الله رب ...

نعود إلى بني إسرائيل الذين قتلهم الصاعقة، مرة أخرى يرحمهم الله ويحييهم مرة أخرى... لماذا؟

يقول الحق وهو متشكك فيهم (لعلهم يشكرون) .. احتمال أو ممكن أن يشكروا الله على نعمه التي لا تحصى .. لا يطلب الله منهم شيء سوى كلمة (شكرا) حتى هذه لا يقولوها أي جحود هذا منهم وأي رحمة من الله هذه لن أقول إلا (الحمد لله رب العالمين) .

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧)

ما زال الله يذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم، فهو سبحانه هنا يصور لنا لقطات من حياتهم في صحراء سيناء بعد غرق فرعون ونجاتهم منه ومن البحر، الصحراء قاحلة ليس بها زرع ولا ظل، فنجد الله يظلمهم بالسحاب الكثيف ليمنع عنهم حر الشمس من أن يلهب الرمال أو يسخن الهواء أي تكييف رباني من عند الله، ثم ينزل عليهم حلوى تشبه العسل الأبيض وطيور السلوى (السمان) وهو طائر لحمه طيب وشهي وكأن الله يقدم لهم تلك الوليمة وهو يرحب بهم قائلا (كلوا من طيبات ما رزقناكم) كفلهم الله وعمل لهم كل شيء وما النتيجة؟....

يقول الحق أسفا عليهم :وما ظلمونا .. وهل يستطيع احد أن يظلم الله ؟ .. طبعاً لا .. ويكمل الحق قوله مقررًا ما فعله هؤلاء الجاحدون لنعم الله ، إنهم كانوا دائماً يظلمون أنفسهم .. اشعر بكلمات الله كلها رحمة هؤلاء القوم على شدة ظلمهم .. وهذا يبين كم الرحمة التي عند الله لا حدود لها احبك يا الله ولا أجد الكلمات التي أستطيع أن أشكرك بها ولا أجد غير قولك الذي علمتني وهو (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَازِغِ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾

حين يذكر الله بني إسرائيل بنعمه ، يبدأ كلامه بـ (وإذ) للتذكرة ، والتأكيد على الحدث . سمح الحق لبني إسرائيل بأن يدخلوا الأرض المقدسة ليسكنوا فيها ويأكلوا من خيراتها حيث شاءوا رغدا ونعمة ، ولكن بشرط وهو أن يدخلوا الأرض المقدسة خاشعين ساجدين وهم يقولون (حطة) وهذه الكلمة إما أن يكون معناها ربنا حط عنا خطايانا ، أو يكون معناها أنها تدخلهم القرية على أنهم رحالة فلا يتعرض لهم أحد بسوء .. عاش بنو إسرائيل في مصر في ذل من الفراعنة سنوات عديدة ، وحين يأمرهم الله أن يتذلّلوا له بالقول والفعل ليغفر لهم خطاياهم امتنعوا وبدلوا قول الله .

إنهم من شدة رحمة الله بهم طغوا وعصوا الله ، يقول لهم الله انه سيزيد من فضله وإحسانه من أطاع وأحسن ، قمة الترغيب من الله لهم في الطاعة ، واهتمام من الله بهم يجب أن يشكر عليه (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩﴾

قمة النكران والجحود والفسوق والخروج عن طاعة الله ، بدل الذين ظلموا أنفسهم من بني إسرائيل قول الله لهم وسخروا من هذا القول ، فأرسل الله عليهم

رجزا من السماء، يقال انه الطاعون، وهو وباء من ميكروب صغير يصيب الفاسقين فقط، ولا يصيب الصالحين. أخيرا تمتنع صفة الحليم وتتجلى صفة العدل ولكن بقدر وبحكمة.

كم من مرة انعم الله عليهم وغفر لهم وحلم ولطف بهم وحين يعاقب يرحم . هل رأيت احد احلم وارحم منه بعبيده ، مع قسوة سلوكهم يقابلهم دائما بالرحمة ، واجد أن عقابه لهم هو رحمة بهم ...فهو يريهم ويريههم من جبروته لأنهم تعودوا علي القهر والذل علي يد الفراعنةوكما قيل :العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة ..ولذلك لم يستجيبوا لصفة الرحمة فيأتي لهم الله بصفة القهر ليرحمهم (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١٠)

عاد الحق مرة أخرى يذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم ،فقد ندر الماء وسال موسى ربه أن يسقيهم وهم في صحراء سيناء فأراد الله أن يضرب لهم مثلا على أن قلوبهم أقسى من الحجر ،فأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر فانفجر الماء متدفقا من اثنتا عشرة عين ..لماذا ؟ لان أولاد يعقوب كانوا اثني عشر ولد وهم يوسف وإخوته الم يقل يوسف :يا ابتي إني رأيت احد عشرة كوكب ..وفسرها أبوه بأنهم إخوته ،لذلك فبني إسرائيل اثني عشرة سبط أو قبيلة ،ولعلم الله بلجاجتهم واختلافهم جعل لكل قبيلة منهم عين خاصة بهم ،ليعلم كل جماعة منهم العين الخاصة به فلا يتشاجروا على الماء ...فيما سبق انزل لهم المن والسلوى طعام وهنا فجر لهم الماء ليأكلوا ويشربوا من رزق الله ،ليس لهم أي فعل أو فضل أو تعب في رزق ،وكل ما طليه الله منهم هو أن لا يفسدوا في الأرض ،أي أن يحافظوا علي البيئة التي يعيشون فيها وان لا ينشروا الأخلاق الذميمة في الأرض ...هكذا الله

لا يريد إلا الصلاح والكمال في كل شيء والحديث هنا لبني إسرائيل خاصة وللناس كافة . ألا يجب أن نقول لمن يرزقنا ويسقينا

(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدْ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾﴾

ما زال الحق يذكر بني إسرائيل بما كان منهم من معصية وما كان منه من نعم عليهم ، كانوا يأكلون في صحراء سيناء لحم الطير وحلوى المن ويشربون من عيون الماء ولكنهم تعودوا منذ سنين طوال على طعام المصريين (من فول مدمس وعدس وكشري وفلافل وخضروات وبقول مما تنبت الأرض) ، فهم لم يتعودوا على الطعام الراقي واشتهوا الطعام الذي تربوا عليه كما تربوا على الذل ، يريد الله أن يعيشوا على أعلى مستوى في الحياة والطعام ولكنهم طبعوا في قلوبهم أسباب الذلة والمهانة والقهر والفقر .. فقالوا يا موسى إنا لا نصبر على نوع واحد من الطعام فادع لنا ربك ينبت لنا من الأرض البقول والثوم والعدس والبصل والقشأ فتعجب موسى من طلبهم هذا ، قال لهم موسى متعجبا أتعبدلون الطعام الجيد الذي من عند الله بالطعام الدنيء ، لقد أصبحت الذلة والمهانة والمسكنة طبع في أرواحكم وأجسادكم لا تستطيعون أن تعيشوا بدون ذل وقهر .. وقال لهم ساخرا منهم ارجعوا إلى مصر حيث الذل والقهر الذي تحبوه ..

لا عقوبة إلا بذنب ولا ترفع إلا بتوبة .. لماذا كان قوم موسى قبل موسى في ذل ومهانة ؟ ... بعد موت يوسف ويعقوب والأسباط كانوا قد تركوا لأحفادهم المال والأرض والثمار ، فغرت بعضهم النعم ونسوا ملة إبراهيم جدهم وعاشوا في

الأرض مفسدين ومن الواضح أن مجد يوسف في مصر كان في وقت مصر فيه محتلة من ملوك غير الفراعنة ، فلما قل الإيمان في قلوبهم ، وساء سلوكهم سلط الله عليهم بذنوبهم الفراعنة الذين اخرجوا الملوك الذين كانوا محتلين لمصر وبدا الفراعنة يذلون ويهينون كل من كانت لهم بهؤلاء الملوك علاقة وخاصة المقربين منهم والأعزاء والدليل علي ذلك قول الحق في سورة يوسف (وقال الملك اتوني به)(الآية) إذن الذي كان يحكم مصر كان ملك ولم يكن فرعون .. ومن المعروف أن يوسف هو من ادخل بني إسرائيل إلى مصر .. كان هناك من الأسباط (آل عمران) وهم أسرة موسى كانوا مؤمنون حقاً فمن اجلهم ومن اجل آبائهم الأنبياء أرسل الله موسى إليهم ولكن هيهات لقد ضربت عليهم الزلة ونالهم غضب الله لإنكارهم لآيات الله ولأنهم قتلوا الأنبياء بغير حق وعصوا الله وكانوا يعتدون علي الناس بغير حق وفسادا في الأرض .. تتجلي رحمة الله في كل مشاهد هذه الآية ويجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰئِرِينَ مِّنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦)

إن الله لا يظلم احد ويقول مؤكداً ذلك إن الذين آمنوا والذين صاروا يهودا وأنصار عيسى ومن كان علي دين نوح ثم حرفوا دينهم فمنهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الكواكب وفي أسباب نزول هذه الآية أن سلمان الفارسي كان له أصحاب من هذه الديانات فسأل رسول الله ﷺ عنهم فقال: هم في النار .. فنزلت هذه الآية ، قال سلمان : وكأن جبل كنت احمله حط عني .. رحمة الرسول لها حدود من الشرع أما رحمة الله ليس لها حدود فهي مطلقة .

بمعنى أن كل من آمن من الملل السابقة بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هكذا العدل الالهي والرحمة هذه هي صفات الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦٣)

بعد كل ما حدث من اليهود إلا أنهم في النهاية عاهدوا الله على العمل بالتوراة ، ولكنهم دائماً لا عهد لهم ، فنجدهم في سيناء كرهوا المن والسمان واشتهوا الفول والعدس والبصل ، فقال لهم موسى اهبطوا إلى مصر ، ولكن الله رفض هذا ، فلما اندفعوا عائدين إلى مصر ، أمر الله جبريل أن يحمل جبل الطور وإذا تقدموا في اتجاه مصر يسقط الجبل عليهم ، وهنا كان إجبار من الله لهم علي أن يوفوا بعهدهم له وان يذكروا مافي العهد من موثيق ، ويقول الحق متشككا فيهم وناصحا لهم (لعلكم تتقون) يتقوا ماذا؟ يتقوا وقوع جبل الطور عليهم ، ويتقوا الله أن يعذبهم في الدنيا والآخرة... ومن العهد الذي تعهدوا به الله أن لا يكتموا مافي كتاب الله المنزل إليهم من حقائق عن النبي الخاتم وعن شرع الله المحكم .. أرى من مشاهد هذه الآية ، ورفع الله للجبل فوقهم حرص شديد من الله عليهم وإرهابه لهم بالجبل حرصا منه سبحانه على بقاء دين التوحيد على الأرض إشفاق منه على بني البشر القادمين .

إن الله حريص على خلقه أكثر من حرصهم على أنفسهم ولا أجد إلا أن أقول وأنا في شدة الحب لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٤)

مزال الله يذكر اليهود بأفعالهم ، حين رفع فوقهم الطور عادوا إلى عهد الله ورجعوا عن فكرة الذهاب لمصر ، لماذا منعهم الله من الرجوع لمصر مع إن فرعون هلك ؟..... هذه الحكمة من الله لعلمه أن في مصر فتن اليهود وكانوا على وشك أن ينتهي إيمانهم ، وان كان فرعون مات فقد خلف ورائه فراعين كثير ، وأراد الله أن يعيد لهم الكرامة والعزة في ارض أجدادهم الأنبياء ، أما هذه الآية لنا

لتتعلم شيء مهم وهو إننا إذا عصينا الله في أرض ما ولم ننتهي عن المعصية فيجب أن نهجر من تلك الأرض، ونقصد وجه الله فيوجهنا إلى وجهة يرضاها وترضينا.. وكلمة الله (ثم توليتم) من معانيها أنهم أصبحوا ولاية أو أنهم رجعوا إلى الله أو إنهم دائماً يعصون الله.. ولذلك يقول: فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين... إذن ما هم فيه ليس من فعلهم إنما هو من فضل الله ورحمته وما نحن فيه أيضاً من فضل الله ورحمته، ولولا الله ورحمته لكننا من الخاسرين.. وأقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥)

ما زال الحق يذكر اليهود بعصيانهم، وهنا يذكرهم بسكان القرية الذين انتهكوا حرمة يوم السبت، وقد أمرهم الله بعدم الصيد في يوم السبت، فعصوا الله وتعدوا حدود الله فمسخهم قردة مبعدين صاغرين أزلة... هذا التعدي لحدود الله بدا بآدم عصي الله واكل من الذي حرمه الله لكن ادم ليس له سجل مملوء بالمعاصي مثلهم ولذلك تاب عليه وغفر له أما اليهود فسجلهم حافل بالمعاصي والآثام فكان يجب من ردعهم وجعلهم عبرة لغيرهم حتي لا يفعل مثلهم من جاء بعدهم، فحين نري عقوبة العصاة بأعيننا في الدنيا فلن نفكر في عصيان الله عز وجل و(الحمد لله رب العالمين)

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦)

يؤكد الحق ما قلته في الآية السابقة من انه عاقب أصحاب السبت ليجعلهم عبرة وعظة لمن سيأتي خلفهم من البشر ولمن عاصروهم من الناس، فحين يري الناس النكال والعذاب الذي حاق بالعصاة فلن يفكروا في المعصية، إنها الرحمة من الله يعاقب جزء لينجي الكل.. ويقول الحق إنها موعظة للمتقين فيفرحوا بتقواهم ويتحملوا الصبر على النزعات الشهوانية وعدم تعدي حدود الله ولهذا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٦٧)

ما زال الله يذكر اليهود بتاريخهم المظلم، تتجلى في هذه الآيات التالية كم اللجاجة والسخافة لهؤلاء القوم، هنا يقول الله: هل تذكرون حين قال لكم موسى أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فقلتم له هل تسخر وتهزأ بنا، فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.. من الواضح أنهم لا يثقون في احد ولا حتى في نبيهم موسى، كان الله يعالجهم نفسيا ويعزّزهم لأنهم تعرضوا لعذاب شديد ولذلك فهو يرحمهم ويشفق عليهم، على الرغم من لجأجتهم، من رحمة الله انه لا يحكم على احد من خلقه دون أن يحيط بكل ظروفه التي دفعته لفعل ما فعل، فكم من لص ستره الله لعلمه بحاله وانه ليس سارق بطبعه، وهكذا كل الذنوب، ولذلك نحن لن نحيط بحكمة الله في رحمته ببني إسرائيل، ونقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨)

هنا بدا الفصل والمماطلة في تنفيذ أمر الله، قالوا لموسى ادعولنا ربك، أسلوب استفزازي، يقولوا: ربك، أليس هو ربهم أيضا.. يسألون ما هذه البقرة؟ لان لا احد فيهم عنده كرم فيخرج من عنده أي بقرة وينفذ أمر الله، فيجب أن يحدد الله نوع البقرة وشكلها ولونها، ويشدد حلم الحليم بهم ويجيب على أسألتهم السخيفة، فيقول: إنها بقرة ليست مسنة ولا فتية وسط بين السنين، ويحثهم على سرعة التنفيذ قائلا هيا افعلوا ما أمركم به الله.. ما اشد حلم الله (الحمد لله رب العالمين).

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ (٦٩)

مرة أخرى يسألون موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما لون البقرة المطلوبة،

وما زال حلم الله وارد ورحمته سابقة.. فيقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، اصفرها صادق، وشكلها يفرح من ينظر إليها..... هنا يعلمنا الله عدم المساومة والسمع والطاعة لله، ونقله لنا هذه الصورة عن اليهود لنبغض تلك الصفات ولا نفعل مثلهم، هذا من صفات الله المربي (الحمد لله رب العالمين)

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

لم تعد اللجاجة والمساومة فقط بل أضيف لهم الحيرة، عادوا ليسالوا متحيرين، ادع ربك يا موسى ليبين لنا ما هي هذه البقرة فقد رأوا كل البقر شكل واحد، لقد تشددوا فشدد الله عليهم، بعد التعب يعودوا ليسالوا الله الهداية قائلين: وإنا إن شاء الله لمهتدون.. يعلمنا الله هنا السماحة والسهولة في التعامل مع الآخرين هذا هو الرحمن الحكيم و(الحمد لله رب العالمين).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴿٧١﴾ قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

يقول موسى إنها بقرة ليست سهلة الانقياد، تحرث الأرض للزراعة ولا تعمل في ري الأرض، سليمة خالية من العيوب وليس بها أي علامات، من ألوان أخرى فهي صفراء فقط... الآن تنفسوا الصعداء، أخيراً عرفوا حقيقة هذه البقرة وذبحوها، ولكن بعد معاناة لأن صاحب هذه البقرة أعطاها لهم بوزنها ذهب.. وهنا يعلمنا الله التعامل مع الله حتى لا نتعب ولا نكلف فوق طاقتنا..... كان رسول الله يقول: اتركوني ما تركتكم... حتى لا نحمل ما لا نطيق... ويقول الله: وما كادوا يفعلون.. اشعر في هذا القول فراغ صبر من الله عليهم، ولكن تغلب رحمته (الحمد لله رب العالمين).

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُهُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قتل رجل من بني إسرائيل، واخذوا يتهمون بعضهم البعض حتى أوشكت أن

تقع فتنة بينهم ،وهنا يبين الله لهم ما الحكمة من ذبح البقرة ،أولا :ليبين لهم لجاجتهم وعنادهم ويريههم رحمته وحلمه بهم حتى يقولوا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٣)

ثانيا: هذا القتل الذي أوقع الفتنة بينهم ،قال الحق اضربوه (يعني القتل) ببعض لحم البقرة ،فأحياء الله وانطقه فدلهم على قاتله وأخذت الفتنة بينهم.... وثالثا :ليريهم آية أخرى وهي كيف أن الله قادر على إحياء الموتى لعلهم يؤمنون .. ورابعا: ماذا تفيدنا تلك الآية ،إنها تعلمنا انه إذا أصاب احد منا سوء من مرض أو خسارة أو خوف أو خشي من الفتنة ،فليذبح بقرة إن استطاع أو شاة حسب قدرته ويوزعها على الفقراء إن اللغة العربية هي لغة الله وهي لغة عبقرية ،نلاحظ أن كلمة (بقر) لو عكست حروفها ... لأصبحت ... رقب .. بمعنى لاحظ وهذا هو المطلوب منا من الله أن نلاحظ ما في الكون من آيات وما في القرآن من أسرار في الكلمات .. ولذلك يقول الحق انه هكذا يحيي الموتى ،وهذا قد يكون معناه أن الذبح جعله الله لنا لنفدي به أنفسنا من المرض والجروح حتى لا تزهق الروح وقد يمد الله لهم في أعمارهم .. وهذه من آيات الله يريها لنا لعلنا نعقل ما في الآيات فنقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤)

كل هذه الآيات والمعجزات من الله لهؤلاء اليهود من شق البحر وهلاك فرعون والغمام يظللهم وإنزال السمان والامن طعام وتفجر عيون الماء من الحجر ورفع الطور فوقهم للحفاظ على عهد الله ،كل هذه الآيات جعلها الله ليرقق قلوبهم ،فقد اظهر لهم رحمته وحلمه مرارا وتكرارا ورأف بهم وعفي عنهم كثيرا ،

كل هذا ليشعروا بما يريد منهم ألا وهو حب الله والعبادة له عن حب واقتناع وإخلاص وإعجاب بقدرته وقوته وحلمه وحنانه ومع ذلك قست قلوبهم فكانت اشد قسوة من الحجر، لان الأحجار قد يتفجر منها الأنهار، ومنها من يتشقق فيخرج منها الماء مثل عيون موسى في سيناء، ومنها من يسقط من خشية الله مثل الجبل الذي اندك حين سال موسى أن يرى الله، فتجلى الله للجبل فاندك من خشية الله، أما قلوبهم فكلما ازداد الله رحمة بهم ازدادت قلوبهم قسوة وعناد وحين أقرأ هذه الآية اشعر بأسف الله على هؤلاء العتاة القساة القلوب ويخبرهم الله انه ليس بغافل عما يفعلون كأنه يعاتبهم .. لا أجد الكلمات التي اصف بها رحمة الله سوى أن أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

إن لهجة الرحمن في هذه الآية مملوءة بالرحمة والود والعطف على الرسول والذين امنوا، قائلًا: هل تطمعون بعد كل الذي قلته لكم في الآيات السابقة من سلوكياتهم الغريبة الأطوار ولجاجتهم ومساومتهم لله ونبي الله موسى رغم كل المعجزات والآيات والنعم التي جعلها الله لهم، أن يؤمنوا لكم، يكشف الله أمر جماعة منهم يسمعون كلام الله ويغيروا معناه، فهم يبدلون كلام التوراة أو يؤولونه بالباطل ليصدوا الناس عن الإسلام فقد كان اليهود قبل الإسلام يتوعدون العرب بأنه سيبعث نبي آخر الزمان وقد حان زمانه، وان صفته موجودة في التوراة وإنهم سيتبعونه ويتحكموا في العرب ويقتلوهم قتل عاد وارم، فلما ظهر الرسول من العرب وبنفس الصفات التي في كتابهم حسدوه وانكروه لأنهم طمعوا أن يكون يهوديا ليتحكموا في الناس بنبوته، ومن دلائل النبوة أن اليهود سكنوا في المدينة المنورة لعلمهم المسبق في الكتاب أنها طيبة مهجر نبي آخر الزمان، وعاسوافيها فسادا ووقعة بين القبائل العربية التي فيها حتى يكون لهم السيادة حسب مبدأ فرق

تسود ،انكروا أن محمد هو نبي آخر الزمان مع تطابق صفاته مع ماهو مكتوب في كتبهم ،وهم يعلمون انه هو ..يواسي الله المؤمنين بهذا الكلام حتى لا يلوموا أنفسهم ولا ينتظروا أن يؤمن اليهود برسالة محمد ﷺ هذا فيما سبق في عهد الرسول ﷺ فماذا نتعلم من هذه الآية الآن ؟ تعرفنا الآية أن اليهود هم اليهود سابقا ولاحقا ويجب أن نحمد الله علي رحمته بنا وإخبارنا (الحمد لله رب العالمين).....

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَ بِعَصُفِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ۖ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦)

جاء في أسباب نزول هذه الآية ،أن رسول الله ﷺ يوم قريظة قام تحت حصونهم فقال يا إخوان القردة يا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت ،فقال اليهود من اخبر محمد بهذا ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم أمام الله ...وكان الله لا يعرف ما يخفون وما يعلنون ،قول النبي هذا إشارة من الله لهم بان محمد هو نبي آخر الزمان وان الله هو الذي اعلمه عن خبرهم هذا ولكنهم لا يقبلون هذا ويتهمون بعضهم بإفشاء تاريخهم لمحمد ،فهم حين يلاقوا الذين امنوا يقولوا آمنة بأنه رسول الله ولكنه لكم أيها العرب فقط ،وقيل أن نفرا من يهود امنوا ثم نافقوا فكانوا يقولون لبعضهم لا تحدثوا المسلمين بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولون نحن أحب إلى الله منكم وأكرم عند الله عنكم ...

عجبت كثيرا من معصية بني إسرائيل لله عز وجل ، وعجبت أكثر من حلم الله ورحمته بهم ...ولكن من رحمة الله في قضية فرعون في تعامله معهم من قتل وتعذيب ،إنما هي نوع من العدل الالهي، أقام الله عليهم حدا وكان الجلالاد هو فرعون ، وحين جاء عفوه سبحانه ،كان بهم ارحم الراحمين، إن بنياسرائيل هم أخوة يوسف الذي رموه في الجب قساة القلوب أعمالهم تشهد عليهم بعدم الرحمة وهم لم يؤدوا أمانة دين آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ،ولكن مع هذا نجد الله يعطف عليهم

ويرحمهم من كل سوء قدمته أيديهم لأنه هو الرحمن الرحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧)

يتعجب الحق من أفعالهم وأقوالهم ومن عقولهم القاصرة ويتساءل مستنكرا وساخرا من سلوكهم هذا قائلا: أولا يعلم اليهود أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من قول وفعل ومشاعر وأفكار.... هذا فيما سبق أما الآن فهذه الآية موجهة لكل إنسان وخاصة للعصاة والمذنبين من المسلمين كان الله يحذرنا من نفسه ولذلك نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨)

يذكر الحق هنا حقيقة هامة، هناك طائفة من اليهود أميون لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعرفون الحقيقة، كل معارفهم تنحصر فيما يقوله لهم أحبارهم، ومعني قول الله هذا أن من اليهود من هو لا يعتمد النفاق، ليس لديهم معتقد من تصديق أو تكذيب وهذا معني يظنون، إذن من يستطيع القراءة فئة قليلة من اليهود، وهؤلاء هم من يسوسون الأميين، بما ذا نستفيد من هذه الآية الآن؟.. يوجهنا الله إلى ضرورة التعلم وخاصة القراءة والكتابة والقرآن حتى لا نكون مثل هؤلاء الأميون من اليهود الذين لعب بهم أحبارهم هكذا الله دائما يعلمنا وهو عدل لا يظلم ولذلك ينبه الأميين من اليهود من جهلهم لعلهم يعرفون الحقيقة.. ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩)

يوضح الله في هذه الآية فعل بعض من أحبار اليهود الذين ضلوا، ويتوعدهم بالويل والعذاب لأنهم يكتبون كتاب من عندهم ويدعون انه من عند الله، ليأخذوا

من الأمين أموالهم مقابل ما يحلون لهم في الكتاب المكتوب بأيديهم ويحرمون ما يشاؤون ويوهمون الأमीين انه التوراة... أي ظلم هذا انه تعدي لكل الحدود مع الله مما يستوجب العقاب الشديد من الله لهم ،يتوعدهم الله بالويل مما كتبوا بأيديهم لأنهم أضلوا به الناس وأضاعوهم واخذوا أموالهم ،فويل لهم من تلك الأموال ..يحافظ الله علي عباده من الضلال ويحب هدايتهم ولا يرضى أن يضلهم احد ولهذا أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨١)

إن الأخبار الذين يكتبون التوراة على هواهم يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله ،حسب ما تكون منفعتهم المادية لم تنتهي إلى هذا الحد تجاوزاتهم بل يقولون :أن النار في يوم القيامة لن يمكثوا فيها إلا أيام معدودة هي أربعون يوما فقط مدة عبادة آبائهم للعجل ..يقول الحق: قل لهم يا محمد هل عاهدكم الله على هذا ؟ وهنا جملة اعتراضية من الله مع أنها في معناها الحرفي حقيقة ولكن الله يسخر بها منهم فيقول (فلن يخلف الله عهده) ..ثم قل لهم :أم أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون ..يظهر الله ما في نفوسهم ويحذرهم ويحذر الناس منهم ،كل هذا من منهج الله للبشر لا يتركهم بدون توضيح وهدى ولذلك نقول لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١)

يصور لنا الحق هنا صورة للعصاة الذين قضوا حياتهم في فعل السيئات ، يصورهم وهم في خطاياهم كأن الخطايا عبارة عن غطاء يحيط بالمخطئ من كل جانب لا منفذ للتوبة من أي جانب ،وهؤلاء لم يحاولوا أن يكفوا عن السيئات ،ولذلك بما إنهم خلدوا في الخطأ وجب خلودهم في النار ..إن العدل هو صفة من

صفات الرحمة .. كيف؟ .. إن المظلوم مهما عوضته عن ظلمه ،دائما يكون في نفسه شيء من الإحساس بالظلم لا يشعر بالراحة إلا بإقامة العدل ،فمن رحمة الله بالمظالم يقيم العدل في الدنيا والآخرة .ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ



هذه كفة ميزان العدل ،وهي مكافئة الذين امنوا وعملوا الصالحات في الدنيا ..فكما عاقب المخطيء فهو يثيب الصالح . وثوابهم هو الخلود في الجنة وهذا العدل في حد ذاته رحمة وحب من رب العالمين للعالمين حتى لا ياتي من يستغل الخلق ويفسد في الأرض فكأن الله توعده بالعقاب لمن أساء حتى لا يسيء وبالثواب لمن أصلح حتى يستمر في الإصلاح ..وكانت آخر دعواهم أن(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأُولَٰئِكَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ



هذا هو الميثاق والعهد الذي عاهدت بني إسرائيل الله عليه ،يذكره الله ويذكرهم به أولا:التوحيد ..لا يعبدون إلا الله وحده لأشريك له

ثانيا:الإحسان بالوالدين ،أي أن التعامل مع الآباء يكون بالفضل والإحسان وليس بالعدل وأيضا التعامل مع ذوي القربى واليتامى والمساكين يكون بالإحسان والفضل ثالثا:أن تقولوا للناس الكلام الحسن ،وهل هناك أحسن من كلام الله ،إذن يجب أن يقولوا كلام الله الحق الذي نزل إليهم لا يغيروه،وان يكون كلامهم مع الناس طيب رقيق جميل حق ..

رابعاً: العبادات، وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ..

ماذا كان فعلهم في عهد الله هذا ؟ اعرضوا وتركوا العهد إلا قليل منهم تمسكوا بعهد الله ولكنهم فئة قليلة .. أما الفئة الكبيرة عصوا واعرضوا بعدم رضا عن هذا العهد. أجد أن الله وضع لبني إسرائيل منهج مثل الإسلام .. لم يتركهم الله من رحمته بدون منهج ورسول، هذه الآية تذكر المسلمين بأن الدين عند الله هو الإسلام أي دينهم هو الدين الحق الذي اشتق منه كل الشرائع السماوية السابقة .. وإن كل الشرائع السابقة لم تكمل إلا بالإسلام وهنا يجب أن نقول نحن والعالمين (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾ (٨٤)

كان اليهود قبل الإسلام يسكنوا في أطراف المدينة المنورة وكانوا يفرقون بين أهلها من العرب من قبيلتي الاوس والخزرج وهم أيضا في حالة انقسام فيما بينهم وخلاف

ونزاع علي المصالح المادية ... فكانت تقوم الحروب بين الاوس وحلفائهم من اليهود وبين الخزرج وحلفائهم من اليهود من جهة أخرى، فكان إذا وقع أسير من اليهود في يد العرب من يسرع اليهود المعادين لقبيلته بفدائه وتحريره من الأسر، ولكنهم حين يلتقوا في المعارك يضطرون لقتل بعضهم .. وهذه الآية تذكرهم بالعهد الوثيق الذي قطعوه لله بأن لا يقتل بعضهم بعض ولا تسفكون دماءكم ولا يطرد بعضهم بعضا من دياركم .. ولا تفعلون ما يستوجب القصاص منكم، يقول لهم الله إنكم أقررتم بهذا وانتم تشهدون وجود هذه العهود في التوراة .. ومتى كان لهم عهد أو التزام بمواثيق، طوال حياتهم وهم منحرفون ليس لهم قيم ولا عهود، إلا قليلا منهم

أولم يعلموا أن من لم يعجل به عمله لن ينفعه نسبه حتى ولو كان من الأنبياء

..لننظر في هذه العهود التي أخذها الله علي اليهود، كلها لصالح حالهم وحال البشرية على الأرض لن تفيد الله في شيء ولكنها لمصلحة الناس والأرض والبلاد والمخلوقات والنباتات، وحرصا من الله على الإنسان من أن يضل ويفسد في الأرض ويصبح من حق الله تعالى أن يعاقبه على التقصير والإهمال والإفساد في الأرض، وهذا العقاب لن يكون الله به سعيد فهو من كتب على نفسه الرحمة وإن رحمته سبقت غضبه ولأنه يحب خلقه وضع لهم العهود ليلزمهم بصلاحتهم وهنا لا جد إلا أن أقول لله الحبيب الرحيم (الحمد لله رب العالمين)

يردون إلى اشد العذاب . وهنا اشعر بأسف الله على سلوكهم خاصة وعلى تهاونهم في عهد الله ومراقبته لهم ، فيقول لهم الله انه ليس بغافل عما يفعلون ... وهناك مقولة إسرائيلية تقول: إن كنت تذنّب وتعلم أن الله لا يراك فهذا خلل في دينك ، وإن كنت تعلم انه يراك فلما تجعله أهون الناظرين إليك .. يعلمون هذه الحقائق ولا يستحون من الله.....

انزل الله هذه الحقائق لعل اليهود في المدينة يؤمنون بالرسالة المحمدية ، وأيضا ليعلمنا نحن الآن إن طبع اليهود لن يتغير فهم ألان يتحكمون في راس المال العالمي ويضعون قوانين البنوك التي كلها ربا وذلك بما أتاهاهم الله من نعم وعقل يستغلونه في معصية الله ويحذرننا الله من التعامل بطريقتهم فيكون مصيرنا مثلهم ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ



صدر الحكم الإلهي بان هؤلاء الذين باعوا عهد الله بمتاع الدنيا الزائل واشتروا الحياة القليلة وباعوا الحياة الحقيقية وهي الآخرة والأخيرة ... لهم عذاب مستمر لا يخفف عنهم ولا هم ينصرون أخيرا بعد أن استنفذ الله معهم شتى الطرق لهدايتهم فلا بد مما ليس منه بد ، يتجلى الله هنا باسمه العدل ثم المنتقم ويحق الحق فلا تستوي عنده الحسنه ولا السيئة ويجب أن نعبده بهذه الصفات والأسماء فيجب أن نحب رحمته وعطفه ونعجب بعدله وعظمته ونفرح بحلمه ورأفته ونخشى عدله وجبروته وقدرته .. وهذا الحكم موجه لنا نحن في هذه الأيام ، فالمسلمون هذه الأيام اشد شبها بيهود المدينة في سلوكهم الآن فهم يقتلون بعضهم ويخرجون بعضهم من ديارهم بغير حق ، ويعينون المعتدين علي قتل إخوانهم المسلمين مثل ما حدث في أفغانستان والعراق ، وهذه الآية إنذار من الله للمسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧)

هذه الآية يلخص فيها الله موقف اليهود من جميع الرسل الذين أرسلهم الله لهم من أول موسى ومن جاء بعده من أنبياء مثل داود وسليمان وذكريا ويحيى وأخيرا عيسى ثم محمد، فانزل على موسى التوراة واتى عيسى البينات وهي المعجزات من إحياء الموتى وشفاء المرضى بإذن الله واثاه الإنجيل وأيده بروح القدس.. ما هو روح القدس؟ جاء في التفسير انه الأمين جبريل، ولكنني أرى انه الروح التي نفخها الله في عيسى.. كيف؟ يقول الحق ما معناه: إن مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه، ولكن ادم اخذ الله من ظهره جميع ذريته، أي انه اخذ جميع أرواح البشر من روح ادم أما عيسى فكان له نفخة من الله خاصة به، مما جعل الله من قوة روحه أن يتكلم في المهد مثل ادم أول ما نفخ الله فيه الروح عطس وقال الحمد لله رب العالمين.. (معلومة) من عطس فحمد الله وصلى على رسول الله خلق الله من عطسته تلك ملاك يسبح ويحمد الله باسم هذا العاطس إلى يوم القيامة.. (كلمة عطس عكس حروفها سطع أي أشرق ولمع ضوءه.. أي أشرقت أنوار روح العاطس والملائكة خلقت من نور

نعود لتأنيب الله لليهود فيقول لهم: كلما أرسلت إليكم برسول برسالة ليست على هواكم أما تكذبوه أو تقتلوه، تاريخهم طويل في تعذيب وقتل أنبياء الله مثل يحيى وذكريا ودانيل وهام قد كذبوا عيسى والآن يكذبون محمد ﷺ أي بشر هؤلاء، قساة القلوب عتاة لا يرحمون احد ولا يحبون إلا أنفسهم، إن الله قد كشفهم لنا حتى نحذرهم وحتى لانفعل مثلهم فينزل الله علينا غضبه و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

هذا هو العذر الذي أقبح من الذنب، أو ليس الله يعرف ما في السرائر... يقول

قتلة الأنبياء أن قلوبهم مغلقة ومغلقة يقصدون أنهم لا يقبلون بهذا الكلام، ولكن ليست هذه هي الحقيقة، الحقيقة هي أن الله لعنهم وطردهم من رحمته لشدة كفرهم.. فان إيمانهم يكاد يكون معدوم، أو أن المؤمنين منهم قليلون، يرفع الله حلمه عنهم ويتجلى عليهم بعدله وعلى الرغم من أن هذا حق وإن الله قد مد لهم ما لم يمد لغيرهم إلا أني أشعر أن الحق مازال فاتحا لهم مجال لأن يتوبوا والدليل هو قوله: فقليلًا ما يؤمنون.. إذن مازل فيهم بعض الأمل، لماذا كل هذا الاهتمام منك يارب إلا لأنك رؤف رحيم ودود، اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك إني احبك حبا شديدا تخطى كل حدود العقل واللب أن أشعل قلبي وروحي بحبك أكثر وأكثر و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾

كان اليهود في المدينة قبل الإسلام يتوعدون الكفار من العرب، بأنهم أهل كتاب ويقراون في كتابهم أن نبي آخر الزمان قد حان أوانه وإنهم سوف يتبعوه ويقاثلوهم وينصرهم الله عليهم ببركة هذا النبي ويسودوا عليهم ويملكوا رقابهم.. فلما جاءهم القرآن من عند الله مصدقا لما في التوراة، وهذا ما كانوا ينتظرونه لمعرفة الوثيقة به، عادوا إلى طبيعتهم الأولى وهي تكذيب الرسل والكفر بما أنزل من الله، وفي النهاية يلعن الله الكافرين.. لماذا أنكر يهود المدينة الرسول ﷺ والرسالة؟

أولا: لأنه ليس منهم وليس من بني إسرائيل ..

ثانيا: حقد وحسد من أنفسهم حيث إنهم لم يعودوا شعب الله المختار ..

ثالثا: إن القرآن جاء ليصحح ما كتبوه بأيديهم في التوراة واحلوا ما حرم الله، فالقرآن جاء موافقا لكتاب موسى من حيث تحريم الربا والخمر والزنا والقتل، وهم يجمعون الأموال الطائلة من هذه الموبقات ..

فكيف يقبلون هذه الرسالة وهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ..كم صبرت عليهم يا صبور وكم رحمت يا رحيم ولكن لعنة الله على الكافرين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَتَّبِعُوكَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْقُرُوا لَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِثْنَا نَاثِقًا أَنْ يَزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

هنا يقبح الله تجارتهم الخاسرة المنكرة ،حين باعوا أنفسهم وأضاعوا آخرتهم وكفروا بما انزل الله على رسوله ذلك من حقدهم وحسدكم ،كيف أن الله فضل عليهم العرب واخرج نبي آخر الزمان منهم ولم يعودوا شعب الله المختار ،نسوا أن هذا فضل الله يأتيه من يشاء من عباده ،وهو حر حيث يضع رسالته ،وكأنهم أوصياء على قدر الله وحكمته ،حيث يقدر بحكمته لمن وأين ومتى وكيف يضع رسالته ، وهذا تطاول منهم على إرادة الله وعظمته ،هنا باؤا بغضب على غضب من الله ،أي إن الله ضاعف غضبه عليهم ،ويقول الحق إن للكافرين عذاب مهين ،كل كافر له عذاب مذل مهين اللهم أنت العظيم الحكيم الحليم اعف عنا يا عفويا رحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحُّدٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

هنا يدعوهم الرسول ﷺ إلى الإيمان بالقرآن الذي انزل من الله ..يقولون إنهم يؤمنون بما انزل الله عليهم فقط ويقصدون التوراة ،وكفروا بما انزل الله من بعد ، مثل الإنجيل والقرآن ،والقرآن جاء مصدقا لما معهم من الكتاب الذي لم تصل إليه أيديهم بالتحريف هنا يسخر منهم الله ويكشف حقيقتهم البشعة ،فيقول :بما إنكم مؤمنين فلما قتلتم أنبياء الله كم من مرة قتل اليهود أنبياء الله وأجرها محاولة قتل محمد ﷺ لم يترك الله لليهود أي شيء في أنفسهم ولا في سلوكهم إلا أخرجه

لهم وحاورهم فيه لعلهم يهتدون ،ولا فائدة في أن يهتدوا...،ونقول ونحن شاكرين الله علي أن هدانا إليه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢)

هنا يذكرهم الله بالمعجزات التي جاءت على يد موسى مثل تحول العصا إلى ثعبان وشق البحر وغرق فرعون ونجاتهم من فرعون ومن البحر وغيرها....ومع ذلك عبدتم العجل حين ذهب لميقات الله ليحضر التوراة... أي ظلم هذا ، يكفرون بالله ولقد خلقهم ويعبدون العجل يحذرنا الله منهم ومن إتباع أعمالهم .. كل هذا والله بهم رؤف رحيم (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)

يعتقد البعض أن تلك الآية مكررة... قد تكون كلماتها مكررة ولكن المقصود بها جيل من أحفاد هؤلاء الذين رفع الله فوقهم الطور،لقد قلت سابقا أن الأبناء يتحملون ذنوب الآباء والأجداد والعكس بالعكس ،فالأبناء يحصدون خير صلاح الآباء والأجداد ..والدليل يوجد في هذه الآية ،في قول الحق (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) هذا معناه إن كفر الأجداد جعل عبادة العجل تتشرب في قلوبهم أي أن عبادة الماديات طبعت في الجينات الوراثية لأجيال وأحفاد من عبدوا العجل ،ولذلك نجد اليهود يعبدون المال والذهب والفضة ،ولقد صنعوا العجل من الذهب ،إذن حب الذهب قد طبع في أرواحهم ،هذه الآية تذكر يهود المدينة بما فعله أجدادهم من يهود موسى في سيناء... يقول لهم إنكم لكم في نقض العهود تاريخ قديم فانتهم مثل آبائكم الذين عاهدوا الله ثم نقضوا عهدهم فاجبرهم

الله على حفظ العهد بالقوة وذلك برفع جبل الطور فوقهم لياخذوا ما آتاهم الله بقوة واستمعوا لله ،ماذا فعل يهود موسى أطاعوا عن قهر وليس اقتناع ،أما يهود المدينة قالوا سمعنا وعصينا لان ليس فوقهم قوة ترهبهم وتجبرهم على الوفاء بعهد الله ، هنا يهزأ الله بهم ويقبح فعلهم ويقول ما أقبح ما يأمركم به إيمانكم ،هذا إن كنتم مؤمنين أصلا هذا التحذير من الله ليعرف رسول الله ﷺ إن اليهود لا عهد لهم ولا يجب أن نعاهدهم ليس فقط في عصر الرسول ﷺ ولكن في عصرنا الحالي والعصور المقبلة ،لان الله قال :إنهم تشربوا بالكفر في موروثاتهم ..وكأن الله يوفر علينا عناء التجربة التي ثبت فشلها من قبل ،فهاهم يخونوا الله وموسي ويعبدون العجل ،وهاهم يخونون الاوس والخزرج قبل الإسلام وهاهم يخونون الرسول ﷺ بعد أن عاهدوه في المدينة ،وهاهم يعاهدونا على السلام في عهد (أنور السادات) ولم تقف الحرب من يومها في فلسطين بل امتدت إلى العراق ولبنان والله اعلم إلى أي مدى ستصل الحروب ،بهذه الآية ينصحننا الله بإنهاء العهود مع اليهود واخذ الحذر منهم ،ويجب أن نقول لله على هذا نشكرك يا رب أن نبهتنا ،ولاحلف بعد ذلك مع اليهود و(الحمد لله رب العالمين)

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾

ما هي الدار الآخرة؟ إنها دار القرار حيث الخلود حيث لا موت ولا هرم ولا مرض ذلك في جنة الخلد ،إنها النعيم وقمة الحياة والحيوية والمتعة ،يكلم الله اليهود الذين يعتقدون إنهم شعب الله المختار ، ليكشف لهم أنفسهم التي تخدعهم، فيقول :انتم تقولون إن الدار الآخرة التي عند الله وهي جنة الخلد هي ملك خالص لكم إذن تمنوا الموت إن كنتم صادقين ،هذا تحدي من الله لهم ليعرفهم كذبهم ،وهذه الآية لنا نحن أيضا إذا أردت أن تعرف هل أنت صادق مع الله أم لا فانظر لو جاءك الموت الآن ماذا سيكون شعورك ؟

إن شعرت بالرعب فأنت لست علي صواب وان تقبلت الأمر بتسليم لله ورضا وصبر فعلم انك من أصحاب الجنة، وكأن الله وضع لنا مقياس لنقيس عليه أعمالنا، ولكن الشرط الأساسي هو الإيمان الذي في قلوبنا وهذه رحمة من الله بنا وحب لعباده الصالحين ولذلك نقول :

(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١٥)

يجيب الله عنهم قائلا وقوله الحق :إنهم لن يتمنوا الموت أبدا لعلمهم بما فعلوه بأيديهم من ظلم ومع ذلك قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا فكان هذا رد الله عليهم بسبب ظلمهم ،وهل هناك ظلم اكبر من الكفر بالله والفساد في الأرض وإشعال الفتن والحروب والربا وسفك الدماء ،والله عليم بالظالمين ... في داخل هذه الآية تحذير للناس جميعا وخاصة الظالم منهم ،فحين يكون الله عليم بالظالمين وجب أن يكف الظالم عن ظلمه خوفا من الله لأنه يراه و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

تجد أن اليهود هم احرص الناس على الحياة الدنيا من الذين أشركوا بالله ،ذلك لان بداخلهم يقين بأنهم كاذبون وإنهم ظالمون ،ويتمنى كل منهم لو يعيش ألف سنة ولو عاشوا آلاف السنين لن يمنع هذا عنهم العذاب ،لان الله يرى ما يعملون من فساد في الدنيا والدين .هذه الآية تنبهنا نحن إلى أن الدنيا مهما طالت لا بد من الموت والحساب ،ولا داعي للطمع في طول العمر ،ولنقول اللهم أحيينا مادامت الحياة خيرا لي وتوفني مادامت الوفاة خيرا لي ولنعلم أن الله يرى ما نعمل فنحذره ، ولنسارع إلى التوبة والى العمل الصالح ونقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧)

لم أرى قوم بهذا الغباء، هؤلاء اليهود يكرهون جبريل ملاك الوحي الأمين... لماذا؟

لأنه هو الذي أنبأهم بخراب بيت المقدس على يد (بختنصر) ولان جبريل هو الذي حمل فوقهم جبل الطور... وهل فعل جبريل شيء إلا بأمر الله، حين عرف اليهود أن جبريل هو حامل القرآن إلى رسول الله ﷺ جن جنونهم وقالوا لو أن ميكائيل هو حامل الرسالة لكنا آمنّا بها.. هنا يقول الله سبحانه: من كان عدو لجبريل فهو عدو لله سبحانه لان الله هو من أرسل جبريل وانزل معه القرآن على قلبك يا محمد بإذن من الله وجبريل مصدقا بهذا القرآن الذي بين يديه وهذا القرآن هداية وبشرى للمؤمنين بالله. يتدخل اليهود في كل شيء بمتتهى الجرأة حتى إنهم تطاولوا إلى درجة أن يكرهوا ملائكة الله، وهم الأطهار الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم، أما المسلم لا يكون مسلم إلا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. ولهذا قال الله عن المسلمين (كنتم خير أمة أخرجت للناس).. (الآية) لذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٨)

أعلن الله عن كفر من كان عدو لله وملائكته ورسله وخاصة جبريل وميكال، وأعلن الله سبحانه أيضا عداوته للكافرين.. وما أدراك ما عداوة الله سبحانه إذا عادى احد من خلقه يظهر له كل صفات الجلال التي في الأسماء الحسنی لله ويصحبها عليه صب مثل اسم القهار والمتقم والضار والمذل، ويكفي اسم واحد منهم لتدمير الكون فما بالك بإنسان ضعيف وغبي... اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا يا الله وارضي عنا يا الله واكتبنا من عبادك المخلصين يا رب و (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾﴾

يقول الحق لنبیه محمد ﷺ: لقد أنزلنا إليك آيات القرآن واضحة وهي معجزات، ما يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون وهم الذين خرجوا عن الحق واتبعوا الباطل ...

إن آيات القرآن هي كلام الله الذي اعجز العقول وحارت فيه الافهام، إن حروفه كأنها فيها حياة، فهي تنطق وتخطب كل الخلق، كم من مرة أحنّني أمر وهرعت إلى الصلاة وأخذت كتاب الله وفتحت صفحاته التمس بداخله هدوء الروح وسكينة النفس وإذ بي أجد في آياته الحل لمشكلتي التي أهتمني وأزعجتني ..

قال الله: فإروا إلى الله .. (الآية) وقال رسوله ﷺ (من أراد أن يكلم الله فليصلي ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن) (متفق عليه)

نعم إن آيات القرآن مبينة لكل شيء، وقال الحق: ما فرطنا في الكتاب من شيء ... (الآية) إخواني في الله القرآن كنز ثمين فيه حل لكل ما نعجز عن حله فهو حبل الله المتين فتمسكوا به لتفوزوا في الديار كلها الدنيا والبرزخ والبعث والآخرة ولا أجد كلمات تعبر عن امتناني وشكري لله على هذا الكتاب إلا أن أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّاهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

هنا يتعجب الحق من سلوك أكثر اليهود، ويقول متسائلا في استغراب، أوكلما عاهدوا عهد ... أي عهد مع أي أحد، وليس مع الله فقط .. إنهم يغدرون في جميع العهود إلا قليل منهم، والكثير منهم لا يؤمنون، أطلق الله حكمه على أغلب اليهود على مر العصور ولذلك يحذرنا الله منهم ومن غدرهم، لذلك فكرة التطبيع مع اليهود مرفوضة من الله وليكن التعامل معهم بحذر، إن الله يحافظ على عباده المؤمنين من غدر الغادرين هكذا الرب الذي يربي عبيده و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١)

هنا الحق يتكلم بأسف على سلوك أهل الكتاب الذين أضاعوا الكتاب وأضاعوا أنفسهم

حتى حين جاءهم رسول الله ﷺ وهو مصدق لكتابهم كرهه فريق منهم ونبذوا القرآن ولم يهتموا بما جاء فيه ، وتجاهلوه تماما كأنهم لا يعلمون انه مشابه لكتابهم وكأنهم لم يعرفوا ما في كتابهم .. نلاحظ أن الله اخرج في الآيات السابقة ما في أنفس اليهود وسجلها في آيات موثقة ومحفوظة بحفظ الله أي إنهم لن يستطيعوا أن يمحوها أبدا ، ليكشفهم أمام أنفسهم أولا ليعلم من كان عنده أمانة من اليهود إذا وجد الله يتحدث عن ما في نفسه فيهتدي ، ثم أمام المسلمين ثانيا ليعلموا حقائق من حولهم فلا يخدعهم اليهود ، ثم تكون هذه الآيات عليهم وثائق يوم الحساب وحجة يوم القيامة بان الله لم يتركهم بدون انذار وهذا حرص شديد من الله على خلقه حتى الضالين منهم ، ولذلك نقول بحب لله سبحانه (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢)

لا يكون المسلم مسلما إلا إذا آمن بـ :

(1) الله وحده لا شريك له .

(2) ملائكته بجميع أنواعهم .

(3) كتبه جميعا من صحف إبراهيم وتوراة موسى وذابور داوود وانجيل عيسى وقرآن محمد .

(4) الرسل والأنبياء جميعا .

(5) اليوم الآخر

خمس عناصر لا يكون المسلم مسلما إلا بعد أن يؤمن بهم ، وفي الغالب أكثر هذه العناصر تكاد تكون غيب لم يراها البشر أجمعين فيما عدا الكتب ، وكل الكتب لا تثق في صدق ما جاء فيها إلا كتاب واحد وهو القرآن ، ولكن رسول الله قال ما معناه : حدثوا عن بني إسرائيل فما قبلتموه فخذوه وما تعارض مع الكتاب والسنة لا تقبلوه .. إن القرآن خطاب من الله عز وجل للناس كافة ليس فقط للمسلمين وهو حل لكل قضايا العصور إلى أن تقوم الساعة .. وقال رسول الله ﷺ : تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله (رواه البخاري) . لو لم يكن القرآن للناس كافة فلما ذكر الله فيه كل الأمم السابقة والحالية واللاحقة ولم يترك أي من المخلوقات لم يذكرهم ، فيه كل شيء . قال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) صدق الله العظيم ... جن ، ملائكة ، حشرات ، حيوانات ، نبات ، حتى الذرة والأصغر منها ذكروا في هذا الخطاب الإلهي المحفوظ من الله عز وجل بأمره هو .. في هذه الآية ما زال رب العزة يخبرنا عن موقف اليهود من سيدنا رسول الله حين ذكر في القرآن نبي الله سليمان ، فقالوا يذكر سليمان أنه من الأنبياء ويخلط الحق بالباطل وهل كان سليمان إلا ساحرا يركب الريح .. وهذه الأقاويل أقوال الشياطين على ملك سليمان ، وكانوا يقولون أنه يسخر الريح والجن بالسحر وهذا ظلم عظيم لأن الله هو الذي أتاه هذا الملك ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .. وهم يعلمون الناس السحر ليضلوهم عن سبيل الله . وهذا هو السحر الذي أنزل على هاروت وماروت (الملكين ببابل في أرض العراق) وكلما تعلم أحد منهم السحر يقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر وليس قولهم بالنصيحة لمن يتعلم السحر وإنما تشويق له . فيتعلم الشياطين

السحر ويعلموه للناس ليفرقوا بين المرء وزوجه ولكن رحمة الله سبقت في الحكم ، حيث أنهم لا يضرّوا به أحد إلا بإذن الله .. وهنا تحذير من رحمة الله بعبادة ، إن تعلم السحر يضرهم ولا ينفعهم ، وأن من عمل بالسحر أو دفع فيه أو سعى له فانه في الآخرة من الخاسرين وليس له من خير . ويقول ربنا (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ما أسوأ هذه البيعة أن أشتري السحر بالآخرة والجنة . وأشعر في كلمة (يعلمون) أنها حسرة من الله عليهم وعلى جهلهم وغبائهم وضياح آخرتهم ، لأن الساحر لا يكون ساحرا إلا إذا كفر بقضاء الله وقدره ونقم على خلق الله وكره وحسد البشر واستكثر نعم الله على خلقه ، ولذلك تجد السحر لا يتم إلا بإذن الله لأن الله يشفق على خلقه المؤمنين من خلقه الكافرين ولا يمكن أن يمكن منهم ساحرا وشيطانا ، إلا إذا كان هذا الإنسان يستحق هذا بضعف إيمانه وإرادته وقلبه ، ولذلك إذا أردت أن تمنع عنك أذى الشيطان فقوي إرادتك بشدة الإيمان بالله ، واثبت على عقيدة التوحيد واطلب من الله العون على هؤلاء الشياطين من الإنس والجن فمن استعاذ بالله بصدق وإيمان أعاده الله ولم يضره أي شيطان أبدا أليس هذا حب من الله لعباده المؤمنين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٣)

يقول الله سبحانه : لو أن الناس بدل من اللجوء إلى السحر والكفر آمنوا واتقوا الله وسألوه سبحانه وتعالى أن يدبر شأنهم لكان خيرا لهم ومثوبة من عند الله ورحمة ولكنهم جهلاء وأغبياء .. (معلومة) من قرأ سورة البقرة كاملة كل يوم لمدة سبعة أيام اخرج من نفسه وبيته وأولاده كل سحر وكل شيطان وكل حسد. واشعر في قول الحق (لو كانوا يعلمون) الحسرة على جهلهم وكفرهم فهو سبحانه حزين على أفعال عباده الجاهلة الكافرة ... لان الله لا يحب إلا العلم والإصلاح والإيمان بالله وهذه الآية ينبهنا الله إلى عدم اللجوء إلى شيء لحل مشاكلنا إلا الله سبحانه و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَالْكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

كان بعض اليهود إذا مروا برسول الله ﷺ حيوه بكلام من ألفاظهم العبرية مختصر منه حروف عربية يعطى معنى سب وشتم ودعاء بشر، ولكن الله يعلم بنيتهم السوء ولا يرضى بأي أذى لنيبه، فأمر الله المسلمين أن لا يرددوا مثل هذه الأقوال مثل كلمة (راعنا) لان معناها في العبرية شيرينا أو اشرنا، ومعناها بالعربية انظرنا، فأمر الله أن يلغوا هذا القول ويقولوا انظرنا واستمعوا أي قول يقال لكم واستوضحوه ممن يقوله هذا حتى يحترم اليهود رسول الله قهرا وغصبا عنهم، ويتوعد الله الكافرين بالعذاب الأليم. نلاحظ أن حروف كلمة (عبري) هي نفس حروف (عربي) وعكس حروف (عبري) هي (يربع) ومعناها في اللغة العربية يطلق علي من يجري على غير هدى، وعكس حروف كلمة (عربي) هي (يرع) وتطلق هذه الكلمة على كل من تفوق وبرع في شيء ما. هذه الآية تدل على أن الله يخرج ما تكن أنفسهم ولو أنهم فهموا أن الله فضح ما بداخلهم لكفاهم هذا ليؤمنوا بالله ورسوله ولكن غباثتهم وتكبرهم وجهلهم أعمى قلوبهم وأضاعهم وفي أيامنا الآن نجد أن كفار الغرب قد تجرأوا على أن يسبوا رسولنا الكريم والمسلمون الآن في أذل وضع إلا يعلمون إنهم هم المهانون هيا أفيقوا من ذلكم يا مسلمين وهبوا لنصرة دينكم ونيبكم . ولحب الله لرسوله ومحافظته على كرامة نبيه وبالتالي على كرامة كل مسلم يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

لم يترك الله في نفوس الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين إلا كشفه للمؤمنين هذه الآية تبين ما بداخل نفوس هؤلاء الكفار من حقد وكره للمؤمنين، فإنهم لا يحبون أن ينزل الله على المؤمنين أي خير وفضل أو رحمة، ولكن من

رحمته سبحانه يطمئن المؤمنين بأنه يختص برحمته من يشاء ، ولا دخل لأحد عنده فيما يفعل ، ولا يستشير أحد ، فهو يفعل ما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإن فضله كان وسيظل على خلقه عظيم هذه الآية تهديء القلوب المؤمنة لان الله لا يظلم احد بل يعطي حتى بلا سؤال وبلا مقابل فهو الملك وهو الكريم ، أشكرك يا الله على انك أنت الله ولا اله غيرك و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦)

هذه الآية نزلت لان ربما كان الوحي ينزل برسول الله ﷺ ليلا ، فمن الآيات ما ينسها الله لرسوله وهذه الآية إقرار من الله أن ما يمحو من آيات أو ينسها ، إلا أتى بخير منها او مثلها فعنده أم الكتاب يمحو ويثبت ما يشاء ، وقد يكون معني الآية إن الله يأتي بالمعجزات حتى يجدد الإيمان في قلوب المؤمنين ويهدي بها الضالين ، فكلما نسي الناس هذه المعجزات أتى الله بخير منها أو مثلها ليحفز الإيمان بالله في القلوب ، ثم يذكرنا الرحمن انه على كل شيء قدير ، وتحت هذا البند حدث ولا حرج فلن تصل إلى مدى قدرة الله ، واطلب منه ولا تقلل فعطائه لاحد له وقدرته لا حدود لها ، هل علمت احد بهذه القدرة وهذه الرحمة (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧)

يقول الحق (الم تعلم) سؤال إخباري مع تأكيد ، حيث يؤكد الله انه هو وحده له ملك السماوات والأرض ، وهو أيضا المالك والولي والنصير لنا نحن البشر... إن الله لنا هو كل شيء ، فنحن بدوننا لا شيء .. هذه هي حقيقة التوحيد ، إن كل ما في بالك هالك وربك بخلاف ذلك ، وكونه هو الذي يملك الكون ويملكنا نحن ويتولى شأننا ، فهذه نعمة منه تستوجب أن نشكره عليها ، انه هو الأمان والعدل والرحمة والحب والقادر والعفو والمغني والمعز ، وغير هذه الصفات مما لا

يحصى من قدرات وعطائات ورحمات ، إن أعظم منحة لنا هي أن الله هو ربنا
(والحمد لله رب العالمين)

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)

حين ذكر الله عز وجل قصص بني إسرائيل بالتفصيل كان له كثير من الحكم
، ومنها مثل ما في هذه الآية على سبيل المثال لا الحصر إعطاء المسلمين صورة ومثال
لأنحراف من غره دينه واعتقد انه ينزول كتاب الله عليه فهو فوق الناس والمسائلة ،
ويعلمنا الله هنا درس مهم وهو إن إنزال الكتب من الله على احد من عباده ليست
لتمييزه عن الخلق وإنما هي مسؤوليته تجاه الخلق وعبادة الخالق وإصلاح للكون ،
وهنا يحذر الله كل مسلم من أن يفعل مثل ما فعل قوم موسى عليه السلام ... حين
سألوه ما لا يصح مثلما قالوا يا موسى اجعل لنا ربا (صنم) نعبده ، لا يقبلون إلا
الماديات ، ثم قالوا أرنا الله جهرة ثم قالوا إنا لا نصبر على طعام واحد ادعوا لنا ربك
ينبت لنا من الأرض من بقلها وبصلها و...و...و... وطلبات وأسئلة من هذه النوعية
المزرية المخجلة التي وصلت إلى حد الكفر والعياذ بالله .. ويحذرنا الله من أن ندعوه
بما لا يحق لنا أن ندعوه به فنكون مثل قوم موسى ونكون من الضالين ، ويقول لنا الله
أن من يبدل إيمانه ويكفر فقد ضل وضاع منه الطريق الصحيح الذي يوصله إلى
صلاح الدنيا ونعيم الآخرة ، ومما سبق يتضح أن الله دائما حريص علينا أكثر من
حرصنا نحن على أنفسنا ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا ۚ وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٩)

يذكر الرحمن أن كثيرا من أهل الكتاب يتمنوا أن تعودوا كفارا كما كنتم حقدا

وحسدا عليكم .. لأنهم تأكدوا أن الرسالة حق وان الرسول حق وان القرآن كتاب الله .. ويأمرنا الرحمن أن نغفوا ونصفح عنهم حتى يأتي الله بالفتح وتثبت أقدام المؤمنين .. ويؤكد الحق انه على كل شيء قدير .. رحمتك وحنانك يا الله ليس لها حدود حتى على العصاة من أهل الكتاب ، يقول الحق انه قادر على كل شيء ، أي شيء حين اقرأ هذه الآية اشعر بحنان رائع من الرحمن الرحيم على خلقه ، ومما لاحظته أن الله يحب التسامح بين الناس والتراحم بينهم ولذلك نجده لا يتهاون مع أنبيائه الذين يدعون على قومهم أو يتعاملوا معهم بغلظة ... فهاهو الله يحبس نبيه يونس في بطن الحوت بسبب غضبه وهروبه من قومه بدون إذن الله ، وهاهو الله يأمر إبراهيم بذبح ولده بسبب دعائه على عبيد الله العصاة لان الله يرحم خلقه .. وهاهو الله يغرق ولد نوح مع من غرق لان نوح دعي على قومه ، وسليمان لما بالغ في تسخير الجن إلى حد العذاب فألماته الله وهكذا دائما الحق يرحم عباده . واشعر بالأمان حين أقرأ (إن الله على كل شيء قدير) فلما الخوف وهو القدير، ولما الحزن وهو القدير وكأن الله يقول تمنى أي شيء يا عبدي فالله قدير أن ينفذه لك ، وهنا لا احمل هم إجابة الدعاء ولكن احمل هم كيف وماذا يكون الدعاء ؟ فقد يدعو الإنسان بالشر وهو يعتقد انه خير فيجب تحري الصواب في الدعاء وأيضا التجميل في الطلب من الله ملك الملوك و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

يأمرنا الله بإقامة الصلاة ولقد ذكرت معنى الصلاة وكيف أنها حب من الله لعباده في الآية الثالثة من سورة البقرة ، في كل آيات الله في القرآن أجد الله يفيض حبه لعباده وحرصه على هديهم ومصلحتهم مع كل حرف من حروف الآيات .. وجعل الصلاة والزكاة فروض يعني واجبات .. وهل يستفيد هو من هذه الفروض شيء ؟ .. لا إنما هي لصالح العباد والبلاد ، فماذا يكون شعورك تجاه من يجبرك على العمل

لمصلحتك أليس أقل شيء أن تحبه، وهل يحرص الرحمن عليك إلا لأنه يحبك، وهذا ما يؤكده الله في هذه الآية بقوله (عز من قائل) وما تقدموا لأنفسكم من خير... أي أن الصلاة والزكاة هي خير لنا في الدنيا، ثم يكمل بأننا سنجده عند الله، فبعد الخير الذي نأخذه من الله في الدنيا يبقى لنا خير الطاعة لله يكافئنا عليه حين نعود إليه، ويطمئننا الله بقوله إن الله بما تعملون بصير.. واشعر في كلمته (بصير) إنذار بأنه يري كل الأعمال الصح والخطأ واشعر فيها أيضا بأنه يلتبس الاعزار لعباده لأنه بصير بأحوالهم وظروفهم فهو الرحيم ولا أجد إلا قولي (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١)

كم أنت حليم يا الله تري وتسمع هذه الادعاءات وترحم وتجادلهم بالحجة وأنت في غنى عنهم، تجرأ أهل الكتاب وقسموا الجنة بينهم وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا أو نصراني، من أين لهم هذا، يعلق الحق على ادعائهم هذا بقوله لنا مطمئنا (تلك أمانيتهم) يعني ليطمئن كل الناس هذه أمانيتهم التي يتمنوها وليست حقائق، ثم لا يتركهم هكذا بدون توضيح لخطئهم فهو المطلق في كل صفات الكمال، يقول لأهل الكتاب هاتوا البرهان الذي أصدرتم علي أساسه هذا القرار بان الجنة لكم فقط... لا يسع أي عقل أن يحيط بحكمتك ولا برحمتك ولا بحلمك ولا بودك ورأفتك، اللهم أشعل نار حبك في قلوب عبدتك واحرق بالشوق إليك كل المهج ولا تترك من البشر احد إلا أذقته حلاوة محبتك حتى لا يبقى احد إلا اشتاق لرؤيتك عجز الكلام عن شكرك فلا أجد إلا ما علمتني وهو قول (الحمد لله رب العالمين)

﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢)

هنا يرد الله على أهل الكتاب بان الأمر ليس كما يدعون، بأن الجنة خاصة

لليهود والنصارى، إنما من اسلم الله، أي تبرأ من حوله وقوته وعاد إلى التسليم لله وهو محسن في عمله.. والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه وتعلم انه يراك، فلن يضيع الله أجرك عنده وهو يؤمنك على نفسك من الخوف ومن الحزن ..

ما معنى اسلم وجهه لله؟.... أن يتوجه بكل عمل يعمل به إلى الله لا يقصد إلا وجه الله فقط وما معني الإسلام؟

إن الله حين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، أبين أن يحملنها وأشفقوا منها لأنها حمل ثقل، وتحملها الإنسان الظالم لنفسه بجهله بحقيقة التكليف والإرادة الحرة في أن يفعل أو لا يفعل (فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فليكفر)

والإسلام أن تعود لتسلم الأمانة لمن يستطيع أن يتحملها وهو الله، تسلم نفسك أو وجهك لله ليتولى هو حرية الاختيار لنا، ولذلك يصف الله أوليائه الذي تولى أمورهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنه لن يفعل لهم إلا ما يسعدهم ويؤمنهم ..

كيف تعرف انك ولي الله؟ لذا رضيت بكل ما يفعله الله لك، بعد أن تجعله وكيلك في كل أمورك، فحين يرضيك ربك بكل أفعاله معك فاعلم انك ولي الله، وقد تولى الله عنك عباً الأمانة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١١٣)

يعرض الحق لنا في هذه الآية ثلاثة طوائف هم الذين يقفون للإسلام منذ بدايته وحتى قيام الساعة وهم اليهود والنصارى والذين لا يعلمون كل طائفة تتهم الأخرى بأنها ليست على دين الله، ويتعجب الحق من قول اليهود والنصارى وهم يقرأون الكتاب، لقد تساوى علمهم مع الذين لا يعلمون فقد قالوا أيضاً مثل قولهم، وسوف

يحكم الله بينهم يوم القيامة في هذا الخلاف .. وقول الحق انه سيحكم بينهم يوم القيامة هذا يعني ، إن الخلاف بينهم مستمر إلى يوم القيامة ، وهذه الآية فيها بشارة للمسلمين بأنهم ليسوا من الفئة الضالة ويحذرهم الله من هذه الطوائف الثلاثة ، فلا يتدخل المسلمون فيهم ولا في خلافاتهم ولا يتأثروا بكلامهم .. وهذه الآية تؤكد صدق القرآن لليهود وللنصارى وللذين لا يعلمون ، حيث انه جاء بحقيقة ما هم فيه منذ سنين وما زالوا على خلافهم وسيظلوا على خلاف إلى يوم القيامة ، ألا يتفكرون ألا يفهمون ألا يعقلون ... الحمد لله أن جعلنا مسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾



يصف الحق من هم اشد الناس ظلما ،إنهم كفار مكة الذين منعوا رسول الله من الصلاة في المسجد الحرام ،وهذا هو سبب نزول الآية ولكن كلمة(مساجد الله) تفيد معنى كل مسجد لله في الأرض ،هناك منع صريح للناس من الصلاة في بعض المساجد في بعض البلاد ،من حكومات أو حكام ظالمين وهؤلاء من تنطبق عليهم الآية بأنهم إذا دخلوا المساجد يدخلوها خائفين ومعهم الحراس الذين يحملون السلاح ،وهذا ما نراه الآن من جميع حكام المسلمين ،نراهم في خوف دائم ولا يمشون بغير حرس ،كان عمر بن الخطاب ينام في ظل شجرة وكان يرتدي عباءة مهلهله وهو حين ذاك خليفة للمسلمين بعد أن فتحت مشارق الأرض ومغاربها للإسلام ،ولكن العدل هو أساس الملك ،وعدل عمر بن الخطاب جعله ينام وهو آمن على نفسه ..والعدل هو عكس الظلم ،وهل هناك ممن منع المسلم من أن يصلى ويشكو بأسه لله في بيت الله ،اي يمنعه من الدخول على الملك الحق والعدل ،ذلك لعلمه وان كان في الخفاء انه ظالم ،وهنا يتوعد الله هؤلاء الظالمين بان لهم في الدنيا الخزي والعار وهذا معناه رفع ستر الله لهم ،وفي الآخرة لهم عذاب عظيم ،لنرى سويا

صورة هذا العبد الذي حزنه شيء ثم ذهب إلى بيت من بيوت الله ليلقي بحزنه وألمه على أعتاب الله ويلقي بروحه بين يدي الله ويطمأن نفسه بالدخول في حنان رحمة الله فيجد شيطان ملعون يمنعه من الدخول إلى دوح الله، هل هناك احد اظلم من هذا الذي يمنع عباد الله من الدخول لله .. وهناك من الناس من يمنع عباد الله من المساجد بطريق غير مباشر، فمن الناس من نصب نفسه صاحب للمسجد يصول ويجول كأنه مسجده وليس مسجده الله، ومنهم من يتنقذ عباد الله في وضوء وفي الصلاة وفي الحجاب والنقاب والوقوف في الصفوف والزجر لعباد الله مما يكره الناس في المساجد .. أجد في وعيد الله لهؤلاء زجر حتى لا يتجرأوا على هذا رحمة بهم وبعباد الله جميعا، ولذلك يجب أن نقول الحمد لله على انه هو الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥)

هنا يتجلى الحنان والأمان من الله، حيث انه أمامك يا عبد في كل اتجاه، فكل مكان لله وهو في كل مكان فله المشرق والمغرب وهو المحيط بنا من كل الجوانب، وكأن الله يقول: يا عبدي إن منعك احد عن دخول أي مسجد فالأرض جميعها لك مسجد فولي وجهك لأي مكان واذكرني تجدني أمامك، وفي الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني) فأينما تولي وجهك تجد الله تجاهك لأنه هو الواسع بعلمه، وهو العليم بمدي وسعه يعلم بك قبل أن تعلم أنت بنفسك ويسعك برحمته بدون أماكن أو أزمنة . فلما نخاف من البشر أو من جان مادمننا مع الله في كل مكان وزمان. هل علمتم احد بهذه الرحمة وهذا الحنان، والله لا أجد إلا أن أقول الحمد لله انك أنت الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلِيلٌ﴾ (١١٦)



ما هذا الظلم، سبحانه الله وتنزه الله عن هذا الهراء في القول، لا يكون الولد إلا لمن به نقص والله هو الكمال التام لا ينقصه شيء وكل شيء من خلقه وإبداعه

هو، وله كل ما في السماوات والأرض من خلق ومخلوقات كلهم له عابدين مطيعين خاضعين لجلاله وسلطانه وهذا ما تدعوننا إليه الآية العباد والخنوع والطاعة لله، ما هذا البهتان، لقد عجبت لكثرة كذبهم على الله، وعجبت أكثر على صبره عليهم ورحمته بهم وحلمه مع كفرهم، حقا انك أنت الرؤف الرحيم (الحمد لله رب العالمين)

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧)

لكلمة (بدیع) معنیان الأول: أن الله سبحانه هو أبدع وأجمل وأروع وأحسن مما في السماوات والأرض من جمال وحسن، أي انك مهما شاهدت جمال، فجمال الله ليس له مثل (ليس كمثله شيء) (الآية) فهو المصدر لكل جمال وكل حسن في الكون، وهل يبدع الكمال والجمال إلا الحسن والبهاء ...

والمعنى الثاني: انه سبحانه هو الذي خلق السماوات والأرض بإبداع بغير مثال سابق، فهو المبدع لهم ومنشئهم من عدم فجعلهم بحق أبدع ما يكون ..

وهنا في قوله انه إذا قضى أمرا، أي صدر منه سبحانه حكم قضائي رباني في علمه لإنشاء أو خلق أي شيء فانه يتم بقوله سبحانه له كن، وهذا يعني أن مجرد وجود مشيئة الله تكفي للخلق والإبداع، ونلاحظ أن كلمة (كون) هي (كاف) و(نون) ...ك...و...ن.... لماذا اليأس وربك ينفذ أوامره بكن فيكون .. اطلب من الله كل ما تريد حتى وان كانت أسبابك لاتفي لك به فربك حين يريد يفعل لك بكن فيكون ... ولقد قرأت في الأثر أن الله يقول: اطعني عبدي أجعلك عبدا صالحا تقول للشيء كن فيكون .. هل رأيتم أرحم وأحب لكم من الله. (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨)

في أسباب نزول هذه الآية ،عن ابن عباس قال :قال رافع بن خزيمة لرسول الله ﷺ إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلنا حتي نسمع كلامه ،؟؟؟ ما هذا الغباء لو إنكم كنتم تقدرون على سماع قول الله فلما يبعث رسل إليكم ،وهذا من جهلهم ...هنا يقول الله إن الذين لا يعلمون متشابهون في أقوالهم وقلوبهم في كل زمان ،إنهم يريدون أن يكلمهم الله ويخبرهم بأنك يا محمد رسوله أو يأتي الله بمعجزة تثبت لنا انك رسوله .. إن الكفار في كل العصور قلوبهم متشابهة ومنكرة وكافرة مظلمة لا يدخلها النور ولا ترى اليقين ،ولقد بين الله آياته للقوم الموقنين ، ما هو اليقين؟ هو المعرفة بشيء ما من خلال المعاينة له بالحواس الخمسة ومضاف إليها العقل والروح ،إن مرحلة اليقين هي ما بعد الإيمان والإحسان ، فالإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكلها غيب بالنسبة لنا ولكننا نصدق دون أن نرى ،والإحسان هو زيادة في الإيمان فتعبد الله كأنك تراه، أما اليقين هو أن تعود بنفسك إلى مرحلة ما قبل الدنيا وأنت في عالم الذر أي تكون من الأبرار من صفاء النفس وخلوها من أحقاد أمراض القلوب لا غل ولا حقد ولا حسد ولا طمع فتستطيع هذه النفس أن ينعكس عليها نور بهاء الله فتعبد الله وهي تراه بروحها ،وتستشعره من حولها وهؤلاء هم أهل اليقين الذين بين الله لهم آياته فعرفوها بدون جدال ،والآيات هي معجزات الله في كونه وهي أيضا آيات كتاب الله يعرفها الموقنون ،وفي هذه الآية يحذرنا الله من الذين لا يعلمون فهم موجودين في كل زمان ،فلا نفتن بأقوالهم ونحرص علي عقيدتنا وديننا و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٩)

يبين الله لنا في هذه الآية ما هو دور الرسول فيقول سبحانه وتعالى لرسوله ونبيه محمد ﷺ إن الله أرسله بالحق ،والرسالة حق والحق هنا هو الكلام عن الله الذي هو حق ،وهو القران الذي هو كلام الحق وفي يحق الله الحق وفيه يفصل الله الحق عن الباطل والحق أيضا هي السنة المطهرة ثم يفصل الله ما دور كل ما ذكرنا

عن الحق انه بشيرا ، يبشر المؤمنين بأن حقهم محفوظ عند الله ، وإنه نذير للضالين والكافرين بأن الله حق وأنه سيعذبهم إن لم يعودوا إلى الله الحق ، لأن هذا حق الله على خلقه وهو العبادة لله وحده... وفي البشارة والنذارة رحمة من الله لعباده ليفرح المؤمن ويرتدع العاصي... وهنا كلمة (ولا تسأل) إنها رحمة من الله لرسوله حيث أن الله عفي الرسول من المسائلة عن الذين كفروا ، وأرى إنها وعيد بشدة العذاب لأصحاب الجحيم لينذرهم من هول العذاب ، في كل الأحوال أرى الحق انه يهتم بجميع خلقه من آمن منهم ومن كفر... وهذه الآية تفتح آفاق الأمل لكل الخلق فلا يأس من رحمة الله ، والا لما يهتم فيرسل إلينا المبشرين والمنذرين ولذلك أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾

هذه الآية وإن كانت موجهة لرسول الله ﷺ خاصة إلا أنني أرى أنها يجب أن تكون لنا الآن أولى من السابقين ، يقول الحق لنبيه محذرا له ، إن اليهود والنصارى لن يرضوا عنك إلا إذا اتبعت ملتهم وشرعتهم ، قل يا محمد أن هدى الله الذي هو القرآن والإسلام هو الهدي الحقيقي ، ويحذر الله نبيه من إتباع أهواء أهل الكتاب بعد العلم الذي جاءه في القرآن ، ولئن فعلت ذلك لن يكون لك من الله من ولي ولا نصير... هذا إنذار شديد اللهجة من الله لرسوله ، فكيف بنا نحن إن فعلنا ذلك ؟ كم ستكون عقوبتنا من الله ؟ ومما يحزن الآن أننا نحن المسلمون نسير على خطى كل السياسات اليهودية والنصرانية

مثال على هذا : التعامل في البنوك سياسة التعاملات المالية اليهودية ، القانون المطبق في المحاكم الآن فرنسي ، دخل الربا في التجارة الدولية ، نقلدهم في كل شيء ، في الملبس والمأكول والرقص والغناء ، تكاد الهوية الإسلامية أن تطمس . أي دولة لا تسمع أوامر أمريكا الآن توصف بالإرهاب وتحارب بفرض عقوبات

دولية لأنهم يتحكمون في جميع البنوك والأسواق، وتحارب بالجيوش العسكرية وتدمر بالأسلحة ويقتل شعوبها ومن العجيب أن الأرصادة الإسلامية تملأ البنوك اليهودية والنصرانية ومن فوائد هذه الأموال يصنعوا لنا أسلحة القمع والدمار لكل من يرفع صوته معترضاً، فيا ويلنا منهم ويا ويلنا من الله ومن هذه الآية.. هذه الآية لنا نحن وأبنائنا، ويحذرنا الله نفسه فلن يكون لك عند الله أي رصيد ليتولى أمورك أو لينصرك في أزماتك، ولن ينجيك احد من عقاب الله لك أو ينصرك عنده.. لا بد من أن نفصل حياتنا عن هؤلاء الناس والال لن نرحم وهذا تحذير من الله منذ فجر الإسلام وهو ينبهنا لهذا ونحن في غفلة، و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ﴾
﴿الْحَاسِرُونَ﴾

هذه الآية لها معنيان، الأول هو إن الذين يقرأون التوراة والإنجيل الغير محرف آياتهم يعرفون أن القرآن كتاب الله ويؤمنون به، أما من يكفر بالقرآن فهم الخاسرون،

والمعني الذي يهمني هو أن من يقرأ القرآن ويتدبر آياته ويتلوها كما انزل ويفهم ما فيه من أسرار وقواعد وتعليمات من الله سيجد أن القرآن يدخل في كل صغيرة وكبيرة من حياته وحتى بعد مماته ومن ثم يؤمن به وينفذ ما فيه.. أما من ترك القرآن والعمل به بسبب الكفر أو الإعراض والإهمال فهؤلاء هم الذين خسروا الحياة الأبدية في الجنة، وخسروا النعيم في البرزخ وقد يخسرون الحياة الدنيا وهي لا تهم، وهنا يلفتنا الله لأهمية القرآن فهو المنهج الذي يجب أن نهجه لنصل إلى الجنة(الحمد لله رب العالمين)

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الدُّعَاءَ الَّتِي تَدْعُونَ بِهَا لِقَاءَ رُسُلِهِمْ لَئِنْ تَفْعَلُوا يَكْفُرْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾

يحذر الله سبحانه بني إسرائيل من الوقوف ضد الإسلام ويذكرهم بنعمه التي أنعمها عليهم، وبأنه فضلهم على من سبق من العالمين بالكتاب والرسول والأنبياء،

أتمني أن يقرأ هذه الآية اليهود الآن ويتفهموا معناها، ولكن هيهات إنها أحلامي أنا ..

هنا يختم الحق تنبيهه وتحذيره لبني إسرائيل وتذكيره لهم بكل نعمه السابقة واللاحقة عليهم، لعلهم إن قرأوا القرآن يوما أن يؤمنوا به ما أرحمك بعبادك يارب مع علمك بعنادهم وغبائهم لا تتركهم بل تحذر وتذكرو (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣)

ما زال الحق حريص على هدايتهم ويحذرهم من يوم الحساب وارى أن هذه الآية لبني إسرائيل الآن لعلهم يعقلون وهي لنا نحن أيضا لنحذر ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه احد احد ولا يوجد ما تعادل النفوس به أخطائها ولا يشفع لهم احد ولا يجدون من ينصرهم من عذاب الله، وتفيد هذه الآية معنى ممكن أن يحدث في الدنيا، فمن الممكن أن يتعرض الإنسان لازمات لا يستطيع احد أن ينجيه منها إلا الله فلا يجد عنده من رصيد إيماني يدعو الله به فلا يجيبه الله لأنه لم يعمل لتلك اللحظة أي حساب، وكأن الله يقول لنا تزودوا بالتقرب من الله وبتقواه ليوم تحتاجونه فيه لكي يستجيب لكم

ألا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

تعليق

بدا الحق من أول الآية (40) وإلى الآية (123) يذكر ويحذر بني إسرائيل ويحذرنا منهم ويسرد قصصهم ويوضح من خلالها عنادهم وطغيانهم وكفرهم وظلمهم ويعدد نعمه عليهم ورحمته بهم، من خلال ثلاثة وثمانون آية، وهو سبحانه مرة ينذر ومرة يبشر ومرة يدعوهم للإيمان، أي حرص هذا على هؤلاء الناس، حقا انه حلیم ورؤف رحيم. وهذه الآيات أيضا ليحذر المسلمين ألا

يفعلوا ما فعلته الأمم السابقة حرصا وحبا ورحمة لعباده يستوجب قولنا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢٤)

هنا يبدأ الحق يروي لنا عن نبي الله إبراهيم، حيث أن الله اختبر إبراهيم بكلمات ليؤكد للناس صدقه أمام الناس و أمام الله وهذه الكلمات هي أوامر ونواهي من الله يقال عشرة اختبارات ويقال أربعين اختبار، مثل تحطيم الأصنام والرمي في النار والأمر بنقل زوجته وابنه إلى مكة ثم الأمر بذبح ابنه وغيرها من هذه الابتلاءات، وكأن الله من رحمته يدربه على الإمامة ليكون للناس إمامًا فطلب من الله أن يجعل كل ذريته أئمة، فقال الحق بعلمه المسبق عن بني إسرائيل وما فعلوه وذكره لنا الله في الآيات السابقة انه سبحانه لا يعطي عهده وميثاقه إلا للصالحين ولم يذكر هنا الصالحين ولكنه استثنى الظالمين من ذرية إبراهيم، ونرى هنا غباء اليهود والنصارى المعاصرين، لو أن احدهم فهم هذه الآية وان الله جعل إبراهيم إمامًا والناس يتبعوه في كل زمان ومكان، لوجدوا أنهم اتبعوا إبراهيم وكان لهم إمام ثم اتبعه المسلمون، فلو كان لهم عقل لو عوا لهذه الآية إنها من عند الله لأنها نفذت عليهم من قبل المسلمين فمنهم من تبع إبراهيم ومنهم من لم ينل عهد الله من الظالمين، قال الله لإبراهيم: إني جاعلك للناس إمامًا... لماذا؟ لأن إبراهيم كان الموحد الوحيد من البشر في مكانه وزمانه ولذلك كان بحق أمة... ومن الملاحظ أن الصلاة في الحرم المكي حين تكون جماعة يقف الإمام خلف مقام إبراهيم، وهذا ليحقق الله الآية بأنه سيجعل إبراهيم إمام للناس، ولم يحدد الحق أي ناس، فهو إمام وقدوة لكل الناس والأئمة يصلون خلف مقام إبراهيم حتى وهو ميت، ويقول الحق سبحانه (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (الآية) هذه الآية تثبت إن الإسلام هو الدين الحق وهو خاتم الرسالات، نشكرك يا رب أن جعلتنا مسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥﴾

يقول الحق انه جعل البيت الحرام الذي بمكة ملجأ وأمان ومجمع ومكان للعبادة والثواب للناس، ويأمرنا بأن نتخذ من مقام إبراهيم مكان للصلاة، وهذا لان الله قد عاهد إبراهيم وإسماعيل أنهما هما اللذان يطهرا البيت الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود، ليس من البشر فقط ولكن من جميع الأجناس (ملائكة أو جن مسلمون أو بشر أو مالا نعلم من خلق الله) مما يتطهر البيت؟ من كل ما يدينسه من أقدار وأصنام أو قتال أو حروب أو أي آثام أخرى، لان هذا مكان يحبه الله، متى بني البيت؟ ومن الذي بناه؟ ولماذا بني هذا البيت؟...أولا بني البيت قبل خلق الله لآدم وكان ذلك في شهر (ذي القعدة) حيث وضعت الملائكة القواعد للبيت الحرام بمكة وأول من حج البيت كانت الملائكة في شهر (ذي الحجة) ثم خلق آدم في شهر المحرم، ولذلك حرم الله هذه الشهور الثلاثة وأمن فيها كل خلقه على الإطلاق وليس البشر فقط وسوف أبين ذلك الذي قلته عن الأشهر الحرم في تفسير الآية التي فيها الأشهر الحرم..ثانيا: وضع البيت لعباد الله مكان للدخول تحت عرش الرحمن، حيث أن لكل شيء راس وكعب، فرأس البيت المعمور في السماء السابعة كما اخبر رسول الله ﷺ في حديث الإسراء والمعراج وكعب البيت المعمور هو الكعبة ولذلك سميت (كعبه) وفي هذا المكان لا يرد الله سائل سأل إلا أعطاه ما سأل فهو مكان للإثابة وللإجابة من الله لان هذا البيت هو أول مسجد سجد فيه إنسان على الأرض ولكي نتعرف بالله يجب أن نعلم أن الله مشاعر وأحاسيس وذكريات في أزمان وأماكن معينة يفضلها الله على غيرها بسبب أحداث حدثت في هذه الأماكن والازمان ويعطي في هذه الأماكن والأزمنة مالا يعطيه في غيرها لكرمتها عنده سبحانه وتعالى لعظمة الأحداث التي حدثت فيها، ولان الله هو الكمال والوفاء والإخلاص فنجده يدعم

في البشر هذه القيم ولو بالفرض عليهم مثل فرضه علي كل مؤمن أن يحج إلى بيت الله الحرام وهذا ما سوف أوضحه في مناسك الحج إن شاء الله و لكل هذا يستوجب الله الشكر و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

هذا الدعاء قاله إبراهيم بعد أن طهر البيت هو وابنه إسماعيل ،وكلمة (وإذ) تفيد أن الله يذكر أهل الكتاب بجدهم الذين هم على ملته بأنه كان هو من أقام البيت الحرام في مكة بعد أن هدم بسبب طوفان نوح ومرور السنين الطوال حتى أوشك التوحيد أن يفنى من الأرض ،وان الله أرسل إبراهيم لإعادة التوحيد إلى الأرض ،وهنا لمحة خفية لمن يريد أن يفهم ،هذا بيت الله الحرام وهو بيت للمسلمين إذن إبراهيم كان مسلما وهنا إشارة إلى أن الدين الحق هو التوحيد وهو ملة إبراهيم وإسماعيل ولم يكن إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا أي مائل عن الباطل إلى الحق ومسلما ،يصور لنا الحق في هذه الآية إبراهيم وهو واقف أمام البيت حيث المكان الذي فيه الدعاء مستجاب ،وهو في خشوع وتضرع إلى الله طالبا منه أن يجعل هذه المكان الذي عمر بولده إسماعيل وأمه هاجر وبعد استجابة الله له بأن يجعل الناس تأتي إليهم وأصبحت مكة بلد مأهول بالسكان هنا طلب إبراهيم من الله أن يرزق أهل هذا البلد من جميع الثمرات ويحدد إبراهيم بدعوته الذين امنوا بالله واليوم الآخر ولكن الله هنا يعلمنا أن الرزق من الله مكفول لمن آمن ومن كفر لا يمنع الله عنه الرزق ،هنا مقارنة بين موقفين حين طلب إبراهيم العهد من الله له ولذريته قال الله لا ينال عهدي الظالمين أي الكافرين فالعهد مع الله غالي أما الرزق فالله هو الغني الحميد الذي لا يمنع رزقه حتى على من كفر، ولذلك يقول لإبراهيم ومن كفر أيضا سأرزقه من الثمرات في الحياة الدنيا ثم بعد ذلك سيكون مجبر على أن يدخل النار وبئس هذا المصير له ،حيث لا إرادة حرة والأمر يومئذ لله وحده ،ينفذ الحق سياسة تكافؤ الفرص بين خلقه لأنه عدل

فهو يرزق الكل من رزق الله ثم يتركه للاختيار الحر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وما ربك بظلام للعبيد، هل رأيت احد يرزق بهذه الطريقة إلا الله ، لذلك لا تقول حين يضيق رزقك إن الله غاضب عليك ولا تقول حين يعطيك بكثرة انه راض عنك ، كلا لا هذا ولا تلك إنما الرزق كفله الله لكل خلقه ولكن بقدر حسب ما يرى رب العزة ، لحكمة يعلمها هو ، لا يمنع رزقه حتى عن الكافر والله أنت يا رب الرحمة ذاتها (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ



يبدأ الحق الآية بنفس الكلمة (وإذ) فهو مازال يذكر عباده بالماضي ليعدل لهم الحاضر والمستقبل ، هنا يذكر الله أن إبراهيم هو الذي يرفع قواعد البيت هو وابنه إسماعيل ، وهما يدعوان الله أن يتقبل منهم هذا العمل ويقولان إنك أنت السميع ، تسمع الدعاء ، والعليم تعلم إخلاصهم وصدق إيمانهم وقدر التعب الذي تعبوه في البناء ، أقام الله في الأرض بيتين شيدتهما الملائكة وهما : البيت الحرام بمكة ، والمسجد الأقصى ، وهما أول مسجدين صلى فيهما آدم ، وبمرور الزمان وتوالي الحروب وعوامل الطقس المختلفة تدمر المسجدان ، فأمر الله خليله إبراهيم ببناء المسجدين ، ومن الملاحظ أن المسجدين وضعا لزوجين هما : آدم وحواء ، وبعد كان المسجدان لزوج وامراتيه (إبراهيم ، هاجر ، سارة) ، وفي قول الحق (ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ، وهذا يدل على طبع النساء ، فالغيرة من شيمهن فكان ولا بد أن يفرق بينهن ، ولأنهن آل البيت الأطهار فقد جعل لكل منهن مسجدا تنتمي كل واحدة إليه ، ولأن السيدة هاجر عانت كثيرا وصبرت صبورا جميلا كان حقها المسجد الأول الذي بمكة الذي كما بدأ الله فيه الرسالات بآدم يختم فيه الرسالات بمحمد ﷺ ، وميقات الحج الأساسي هو يوم عرفة يوم التاسع من ذي الحجة وهو آخر شهر في السنة القمرية ، في هذا اليوم بدأ تاريخ البشرية في

الحياة الدنيا، لان عنصري الحياة التقيا فيه، وهو يوم ولد تاريخ البشر فيه، أي مولد التاريخ، ولان ادم كان عربيا، فالعربية هي أم اللغات ومن عبقرياتها في كلمة (تاريخ) عكس حروفها... خيرات.. أو خير آت..حقا هي لغة الله يوم القيامة، وأول شيء فعله آدم وحواء هي رحلة الحج من عرفة إلى منى ومزدلفة وإلى مكة حيث طافا بالبيت وصلوا فيه وتابا إلى الله، ولقد قال رسول الله ما معناه انه لن تقوم الساعة حتى تعود ارض الحجاز جنة وارفة الظلال مثل يوم نزلها آدم وحواء، إذن ارض الحجاز كانت جنة فيحاء، فيها زرع وماء وطيور وحيوانات، ثم مع مرور الزمن تحولت إلى أقحل ارض في الكرة الأرضية لحكمة يعلمها الله.....وكان الله أراد أن يعيها حتى لا يطمع احد في احتلالها مثل ما حدث في اتفاقية (سايكس بيكو) حيث قسم الإنجليز والفرنسيون الوطن العربي بينهم وتركوا الجزيرة العربية لقلة مواردها حين ذاك، ولو علموا أن الله ترك تحتها كنز لأبناء العرب ما تركوها، وهذا مثل ما فعل العبد الصالح هو وموسي حين بنيا الجدار فوق الكنز في القرية الظالم أهلها، وكان قصة موسى والخضر تتكرر في شبه الجزيرة، فلقد بني الجدار ليحجب الكنز عن القرية الظالم أهلها، وجعل ارض الحجاز قاحلة ليخفي الكنز الذي تحتها من بترول وهو طاقة آخر الزمان، وحيثيات الحكم (وكان أبوهما صالحا) وهل هناك من هم أصلح من ادم وإبراهيم وإسماعيل ومحمد آباء لهؤلاء الناس أصحاب البترول الآن ولكن دائما النار تخلف ورائها الرماد لتزروه الرياح، فهؤلاء الأنبياء خلفهم العرب الآن، ولا داعي للتعليق فحالهم مخزي ومزري، وأدعو الله أن يفقههم قبل أن يتحولوا إلى أن يصبحوا يهود موسي، أجد أن الله حين ذكر أفعال بني إسرائيل في الآيات السابقة كأنه يوجه الكلام للأمة الإسلامية الآن لأنهم في تردي في دينهم مثل بني إسرائيل، ويعتمدون على رصيد أجدادهم من الأنبياء، ونسوا نصائح الرسول ﷺ لآل بيته حين ذكرهم بأن اعملوا آل محمد فإني لا اغني عنكم من الله شيء، فمن لم يعجل به عمله فلن ينفعه نسبه...وما أراه الآن يحزن حيث تحولت العلاقة بالله ما هي

إلا طقوس جامدة خالية من الأحاسيس الروحانية الراقية التي يحبها الله، ومعظم من حافظ على العبادات الآن لا يفعل ذلك إلا للطمع في أن يحييه الله حياة طيبة ويدخله الجنة، بمعنى الرغبة في المكافئة والمكسب من الله، أو يفعل ذلك خوفا من العقاب من الله وخوفا من جهنم.... لم يرفض الله هذه العبادة وهي عبادة التجار بمعنى خذ وهات والأخرى عبادة العبيد، إن لم يخف لم يعمل، ولكن لو لم يخلق الله الجنة والنار ولم يكن هناك ثواب وعقاب لم يكن الله أحق بالعبادة، انه أحق بالعبادة لذاته هو ولكماله وصفاته جماله وعظمة جلاله، إن الله يحب الأحاسيس الرقيقة والسلوك النبيل وكما قال النبي ﷺ: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨)

توضح الآية معنى الإسلام في قول الحق على لسان إبراهيم وإسماعيل: ربنا واجعلنا مسلمين لك.... ومعنى الإسلام هو التسليم التام لله، ودعا إبراهيم وإسماعيل لذريتهم أيضا أن يكونوا مسلمين لله وطلب النبيان من الله أن يعلمهم وذريتهما كيفية عبادته سبحانه وتعالى وطلبا أن يتوب عليهم مما لا يرضيه أي يعفو عنهم، ذكر النبيان الله بإسمين وهما التواب والرحيم، وهذا يفيد أن الله إذا رأى من العبد رغبة في التوبة ولكن العبد لا يستطيع أن يقدر على نفسه لضعف إرادته مثلا تولى الله عنه ذلك وتاب عليه ومنع الله برحمته هذا العبد من الخطأ وكلمة غلبته نفسه ولا مهاباة ولم يصر على المعصية تاب الله عليه مرات ومرات ذلك لأنه هو الرحيم، واستجاب الله لهما، هل ترى في العالم كله أمة تقيم شعائرها بإنضباط وفي مواعيدها وفي تزايد إلا المسلمين في كل عام ملايين الناس يذهبون إلى الحج لم يفرغ المسجد الحرام في أي عام من الحجاج وعلي مدار العام من العمار هذه هي دعوة الأنبياء لا يرددها الله أبدا، هذه الآية تعرفنا نحن المسلمون أن ديننا هو الحق

وان عبادتنا هي من عند الله ويجب أن ننميها في قلوب أبنائنا وندعوا الله مثل ما دعي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهذه الآية يتضح فيها حب الله لأنبيائه وللمسلمين ولجميع خلقه لأنه هو التواب الرحيم ولذلك يجب أن نشكر الله على نعمة الإسلام أولاً ودائماً نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٣)

ما زال النبيان يطلبنا من الله ما يؤمن مستقبل أولادهم وأحفادهم من المسلمين هؤلاء هم الآباء بحق الذين يحرصون على أجيالهم القادمة، دعوة إبراهيم وإسماعيل هي إرسال الله لمحمد ﷺ لهذه الأمة، وإنزال القرآن عليه ليقراه ويعلم الأمة القرآن والحكمة وهي السنة النبوية المشرفة وأيضاً ما في القرآن من أحكام وحكمة، ولقد استجاب الله لهما وتم لهما كل ما طلبوه، ها هو محمد ﷺ قد جاء، وهذا هو القرآن قد نزل، وها هو محمد ﷺ يتلو آياته ويعلمنا الكتاب والسنة والحكمة، وها هم صحابة الرسول ﷺ سيرتهم الذكية والطاهرة زكاهم الرسول وكان لنا مثال يحتذي فنحن نفعل مثله كل شيء حتى نكون من الأطهار وهذا معنى (ويزكيهم) فمازلت تلك الدعوة قائمة ويبعث الله على رأس كل قرن من يجدد سنة الرسول ﷺ ويعلمنا الكتاب وما يستجد فيه من معاني لهذا الزمن مع ما فيه من تقدم وتغير وهذا كله لأن الله عزيز بحكمة، يعني تظهر حكمته في الحياة بعزة، ويعزز على خلقه بحكمة، فهو يظهر معاني آياته والحكمة منها مع كل جيل بما تنفعا هذه الآيات، وهذا اهتمام شديد من الله بخلقته وهو لا يستفيد منا بشيء، كل ما يطلبه منا هو أن نحبه ونحمده، لاشيء سوى المشاعر الطيبة فقط فهل هذا كثير على صاحب تلك النعم علينا أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣)

يقول رب العزة في هذه الآية :إنه لا احد يعرض وينصرف عن ملة ودين وشريعة إبراهيم إلا من امتهن نفسه وأهانها واستخف بها وأهلكها لأنني اخترته لرسالتي في الدنيا وهو من الصالحين في الآخرة ، أحيا الله التوحيد ببعثة إبراهيم ، بعد أن ضل البشر وعبدوا ما دون الله من أصنام وملوك وفراعين وحيوانات ، إن الله حين خلق البشر نفخ فيهم من روحه وهذه الروح التي في أجسامنا تعرف أن لها اصل تحن إليه ومعبود وجدت لتعبده ولكن الجسد الترابي لأنه كثيف ورغباته شديدة يطمس على الروح فلا تجيد التمييز لأنها مقترنة به ، ولنضرب لهذا مثلا والله المثل الأعلى .. أليست الزوجة تزين لزوجها آرائها وتستخدم كل أساليب الإغراء والإقناع لتنفيذ ما تريد وهي قرينته في البيت وليست بداخله فما بالك بالنفس التي تتغلغل في الروح والجسد ... (معلومة) النفس هي نتاج امتزاج الروح مع الجسد ، فهذا المزيج له مواصفات مختلفة عن عنصره ، فهي مركب له خصائصه المختلفة عن خصائص عنصريه ، فالماء مثلا مكون من غازين هما الاوكسيجين والهيدروجين ولكل منهما خواصه المختلفة عن الآخر وحين تفاعلا مع بعضهما أنتجا الماء الذي يختلف في خصائصه عن كل منهما ، وهكذا النفس ولذلك تجدها تأخذ من الروح أن لها رب تعبده ، وتأخذ من الجسد سؤاله عن مادة هذا المعبود ، لان الجسد مادة لا يهيمه إلا ما يشبهه فدائما يبحث عن مادة ليعبدها ليسكت إلحاح الروح عليه في طلبها لمعبودها التي هي منه ، ولقد عرفت هذه المعلومة من قول الحق : وإذا النفوس زوجت .. (الآية)

أي تزوجت الروح بالجسد في البعث يوم القيامة من القبور، إن الموت مرحلة من مراحل الحياة لابد أن يمر بها الإنسان لتكتمل دورة حياته ، والإنسان يكون في أتم صورة له بعد أن يدخل الجنة وليس قبلها لأنه في الجنة لا يمرض ولا يشيخ ولا يموت ، فجسده أصبح ديمومي مثل روحه ، ومن الخطأ أن نضيع أنفسنا هذه التي تدوم بأن نترك ملة إبراهيم التي ستوصلنا إلى هذا الخلود ...

أما رحمة الله فلا حد لها تتضح في كل شيء وابرز شيء في هذه الآية هو إرساله لرسله ورسالاته للناس وتنبهه علي إتباع الشرع الذي لا يتغير وهو الحنفية السمحاء وهي الإسلام دين إبراهيم (عليه السلام) واقل ما يقال لله علي اهتمامه بهدايتنا (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣)

يوضح هنا الحق لماذا شريعة إبراهيم هي الحق من عند الله وما هي ملة إبراهيم؟

إنها الإسلام هذا هو دين إبراهيم ،لقد أمره الله بقوله أسلم ،فقال أسلمت كلمة من الله وإجابة فورية من إبراهيم بالتسليم لله رب العالمين ، إذن لن يقبل الله من الناس إلا التسليم التام له والاعتراف بالعجز أمام الله عن التكليف والتنازل عن حمل أمانة الاختيار ،واستخدم الله هنا كلمة (ربه) ثم كلمة (رب العالمين) ليوضح صفة الربوبية الخاصة بالله وحده والهيمنة لله وحده على كل العوالم المختلفة الأنواع على إطلاق المعنى ،مثل عالم الجن وعالم الحيوان وعالم الملائكة وعالم السماوات وما لا نعلم من العوالم الأخرى ... ولقد إختص الله إبراهيم بهذا لأنه أبو الأنبياء والدين عند الله هو الإسلام لله وحده في كل عمل نقوم به ،أي أن علي كل مسلم أن يضرب في الأرض وكله يقين بأن الله هو الفاعل لكل شيء وأن الله لن يخذله أبدا وهذا هو معني التوكل علي الله بحق

وكون إبراهيم كان مسلم فمن لم يسلم لله رب العالمين فقد هلك في الجحيم ، ونحمد الله أن جعلنا مسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

بماذا وصي إبراهيم بنيه؟

بالكلمة التي قالها الله له (أسلم) فأسلم بهذه الكلمة إبراهيم ثم وصي بها أولاده، قائلاً لهم إن الله إختار لكم أعظم واصفي وانقي دين وهو التسليم لله (الإسلام)، هذه الآية تحوي مشهدين الأول وإبراهيم يوصي أبنائه إسماعيل وإسحاق، وحفيده يعقوب بأن يتمسكوا بالإسلام حتى الموت، فيموتوا وهم مسلمين لله .

والمشهد الثاني حين وصي يعقوب أولاده الأثني عشر ولد بأن يكونوا مسلمين.

وكلمة (اصطفي) تعني أن الإسلام هو أعظم دين، وهو صفاء النفوس إلا من الله والنفس الصافية هي الخالية من الغل والحقد والحسد ولا يملأها إلا حب الله، ومعناها أن الله لخص لكم وجودكم في الدنيا في أن تدينون له بتسليم أمانة التكليف والإرادة الحرة إلى الله، أي الخروج من حولكم وقوتكم إلى حول الله وقوته، هذه وصية أنبياء الله لأبنائهم ولنا نقلها الله لنا في هذه الآية محبة لخلقه ورحمة بهم وحرص علي هداهم، وهل تري أعظم من الإسلام نعمة، نشكرك يا رب أن جعلتنا مسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣)

هنا يكتب الله شهادة الحق بأن الإسلام هو دين جميع الأنبياء، ليس هناك دين آخر... يصور لنا الله مشهد رائع وهو ينفي عن يهود المدينة ويهود هذه الأيام أن يكونوا قد رأوا هذا المشهد...

هذا يعقوب ممدد في فراشه ومن الواضح في المشهد انه فراش فخم لأن يوسف في هذا الوقت كان رئيس وزراء مصر وها هم أبناء يعقوب الأثني عشر ملتفون حول فراش أبيهم المحتضر وهذا يعقوب يقول في صوت واهن ضعيف متسائلاً ومعلماً: يا بني ماذا تعبدون من بعدي ؟

ألاحظ نفس أسلوب اللجاجة التي تميز اليهود يعددوا في قولهم كلمة إلهك عدة مرات ثم يذكروا كلمة التوحيد وكأن يعقوب يؤكد عليهم تعليماته فيردون بملل قائلين: نعبد إلهك الذي عبدت أنت وآبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهو الله الواحد، ونحن له مسلمون، وأري حرص نبي الله يعقوب علي أن يكون أولاده مسلمين...

نجد في ترتيب قول أبناء يعقوب نعبد إلهك وإله آباءك، إنهم بدأوا بإبراهيم وهو جد يعقوب ثم إسماعيل وهو عم يعقوب ثم إسحاق وهو أبو يعقوب وهذا ترتيب تنازلي في السن، فالجد إبراهيم، والعم إسماعيل أكبر من إسحاق وهنا درس مهم يجب أن نتعلمه وهو الاحترام التام للآباء والأعمام والأجداد، وهذه الآية تعرفنا أن البشرية الآن كلها لها في ذمة المسلمين صلة رحم واجبة على كل المسلمين وتصل هذه الرحم إلى آدم فيجب علينا نحن المسلمون أن نتواصل مع كل البشر لأننا آخر أحفاد آدم، وهذا ما حدث حين شرع الله لنا فريضة الحج، فهي فريضة صلة الرحم لآدم وأولاده، وسوف أوضح ذلك حين أبين معني شعائر الحج.. اختصنا الله بالدين الحق وفضلنا علي كل الأمم وجعلنا أمة وسطا لماذا؟ أليس هذا حبا من الله لنا ويجب أن نبادله حبا بحب وطاعة وعبادة وأقل ما يقال له (الحمد لله رب العالمين)

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتُكُونُ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٤)

هذه الآية رحمة من الله لأمة محمد وليهود المدينة، فهذه الأمم السابقة من لدن آدم إلى آخر أنبياء بني إسرائيل، قد كان لها شريعتها التي تناسب زمانها والآن قد جاء محمد حاملا آخر رسالات السماء واليهود يعلمون ذلك والدليل علي ذلك أنهم إستوطنوا المدينة واشتروا من أراضيها وعاشوا في انتظار المهاجر العظيم الذي يحمل الرسالة الأخيرة، والآن يجب أيها المسلمون ويا أهل الكتاب أن تتركوا ما مضي من سنن الأولين فلن يسألكم الله عنها، واتبعوا ما جاءكم به الله مع محمد فهذا ما سوف يسألكم الله ويحاسبكم عليه... وهذا من فضل الله علي بني إسرائيل فهو لن يحاسبهم

مثلا علي عبادة آبائهم للعجل ،وكأن الله فتح لنا ملف جديد نحن البشر ندون عقاب على تاريخ أجدادنا وهذا لأننا في آخر الزمان وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ،ومن الملاحظ أن الدنيا قد تقدمت الحضارة والرقي في القرن الماضي وقد بدأت الأرض تأخذ الشكل الذي كان يعيش فيه آدم وحواء في الجنة الأرضية التي اسكنهم الله فيها ،ومن حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه ما معناه أن الزمان قد عاد كيوم خلق الله السماوات والأرض ،العام اثني عشر شهر والشهر ثلاثون يوم وهكذا.... إذن المكان عاد شبيه بالكيفية التي خلقه الله عليها والزمان عاد أيضا كأول ما خلقه الله كذلك ذنوب السابقين من أجدادنا من لدن آدم أيضا تمحى من علينا لأننا في نهاية الزمان وهذا هو معنى الآية وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا لان العمر قصير والباقي من الزمان قليل وهذا من شيم الملك العفو الغفور ،لقد فضلنا على من سبق من العالمين وعافانا من ذنوب السابقين ،سيقول احدهم وهل نحن نعاقب على ما فعله آبائنا ؟.. نعم ..والدليل على ذلك انك لم تأكل من الشجرة المحرمة ولكنك نزلت من الجنة مثل أبيك ادم ،وقس على ذلك كل أخطاء الأجداد والآباء وذلك من قول الحق (وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعاف خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً)(الآية) هذه الآية تهديد لمن له أولاد ويخاف عليهم أن يتقي الله حتى لا يحمل الأولاد ذنب الآباء

نعود للآية الرائعة حيث لن يسألنا الله عن الأمم السابقة ولن يحاسبنا على أخطائهم ولكن حسابنا يبدأ من أول امة محمد ﷺ وهذا من فضل الله ورحمته بنا ويجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

وقال أهل الكتاب للمسلمين كونوا يهود أو نصارى حتى تهتدوا ،اعتراضهم علي التسمية والتشريع الذي محوه من كتبهم ،ويريدون أن يكون محمد ﷺ

مثلهم، ولكن الله يلقي نبيه الحق، فيقول: قل لهم بل أنا على ملة إبراهيم المائل عن الباطل إلى الحق والموحد بالله ولم يكن إبراهيم من المشركين، وهذه إشارة من الله إلى ما وصل إليه اليهود والنصارى من شرك، إن أبناء يعقوب الذين هم أجداد اليهود والنصارى قالوا لأبيهم يعقوب وهو يحتضر ويسألهم ماذا يعبدون من بعده، أقروا لأبيهم بأنهم على ملة إبراهيم حنفاء ومسلمين، مازال الله على اهتمامه بكل البشر من يهود ونصارى ومشركين ومسلمين، يوجه ويحذر ويفهم ويبين بالدليل على أنه الواحد الأحد وعلى أن إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، فهذه ملل جاءت من بعده على يد موسى وعيسى، هذه الآية دعوة من الله إلى الناس جميعا أن يوحدوا الله ويتعدوا عن الباطل مثل إبراهيم، وهذا حب ورحمة من الله للعالمين ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣١)

يكمل لنا الحق المنهج الذي يجب أن نتبعه ، فيجب حتى نكون مسلمين أن نؤمن بالله وبما انزل إلينا من القرآن وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، هنا ملاحظة مهمة : يقول الحق عن القرآن وعن ملة إبراهيم كلمة (ما انزل) ثم يقول عن باقي الأنبياء (ما أوتي) وهذه إشارة إلى أن كل الأنبياء رسالاتهم خاصة بزمئهم وبقومهم فقط لا يتعدون أممهم ، إلا إبراهيم وأولاده حتى نبي الله يوسف وإخوته ، ثم محمد ﷺ هذا هو الدين المنزل من الله للعالمين وهو الإسلام ... أما باقي الأنبياء فيجب أن نؤمن بما آتاهم الله من كتب ونؤمن أنهم أنبياء الله ولا نفرق بين أحد منهم ، وهذا تسليم منا لله رب العالمين ، يعلمنا الله كيف التعامل مع الآخر ، فالآخر هذا هو أخي لآدم ولا يجب أن أقطع رحمي فيه حتى أفوز برحمة الله ، لقد انتشر الإسلام في أوله بمعاملة المسلمين للناس بالأخلاق الحسنة وبالعدل والرحمة والأمانة والصدق مما حجب الناس في هذا

الدين الذي يجعل أهله صالحين و يجب أن نكون مؤمنين بأن أصحاب الكتب الأخرى معذورين و يجب أن نؤمن بكتبهم و نتعامل معهم بالإقناع بالحسنى حتى لا يخسروا أنفسهم ولا يتبعوا الإسلام ، وهذا ما يريد الله منا في هذه الآية ، حرص ورحمة منك يا رب على العالمين (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧)

هذا الخطاب موجه من الله لكل مسلم من أول محمد ﷺ إلى آخر مسلم في الأرض ، يقول لنا الحق بلغوهم ما انزل إليكم فإن آمنوا بالقرآن فقد اهتدوا ، فإن تركوه وتولوا عنكم ، أو تحكموا فيكم بسلطة أو مال أو غير ذلك ، فإنهم في خلاف وعداوة لكم وفيما بينهم ، فلا تقلق فالله سيكفيك شرهم أو المعني يكون بلغ أنت أيها المسلم دينك للناس والله هو الذي يجعلهم يؤمنون به أو يتركهم دون هداية ، على حسب حكمته ، وهو السميع الذي يسمع من بلغ ومن لم يبلغ ، وهو العليم بمن يستحق الهداية من خلقه ممن لا يستحقها ، ولذلك قال عن ذاته عز وجل (وهو السميع العليم) لهذه الرحمة يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴾ (١٣٨)

يصف الحق طبيعة الناس التي فطرهم عليها بالأصباغ التي تلون خيوط النسيج فتمتزج مع الخيوط مكونة نسيج متماثل في تكوينه وشكله ، ومن المتعارف عليه في علم الوراثة ، أن الجينات الوراثية تسمى عند العلماء أصباغ أي أطباع وألوان وصفات وراثية مثل لون البشرة ، وطول القامة ، ولون الشعر والعينان ومنها أيضا الأخلاق مثل الصدق والذكاء والأمانة ، وهل هناك من هو أعظم من الله في طريقة خلقه وإبداعه في تكوين مخلوقاته ورسم صورهم وتلوينهم ، ومن أعظم الأصباغ في الروح صفة العبودية والحب لله ، ولذلك قال أحد العارفين بالله : عجبت لمن خرج من الدنيا ولم يذق أحلى ما فيها ، فسؤل ما هو ؟ قال حب الله ... فمن تمتع من

الله بإظهار هذه الصبغة في كيانه فقد فاز فوزا عظيما، وهي أعظم منحة من الله لعباده، ويعلمنا الحق أن نخاطبه بقولنا إننا له عابدون محبون، لأن قمة الحب هي العبادة، وهو يريدنا أن نحبه، وهل هناك من يستحق الحب غيرك يا الله وهل هناك من هو أحسن منك يا أجمل من الجمال، ويا أكمل من الكمال، ويا أروع من أي خيال، يا من ليس له مثال، والله أحبك يا الله وتقول رابعة العدوية :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثا.... وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجلوس مؤانسا.... وحبیب قلبي للفؤاد أنيسي

و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (١٣٩)

هنا يعلمنا الله كيف نتكلم مع من يجادلنا في الله من أهل الكتاب من يهود ونصارى الماضي والحاضر، فيقول: قل لهم أتجادلوننا في الله تريدون أن تفرضوا عليه سبحانه أن لا يأتي برسول إلا منكم؟! إنه هو ربنا وربكم، شئتم أم أبيتم، فلن يظلمنا الله أبدا فلنا أعمالنا ولكم أعمالكم، وهو الذي يقيم تلك الأعمال، ولكننا له مخلصون، والإخلاص سر لا يعلمه إلا الله فقط، مهما كانت الأعمال صالحة ولكن ليس في النية الإخلاص لله في هذه الأعمال فهي مردودة على صاحبها.. لان الله لا يقبل أي عمل ويكافيء عليه إلا من المخلصين، هكذا الله دائما يلقي عباده المخلصين حجتهم في الدنيا والآخرة، لا يتركهم دائما معهم نعم أنت الرحمن الرحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا بِرَهِيمٍ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠)

يسخر الحق من أهل الكتاب قائلًا: هل تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والأسباط كانوا يهود أو نصارى؟!!! قل يا محمد وقل يا كل مسلم لهم: هل أنتم أعلم أم الله؟!!! يا ويلكم من كتمان الشهادة، والنطق بالحق الذي آتاه الله من عنده، فهذا القول باطل، لأن اليهودية جاءت مع موسى والنصرانية جاءت مع عيسى وهذان النبيان من أحفاد أحفاد الأسباط، فكيف ينسبون لإبراهيم ما جاء من بعده بقرون عديدة، ويحذرهم الله نفسه بأنه لا يغفل عن أعمالهم الخبيثة، وليس عنده ذنب أكبر من كتم شهادة الحق وخاصة فيما يتعلق برسل الله ورسالاته، وهذا التفريع يفيد في مجمله أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا هودا أو نصارى ولكنهم كانوا مسلمين وهنا يكشف الله أنهم يعلمون هذه الحقيقة ويكتمونها عن المسلمين، هذه الآية تثبت أن اليهود والنصارى سيظلون في جدال عن الإسلام إلى آخر الزمان ويجب أن ينتهوا ويجب أن نحذرهم، وهنا أيضا تنبيه من الله لأهل الكتاب لعلهم يعرفون أنفسهم فيتقوا الله، وهذا حرص من الله على العالمين... (الحمد لله رب العالمين)

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ



هذه الآية دعوة مفتوحة لكل المسلمين للبحث والتجديد حتى في معاني القرآن والأحاديث النبوية، ولا نقف بديننا متحجرين عند ما أخرجه السلف من فقه وعلم شرعي، ابتعد عن عقيدة التوحيد وابتحث بعدها في كل شيء ولكن على علم ودراسة، ومن عجائب القرآن أنه وإن يتكرر فيه بعض الآيات إلا إن تغير مواقعها يعطيها معاني مختلفة، مثل هذه الآية لها مثل في نفس كلماتها في الآية رقم (134) من هذه السورة (البقرة) ولكن اختلاف مواقع الآيتين يجعل معناهما مختلف، فالأولى كانت تبرئة لأمة محمد ﷺ ولأهل الكتاب من شريعة السلف من الأنبياء ومن ذنوب الآباء أيضا، ولكن هنا معناها فتح مجال للأمة الوسط وهي

أمة الإسلام لتسود على كل الأمم ،بالعلم والفقه المتحضر المتطور مع كل عصر لا يقف عند زمن خروجه ولكن الشريعة الإسلامية مرنة ولاتقة لكل زمن ،وها أنا أقولها هبوا يا علماء الإسلام مجدددين ومطورين وباحثين في الكتاب والسنة الصحيحة لتخرجوا منهما ما يناسب عصر نهاية العالم وخريف الدنيا ،ودعوا ما كان لعصر الجمل والسيف واستخرجوا من سنن الله في كونه وقرآنه والمناسك الثابتة عن رسول الله ما يناسب عصرنا الآن ،وضعوا قاعدة في بحثكم ،وهي إن الله يريد سلامة النفوس قبل إقامة الطقوس) ،وهذه الآية يقول الحق أنه لن يسألنا عن أعمال الأمم السابقة ولكن سيسألنا أين أعمالنا وعقولنا نحن ،وهذا معناه أن الله يعطي للبشر فسحة لإعمال العقل في الفقه وحرية مشروطة بالتوحيد وثوابت الشريعة والقرآن ،وهذا من رحمة الله لعلمه بأن الإنسان صاحب أغيار ويحب الحرية ،وهذا حب من الله لخلقه أن يرحم ضعفهم ورغباتهم ولذلك يجب (الحمد لله رب العالمين)

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٤٢)

هذه الآية نزلت في تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بمكة ،ولكنني أجدها تكملة لما أوضحت في الآية السابقة ،فحين يخرج أحد العلماء مجددا ومحولا لبعض ما تعارف عليه في الماضي من فقه الفقهاء سيخرج السفهاء من الناس (كل الناس مسلم وغير مسلم) ليقولون ما الذي جعلهم يغيرون في وجهتهم ..والقبلة هنا معناها الوجهة والقصد والاتجاه ،وأخذت هذا المعنى من قول الحق (لله المشرق والمغرب) أي أن أي اتجاه في فهم الدين مادام فيه ثبات على التوحيد والقرآن وثوابت السنة فالله صاحب كل الاتجاهات المادية مثل مشرق الشمس ومغربها ، أو الاتجاهات المعنوية الخاصة بالسياسات الدنيوية مثل الشرق الشيوعي والغرب الرأس مالي ،والدليل علي كلامي هذا هو قول الحق (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ..فإما أن يكون هذا الصراط طريق مادي أو يكون طريق الاستقامة الدينية

والنفسية، لم يفرط الله في شيء، تكلم في القرآن عن الرأي الصحيح والرأي المعاكس له، وذلك ليبطل حجة من له حجة، لم يترك الله شيء للصدفة فهو يهتم بكل شيء، ولذلك من قصد وجه الله في بحثه وتطويره للفهم عن الله عز وجل، يهديه الله إلى الصراط المستقيم الذي يصل به إلى علم ينفع الناس ويرضي الله، هذا هو الله الحق العليم بخلقه الرحيم بهم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَانَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٣)

إن حدث تغيير القبلة شيء مادي حدث في عهد الرسول ﷺ، فبما ذا تنفعنا هذه الآية الآن؟.. في هذه الآية يقول الحق لنا كمسلمين أنه جعلنا أمة وسط، والوسطية هنا في كل شيء،

- 1- وسط في الاعتدال لا تفريط ولا إفراط.. فسلوكنا معتدل لا تطرف فيه ..
- 2- وسط في الموقع الجغرافي فالإسلام وجد في منطقة الشرق الأوسط يعني في وسط العالم وكأنه قلب العالم النابض، وهو لا شرقي ولا غربي وهذا يتيح للمسلمين فرصة ملاحظة العالم كله، ومعرفة سلوكه واتجاهاته .
- 3- وسط باحتياج الناس لنا بسبب البترول ومصادر الطاقة، فلنا تداخل في كثير من دول العالم، مما يجعلنا نعرف عنهم كل شيء ...
- 4- وسط لم تفرض الإسلام على احد ويوجد بيننا كثير من النصارى واليهود، ويعيشون مع المسلمين في تفاهم ..
- 5- يبعثنا يوم القيامة في وسط الناس مؤمنين بالقرآن وبأن كل نبي بلغ عن ربه ونشهد بهذا أمام الله والأمم الأخرى ...

6- وسط فلسنا ماديين مثل اليهود لا يهتمهم إلا المال والربح بكل وسائل الكسب المشروع وغير المشروع مثل الربا والقمار وبيع الخمر والسلاح وغيره مما لا يرضي الله، ولا روحانيين متخاذلين ومشركين مثل النصارى ..

7- وسط الناس في ظلام يوم القيامة، لتضيء أجسادنا المنيرة من اثر الضوء لباقي الخلق، ونكون في وسطهم (ترى المؤمنين يسعى نورهم)(الآية)

8- وسط في شهادتنا على الناس يوم القيامة بسبب ما ذكرت من عوامل ..

وسيشهد علينا رسول الله ﷺ هل أطعنا الله ورسوله أم لا .. وحدث تغير القبلة جعله الله ليعلم من سيتبع الرسول ممن يترك سنته ﷺ ، ولذلك من أراد البحث في الدين فلا بد من مصدرين أساسيين للبحث هما:

1- القرآن .

2- السنة المحمدية ..

ثم مصادر احتياطية هي :

1- الخلفاء الراشدين .

2- الصحابة الصادقين .

3- العلماء الأول والمحدثين .

وكلا يؤخذ منه ويرد إلا (القرآن) لا جدال مع ثوابته في الأوامر والنواهي ، ويقول الحق إن هذا التغير سيكون كبير على نفوس الناس إلا من هدي الله ، وليس معني هذا أن الله يريد أن يضيع إيمانكم أو يغرر بكم إنما هي رحمته ورأفته بالناس ، فما كان ينفع في وقت الرسول لا ينفع الآن ، مثال : ليس من المعقول أن اركب الآن جمل لأسافر به للحج فالآن هناك السيارات والطائرات لن احمل الماء من النهر ، والماء في الصنبور ، تغيرت الأشياء ، فلن أفدّم زكاة المال صاع من الشعير

أو نواة من ذهب بل الآن هناك النقد الورقي (الفلوس) ويوجد أيضا (الفيزا كارت) وهكذا مما حدث من تطور للمعيشة وفتح الله لنا مجال التطور مع الزمن من رحمته بنا ، ولو كانت مخالفة الرسول في أن نركب سيارة بدل الجمل خطيئة لجمد الإسلام وضاع المسلمون ، وفي كل تجديد في الإسلام تحدث جلبة تشبه ما حدث حين حولت القبلة ، فدائما ما يجد الشيطان وسيلة جديدة ليجادل ويلقي الشك في قلوب ضعاف النفوس ولذلك كان حدث تغير القبلة تعليم من الله أن الدين سهل ومرن وليس متجمد ، لم يكن من الممكن أن يجعل الله القبلة من الأول إلى البيت الحرام بمكة وتنتهي المسألة، ولكنه فعل هذا لعدة أسباب :

1- ليعرف أهل الكتاب أن الإسلام هو دين إبراهيم وهما هو محمد يتجه في صلاته إلى بيت المقدس ..

2- ليمحص المسلمين ويعلمهم طاعة الله و الرسول.

3- تدريب للمسلمين على قبول التغير الذي سيحدث في الأرض مع مرور الزمن .

4- وإشارة من الله للمسلمين أنهم سيفتحون بيت المقدس .

5- إن الأرض كلها مسلمة لله ، ولو بحثنا لوجدنا كثير من حكم الله التي لا تحصى حول تغير القبلة ، وكل هذا حب واهتمام من الله بخلقه

(معلومة) كلمة قبلة : معناها وجهه ، ولكن لو فتحت التاء المربوطة لقُرئت (قبلت) بمعنى الموافقة ، على ماذا؟... علي كل ما أمر الله به ، وكلمة (قبلة) في الصلاة توحى بالحب لله ، وحب الله لنا ، والله على رحمته بنا الشكر (الحمد لله رب العالمين)

﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّتَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

هذه الآية يظهر فيها كم الحنان و الحب الإلهي لرسول الله ﷺ، فيقول الرحمن بحنان على رسوله: نحن نرى وجهك حائراً حين تنظر إلى السماء، وكأن الله يصور لنا مشهد لرسوله وهو قائم يصلي فقد كان وهو في مكة يصلي وقبلته بيت المقدس ولكنه كان يصلي في الكعبة ويجعل الكعبة أمامه حين يتجه للقدس، أي أنه كان بمكة يجمع بين القبليتين في وقت واحد فكان هذا يرضي نفسه، ولما هاجر للمدينة أصبحت الكعبة خلفه حين يتجه للقدس في الصلاة، فكان كلما قام للصلاة أصابه الحنين إلى الكعبة والصلاة فيها، ويظهر هنا حنان الرحمن علي عبده ورسوله فيلبي له رغبته في الاتجاه الذي يحبه وهو الاتجاه إلى وطنه وأحب أرض الله إليه وهي مكة... وبما أن محمد ﷺ هو حبيب الله وشعر الله بحنين حبيبه للكعبة، أصدر الأمر بالتوجه إلى الكعبة في الصلاة لأنها كانت أمنية الرسول ولو لم يصرح بها ولأنها أيضاً من أحب البقاع في الأرض إلى الله لأنها كعب البيت المعمور الذي في السماء السابعة وهي أول بيت عبد فيه الله في الأرض ولأنها أول مكان يتم فيه مناسك الحج ولأنها مكان اتجاه أهل الجنة من أصحاب اليمين إلى الجنة (وسأذكر هذا في مناسك الحج إن شاء الله)

ويقول الحق إن أهل الكتاب يعلمون أن الكعبة هي قبله آدم وإبراهيم وكل الأنبياء، ولكنهم وجدوها مادة لبلبله الفكر وهز العقيدة في قلوب ضعاف الإيمان وحين أمر الله الرسول والمسلمين بأن يتوجهوا للكعبة في الصلاة حيث ما كانوا، بدأ أهل الكتاب في إشاعة الشك وغضبوا من هذا التحول، فهذا معناه نسخ شريعتهم وإتباع شريعة الإسلام، ويحذرهم الله نفسه بأنه ليس بغافل عن أعمالهم وانه لن يتركهم لزعة الإيمان في قلوب الناس...

بماذا تفيدنا هذه الآية الآن ؟

ذكرت أن المعني المقصود بتغيير القبلة في عصرنا الحالي هو معني معنوي وليس اتجاه مادي، فكان الله يوجهنا إلى البحث في القرآن لاستخراج ما يلزمنا في عصر الانترنت من أحكام وقوانين وسلوك يتناسب مع الزمن، ومن الثابت أن آدم

وحواء عاشوا في الجنة الأرضية التي تشبه إلى حد كبير ارقى البلاد حضارة وتكنولوجيا ولكن بدون سليات البشر الضارة بالبيئة لان هذه الجنة من صنع الله، بمعنى أن الحضارة الحالية ليست جديدة على الإنسان ولكنها اقل طبعاً من الحضارة التي أنشأها الله لآدم وحواء ولذلك أقول إن انصب تشريع للبشر لن يخرج إلا من القرآن الذي هو كتاب أول وآخر الزمان، فيجب أن يبحث العلماء في كتاب الله ولكنهم لن ينجحوا في استخراج الأحكام اللاتقة لعصرنا إلا إذا اخلصوا النية لله ولم يبعوا من وراء ذلك إلا وجه الله، ومن رحمة الله بنا كبشر انه كتب لنا في القرآن كل شيء (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

يكشف الحق في هذه الآية عن حقيقة مؤلمة ألا وهي عناد أهل الكتاب وغبائهم، فيقول لنبى محمد ﷺ ولكل مسلم باحث في دين الله: مهما بينت وقدمت من وإثباتات ومعجزات لأهل الكتاب عن صدقك، فلن يتجهوا اتجاهك أو يتبعوا قبلك... وللقبلة هنا معنيان معني سابق وهو الكعبة، ومعني حالي وهو الدين، وهذا هو ما يهنا الآن من الآية، يتمسك اليهود والنصارى بشرعهم المنسوخ بشريعة الإسلام، ومهما قال النبي أو علماء وفقهاء الأمة فلن يقتنعوا بهذا، ومن فوائد تحويل القبلة، أن الإسلام ليس بجامد ومتحجر إنما هو دين مفصل ليناسب كل العصور اللاحقة إلى أن تقوم الساعة، والدليل علي بطلان مزاعم أهل الكتاب أنهم في خلاف حتي بينهم وبين بعض، فتجدهم ملل ونحل وطوائف مختلفة، ويحذرنا الله من إتباع أهواء أهل الكتاب مما أراه الآن منتشر بين الشباب من مظاهر في لبسهم وأفكارهم وأسلوبهم في فصل الدين عن الحياة كأن الدين كم مهممل لا ينفع إلا عند دفن الموتى، ومن رحمة الله الواضحة أن آتانا القرآن، إن القرآن كتاب فيه بشارة ووعيد ونذارة

وحكمة وأحكام وقواعد وشرائع وقوانين ثابتة ومتغيرة أيضا،!!! وكل هذه الأشياء تجد فيها جميع مظاهر الحياة، وكأنها كائن حي، له صفات الحياة من وجود وانفعال وإحساس وردود أفعال منطقية، فمثلا: دع القرآن بعد حفظه فترة، تجده يذهب من ذاكرتك، وكأنه نسيك كما نسيته، فكر في موضوع وأنت تقرأ القرآن تجد الآيات ترد عليك فيما تفكر فيه، ولسوف يشهد القرآن لقرائه وحفاظه يوم القيامة، وهكذا من مظاهر سلوك الأحياء.. لماذا؟

- 1- لأنه كلام الله، وفيه من روح الله ..
- 2- لان لكل حرف ملاك موكل بحفظ هذا الحرف وهذا من حفظ الله للقران .
- 3- لأنه الكتاب الموجود في اللوح المحفوظ ، ونزل إلينا بنفس اللغة العربية المكتوب بها عند الله
- 4- لأنه أم الكتب التي نزلت من قبل وكل نبي ترجم لقومه بلغتهم ..
- 5- لأنه آخر الكتب إلى البشر فلا بد إن يكون مميز ومعجز ليلائم كل عصر مقبل إلى قيام الساعة ...
- 6- لأنه كتاب منهج للمسلمين وأيضا معجزة مؤيدة لرسول الله ﷺ علي صدقه
- 7- ولأنه هو العلم الذي ذكره الله في هذه الآية ...

يلفتنا الله في هذه الآية إلى أهمية العلم الذي جاء في القرآن فيجب البحث والتدقيق والعمل بما علمنا من كتاب الله المعجز، ولا نلتفت لأهل الكتاب فقد ولي زمان شرعهم، وهنا ينبه من عنده عقل من أهل الكتاب لعلهم يتبهاوا إلى الخير الذي سيفوتهم إذا تركوا كتاب الله ، كل هذا من رحمة الله بخلقه وحنانه عليهم ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦)

يكشف الله أمر أهل الكتاب، فيقول: إنهم يعرفون الرسول كمعرفتهم بأبنائهم، وهم يعرفون أن القرآن حق، وإن الإسلام هو الرسالة الأخيرة من الله، ولكن فريق منهم يكتمون الحق وهم يعلمون أنه الحق... ومادام الله قال هذا ولم يحدد من هم أهل الكتاب، فهذه الآية تنطبق على اليهود والنصارى منذ فجر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة، جميعهم يعلمون أن القرآن كتاب الله وإن محمد رسول الله.. وينبها الله إلى ذلك لنعرف أن كل من عرف بالإسلام منهم ودرسه بحق، عرف أنه الحق ومنهم من أسلم ومنهم من رفض، ومن رحمة الله أن يقول لنا ولهم هذه الحقيقة، فنحن نشكر الله على نعمة الإسلام ومن آمن منهم يثبتوا حين يقرأون هذه الآية ومن اعرض لعله إن انكشف أمره أمام نفسه أن يؤمن، فهذه الآية نعمة من الله وفضل ورحمة بخلقه يجب أن نشكره عليها (الحمد لله رب العالمين)

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١٤٧)

هنا يثبت الله الرسول وجميع المسلمين، فإن كان تغير القبلة قد غر اليهود بكم فلا تهتز عقيدتكم، فدينكم هو الحق من ربكم فلا تكون أيها السامع لكلام أهل الكتاب الذين يعرفون أنه الحق ومع ذلك ينكروه من الذين يشكون في دينهم، هنا إنذار من الله لكل مسلم أن يتنبه إلى أنه على حق، وإن دينه حق ولا داعي للشك.. يهتم الحق بنا ويثبتنا على ديننا (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّهَا فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

قد يكون معنى كلمة (وجهه) هو قبلة واتجاه بمعنى شرع أو طريقة للعبادة، فيكون قول الحق هنا إن لكل واحد من الخلق اتجاه اختاره الله له ليكون له دور بهذا الاتجاه في إعمار الأرض وعبادة الله، وأهم مطلب يحثنا الله عليه هو التسابق إلى الخيرات، بدل النزاع على الاتجاه شرقاً أو غرباً، أسرعوا في عمل الخير، وهنا إشارة لضيق الوقت في الدنيا وهذا معنى (فاستبقوا)، يقول الحق إنكم لن تفروا

من الله فأينما كنتم يأتي بكم الله جميعا ،وقد يكون المعنى أن الله يجمع الخلق جميعا من جميع الجهات ليوم البعث ، وهنا إشارة من الله علي أن البشر قدراتهم محدودة في قول الحق (إن الله على كل شيء قدير) وهذه الآية فيها توجيه لنا يجب أن نلاحظه ،،وهو أن تطلب من الله كل شيء مما تحتاجه دون التفكير كيف يفعله لك الله ،وإذا سالت الله فلا تقلل ،وهذه الآية دعوة مفتوحة من الله لنا لطلب أي شيء منه سبحانه وتعالى لأنه على كل شيء قدير و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٩)

هنا تحديد تام للقبلة ،والقول موجه لكل مسلم ،من أي مكان خرجت منه أو نشأت فيه فحين تصلي فاتجه بوجهك ناحية الحرم المكي ،فهذا هو حكم الله الحق و هذا أمر الله ،وهذا توحيد الاتجاه في القبلة لكل المسلمين إلى البيت الحرام وإشارة بتوحيد الزمان في الشهور القمرية ،فهناك مراصد وأجهزة حديثة تستطيع تحديد أوائل الشهور القمرية بدقة مما يوجب الأخذ بهذا التقدم لتوحيد المسلمين ،لان العالم يتعجب من التفرق في أعيادنا ومناسباتنا ،لا يريد الله إلا أن نتحد في كل شيء إلا في مواقيت الصلاة لأنها تابعة لحركة الشمس ولها حكمة حيث أن الأذان لا ينقطع عن الأرض طوال الليل والنهار ،فحين يؤذن لصلاة الفجر في الصين ففي المغرب يكون صلاة العشاء مثلا .. كأنها موجة صوتية من الأذان تغمر الأرض ليل نهار ..يحذرنا الله من انه مراقب لأعمالنا فمن يحدد الشهور علي هواه لمصلحته المادية أو السياسية فالله يعرف كل ضمير وما فيه ويحاسب علي الأعمال ومن رحمة الله لنا انه أمر بتوحيد القبلة ولم يأمر بتوحيد مواقيت الصلاة لتظل رحمة الله موصولة بالأرض ليل ونهار ندعوه دائما لا ننساه ولا ينسانا ونقول علي هذا (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

سَطْرُهُ، إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ
نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

هل من الممكن أن يهتم الحق كل هذا الاهتمام بتحويل القبلة لمجرد تحويل
اتجاه من مكان لمكان !!! إذن لماذا ؟

إن مكة تسمى أم القرى لأنها أول مقر لبشر على الأرض حيث فيها هبط آدم
وحواء، نزلوا في المزدلفة واتجهوا إلى عرفات ثم استقروا في مكة، إذن هذا المكان
فيه مهبط أو مصعد لخارج الأرض ولذلك جو الحرم حرم ...

كذلك القدس فيه معراج رسول الله ﷺ إذن هذه إشارة من الله إلى أن بعض
الأماكن في الأرض فيها معارج ، (ومعارج عليها يظهرن) (الآية) وقول الحق
الصعود يصفه بالعروج لأن الأرض كرة فأى خروج منها سيكون في خط منحني
وهذا معني العروج، ولكن أول مكان ولج منه إنسان كان عند البيت الحرام
ولذلك كانت له خصوصية عند الله، وكما ذكرت سابقا، فإن الله له أماكن يحبها
لارتباطها بذكريات لأعمال وأحداث حدثت فيها يعزها الله، اهتمام الحق بالقبلة
ليدرب الناس علي الطاعة لله ولرسوله، وأمر لهم بعدم التجمد في الدين ويجب
يتطوروا بدينهم و يبحثوا عن التجديد لأن دائما فيه جديد إلى يوم الدين، يأمر الحق
كل مسلم بالأمر المباشر بالاتجاه إلى الكعبة في الصلاة و من أي مكان في الأرض
إشارة لتوحد المسلمون في الزمان والمكان حتي لا يكون هناك نقص يأخذه
الناس علي المسلمين، ويجب توحد المسلمون في كل شيء، وأجل ما في الصلاة
من مظاهر التوحد أن في كل مكان في الأرض على مدار اليوم والليلة لا ينتهي
الأذان ولا تنتهي الصلاة، طول الزمان إلى أن تقوم الساعة، ويخبرنا الحق أن هناك
من الناس من يظل يعادي الإسلام ويتصيد له السليبات ولكن الله سيتولى هو
هؤلاء الناس الذين ظلموا ويقول الحق لا تخافوهم ولكن اخشوني وهذا من رحمة
الله بالمسلمين، ويقولها الله صريحة : انه سيتم نعمته على المسلمين وذلك

ليهديهم الله ، ما هي تمام النعمة التي وعد الله بها المسلمين ؟...إنه الدين الكامل الخاتم لكل الرسالات وهو الإسلام وهذا من قول الحق (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (الآية) نعم إن الإسلام وقواعده هو أتم نعمة وذلك لما في قواعد الإسلام من نجاة وفلاح وصلاح حال في الدنيا والآخرة وسوف أوضحها في بيان حب الله للعالمين في أركان الإسلام الخمس ، وكلمة الحق (لعلكم تهتدون) معناها يا ليتكم تعرفون حقيقة دينكم وتستمعون لأوامري ونواهي. هذه الآية تبين مدي كرم الرحمن علي عباده ، وإبداعه في تنظيم العبادة للبشر في الأرض مما يستوجب شكره والقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١)

هنا يذكر الله نعمته علي المسلمين ، بإرساله رسوله وهو منهم ليس غريب عنهم ، ويعرفونه جيدا نسبا واصلا ويعرفون صدقه وأمانته ، ودوره هو أنه يقرأ عليهم آيات القرآن ويظهرهم وينقيهم من الشرك والمعاصي ، ويعلمهم أحكام القرآن ويعلمهم الحكمة وهي سنته ﷺ ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، مثل التوحيد ، الساعة وأشراطها ، وأشياء كثيرة من العلوم الفقهية والغيبية التي علمها الرسول ﷺ للمسلمين ، وهذا من نعم الله التي لا تحصى علي المسلمين ، أليس الله رحمن رحيم بالبشر ويجب أن يحمد ولو علي نعمه علينا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَأَذْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُوا ﴾ (١٥٢)

الكلام هنا من الله للمؤمنين بالله ، إنه كلام رقيق رائع حنون ، يقول سبحانه وتعالى في رحمة وحب وحنان : اذكروني أذكركم ، بمعنى افكروني أفكركم ، تكلموا عني أتكلم عنكم ، !! وهيهات .. هيهات ، لا يوجد وجه للمقارنة بين ذكرنا لله وذكر الله لنا ، وبين كلامنا عن الله وكلام الله عنا ، يقول الحق في الحديث القدسي (من

ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرا منه) تخيل أنت الفرق واستشعر عظمة العظيم حين يذكرك أنت العبد الضعيف وتخيل كم القوة والفخر والسعادة والعطاء الذي أنت فيه ،ويأمرنا هنا بالشكر له وعدم كفران النعم ،وكانه يوجهنا للشكر له ليزداد عطائه لنا وحنانه بنا (لأن شكرتم لأزيدنكم) (الآية) وهل هناك رحمة بعد ذلك والله لا أجد كلمات لشكرك يا الله ولا أجد معاني تعبر عن رحمتك التي فاقت كل الحدود ولا أجد غير القول الذي اردده وسأظل اردده حتى الموت وهو (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾

ينادي الله برحمة وحنان علي المؤمنين ،قائلا بحب : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة... علي ماذا نستعين يا الله ؟

إن الدنيا دار هبطنا إليها لنكفر عن خطأ أبوانا (آدم وحواء) وليخرج الله الخبيث من نسل آدم فيبعده عن الطيب ،والمنهج الذي وضعه الله لنا لنسير في الدنيا دون أن نضل ونضيع أساسه الإيمان بالله ثم الصبر علي ما في الدنيا من صعاب وآلام ومصائب وفقر ومرض وظلم ،والصبر هو تثبيت النفس ومواساتها والتربص بها حتي لا تفشل أو تهوي بنا إلى الجحيم (معلومة) كلمة صبر ...عكس حروفها (ربص) وهي التربص والحذر وهذا من عبقرية لغة القرآن ..

إذن يوجهنا الله إلى الصبر لنستعين به علي المؤثرات التي ترد علينا في الدنيا ، يقول الحق استعينوا بالصبر ، إن الإنسان ليصبر إلا إذا كان في شدة ويحتاج إلى قوة تحمل ، وحين يعلم أن الله سيكون معه إذا صبر فسوف تحلو مرارة الصبر ، وبالتضاد تعرف الأشياء ،فلن تشعر حلاوة المتعة إلا بالصبر علي المكاره ، فحين تمر بأزمة ثم يأتي الفرج من الله تشعر بالفرح وتشعر بقيمة النعمة التي أنعم الله بها عليك ، ويقول الحق دائما إن النصر مع الصبر ، وأي فرحة تعادل فرحة النصر يزول معها كل مرارة الصبر ، وماذا أيضا ؟ ..يأمرنا بالصلاة ..ولقد شرحت معني

الصلاة في أول السورة وقلت إنها وصل واتصال مباشر بين العبد وربّه، يتم فيها كلام وحركات سبق شرحها وتسبيح وحمد ورحمة وحب وحنان من الرب علي عبده حين يقف بين يدي سيده متكلمًا طالبًا شاكرًا حامدًا خاشعًا معضد به محتمي بجلاله وسعيد بجماله مستمتع بوصاله، منتشيا بمناجاته، وقلنا أن الصلاة هي هدية من الله لرسوله ﷺ، ولكن هناك إضافة، قلت سابقًا أن الملائكة أنواع كثيرة ومنها من يعمل داخل خلایا الإنسان كما ذكرت سابقًا، وهذه الملائكة خلقها الله من النور والماء (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الآية) فإذا توضع المصلي للصلاة انتعشت هذه الملائكة وإذا وقفت تجاه القبلة وكبرت تكبيرة الإحرام (الله اكبر) وعكس حروفها مع إزالة (ال) التعريف من الله تكون (ربك أهل) إذن الله يهل علينا في الصلاة بنوره فتستمد الملائكة من نوره طاقة من النور زيادة تجعلها في اقوي حال مما ينعكس علي عملها في جسم الإنسان، ولذلك يقول الحق عن تارك الصلاة (ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أنا أري أن الويل هنا معناه العذاب الدنيوي الذي يصيب المؤمن بالله الذي تعودت ملائكة جسمه علي المدد من نور الله ومن ماء الوضوء، إذا امتنع عنها هذا المدد أن تفقد حماسها فتعمل في الجسد بنشاطها الأول بعد أن تعود الجسم علي نشاطها الزائد فيصاب الجسد بالألم والويل...

نحن قد هيئنا الله للوقوف أمامه في الصلاة وتحمل نور وجهه لان الله قد جعل البصر قاصر علي أن يري هذا النور أما الملائكة فهذا مددها من الله فوقوف الإنسان بين يدي الله يجعل الملائكة تأخذ من الله مدد وقد تأخذ أوامر منه سبحانه، فلا تعلم أنت كم من مرض شفيت منه بأمر الله للملائكة أن تعمل بجدي في هذا المرض لتذهب عنه وأنت لا تدري فأنت تقف بين يدي الله فيري أين الداء ويصف له العلاج ويأمر الملائكة بهذا الدواء أو العلاج فكم من إنسان ابتلي ثم شفي بإذن الله، ولا تعلم كم من هم أزيل عنه في هذا الوصال مع الله والاتصال بالله في الصلاة ولا تعلم كم الملائكة التي بداخل جسدك كل هذا غيب ولكنه

حقيقي (ولا يعلم جنود ربك إلا هو) (الآية) . الصلاة هدية من الله لرسوله ﷺ ، وفي ليلة الإسراء والمعراج فرضها الله على المسلمين خمسين صلاة ، واليوم (24) ساعة إذن كل ساعة سيكون فيها فرضين صلاة أو أكثر ، وكأن الله يتمني أن نعرض عليه في كل دقيقة من اليوم حتي لا يتركنا لحظة ولا نتركه لحظة من حبه لنا وحرصه علينا ، يريدنا أن نقف بين يديه يعالجنا نفسيا وصحيا وبدنيا وعقليا وروحيا ، ما هذا الحرص الشديد من الله علينا ألا يجب أن يحب ويعشق ولو علي حبه لنا لقد جعل الصلاة فرض واجب ملزم وهي لمصلحتنا ، لن تزيده شيء ولن تفيده شيء فهو مستغني عن عبادتنا ولكننا في حاجة إلى عبادته ،

ثم يختم الله الآية بوعد منه كله رحمة وحب وعطف وحنان وهو قوله (إن الله مع الصابرين) ما بالك والله معك هل تخاف من شيء ، هل ينقصك شيء ، قالها رسول الله ﷺ في الغار لصاحبه (لا تحزن إن الله معنا) وهل هناك معني أوضح من ذلك يبين حب الله للعالمين من هذا أنه مع من ابتلى وصبر ، فمعني هذا أن هذا الصابر لا يحزن ولا يخاف ولا يشعر بسوء ، ألا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾

يأمرنا الله أن لا نقول عن الذي يموت في سبيل الله انه ميت ، لماذا؟ ..

أولا : لأن الذي يقبض روحه هو الله بيده الشريفة وليس ملك الموت ، وهل في يد الله إلا الحياة ، والسرور لأن بيده الخير

ثانيا : لأنه يسمى شهيد وكلمة شهيد على وزن (فعليل أو فاعل) بمعنى شاهد ورأى ولكن جاءت علي وزن فعليل لعظم ما يشاهده الشهيد ، أول ما يري الشهيد يد الله التي حملت روحه وألبسته جسد جديد له مزايا تفوق أجساد البشر ، ثم يذهب إلى أعلى عليين عند كرسي العرش ، وهم يطيطرون حول العرش ومنه إلى الجنة ومن الجنة

إلى العرش وإلى أي مكان في الكون وهم سعداء فرحين في نشوة لا يتخيلها عقل ولا تسعها سماء ولا أرض، لو اطلعت عليهم لتمنيت أن تكون منهم وكلمة لا تشعرون تفيد أنهم حولنا أيضا يطوفون في كل مكان ويروننا ولكننا لا نشعر بهم أو نراهم . نلاحظ أن الشهيد لا يغسل .. لماذا ؟ لأنه لا يقبر ولا يضم ضمة القبر ولا يسال من ملكي القبر ، فلقد فرض الله غسل الميت قبل الدفن حتى لا تتأفف الروح من أقدار الجسد حين تنضم إليه في ضمة القبر ولا يؤدي ملكيين القبر من خبث الميت ونتنه ، أي أن الغسل رحمة بالميت وبالملائكة هل رأيت مثل هذه الرحمة هذا هو الله يكافيء الذي ضحي بنفسه في سبيل الله ويعلنها للناس أنه ليس بميت بل حي يرزق ، لا أجد إلا قول (الحمد لله رب العالمين).

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥)

هذه هي قواعد النزول إلى الحياة الدنيا ، لقد جئنا إليها ليميز الله الخبيث من الطيب ويفرق بين أصحاب الشيطان في النار وبين أهل الجنة ، في هذه الآية حين يخبر الحق أنه سيختبرنا بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ، ذلك ليس ليعلم الله الصابرين من غيرهم فهو أعلم بنا منا ، ولكن ليبين لكل إنسان حقيقة إيمانه ، هل هو صابر ومؤمن ومحتسب أم هو جزع وقانط من رحمة الله ، حتى لا يحتج يوم القيامة أمام الله ، بل يكون هو نفسه حجة على نفسه ، وأيضا ليبين معدن الإنسان المؤمن من الآخر الذي لا يؤمن ، ويختبر من صبر ومن كفر ، ومن تحمل في الله ومن لم يتحمل ، ثم يبشر الصابرين .

كل هذا الاهتمام من الله بعباده رحمة ومحبة ويبشر الذين صبروا بما ذا ؟ بالرضا والرضوان والرحمة والجنة ويجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦)

من هم الصابرون ؟ .. الذين إذا ابتلاهم الله بمصيبة تذكروا أنهم عبيد لله ، وأنهم

إليه سيرجعون لأنه هو سيدهم ليحاسبهم ، وكلمة (إنا لله) بمعنى نحن ملك لله يفعل بنا ما يشاء حين يشاء كيف يشاء ، فهو أعلم بما ينفعنا ، ونحن يجب أن نصبر ونمثل لأمر الله ، وفي الآخرة نحن راجعون إليه ، سيكافئنا علي صبرنا وتكون المكافئة دائمة لأنها في دار الخلود 0 هنا يعلمنا الله كيفية التعامل مع الشدائد حتي لا نفقد إيماننا ونصل إلى مراتب الصابرين الذين يكون الله معهم في الدنيا ثم يدخلون الجنة بدون حساب ، ومهما كانت المصيبة كبيرة فإنها مع الوقت تخف وتهون وتنتهي ويبقى الأجر من الله ، وما أحلى الرجوع إليه (الحمد لله رب العالمين)

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧)

يكمل الحق كلامه عن الصابرين ، وكأن كلماته نغم تطرب له النفوس ، ويسعد به الوجدان ، وتنشرح له الصدور ، وتحبه الأذان ، يقول بمحبة ورحمة إن هؤلاء الذين صبروا عليهم صلوات ... أي اتصالات من الله متواصلة ودائمة ، تخيل نفسك في وجود مع الله متواصل . ياه . أي سعادة وسرور ، ومع التواجد معه يعطيك من رحمته في كل لحظة ، ينجي من الألم ويحمي من المحن ويعطي من المنن ويهدي من أضل 0 سأل احدهم احد الصالحين الدعاء ، فدعي له قائلاً (آنسك الله بقربه) فقال السائل زدني ، فقال العبد الصالح : من آنسه الله بقربه نال أربع أشياء

- 1- عز بلا معزين ، تجده ليس له عزوة ولكنه في منعة وعزة وكرامة .
- 2- علم بلا تعليم ، إذا سؤل أي سؤال يجد إجابته حاضرة في ذهنه .
- 3- غني بلا مال ، تجده دائماً مستغني عن كل شيء والله كافيه من كل شيء .
- 4- أنس بلا ناس ، تجده في الوحدة سعيد ومنشرح لا يبحث عن احد يؤنس وحدته ولا تليفزيون يملأ فراغه ، ولا ملهي يلهيه عن أحزانه لأنه ليس لديه أحزان ،

وكما قال عنهم الله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون...)(الآية)

هكذا التواجد مع الله وهكذا تكون الصلوات من الله والرحمة ، ومن كان في معية الله فهو من المهتدين الذين هداهم الله لأنهم صبروا علي الشدائد ، ومن العجيب أن الله هو من انزل عليهم لطفه وهون عليهم المصيبة ومع ذلك يأجرهم ويمدحهم ويصلهم برحمته هل هناك من هو أحق بالحب من الله ؟... لا والله... (الحمد لله رب العالمين)

﴿ إِنِّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥٨)

يكلما الله هنا عن احد شعائر الحج والعمرة ، يقول إن الصفا والمروة من شعائر الله 0 أولا : كلمتان الصفا والمروة هما صفتان للماء الذي نشربه ، يجب أن يكون صافيا ليس له لون أو طعم أو رائحة ، وراويا ، وهاتان الصفتان هما من صفات الإنسان المؤمن ، فيجب أن يكون صافي القلب وصاحب مروءة ، وهما اسمان لجبلين بمكة سعت بينهم وصعدت عليهم أم وحيدة ، وهي بلا ماء ولا طعام ولا مأوى ولا أهل أو عشيرة وهي (السيدة هاجر أم إسماعيل) باحثة عن من يغيثها هي وصغيرها ، تنظر في الأفق هل هناك أي قافلة مقبلة إلى المكان التي هي فيه عند البيت الحرام ، ولكنها لم تجد من يغيثها من البشر ، وظلت تسعى بين الجبلين وتصعد عليهما تشتهي ماء صافيا لكي تروي ظمأها هي وطفلها ، ولكن هيهات ... لم تجد بعد سعي سبعة أشواط من يغيثها من البشر ، وهنا وصلت دعوتها إلى سابع سماء لأنها في الشوط السابع قطعت رجائها من أهل الأرض ، ولجأت إلى رب السماء ليغيثها هي وصغيرها ، وتتجلي رحمة الرحمن علي هذه الأم الضعيفة البنيان القوية الإيمان بالله ، التي قالت لسيدنا إبراهيم : مادام الله قد أمرك بتركنا هنا إذن لن يضيعنا الله أبدا والحق يقول أنا عند ظن عبدي بي

يأست هاجر من البشر ولجأت للحبيب الحق الذي أنقذها وابنها من العطش ،

وهنا عند قدمي الصغير يضرب جبريل الأرض بجناحه فيتفجر الماء تحت قدم الصغير الطاهر ، وتأتي القوافل علي ماء أم إسماعيل حين يرون الطير يحلق في السماء يعلموا أن هناك ماء ، فيأتوا إلى أم إسماعيل حاملين معهم الطعام والثياب وكل ما يحتاج الإنسان والغنم والإبل والأنعام ويقدموها لها مقابل الماء ، ويجاوروها رغبة في الماء ويعمر المكان ويعمر البيت الحرام ، وكرامة لهذه الأم المحبة لصغيرها والتي أحبت الله قبل نفسها وولدها ، واستسلمت لقضائه علي صغر سنها ، وضعف بنيتها وبشريتها ، فقد أثبتت لأقوي الأقوياء أن القوة الإنسانية لا تكمن في الجسد القوي ، ولكن تكمن في الروح المؤمنة الموقنة بالله ، أحبها الله لأنها أحبته ، فجعل الله كل من جاء للحج أو للعمرة يأتي إلى الصفا والمروة حيث صفت نفسها الطاهرة فباعت بالمروءة من الناس أن يفعلوا مثل ما فعلت هاجر أم المسلمين من سعي بين الصفا والمروة ، وكلمة (شعائر الله) أي أحاسيس ومشاعر الحق ، شعر الحق بلوعة هذه الأم الصابرة فطبق عليها الآية (إن الله مع الصابرين) شعر الحق بألمها ووحشتها في صحراء قاحلة جرداء لا زرع فيها ولا ماء وليس فيها إلا الوحوش والثعابين والهوام ، وليست وحدها تل معها رضيعها أي ألم أحسته وآلمت به مشاعر الرحمن الحنان ، وأي حنان هذا الذي يتردد صداه في أرجاء المعمورة منذ صغر إسماعيل والي قيام الساعة ، حنان لا ينقطع من الرحمن علي هاجر إلى الآن والي الأبد نداء رحمة من الله لهذه الأم مازال يدوي في الأرض إلى القيامة يدعو أحفادها إلى الاقتداء بها في الشعور الذي أحسته تجاه الله من شدة الثقة واليقين بالله ، كأن ثقتها بالله كانت أثقل واقوي وأعظم من جبال مكة كلها.

ملاحظة: اسم هاجر ..عكس حروفه (رجاه) بمعني رجي اللهوهاجر ...وصف لمصيرها من الهجرة إلى مكة ومن هجر الأهل والزوج ، هكذا نجد في اللغة العربية معاني رائعة لأنها لغة الله المفضلة 0

وفي نهاية الآية يخبرنا الحق أن لا شيء عنده يضع لمن فعل الخير تطوعا ويقول انه شاكر لكل فعل خير وأنه عليم بكل أفعال الخير وهذا ليطمأن فاعل الخير أنه لن يتركه بدون أن يكافئه ويجزيه خير الجزاء ، ذلك من المثل الذي سقناه في قصة (هاجر أم إسماعيل) وهنا يجب الشكر للشاكر العليم فنقول لله بحب (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَهُدًى مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ (١٥٩)

هذه الآية يقول بعض المفسرين أنها في اليهود وكتماهم الحق الذي عرفوه عن الإسلام وانه حق ، ولكنني أرى أنها لكل لليهود والمسلمين ، فمن كتم من المسلمين ما انزل الله من الأدلة والبراهين والهداية التي جاءت في كتاب الله ، من بعد ما بينها الله للناس وشرح معانيها ، وذلك أن كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا كتاب الله فما فيه غير قابل للجدال ، فهو الثابت المحكم الذي لا يأتيه الباطل أبدا ، ولا يحق لعالم آتاه الله علم من الكتاب ينفع الناس ويكتمه بخلا وحقدا منه على الناس ، أولئك يلعنهم الله ويطردهم من رحمته ويقول الحق أن كل من له القدرة على اللعن أباح الله له لعنهم أيضا ، وهناك من العلماء من يحارب كل من يجتهد في العلوم الدينية ، وكل من يحاول أن يجدد في معاني الآيات القرآنية بما يواكب الزمن الحديث ، يجد من يقف له مانعا أن يبين الآيات بمفهومها الحديث للناس ، مع إن الإسلام دين حضارة ورقي وتقدم لا يقف عند حد ، ولو أراد الله أن لا يجدد احد في معاني القرآن لجعل الرسول يفسر كل آيات القرآن ولكن الرسول لم يفسره إلا بعض الأحكام الشرعية وبعض الآيات التي لا اختلاف عليها ، مثلما سؤل عن معني : لهم البشرى في الحياة الدنيا... ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٤) [يونس].

(فأجابهم الرسول بأنها الرؤية الصالحة يراها المرء أو ترى له) هكذا الرسول لم

يفسر إلا جزء من الآية، ذلك حتى لا يضع القرآن في قالب واحد لأن القرآن لكل العصور، ويجب أن يظل هكذا كل من له القدرة العلمية على استخراج كنوزه فليفعل، وأجد أن الآية توجه إنذار لمن يقف في وجه آيات الله ومعانيها المتجددة دائما ويريدها في قالب التراث القديم من بعد ما وضحت البراهين من الله على أنها تنفع لعصر كان الحصان فيه هو أسرع وسيلة مواصلات، وتنفع لعصر سفن الفضاء وستنفع إلى ما بعد ذلك من التطور المقبل، ونلاحظ ذلك في قول الحق (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) (الآية) ضع تحت كلمة (ويخلق ما لا تعلمون) ما شئت من المخترعات الحديثة وما سوف يستجد من ما يستجد من آلات في السنين إلى قيام الساعة، أنت لن تقدم الآن صدقة لأحد (صاع شعير أو قمح) لو فعلت فكيف يتصرف فيها الآن ولم يعد هناك ربح يطحن عليها، بل الآن الخبز يأتي من المخازن مباشرة، إذن العصر تغير ويجب أن تتطور وإلا سحقت شعوبنا الحضارات الأخرى، ومن يقول وينادي بالرجعية فهو ملعون من الله ومن اللعنين، فديننا يحث على الرقي والحضارة والمدنية والعلم والتطور، ونحمد الله أن جعل لنا في ديننا ما يجعلنا بالإسلام أرقى الأمم لو حققنا الإسلام بحق ويجب أن نقول دائما (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٠)

هكذا الله دائما في الآية السابقة يرهب وهاهو هنا يرغب ويفتح أبواب رحمته، ويستثني من اللعن والطرود من رحمته الذين تابوا وأصلحوا وعادوا إلى الحق وعدلوا ميزان الحقيقة، وبينوا البينان وصدقوا على ما جاء في كتاب الله من حقائق وعلوم ولم يحاربوا التقدم والحضارة الذي ينادي بهما الإسلام، يظهر حب الله للناس على ظلمهم، فها هو يفتح لهم للتوبة المجال وينصحبهم ويحذرهم ويتوب عليهم، والله إني أشعر من كلام الله في هذه الآية أنه هو الذي تاب عليهم فتابوا وذلك من قوله (وأنا التواب الرحيم) وللآية اتجاهين الأول: مراحل التوبة وهم

الامتناع عن فعل ما نهى الله عنه ثم العزم على عدم الرجوع إليه ، وبينوا بمعنى اعترفوا بذنبهم وأوضحوا نيتهم للتوبة ، ثم إصلاح ما سلف من الأفعال الفاسدة ... وهذا طريق رسمه الله لنا لتتوب من رحمته بنا..

والاتجاه الثاني : أن التوبة تأتي من الله أولاً على العبد ، أي يتوب الله عليه فيتوب العبد بعد ذلك ويمتنع العبد عن المعصية ... هذا يدل على أن الله يحب التوبة ويحب الإصلاح في الأرض والناس ، وحين يقول الله أنه تواب ورحيم ، فمعناه طلاقة الرحمة وعظيم التوبة ، وهذا يجعلنا نشعر بالفرح والأمان ونقول اللهم تب علينا وارحنا و(الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ



ما هذه النوعية من البشر التي تكفر وتصر على الكفر وتموت عليه أيضا ، إن الإنسان السوي الطبيعي مطبوع في شفرته الوراثية أن لهذا الكون إله خلقه ويدير حركته بنظام دقيق ، ونلاحظ أن الله لم يترك الناس بدون هدى ، بل دائما يرسل الرسل ويبين الآيات وينبه الغافلين ، ولكن يوجد من طمس عقله وغاب فكره وعميت بصائرهم ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، لا يقول الله هذه الآية إلا بعد أن استنفذ معهم كل الطرق ليهديهم ، فلما أصروا على الكفر واستمروا عليه حتى ماتوا وهم كفار وخرجوا من الدنيا دار العمل ولم يعملوا إلا الكفر إنهم ملعونون ، من الله والملائكة والناس أجمعين ، هنا ينبه الحق الكافر لما هو مقدم عليه من لعنة الله والملائكة والناس لعله يؤمن

هذا هو العدل الإلهي ، وهذه هي رحمة الله ، فإن لم يقيم الله العدل لشعر المسلم بالظلم وأنه تساوى مع الكافر ، ولهذا يجب أن نحمد الله على عدله وعلي أنه لم يترك فرصة إلا ونصح ولكن الكفار لا ينتصحوون و(الحمد لله رب العالمين)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

ما هي اللعنة؟.. إنها الطرد من رحمة الله ، واستحقاق العذاب في البرزخ وفي الآخرة ، وهذا ما أقره الله عليهم أنهم خالدون في العذاب ، وأجد معني ينظرون إما أن الله لا ينظر في أمرهم لإهماله لشأنهم وعم اهتمامه بهم ، أو لا ينظر إليهم في عذابهم حتى لا يرق لحالهم وتتجلى عليهم رحمته فيرحمهم ، واغلب الظن هو هذا المعنى ، لان الله هو الرحمن الرحيم ، هل رأيت أحد في مثل رحمته وحنانه على خلقه ، حتى آيات العذاب تتجلى فيها رحمته و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٣)

هذه الآية تؤكد المعنى الذي ذكرته في الآية السابقة ، لأنه هو الرحمن الرحيم لا ينظر للمعذبين ، وهنا يؤكد الحق انه هو الله إلهنا الواحد لا إله غيره ، هذه الآية تطمئن الناس بأن إلههم واحد مما يجعل حسابهم يسير ولن يتنازع علينا أحد وقد يعفو عنا لأنه لأشريك له ولا مستشار يشير عليه وهذا من أنه الرحمن الرحيم ولهذا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١١٤)

هنا يرسم لنا الحق لنا صورة جميلة رائعة كأنها فيلم تسجيلي بكاميرا فيديو ، بين فيه تناسق الكون المتناغم مع بعضه البعض ، من أول السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وروعة التصوير تظهر في وصف البحر كأنه طريق يحمل الفلك لتجري فوقه لنقل البضائع والحضارات والعلماء ليرتبط الناس ببعضهم ، حين خلق الله الأرض والسماوات ، نظم كل شيء فيهم ، فجعل في الأرض ليل ونهار وجعل معظم الأرض بحار وماء وأجرى السفن والقوارب في الماء لمنافع الناس ، ليتم التكامل بين الدول ، للتواصل بين البشر لعلمهم يتوحدوا بالتكامل

بينهم ، واحيا الأرض بمعني زرع الزرع وخلق الحيوانات والدواب والحشرات وكل المخلوقات ، ووجه الرياح حيث يشاء ويحرك بها السحاب مسخرا يسير بين السماء والأرض ، يأمره الله فينزل الماء حيث يشاء فهنا مطر طبيعي يحيي به الأرض وينبتها ، وهناك سيول وأعاصير تدمر ما فوق الأرض ، وهنا يظلل الغمام على الناس فيمنع عنهم الحر ، وهناك يمتنع السحاب فتتحل الأرض ويموت الحرث والنسل ، هذه الأشياء جعلها الله آيات للقوم الذين يعقلون ويفهمون ويدركون ما وراء الأشياء بعقولهم وإيمانهم بالله ، في هذه الآية إشارة من الله واضحة تبين أن الحق يريد أن تكون الكرة الأرضية بسكانها وحدة متكاملة ومنظومة مرتبة يكمل بعضها البعض ، وكذلك الكون كله متوحد في منظومة رائعة ، وهذه المنظومة تشير إلى طبيعة الخالق بأنه منظم يحب النظام والانضباط والكمال ، وكأن الأرض في وصف الرحمن مية ثم بقدرته وحده تحولت لجنة تموج بالحياة والحركة وخلق فيها من كل المخلوقات ، ويطلب منا أن نتفكر في خليقته لتتعرف علي رحمته وقدرته وعظمته ونحبه بعد أن نري جماله وكماله ونقول باقتناع وحب لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥)

هذه هي آية الحب ، يذكر الله هنا بعض من الخلق الذين أحبوا غير الله أو علي الأقل جعلوا له في قلوبهم أنداد .. فمنهم: من أحب و عبد الأصنام مثل قريش ومنهم من تخيل آلهة متعددة وأحبوها و عبدوها مثل الإغريق ... ومنهم من أحب الشيطان وعبدته ومنهم من أحب ماله لدرجة العبادة ومنهم من يحب امرأة وامرأة تحب رجل ومنهم من يحب الدنيا ويعشقها ومنهم من يحب السلطة ومنهم من يحب نفسه .

الخلاصة: إن الإنسان حين يميل قلبه تجاه أي شيء غير الله ويجعل حبه في

قلبه ند لحب الله أو أشد حبا له من حبه لله ،إن هذا هو الظلم العظيم ،لأن الله لم يخلق الخلق إلا ليحبه ، فيقول : أنا خلقت لكم الكون و خلقتكم ورزقتكم ،ولا أطلب منكم شيئا إلا أن أكون أحب حبيب إلى قلوبكم ، في الآية السابقة يصور لنا الرحمن الكون وإحكام خلقه في أبدع صورة من أجلانا ،فأقل شيء نقدمه له هو حبا له سبحانه وتعالى ، ولا يحب الله إلا الذين آمنوا به .. فحين يؤمن الإنسان بعظمة الله وقدرته وجماله وجلاله وخصاله الرائعة ويعلم يقينا أنه بدون الله يضيع ،لأن الله هو المتولي لجميع شأنه ، وهو الراعي له في الدنيا والآخرة ،ويحاول أن يصل بعقله إلى عظيم خصال الرحمن لا بد أن يحبه ،لأن الإنسان جبل على حب ما ينفعه والله هو النافع ، ولذلك من هذا المنطلق نجد أن الإنسان المؤمن يحب الله حبا شديدا ،أما من ظلم وجعل في قلبه مع الله شيء آخر أو أحد آخر فهذا الظلم لا يقبله الله ، لأنه هو المستحق للحب وحده ولذلك يقول الحق (إلا من أتى الله بقلب سليم) (الآية) لها معاني عديدة ولكن معناها هنا أن القلب لا يدخله إلا الله ولا ينقصه شيء من حب غير الله ، تأتي إلى الله بقلبك كامل ليس به سوى الله ويخوف الله هؤلاء الذين يحبون مع الله أحد ويحذرهم من العذاب الشديد الذي أعده لهم لعلهم يقدرُوا الله حق قدره ،ويقول الله في حديثه القدسي : بلغ العاصي أي أنا الغفور ، وبلغ العابد أي أنا الغيور يغار الله على عبده الصالح من أن يدخل قلبه غير الله ، ألا يعلم الإنسان أن القوة لله جميعا ،نرى هنا كم الحرص من الله على حب عباد له والعباد في غفلة لا يفهمون وهنا يجب أن أقول أنا أحبك يا الله ،وليس في قلبي سواك أنت فاقبلني يا حبيبي في رحابك عابدة قائلة (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٣)

هنا يوضح الحق أن كل من أحب شيء غير الله فهو عدو له يوم القيامة ،يوم يرون الحق هؤلاء الذين أحببتموهم من دون الله ،هم أول من يتبرأ منكم ، فلم يعد هناك داعي أو أسباب للحب لقد انتهت أسباب التعلق الدنيوي بالأشياء ولذلك تنقلب

المحبة إلى كره وعداوة حين يرون العذاب.... (مثال) نحن نحب زملائنا في الدراسة بسبب وحدة المجال والمكان، ثم تنتهي العلاقة بانتهاء السبب والتخرج،، نحن نحب زملائنا في العمل، وحين ينتهي العمل لا نعرفهم إلا قليلا.... الابن متعلق بأمه في الصغر بسبب الحاجة إليها، وبعد أن يكبر يتجه لزوجته وأولاده، والزواج إذا ماتت زوجته بحث عن أخرى لتحل مكانها في قلبه وبيته والزوجة كذلك، إذن كل حب مرتبط بسبب ينتهي بانتهاء السبب، إلا حب الله لأن الله هو المسبب لكل سبب وهو الدائم الذي لا ينتهي وهو الفاعل لكل شيء لك أيها الإنسان، وهو الذي خلقك ومنحك الحياة ورزقك مال وولد وصحة وجاها وعمرا وزوجا وأهلا والكون كله سخره لك حتى الملائكة سخرهم لخدمتك، ولم يطلب منك ثمن مادي كل ما طلبه هو حبك له وأن لا يكون في قلبك غيره هو، ويقول الحق: يا ابن آدم اجعلني همك أكفيك همك، والهم هنا بمعنى الاهتمام بالنفس والروح والقلب، يقول أحد العارفين: إن قلب الإنسان هو بيت من بيوت الله لأنه قال في حديثه القدسي ما معناه: لم تسعني السماوات والأرض ووسعني قلب عبدي المؤمن والقلب هنا معناه الروح والجسد هو القلب الخارجي، يقول الحق: وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود..... والبيت هو القلب المؤمن ويطهر القلب من الأنثاد والآثام والأوزار والاغيار والسوي أي كل ما سوي الله من مال وولد وزوجة وأرض ومنصب وجاه 0 ومن هم الطائفون والعاكفون والركع السجود؟... إنهم الملائكة فهم في القلب المؤمن في حالة طواف حول عرش الرحمن وركوع في حضرته وسجود لجلالته والعرش هنا مجازا محله قلب العبد المؤمن، الموقن بالله، إملأ قلبك بحب الله يمتلأ بالملائكة الذين يمنعون أي شيطان يدخل جسدك، أو أي مرض يصيب بدنك، وهذا من رحمة الله وحبه لعباده المحبين له وأقول دائما (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَنَبَّرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَنَبَّرُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (١٣٧)

هنا تصوير لمشهد عدائي بين الإنسان ومن تعلق قلبه به في الدنيا، وأشركه مع

حب الله في قلبه، ويتمنى الإنسان الذي اتبع هواه وعشق غير الله أن تعود الحياة مرة أخرى ليتبرأ ممن أحب كما تبرأ منه هذا المحبوب، أي أن الحب انقلب إلى كره، هكذا الله يريهم أعمالهم التي سبقت في الدنيا من حب غير الله ليتحسروا على أنفسهم ويندموا على ما فرطوا في الدنيا، ولن يجدي هذا أي نفع، فما هم بخارجين من النار..... من الملاحظ في هذه الآية أن الله لا يريد من البشر إلا التوحيد لله بالقول والفعل والقلب والحب.... فلا إله إلا الله هذا هو القول، ولا نعبد إلا إياه وهذا هو الفعل، ولا نفعل إلا ما يرضيه والقلب يعقد النية في كل فعل لله وهذا توحيد القلب، وتوحيد الحب لله يعني لا أحب إلا الله ولا يشترك مع الله في قلبي شيء وهذا هو توحيد الحب لله، هل هذا كثير على الله رب النعم والمنن، لم يطلب إلا المشاعر الطيبة من عباده وحبهم له، قبل أن تحبوه لعطائه ومننه مع إنه يحب لذاته المبدعة وصفاته الرائعة وعطاءاته الواسعة، يتعامل الحق بالمشاعر والأحاسيس ولا يطلب غيرهم هل هذا كثير على الله، لا والله لا أجد ما أقوله لك لأحمدك ولا أجد إلا قول (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨)

هنا يبيح لنا الله أن نأكل من الحلال الطيب الذي خلقه لنا في الأرض، وينهانا عن السير خلف الشيطان في سككه الملعونة، لأنه عدو لبني آدم أجمعين وعداوته واضحة بينة، لا يختلف على عداوة الشيطان للإنسان أحد، لقد بدأ بأبينا آدم فوسوس له فأكل هو وحواء من الشجرة المحرمة^٢، فأخرجهما من الجنة، وذلك لأن ما أحله الله لنا هو لصالحنا وما حرمه علينا أيضا لصالحنا حتى وإن لم نعلم الحكمة من التحليل أو التحريم، فرحمة الله بنا سابقة على خلقنا لأنه هو الرحمن وهو الحكيم، أما الشيطان فكل أمله أن يدخل آدم وأبنائه النار لأن الله فضلهم عليه وعلي ولده، هنا يجب أن نثق بالله وننفذ أوامره بلا تفكير لأنه يحبنا ولن

يضرنا في أي أمر يأمرنا به ، يستغل الشيطان حاجة الإنسان فيزين له الحرام ، ويهون عليه معصية الله وهي أعظم معصية ، أضاعت منا الجنة ، فمثلا يأتي للرجل الذي عنده أولاد ويقول له موسوسا له اسرق حتى تجد لأبنائك المال الذي يسعدهم ، ارتشي فلن تكفيك هذه الماهية الحقيمة ، وهكذا وهنا يجب أن نذكر أن الله يري ويسمع ، وأنه هو الرزاق الوحيد ، لست أنت من يرزق عيالك ويرزقك أنت أيضا أين كنت أنت ومن أين كنت ترزق في بطن أمك ، ومن الذي خلق الحليب في ثدي أمك لترضعك وأنت طفل ، تذكر أن الذي رزقك وأنت طفل هو أيضا الذي يرزقك وأنت شاب وكهل وليس جهدك أنت ، ولكن الله أمر بالسعي ليس لجلب القوت ولكن لعمار الأرض ، حتى تصل إلى مرحلة الزخرفة والزينة لكي تنتهي ونعود من حيث أتى أبينا وأما آدم وحواء ، وندخل الجنة ، لأن الساعة لن تقوم إلا إذا كملت الأرض وأصبحت كأنها جنة أبينا آدم 0 هنا فقط تقوم الساعة ، لأن هذه هي المهمة الثانية لأبناء آدم ، أما المهمة الأولى هي تعلمنا لمعاني الأشياء التي تعلم آدم أسمائها في الجنة ولم يتعلم معانيها هناك ، فوجب أن ينزل هو وأبنائه إلى المدرسة الأرضية ليتعلموا معني كلمة سيارة ، وطيارة ، وأقمار صناعية ، وكومبيوتر وهكذا كل شيء 0 ويجب أن نشكر الله لأنه أرسل لنا رسله وعلمنا الكتاب والحكمة ولم يتركنا في ظلام الجهل لأنه رءوف رحيم (الحمد لله رب العالمين)

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾

سمي كلام الشيطان للإنسان بالسوسة ، لأن الوسوسة هي في اللغة صوت رنين الذهب إذا أرتطم ببعضه مثل الأساور والسلاسل والسبائك الذهبية صوتهم يسمى وسوسة الذهب ، وهذا ما يفعله الشيطان مع الإنسان يزين له الحرام بصوت وسوسة الذهب حتى يحلي لنا الخطيئة والفاحشة والسوء ، وأعظم الخطايا هي أن نقول على غير الحق ، يجب أن نتكلم عن الله بعلم وليس عن جهل حتى لا يعاقبنا الله ، فإذا أردنا أن نعمل بحث في مجال ما فإننا نقتل هذا المجال بحثا ، فمن

باب أولي يجب البحث حول السيرة الإلهية والتدبر لكل ما يخص الله عز وجل من أسماء وصفات وحكمة وأفعال وأحكام وقوانين وردود أفعال في المواقف المختلفة وماذا يحب وماذا يبغض وهكذا في كل ما يتعلق بالكلام عن الله ، فمن الخطايا العظمى أن نقول عن الله ما ليس فيه أو ننسب إليه ما لا يليق به وبذاته العلية أو نتقول عليه ما لم يقله ، ولذلك أجد أغلب العلماء يتحاشوا أن يتكلموا عن الله خوفا من الخطأ ، ولكنني أجد نفسي تواقفة للكلام عن الله فقط وليس عن غيره فهو أصل الوجود ومنبع الجود وواجد كل موجود ، فكيف أتكلم عن الموجود وأترك واجد الوجود ، فحبه بعث في كياني الوجد وبقربه انسي الوجود ، ولا أجد إلا أن أجود بأنفاسي في حبه وأذوب شوقا إليه ولا أجد إلا قول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠)

هنا مشهد تصويري يصور لنا الحق فيه الرسل وهم يدعون قومهم إلى رسالات الله ، فماذا قال قومهم ؟ قالوا بل نتبع دين آبائنا الذي تعودنا عليه ، أي عقل هذا هل فقد الإنسان عقله وتوقف عن التفكير حتى يأخذ أفكار الناس دون تدبر وتعقل ، إن إبراهيم عليه السلام كان أبوه يصنع الأصنام ومع ذلك أعمل عقله وتفكر فهداه الله إلى الدين الحنيف ولم يقل إني على دين أبي ، وهنا يتعجب الحق من غباء الناس ويقول : كيف تتبعون دين الآباء دون التفكير والتعقل والبحث هل هؤلاء الآباء عقلاء أم مجانين ، هل هم على هدى أم ضالين ، يريد الله أن نعمل عقولنا ولا نكون أغبياء مقلدين ، وهذه الآية تثبت أن الإسلام دين حرية العقل ، ليس في ديننا توقف عن التساؤل أو تجميد الفكر ، بل الفكر حر والإرادة حرة ، ولا يكون في نفس المسلم سؤال يستحي أن يسأله مهما كان هذا السؤال ، وهذا من رحمة الله بخلقه فالعبودية لله هي الحرية والسيادة للإنسان ، نلاحظ أن الدول الغربية مكفول فيها

حرية العقيدة مما جعل الناس هناك حين درسوا الإسلام اعتنقوه وحسن إسلامهم ،ومن المؤسف في مصر أن من يترك المسيحية إلى الإسلام يضطهد ويعامل أسوء معاملة من الأقباط ومن الحكومة ولا اعلم لماذا !!!

إن الإسلام هو الحرية والمساواة والإخاء والتراحم والصدق والمواساة والأمانة ولا أقول إلا أحمدك ربي على نعمة الإسلام و (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٧١)

يتكلم هنا الحق عن صفة الكفار الذين يرددون كلام آبائهم دون وعي أو إدراك ،ويتبعون دينهم دون تفكير لمجرد أنهم آبائهم ، وكأن آبائهم آلهة يعبدونهم من دون الله ، أوليسوا بشرا لهم أخطائهم وعيوبهم ، إذا كان آبائنا يحبوننا فالله أشد حبا وحنانا علينا من آبائنا ،يصور الحق الآباء كالراعي ينادي على غنمه بأصوات يعرفها الغنم بتردها دون فهم معناها اللغوي ،وليس لها معني أصلا في اللغة مثل قول (شي أو حا) للحمار حين يريد راكمه أن يسيره ، فهل هذه الكلمات لها معني في اللغة ؟ وهل الحمار يفهم هذه الكلمات إلا بالتعود علي سماعها من راكمه فيفعل ما تعود علي فعله دون فهم لما أو لماذا !!! هؤلاء هم الآباء كالرعيان يندھون علي أبنائهم الذين هم كالأغنام بل أضل سبيلا من الأغنام ،فالأغنام تسبح الله وتوحده ،أما هؤلاء الكفار فقدوا القدرة علي التمييز بين الحق والباطل ، ولذلك وصفهم الله بأنهم صم ،بكم ،عمي ،لماذا ؟ لأنهم لا يعقلون !!! فكأن حواسهم التي وهبها الله لهم لا تعمل ولا فائدة منها ... كأن الله في هذه الآية يلفتنا إلى أهمية الحواس التي نتعرف بها علي الأشياء والتي من خلال تعرفنا نتوصل إلى الحقائق الكونية التي تعرفنا بأن لهذا الكون مكون ومنشئ وخالق وهذا عن طريق العقل والتفكير ، والعقل والتفكير والاستنتاج من النتائج هي من أهم الصفات التي ميزت البشر عن باقي المخلوقات ،ولهذه الميزة وغيرها مما حباننا الله به من

مميزات تجعلنا نرقي عن باقي مخلوقات الله حتي الملائكة الذين أسجدهم الله لأدم وإن كان سجود خدمة ، إلا أن الإنسان إذا وصل لمقام العبودية الحق لله فإنه يكون عند الله اعز من الملائكة ، ألم يجتاز رسول الله ﷺ في المعراج مقام لم يجتازه جبريل عليه السلام ، إذن يجب أن نشكر الله ، ونقول بحب وإخلاص لذاته العلية (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢)

ينادي الله عباده المؤمنين ، وأشعر في ندائه لهم بنبرة حب وحنان ونصح ، وإن كان النداء فيه أمر إلا أن هذا الأمر كله حب لخلقه ورحمة بهم وحنان عليهم وحرص علي ما ينفعهم ، ما هذا الأمر ؟ إنه يقول يا من آمتم بي أنا ربكم ومربيكم الذي يعرف ما الذي يفيدكم وما الذي يضركم ، فكلوا من طيبات ما رزقناكم ، ما هي الطيبات من الرزق ؟

1- الطعام الحلال ، أي ما أحله الله لنا . ليس ميتة أو لحم خنزير ، أو دما .

2- المال الذي يشتري به الطعام يكون من حلال ، لو رثيت ملائكة جسمك التي تعمل بداخله لتحافظ علي حياتك وبقاء روحك بداخل الجسد وتمنع عنك الأمراض بإذن الله حين تأكل الحرام من أي نوع من أنواع المحرمات وكيف تصاب بالرعب والقلق مما قد يؤثر علي أدائها وكفاءتها من شدة خوفها من معصية الله التي قمت أنت بفعلها بأكلك من الحرام لو رثيت هلعهم واضطرابهم لما جرئت علي أكل الحرام أبدا ، فالملائكة مخلوقة ومبرمجة علي ما يرضي الله فقط ، ولذلك نجد بعض من يستمر في أكل الحرام بدون توبة أو خشية من الله تصاب أجسادهم بالأمراض الخبيثة ، وذلك من تعطل عمل الملائكة واضطرابهم وخوفهم من الله ، وهل يمنع الله بالتحريم إلا ما فيه ضرر لنا ، ولذلك يقول الحق : افهموا معني تحريمي عليكم ما فيه أذيتكم وأني حريص علي صحتكم فاشكروني

علي هذا الحرص والحب لكم إن كنتم وصلتم في علاقتكم بي إلى درجة العبودية وهي قمة الحب لله والثقة فيه عز وجل ألا يجب هنا أن نقول نعم يا رب نحبك ونعبدك ونطيعك ونثق فيك دون تفكير فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة (الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧٣)

هنا يبين لنا الله ما حرمه علينا من الطعام، لأن الأصل في الطعام أنه كله حلال ما لم يحرمه الله عز وجل ،

أولا : الميتة : وهي أي حيوان أو طير مات بدون ذبح شرعي له ، لماذا حرم الله أكل الميتة ؟ لأنك لا تعلم ما في جسد هذه الميتة من أمراض قد تصيبك مثل ما وجد الآن من أمراض تنتقل للبشر عن طريق أكل اللحوم المصابة بهذه الأمراض مثل (جنون البقر وانفلوانزا الطيور) أليس هذا رحمة من الله بنا وبجهلنا ، ثم أنت لا تعرف قد تكون هذه الحيوانات تغذت بمال حرام حصل عليه مربيها بطريق غير مشروع فقد تصيبك لعنة هذا الحرام فأمت الله هذه الحيوانات وبذلك دفع الضرر عن البشر بأن منع أكلها وهذه رحمة ربك ومهما قلنا لن نصل لحكم الله البالغة ،

ثانيا : الدم : إذا ذهبت لطبيب لإجراء بعض التحاليل أو مزرعة علي وجود ميكروب معين ، فإن الطبيب يجري المزرعة وينمي البكتريا علي الدم ، فهو مجال خصب لنمو الجراثيم ، ولذلك حرم الله الدم لأنه بمجرد خروجه وتعرضه للهواء يصبح تربة خصبة لنمو أشد أنواع البكتيريا فتكا بالإنسان ، ولأن الدم وهو في عروق الحيوان مملوء بالمخلفات الناتجة عن التمثيل الغذائي لهذا الحيوان ، ولأن الملائكة التي تعمل داخل هذا الحيوان تخرج مع الدم فلا داعي لأكلها ، ولذلك نجد أن الدم يكون لونه أحمر وبعد أن ينزل علي الأرض تتركه الملائكة التي كانت تعمل فيه فيتحول إلى اللون الأسود بفعل ملائكة التحلل الموجودين في

بكتريا التحلل ، منع الله أكل الدم رحمة بنا لهذه الأسباب .

ثالثا: لحم الخنزير : حرمه الله رحمة بنا لأنك لا تدري فقد يكون هذا الخنزير أحد البشر الذين مسخهم الله فكف تأكل ما لعنه الله من البشر ، ولأن الخنزير يتغذى علي الروث والزبالة مما يجعله مجمع للأمراض ، ونلاحظ كلمة خنزير لو عكسنا حروفها لكانت (ري زنخ) أي شرب وارتوي من الزناخة والقذارة ، حتي الاسم مقزز ..

رابعا: ما لم يذكر اسم الله عليه حين الذبح ، وذكر عليه أي اسم غير الله ، لماذا حرمه الله؟ لأن الملائكة الذين يعملون داخل هذا الحيوان المذبوح حين يسمعون اسم الله عند الذبح يتحول عملهم من الحفاظ علي حياة هذا الحيوان إلى العمل علي تهوين الذبح عليه فلا يشعر بالآلام الذبح ، وذلك من رحمة الرحمن بخلقه ، وأيضا يتحول عمل الملائكة إلى تجهيز هذا اللحم لطعام الإنسان ، فلا تعلم كم من أمراض أخرجتها الملائكة مع دم الذبيحة ، ونلاحظ كلمة (ذبح) عكس حروفها (حبذ) بمعنى (فضل) أي الذبح أفضل طريقة لأكل الحيوانات . وحين نذكر اسم الله علي ذبائحنا تزول من اللحوم أي أضرار وتهضم في الأمعاء بسهولة لأن ذكر اسم الله لا يضر معه شيء

لأن اسم الله خير الأسماء ، واسم الله لا يضر مع ذكره داء ، فذكر الله فيه شفاء ، واسم الله علاج ودواء ، وذكر الله لنا وجاء ، فنتقي باسمه كل بلاء ، ونرجو منه الحب والصفاء ، وهو الأمل والرجاء ، وهو وحده رب الأرض والسماء ، له الحمد أن أسماني وفاء ، وأرجوه أن يجعلني من عباده الأوفياء

وكذلك ذكر الله عند الذبح يبارك في لحمها ويجعله كثير ومشبع ومبارك فيه يكفي كثير من الناس ببركة اسم الله ، ولأن الحيوانات والطيور كائنات حية تشعر بالآلم وقد خلقت تسبح اسم الله فحين يذكر الله في ذبحها تتلهي بالذكر عن آلام الذبح فلا تشعر بأوجاع الذبح ، هل رأيتم كم الرحمة من الله حتي علي الحيوانات

فهو الرءوف الرحيم بحق.. وفي آخر الآية لأنه هو الرءوف الرحيم تتجلى رحمته بعباده في أن من اضطر لأكل أي من هذه المحرمات بسبب مجاعة مهلكة، أو ظروف مادية مثل الفقر والجوع، أو أي شيء يجعل الإنسان في حالة إما أن يأكل هذا الحرام أو يموت، أباح الله له أن يأكل منها ولكن دون أن يشبع، فليأكل ما يسد الجوع المهلك فقط، ولا يأكل تحدياً لأمر الله إنما اضطر لهذا اضطراراً، وهنا من رحمته لا يعاقب هذا المضطر بل أباح له ما حرمه رحمة ورأفة من الله، هل هناك أحد يحبكم مثل حب الله لكم، ولا حتي آبائكم فالله أشد حبا لكم منكم لأنفسكم ولذلك أقول له حبا وعشقا وغراما أحبك يا الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤)

يفسر العلماء السابقين هذه الآية علي اليهود الذين ينكرون ما في كتابهم من ذكر عن القرآن والرسول، ولكنني أري هذه الآية تنطبق في الوقت الحالي علي كثير من علماء المسلمين الذين جعلوا دينهم سلعة ومهنة ولا يقبلون التجديد في الدين ليواكب العصر الذي يستجد عليه من الحضارة ما يلزم تطوير الفهم عن كتاب الله، أو الفقهاء الذين يفتون في الشرع مما ليس فيه ليرضوا بعض الناس علي حساب الدين الحق، ليحصلوا علي منصب أو مال، هؤلاء يحذرهم الله من فعلهم هذا، ويقول لهم: مهما أخذتم في مقابل بيع دينكم وضمايركم فهو قليل وما تأخذوا من مال ثمن لهذا الكذب علي الله ما هو إلا نار تأكلوها في بطونكم ولا يقف العقاب عند هذا الحد بأن المال الذي يأكلوه من كتمان الحق الذي في كتاب الله نار تأكل أحشائهم فقط، بل لن يهتم الله بهم يوم القيامة أو يكلمهم أو يزكيهم بالقول أو بالفعل أو بالعطى وفوق هذا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة من الملاحظ هذه الأيام انتشار الفتاوى عبر وسائل الإعلام المختلفة، بدون رابط ولا نظام في تسابق شديد حول النجومية في الدين، وكل من له واسطة وله فتاوى هينة مخففة للناس

علي حساب الحق يذيع صيته ويشتهر لأنه هون مالا يصح تهوينه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: استفتي قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك . (صدق رسول الله ﷺ).

لماذا قال هذا ؟ لأن القلب النقي التقي يكون علي الفطرة والفطرة النقية تعرف الحقيقة الشرعية التي شرعها الله للخلق ، وخشي الرسول ﷺ علي أمته من الذين يشتركون بآيات الله ثمنا قليلا ، ونلاحظ الآن انتشار الأمراض التي لا علاج لها مثل السرطان والإيدز ، وذلك من انتشار أكل الحرام بين الناس والادهى من ذلك تبرير وتحليل الحرام للناس عن طريق الفتاوى الدينية لبعض الذين يدعون العلم بالفقه والشرع .

يصف لنا الحق موقفه من الذين يأكلون الدنيا بالدين بأنهم يأكلون النار التي تأكل أحشائهم ، وأنه لن يكلمهم يوم القيامة أي أن كلام الله للناس يوم القيامة رحمة ومتعة وسيحرمهم الله منها ولن يطهرهم من ذنوبهم ويعطهم بالسيرة العطرة التي تؤهلهم لدخول الجنة وسيعذبهم عذاب أليم لماذا لينبهم لما هم مقدمون عليه لعلهم يرجعون أو يتوبوا إلى الله وهذا إنذار من الله عز وجل 0 هذه هي رحمة الله التي تستوجب الحمد و(الحمد لله رب العالمين)

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١٧٠)

يصفهم الله بأنهم تجار فاشلون خاسرون، تاجروا في الخسارة ،باعوا الهداية واشتروا الضياع والضللال .. وفضلوا العذاب علي الرحمة والمغفرة ، وهنا يتعجب الحق من رغبتهم وحبهم وصبرهم على النار والعذاب ، يسخر الحق منهم ولكني أشعر داخل هذه السخرية أنه سبحانه مازال ينبه خلقه ويرجو هدايتهم فهو لا يحب أن يعذب أحد ويريد أن يرحم خلقه ولكنهم يريدون العذاب وكأنهم لا يصدقون أن الله سيعذبهم ، نعم إن الله رحمة ولكنه عدل أيضا ، وإن كنتم في شك

من عذاب الله فانظروا إلى المصابين بالأمراض والمحروقين في المستشفيات والجوع في المجاعات والقتلى في الحروب والمشوهين من الغارات والقنابل وغير ذلك من مظاهر الألم في الأرض لتعرفوا أن الله كما أنه رحمة فهو حق وعدل ولا شيء عند الله يضيع من خير أو شر ، وينبها الله في هذه الآية إلى شدة عذاب النار بقوله سبحانه ما أصبرهم على النار وكأن هذه العبارة تحذير للعباد وهذا من رحمته سبحانه وتعالى ، لماذا العناد يا ابن آدم لماذا لا تعود إلى الله ترجو رضاه وتتقي عذابه ، وأبسط شيء يمكن قوله لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ



كلمة الله (نزل الكتاب) تفيد علو مكانة الكتاب عند الله وأنه من الأهمية بمكانه العالي الذي أنزله الله لعباده ، ومكانته التي في عليين ولكن الله هو الحق ولذلك يقول (بالحق) يعني ليس في الكتاب شيء من الباطل ، ويعني أن من رحمته سبحانه بنا أن جعل من حقنا أن ينزل لنا هذا الكتاب ليكون هدي لمن يؤمن بالله وحتى لا يكون هناك حجة لمن كفر لان الله لم يتركهم دون توعية لهم بالحق ، ومن العجيب أن الذين ينكرون هذا الكتاب في حالة اختلاف حتي فيما بينهم ، وكأن الاختلاف طبع في أجسادهم ، وهذا الاختلاف والشجار فيما بينهم شديد لا يمكن تلافيه ، من رحمة الله أنه يذكرنا ويهتم بنا وينزل لنا كتبه وشرائعه التي تنظم حياتنا الدنيا والآخرة وهذا يستوجب الشكر للرحمن الرحيم لحبه للعالمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ لَيْسَ إِلَهَ إِلَّا أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّالِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ



في هذه الآية يبدأ الحق بتعليمنا ما هي أعمال الخير فيقول ليس البر أن تولي وجهك للشرق أو للغرب إذن فما هو البر؟ إذا عكسنا حروف كلمة بر تصبح رب كأن الله يريد أن يقول تخلقوا بأخلاق الرب وهذا هو البر وبر بمعنى شاطئ يعني المرسى الذي ترسو جميعا عليه بعد أن تتركوا بحر الجهل والشهوات ، ويبدأ الحق بترتيب أفعال الخير التي تجعل العبد بار بحق الله ويصلح لأن يكون خليفة لله في الأرض ، يصف لنا الله كيف يكون الإنسان بار:

أولا: جزء روحاني : وهو الإيمان بالغيب ، وأوله إيمان بالله ثم إيمان بالبعث والقيامة والملائكة بأنواعها وكل هذا بالنسبة للإنسان غيب ولذلك هذا يسمى إيمان ، ثم ذكر الكتاب وهو القرآن ، لأنه هو أم الكتاب ، كانت الكتب السابقة أجزاء من هذا الكتاب ، وكل نبي ترجم لقومه ، فلما جاء آخر الزمان الذي نحن فيه الآن أنزل الله أم الكتب وهو القرآن ، وفرض علي البشر جميعا التصديق به ، وبالنبين وهما ليسوا غيبا فالكتاب والنبيون ليسوا غيبا بل واقع محسوس ومرئي ، ومسموع ومعقول ، وهذا الكلام من الله موجه لروح البشر أجمعين .

ثانيا: توجيه أخلاقي وسلوكي عن كيفية التعامل في المال الذي استخلفك فيه وأنت تحبه ، وحدد لك نواحي الإنفاق علي حسب الأهمية :

1- أولي القربة (أهلك وأولي رحمك)

2- الأيتام (الصغار الذين فقدوا عوائلهم)

3- المساكين (الفقراء الذين لا يستطيعون ضرب في الأرض)

4- المسافر الذي انقطع عن بلده وأهله .

5- السائل : من سألك أعطه ، ولم يحدد الله نوع السائل ، مادام سأل فقد وجب إعطائه ، وهذا من رحمة الله فالله لا يرد من سألته وأنت يا تقي يجب أن تتخلق بخلق الله حتي تكون أهل لخلافة الله في الأرض .

6- وفي عتق العبيد: إن أعظم منحة في الدنيا بعد معرفة الله حق المعرفة هي الحرية ، فأنت بمعرفتك لله تتحرر من أغلال نفسك وأطماعها ، ولا تريد أن يمنعك أحد عن حرية العبادة لله ، فكان من أشرف سبل صرف المال تحرير الرقاب من العبودية لغير الله .

ثالثا: توجيه عقائدي يعتمد علي الإيمان بالله ، وهنا يرتب الله المنهج الذي يتبعه الإنسان البار حقاً ، وهو الذي يقيم الصلاة ، ومعني ذلك أن هذا العبد في تواصل دائم مع الله ، يقف بين يديه ليعالج روحه وبدنه كل يوم خمس مرات علي الأقل لا ينقطع عن ربه أبداً .

ويؤتي الزكاة : من المال الذي يحبه ولكن طاعة الله أحب لنفسه من كل شيء⁰ ويوفي بالعهد إذا عاهد ، يوفي بعهد الله أولاً ثم يوفي بعهد للناس إن عاهدهم ، فهو لا يغدر بأحد ، وصفة الوفاء من أعظم وأجمل الصفات التي يجب أن يتصف بها الإنسان المؤمن بالله .

رابعا: الصابرون : يذكر الله الصابرين هنا بأنواع متعددة ولكن أريد أن أوضح شيء ، إن الله حين يقدر لأي إنسان أن تصيبه المصائب ، فإما أن تكون هذه المصيبة ابتلاء من الله وهو نوعان : الأول: ابتلاء للإفاقة وهذا لمن كان فيه أمل أن يتوب عن المعاصي ويعود إلى الله ، وكأن الله بهذا الابتلاء يقول لهذا العبد : أفق من غفلتك إني أنا الله فتب واعبدني .

والثاني: ابتلاء للاجتناب ثم الاصطفاء ، إذا أحب الله عبداً ابتلاه ثم اجتباه ثم اصطفاه ، وفي مقولة أخرى (إذا أحب الله عبداً ابتلاه ثم اقتناه) واقتناه بمعني قطع عنه عوالت الدنيا فلا ينشغل إلا بالله وحده .

والنوع الثالث : هو البلاء الذي يصبه الله علي من يأس الله من هداه مثل قارون وفرعون والأمم التي أهلكها الله بذنوبهم .

نعود للصابرين ، وهنا يكلم الله من تمت له الصفات السابقة من إيمان والمتصدقين والمصلين والمزكين ، يأمرهم بالصبر علي جميع ما يجريه الله عليهم لأنه لا يفعل إلا الخير لهم وإن ظهر لهم أنه شر ، فأنت لا تعلم حكمة الله من هذه المحن ، وما من محنة إلا في أعقابها منحة من الله عز وجل ، ولذلك نري العبد الصالح في سورة الكهف يقر ويعزر نبي الله موسى قائلا : إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبرا ، إذن الجهل بحكمة الله في المحن هو الذي يمنع الصبر ، ولكن الصبر هنا مختلف لان ثقتك في كلمة (رب العالمين) أي المدبر لشؤونهم والحافظ لأفعالهم وانفعالهم ، تتضح في تعاملك مع المحن ، إن كنت تثق في الله أم أنك تدعي الثقة بالله .

ولنقرب المعني نضرب مثلا والله المثل الاعلي : لو أن أمك ناولتك طعاما لتأكله أكنت باحثا فيه عن السم وتشك أنها وهي أمك تريد قتلك ، ام أنك تأكله دون تفكير أو خوف ، لثقتك بأنها لن تؤذيك أبدا وهي بشر مثلك من الممكن أن تخطأ ولكنك تثق في حرصها عليك ، فما بالك برب العزة الذي أتقن كل شيء فعله وأحكم حياتك وسخر الملائكة لخدمتك وحمايتك وأنبت لك الخيرات من نبات وحيوان وهيا لك حياة في بطن أمك حيث لا يرعاك غيره ، وحين ولدت أجري لك نهري من لبن في ثدي أمك بارد في الصيف ودافئ في الشتاء وسخر لك آب وأم لا يأكلان حتى تشبع ولا ينامان حتى تنام .

أنواع الصابرون :

1- الصابرون في البأساء : هم من أصيبوا في المال والأهل والولد أو البيت أو أي شيء يحدث خارج جسمه من هدم بيت أو ضياع مال أو فقد غالي أو زلزال مدمر يعني كل ما يسمى كوارث طبيعية .

1- الصابرون في الضراء ، أي في ضرر يصيب الإنسان في جسمه ونفسه مثل المرض أو العجز .

2- وحين البأس ، أي اشتداد القتال بين الحق والباطل ، بين الكفار والمسلمين .

يصف الله هؤلاء الأنواع التي سبق ذكر صفاتها بأنهم هم الذين صدقوا مع الله ، فصدقوا مع أنفسهم ومع الناس ، وهم أيضا المتقون ، فقد اتقوا أولا الكفر وهوى النفس والخطيئة واتقوا الفتنة ، أي اتقوا كل ما يغضب الله فكانوا من المتقين ، فوقاهم الله من عذاب الدنيا والآخرة وأصبحوا في حمايته عز وجل ، لا يمسهم السوء ، وهذا هو (منهج الله الذي إذا عكست حروفه أصبح جهنم) ، سير على منهج الله تتقي جهنم والعياذ بالله ، وجهنم توجد في الدنيا والآخرة ، وفي هذه الآية يضع لنا الرحمن من رحمته بنا منهجا نسير عليه ، لو لم ينزل الله غير هذه الآية لكانت كافية لكل من أراد أمان الدنيا والآخرة ، كل حرف في هذه الآية يجب أن نقف أمامه ونقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَتَّيَبُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاغُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٨)

في هذه الآية يضع الحق أساس المجتمع المسلم القائم على الحق والعدل ، ولكن من رحمة الرحمن علي عباده أن الرحمة عند الله فوق العدل ، أي أن الله يحب التعامل بينه وبين عباده بالفضل ، ويجب أن يتعامل العباد فيما بينهم بالفضل والإحسان وأن يرحم بعضهم بعضا ، إن هذه القوانين تصلح للبشرية جمعاء ولكن الله يأمر بها هنا الذين آمنوا لأنه يشرع لهم قوانين حياتهم التي منها زادهم للآخرة

في الآية السابقة كان الحق يهيج العباد ليفعلوا كل ما يأمر به الله ، يقول الحق يا من آمنتم بي وأسلمتم لي أنفسكم أتصرف فيها لصالحكم فافعلوا ما أمركم به لأنه لصالحكم في الدنيا والآخرة ، هنا يأمرنا الحق بالقصاص في القتل ، حتي لا نترك المجتمع همجي يقتل بعضه بعضا ، فمن تعمد قتل أخيه عامدا ومتعمدا فيجب أن يقتل ليكون عبرة للناس في مجتمعه ، فلا يقدم أحد علي قتل أحد ، ومن عدل

الرحمن نري الثنائية في قوله عز وجل (الحر بالحر ، والعبد بالعبد ...) كأن عدل الله كفتي ميزان وذلك لأنهم في الجاهلية كانوا إذا قتل حر عبد جاءوا بعبد وقتلوه بدل الحر وهذا ظلم فكل الناس أمام محكمة الله سواء ، لافرق بين حر وعبد أو بين رجل وامرأة في قصاص الله وعدله كلهم بنوا آدم ، ولأن رحمة الله فوق العدل أباح أن يدفع القاتل دية من المال لأهل القتيل ، فإذا قبل أهل القتيل بالدية فيجب أن تؤدي إليه بالمعروف والإحسان ، وذلك تخفيف ورحمة من ربكم ، فمن أخذ الدية ثم تعدي بعد ذلك فإن الله يتوعده بعذاب أليم 0 تتجلى صورة رحمة الرحمن في أبدع صورة ، حين يشرع القصاص ويضع له الحل البديل وهي الدية ، كم أنت رحيم يا رب لا تحب إراقة الدماء حقاً إنك رؤوف رحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)

يذكرنا الله بحكمة القصاص وأنه فيه حياة للمجتمع وأمان يسود في المجتمع الذي يتم فيه القصاص ، وهو يوجه حديثه سبحانه وتعالى لذوي العقول الرشيدة المفكرة الذين يتفكرون في القوانين ، فإذا أراد أحد أن يقتل أحد ويرى أن من قتل يقتل ، سيفكر ألف مرة قبل أن يقتل ، وغالباً لا يقتل ، وهذا معني (لعلكم تتقون) يتقوا ماذا؟ يتقوا عدة أشياء : 1- يتقوا سفك الدماء في المجتمع . 2- نتقي الفتن والنزاعات بين طوائف المجتمع . 3- نخشى الله ونتقي عقابه لنا وذلك بطاعة أمره بإقامة شرعه ومنهاجه في الأرض ... نلاحظ شدة اهتمام الله بنا وحرصه علي أمننا وسلامة مجتمعاتنا من الفتن ومن الجرائم هذا من حب الله للعالمين ولذلك لا أجد غير كلمة أقولها لعله يقبلها مني (الحمد لله رب العالمين)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠)

يحرص الحق علي الأسرة المسلمة من الصراعات والتفكك لأنها وحدة بناء المجتمع الإسلامي السليم ، هنا يشرع الحق قانون الوصية ، فيقول في صيغة

الفرض : كتب عليكم ، أي هذا فرض مثل الصلاة والصيام مكتوب علي كل من ترك مال أو ضياع أو عقار أو أولاد إذا شعر بالموت أن يوصي لأهله بما يجب أن يفعلوه بعد موته ، فهو أعلم الناس بظروف أسرته ، ومتطلبات كل فرد في عائلته ومن أحق من أهله بالوصية فقد تتفاوت المتطلبات من شخص لآخر ومن ظرف لظرف آخر ولذلك يقول الحق : الوصية للوالدين وهما أهم أقارب للإنسان وأحق الناس بمال ابنهم ، ويوصي للاقربين ولكن بالمعروف ، يعني بما تعارف عليه من أحكام القرآن والسنة المشرفة ، التي وضحها رسول الله ﷺ

وهذه الآية حق موثق من الله لمن يتقي الله ، وهل يعاقب الله علي ترك الوصية؟

نعم... يعاقب الله من ترك الوصية وإلا لما يقول (حقا علي المتقين) والمتقين هنا معناها لمن يخشى عقاب الله . ونلاحظ أن الأمر بالوصية واجب إذا حضرة الوفاة وهل نعلم متي تكون الوفاة؟ طبعا لا إذن الحق يريد كل من عنده مال يوصي فورا وكلما تغيرت الأحوال والظروف يعيد الوصية علي حسب التغيير الذي حدث ، وذلك ليكون الإنسان مستعدا للموت في أي وقت فلا تدري متي يأتيك ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فمهما طالت فهي قصيرة منتهية ، ولذلك يحرص الحق علي عباده المتقين وعلي من يعولهم فلا يدع شيء بدون ضوابط وقوانين لأن الحق يحب النظام والترتيب وهذا ملاحظ في كل الكون وكيفية تنظيم الله له ، ومن جمال الله وكماله ودقة حرصه علينا يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١)

ما زال الحق سبحانه يبين قانون الوصية وهنا يحذر من يستمع لوصية الميت من أن يبدلها أو يغير فيها بدون حق ، فإن الذنب لن يكون علي الميت بل علي من بدل الوصية التي سمعها من الميت ، ذلك لأن الله سميع يسمع كل شيء وعليم بكل شيء ، ولا شيء عنده يضيع فهو سامع لوصية الميت وهو عالم بنفوس المنفذين للوصية ، ولذلك يحذرهم الحق من عقابه لهم ، وهذا يدل علي حرص

الحق علي أن يتخلق الناس بصفة الصدق والأمانة وصدق الشهادة فالله هو مكارم الأخلاق ويحب أن نكون نحن البشر علي مكارم الأخلاق أيضا ، ألا يحب والله يا رب بحبك وأشهدك وأشهد ملائكتك أني أريد أن أستشهد في حبك وحب جمالك وكمالك وجلالك يا أجمل من الجمال يا أكمل من الكمال يا خامة الأخلاق يا حب يا رزاق ترزق عبادك بعظيم خصالك ، لم يعد في قلبي مكان فقد ملأت يا ربي كل الكيان والوجدان يا حنان يا منان أهواك ولا أجد ما يناسب هواك من الكلام ولا أقول وأنا علي استحياء من عجزني عن التعبير عن حبك الكبير (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾



وتتجلى رحمة الرحيم في أنه يضع لكل قانون من شرعه ما يجعل هذا القانون لا يظلم أحد ، فيضع استثناء في قانون الوصية وسامعيها ، حيث أنه أباح لسامع الوصية ومنفذها إذا لاحظ فيها ظلم لأحد الورثة أو خروج عن حدود الله في وصية الميت ، أو حدث خلاف بين الورثة بسبب ظلم في وصية الميت ، فأصلح في وصية الميت ما يرفع هذا الظلم ويزيل الإثم عن الميت ، ويصلح بين الورثة وبين بعض بالعدل والرحمة فلا إثم عليه لأن الله غفور رحيم ، يتضح من هذه الآية كم رحمة الله وحكمته وعدله ، فهو يعطي مساحة لمشاعر المتوفي في أن يوصي بجزء من ماله لمن يحب ولكن بشرط عدم الظلم للوارثين وعدم التعدي علي حدود الله ، ألاحظ حرص الله علي المشاعر والأحاسيس البشرية والرحمة لخلقه وتعامله معهم بلطف وسماحة ، لو لم يبلغ حبك في قلبي حد الذروة لأحببتك أكثر ، ولأن أحببتك أكثر لذهب العقل مني ومات الجسد محترقا بالشوق إليك ولفاضت الروح إليك حبا ووجدانا ولا أقول غير (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

ما زال الحق سبحانه يضع لنا المنهج الذي رسمه لنا في الحياة الدنيا لنعيش فيها بسلام ونخرج منها بسلام، فهذا هو يكتب علينا نحن المؤمنين بالله الصيام كما كتبه علي الذين من قبلنا، فمنذ خلق الله آدم فرض عليه الصيام وعلي ذريته وتوارثتها الأجيال من بعد آدم، ففي صحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وكل كتب الله السابقة فرض الله فيها جميعا الصيام علي كل من قال لا إله إلا الله .

يقول الحق لعلكم تتقون !! ماذا نتقي ؟ إن من حكم الله الحكيم أنه يكلفنا بما ينفعنا ثم يدرّبنا علي أداء هذا التكليف، مثل ما فعل مع موسى حين أراد أن يرسله لفرعون، أخذه في الصحراء في جوف الليل وفي ليلة ممطرة شديدة البرودة، بمعنى أن الله وضع موسى في أسوء الظروف كمن يدرّب رجال الصاعقة في عصرنا الحالي، حتي إذا واجه أسوء المواقف يثبت ويتحمل، هذا هو الله في تربيته لخلقه وحين فرض الصيام كان لوقايتنا من ماذا .

أولا: نتقي عقاب ربنا بسماع كلامه سبحانه وتعالى لأنه حريص علي ما ينفعنا .

ثانيا : الصيام وقاية لنا في الدنيا ،ذلك بامتناعنا عن الذي أحله الله لنا من طعام ونكاح لعدة ساعات في اليوم فذلك تدريب للامتناع عن المحرمات ،ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يتزوج من الشباب بالصوم لأنه له حماية من الزنى ، فمن يمتنع عن الحلال من السهل أن يمتنع عن الحرام .

ثالثا : الصيام وقاية للمؤمنين يوم القيامة ، كيف ؟ ... حين يبعث الله المؤمنين من قبورهم في أتم صحة وأشد قوة بأجساد جديدة علي قوة (السوبرمان) وتلقاهم الملائكة قائلين لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي وعدكم الله بها ثم تكسوهم الملائكة ثيابا تستره إلا مواضع الوضوء ، لأنها مواضع النور يوم القيامة قبل أن تشرق الأرض بنور ربها ، لأن الظلام سيكون حالكا ، لا يري أحد أحد إلا المصلين فإن وضوئهم نور يسعى بين أيديهم ، لأن كلمة وضوء

عبارة عن (و) حرف عطف ، ضوء يعني نور، أي زيادة ضوء ، فعندما نهذاً ونير لبعضنا بأجسادنا المضيئة يبقى لنا معدة خاوية جائعة وظمآنة ورغبات جنسية مما أحل الله ، فكيف الوقاية من ذلك ؟ ... ، بقول الملائكة يطمأن الإنسان ويهدأ باله ، ويبدأ في التفكير في رغباته وشهواته من جوع وعطش وشبق ، فماذا يفعل إن لم يكن قد تدرب في الدنيا علي الصيام حتى ينتهي يوم الحساب ويدخل إلى جنته التي أعدت له ، ويوم الحساب لا تدري كم يطول ، فقد يكون مثل وقت الصلاة المكتوبة أو نهار رمضان أو مثل شهر رمضان ، أي قد يمر سريعاً وقد يمر هذا اليوم بطيئاً ، المهم إننا بالصيام نستطيع أن نتحمل هذا اليوم حتى نلقي رسول الله على الحوض ليسقينا بيده الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً ، وفي هذه الآية كأن الحق يقول لنا بحب ورحمة : يا أيها الذين آمنتم بالله في الدنيا أنا أضع لكم منهجاً تدريجياً حتى أحميكم به في الدنيا ، وأعينكم به على أهوال يوم القيامة رحمة بكم وحبا لكم لأنكم أحببتموني فوجب لكم مني الحماية والوقاية في الدنيا والآخرة ، كم أنت رحيم يا رب ، فأنت تأمرنا بالواجب لمصلحتنا .. ولنضرب مثلاً لهذا والله المثل الأعلى ... حين تأمر ابنك بأداء الواجب المدرسي وتشجعه على المذاكرة بأن توعده بالمكافئة إن نجح في الامتحان ، رغبة منك أن ينجح يوم الامتحان ، ونجاحه لن يفيدك في شيء بل يفيد هو نفسه وأنت حريص على نجاحه لنفسه حبا فيه لا لمصلحتك أنت ، كذلك الله يحرص على نجاحنا في الدنيا ونجاتنا في الآخرة أكثر من حرص الأب والأم على نجاح ولدهم ملايين المرات ، ولذلك يقول الحق في حديثه القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) (متفق عليه) كأنه يحفزنا ويشجعنا بالطمع في المكافأة لكي نؤدي هذا الصيام حرصاً منه على مصلحتنا ، أليس الله أحق بالحب من أي شيء في الدنيا والآخرة ، من حنانه بنا يفرض علينا ما ينفعنا نحن ولا يفيدنا هو في شيء (حبيبي أنت يا الله) والصيام في نهار رمضان والإفطار في ليله ، هذا المشهد يتكرر كل يوم لمدة

ثلاثين يوما، نمارس فيها التمثيل بين الدنيا والجنة... كيف؟

صيام نهار رمضان مثل الدنيا وحرماننا فيها، والليل هو الآخرة والجنة فيها نتمتع بكل متعة نجبها، ضع على مائدة الإفطار ما تشاء من ألوان الطعام والحلوي، ولك عند الإفطار فرحة بالطعام والشراب والنكاح مثل الجنة فيها متع كثيرة بعد حرمان الدنيا، ولكن متعة الدنيا قليلة وقصيرة ومتاع الجنة كثير ودائم، فنحن نفطر كل علي قدر دخله، أما في الجنة فالمتعة على قدر الله القدير الغني وهو أكرم من الكرم..

وللصوم متعة عند العارفين بالله، فإنهم خلفاء الله في الأرض، والله لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج، فمن متعة العارف أن يقلد الله الذي استخلفه في الأرض ولو لبعض ساعات من النهار فقط وذلك ليغلب الروح على الجسد ويسمو بروحه على جسده، فالروح من روح الله لا تأكل ولا تشرب، وهذا لأننا نقلد من نحب ولكن هيهات فنحن لا نستطيع ذلك سوى ساعات قليلة من النهار، وأري أن الصيام عبادة كلها حب، فالله يحبنا ففرض علينا الصيام، ونحن نحب الله فنصوم لنفعل ولو جزئية من صفاته 0 وللمحبين لله متعة في الصوم لا يعرفها غيرهم، ففي الصيام تسمو أرواحهم إلى مستوي عالي جدا، حتى أن رسول الله وهو حبيب الله كان من شدة الوجد والمتعة في الصوم يواصل الصيام بالأيام وذلك من شدة المتعة بالسمو الروحي ولكنه نهانا عن الوصل في الصيام وقال انه يبيت عند الله يطعمه ويسقيه، أي أنه من حب الله وشدة الوجد يسمو بروحه إلى الله فلا يفكر في طعام أو شراب أو جماع، فكان يبيت عند ربه يطعم ويشرب من فيض حب الله، كم هو جميل رب العزة في جماله وفي خصاله وفي أوامره ونواهيه وفي حرصه علي خلقه وحبهم لهم ولا أجد إلا أن أقول دائما وأبدا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ

لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

في هذه الآية تتجلى صفة الرحمن في التدرج التعليمي التدريبي لعباده ، نلاحظ أن الرسول ﷺ كان قبل فرض صوم رمضان يصوم في عاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، وبعض الأيام الأخر وهكذا الله في هذه الآية لم يفرض صيام رمضان فجأة ، بل بدأ من عظمة حكمته جل وعلا بأن يأمر الناس بصيام أيام معدودات وأباح لمن كان عنده عزر من مرض أو سفر أن يفطر ، ومن يريد أن لا يصوم لعدم طاقتهم على الصوم أن يطعموا مسكين أو أكثر فمن زاد فهو خير له ، ولكن يحبذ الرحمن الصيام ويقول الصوم خير لكم ، لما ذكرت من فوائد الصوم في الآية السابقة من تدريبات الصيام ، ونلاحظ أن كفارة عدم الصوم هي الإطعام للمساكين .. لماذا؟... لأننا حين نطعم جائع فهذه بتلك ففي يوم القيامة نكون نحن الجياع فالله أولى أن يشبعنا وأرحم بنا من رحمتنا بالمساكين ، والجزاء من جنس العمل وتأکید لما ذكرت قول الحق (إن كنتم تعلمون) ...ماذا نعلم ؟

نعلم حكمة فرض الصيام علينا ، كتب الله علينا في هذه الآية الصيام في أيام معدودة وهذه إشارة منه سبحانه أن الصيام جائز طول العام ، نختار بعض الأيام نصومها بمحض إرادتنا وهذا لمن تطوع خير ، ويسمى صيام التطوع ، هكذا بدأ التدريب لنا من الله على الصيام بالتطوع ثم يأتي التشريع بفرض صيام شهر رمضان ، وهو ميعاد مهم جدا هذا الشهر خلق الله فيه الأرض والسموات وفيه ليلة القدر التي قدر فيها الحق أقوات العباد ، والصيام فيه واجب لأن الدنيا ستنتهي كما بدأت في نهاية ليالي أحد الرضائيات المقبلة ، ولو كان كما يقولون نصوم لنشعر بالآلام الفقير الجائع ، وهذا بعيد جدا ، لأنه لو كان كذلك فلما يصوم الفقير الجائع !!! ولكن الصيام فرض على الكل الفقير والغني وجائع وشبعان ، قد تكون هذه جزئية ولكنها ليست الأساس في حكمة الرحمن في فرض الصيام ، وهذه آية أخرى يظهر فيها حب الله للبشر ويجب القول (الحمد لله رب العالمين)

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

بعد التدريب السابق في أيام معدودات ، تأتي هذه الآية لتجعل الصيام فرض قائم لا جدال فيه ، واجب لازم عمله وفي ميعاد محدد وهو (شهر رمضان) لماذا ؟ لعدة أسباب :

1- نزل فيه القرآن ، والقرآن هو المنهج الإلهي الذي ينظم حياتنا في الدنيا والآخرة .

2- شهر رمضان له كرامة عظيمة فهو الشهر الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن وهو الشهر الذي خلق الله في آخره الأرض والسموات وتكون فيه الساعة ، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر أي أن العبادة في تلك الليلة تفوق عبادة ثلاث وثمانين عام لمن قام في هذه الليلة يصلي ، وفيها يستجيب الله لمن دعاه بأي طلب ففي صيام وقيام ليلة القدر ثواب وأجر يجعل عندك من الصبر علي الجوع والعطش يوم القيامة كأنك أكلت طعام وشربت شراب أكثر من ثمانين عام ، فلا جوع ولا عطش يوم القيامة ، وتتجلي رحمة الرحيم في إباحة الفطر للمريض والمسافر علي أن يعيد صيام هذه الأيام التي أفطرها بعد رمضان حتى لا يحرم من التدريب السنوي وهذا من تيسير الرحمن لعباده .

3- كان رسول الله ﷺ قبل البعثة يعتكف في غار حراء طوال شهر رمضان من كل عام ، وفي سنة البعثة بعد أن أتم الشهر نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي وأول سورة في القرآن ، وكان ذلك في ليلة القدر .

4- لقد حدد الرحمن الصيام في شهر رمضان وهو الشهر الذي خلق الله الأرض في آخره وفيه ليلة القدر التي قدر الله فيها أقوات المخلوقات جميعا وأقذارهم جميعا

وذلك في قول الحق في سورة (فصلت) ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ۝۱۰﴾ .

وحدد الله لنا صيام شهر لأن يوم القيامة يمر على المسلمين حسب أعمالهم ، فمنهم من يمر عليه بقدر زمن صلاة مكتوبة مثل صلاة الفجر أو صلاة الظهر ، ومنهم من يمر عليه كيوم صيام في رمضان أو يومين أو أكثر وأقصى مدة فيها شهر ، وهذا فضل صيام شهر رمضان كل سنة ثم يأتي العيد الذي يشبه ساعة دخولنا الجنة حيث نكون في عيد حقيقي ، يقول رسول الله ﷺ للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه . (صدق رسول الله)

فالفرحة عند فطرنا ليس معناها حين نأكل طعام الإفطار ولكن حين ينشق القبر ويفطرنا الله خلقا جديدا في يوم عيد الفطر وبعد أن تتلقانا الملائكة وتطمئننا وتلبسنا ثياب العيد نلتقي مع رسول الله عند حوضه ليسقينا منه شربة لا نظماً بعدها أبدا وهذا كله يتم في يوم عيد الفطر الذي نحتفل به كل عام ، ولذلك يقول الحق في آخر الآية (ولتكبروا الله) وهذا ما نفعله في صلاة العيد نكبر الله وهذا ما سنفعله حين اللقاء علي حوض رسول الله في أول الحشر حيث نجد أن ما وعدنا الله حق وهذا ما هدانا الله له ، ويقول الحق (ولعلكم تشكرون) وساعتها حين نري النعيم الذي أعده الله للصائمين الذين كبروا كلام الله في الدنيا ونفذه بالحرف طاعة وإجلال لله لحظتها نشكر الله على كثير نعمه علينا وتدريبه لنا لهذا اليوم الذي لا ينتهي إلا بلقاء الله في أيام التشريق في العيد الكبير والفرحة الكبرى يوم عيد الأضحى حيث ميعاد دخول الجنة وهذا سأذكره في مناسك الحج إن شاء الله ونقول الآن نشكرك يا رب قبل يوم القيامة ، والذي نفسي بيده لا أجد من الكلام ما أستطيع به أن أشكرك يا الله وعلى قدر ضعفي وقلة حيلتي أقول ولآخر يوم في حياتي ومع آخر أنفاسي سأظل أرددتها (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي وَلِيُّمُنْوَإِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

ما أجمل هذه الآية وما أروعها ، يقول الرحمن : من يسألك من عبادي عني ، أين أنا ؟ ... كيف أنا ؟ وكيف الوصول لحضرتي ؟ ... فقل لهم إني قريب قريب في المكان .. يعني محيط بكم ، وقريب في الرحمة يعني ارضي عن عبادي بسهولة ويسر ، إذا دعاني عبدي دعوة بسيطة بأن يقول يا رب فقط ، أجيبه نعم يا عبدي فوراً حتى وإن كان عاصياً ، وذلك لأن الله لم يحدد في الآية نوعية العبد الذي يدعو الله ، تركها مفتوحة لكل العباد ، في هذه الآية اشعر في حروفها نور الحنان الرباني وهي تالية لآيات الصيام لكي يوضح لنا الحق لنا انه ما فعل هذه الفريضة من الصوم إلا لأنه حريص علينا قريب منّا في الدنيا وفي الآخرة ويجب أن نكون بخير في الدارين وانه كل ما يطلبه منك هو أن تستجيب له حين يدعوك لعمل شيء في صالحك أنت . وأنت لن تفيد في شيء ولن يحتاج إليك في شيء ولكنك تحتاج منه كل شيء وتحتاجه في كل شيء ، ويدعوننا لنؤمن بهذا بقوله (لعلهم) هذه الكلمة تشعرني بالأسى والأمل الذي يملأ كلمات الرحمن في انه يريد لعباده أن ينصلح حالهم ، (لعلهم) كأن الحق يقول: يا ليتهم ، أرجو أن يكونوا راشدين أو يعقلون ويفهمون ما أمرهم به أنه لهم ولمستقبلهم في الدنيا والآخرة، و شرط إجابة الدعوة من الله أن تدعوه فقط ، يا الله يا الله كم أنت جميل ورحيم مجرد ما ادعوك تستجيب يا حبيبي يا الله وكأنه يقول هنا أنا أخاف عليكم اسمعوا كلامي وصدقوني فإني قريب أرى مصالحكم في الدنيا والآخرة وما ينفعكم في الدارين . إني قريب جداً مجرد أن تذكرني تجدني ومجرد أن تستغفري اقبل توبتك أنا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقال ادعوني أستجب لكم ، لا تطلبوا شيء إلا مني أنا الله الذي خلقكم والذي يرحمكم ويحبكم ، هذه الآية تدل علي أننا نحن الذين نبعد عن الله ، فالله قريب ولكننا نظرق كل باب إلا باب الله مع إنه ليس له باب وليس لديه حجاب يمنعونا من الدخول إليه والوقوف بين يديه والطلب منه وهو مالك الملك وهذا يتضح في قولنا في الصلاة (الله أكبر) تكبيرة الدخول في الحضرة

الإلهية وعكس حروف (الله أكبر) ورفع (أل) من لفظ الجلالة نجدها (ربك اهل) أي ربك اهل بنوره عليك وسمح لك بدخول حضرته العلية فاطلب منه ولا حرج واشكي له ولا خوف وارجوه وأنت متأكد من قربك منك واستجابته لك ، ولا أجد غير قولي الدائم له حتى أموت أحبك يا الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۚ فَالْزَنُّ بِنِسْوَتِهِنَّ وَابْتِغَاءُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۚ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ ۚ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

أحل الله الجماع بين الرجل وزوجته في ليلة الصيام وصف الحق الرجال وزوجاتهم بأن كل منهم ستر للآخر وقال :هن لباس لكم وكلمة لباس معناها رداء وتأتي هنا بمعنى وقاية وحماية وحفظ وصيانة ، وكلمة لباس تفيد التلاصق الحميم في المعنى الظاهر بين الرجل وزوجته ، وعكس كلمة لباس تكون (سابل) يعني ساتر وحائل من ماذا ؟... من الزلل في وقت النهار أثناء الصيام من الشهوة المكبوتة من النظر إلى المحرمات وغيره ، ومعناها أيضا ساتر لعورات بعضهم البعض وأيضا ساتر لأسرار بعضهم البعض ، وهذا كله واجب في الصيام وغير الصيام

في بدأ فرض الصيام كان الصوم يبدأ حين ينام الصائم أو الصائمة وكان بعض الصحابة يعود متأخرا من عند رسول الله فتكون زوجته قد نامت ، فكان يوقظها ويباشرها والله يعلم ذلك ، فأنزل هذه الآية رحمة بهم وعطف عليهم حتى لا يحملهم فوق طاقتهم ، هنا يضع الحق بعض الحدود ويحلل بعض البنود ويلزم بها المسلمين إلزام صارم ، ويخوفهم من عدم التنفيذ وأن يتقوا غضبه في بعدم تعدي الحدود ، وكلمة (لعلهم يتقون) تفيد أن تنفيذ ما أمر الله به في هذه الآية فيه

وقاية لكم من أشياء كثيرة في الدنيا والآخرة .. ويقول لهم الحق اطلبوا من الله ما كتب لكم من الولد الصالح واطلبوا من الله الرحمة والعفو والمغفرة، وأباح الله الجماع والأكل والشرب حتى يظهر أول شعاع ضوء من الفجر وهو يدفع آخر خط أسود من الليل، أي حتى الفجر، ثم يكملوا الصيام إلى المغرب يعني أول الليل، ثم يأمر الحق من يقرر الاعتكاف في المسجد أن لا يباشر زوجته بالجماع، أي يمتنع عن الجماع في فترة الاعتكاف، وكلمة عكف تعني الالتزام بقوة، والاعتكاف في المسجد يكون للالتزام ليل ونهار بالعبادة لله فقط وهذا من حق الله على المسلم، أن يتفرغ لربه ولو عشرة أيام فقط كل سنة، وهذا من حق العبد أيضا أن يعبد الله متجردا من أمور الدنيا ولو بضعة أيام، ولذلك نجد بعض السالكين المحبين لله يجدون في الاعتكاف سبيل إلى الله والرقى في معرفته عز وجل ليس فقط في رمضان ولكن في أوقات أخرى في طول السنة، فهو يحبس نفسه ليروضها على طاعة الله عز وجل 0 تتجلى رحمة الرحيم في معاني هذه الآية وتيسيره على عباده ورأفته في تحليل بعض ما حرم، ووضع منهج العبادة الخاصة وهي (الاعتكاف) لمن يريد الرقي في معرفة الله عز وجل وجعل الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إشارة لأهمية هذه الأيام ففيها خلق الله السماوات والأرض، وفي آخرها تقوم الساعة، وبعدها عيد الفطر أي إعادة خلقنا على أكمل صورة لنلقى رسول الله ﷺ على الحوض ونقضي معه العيد ثم نستمر إلى أن ندخل الجنة زمرا، هذا هو الله في سلوكه الرائع معنا في الدنيا والآخرة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكْمِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨)

ما زال الحق يربينا ويعلمنا الحدود والحق وكيف التصرف مع الباطل، ففي هذه الآية ينهانا عن أخذ المال بأي نوع من أنواع الباطل أو الظلم، يلزمنا بأن تكون كل المعاملات المالية بيننا تتم بالحق والعدل، وينهانا الله عن الرشوة لأنها الظلم بعينه، وهي أن ندفع المال لأولي الأمر لنأخذ ما ليس لنا بحق، فالمال مال

الله والبشر مستخلفون فيه ، فلا يحق لنا أن نتصرف فيه إلا بالحق وبما شرع الله لنا فلا يكون سبب في تحميلنا ذنوب وآثام ونحن نعلم أنه ليس من حقنا ، هنا يضع الحق ميزان العدل ليعم السلام والحب بين الناس ، فلن يستقر مجتمع أكل فيه القوي مال الضعيف ، ولأن الله هو السلام فهو يحب السلام ولا يقوم سلام إلا على العدل ولذلك أقام الله العدل بشرعه حتى نعيش في سلام و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

يسألون النبي ﷺ عن الأهلة وهي جمع هلال ، ونحن نعلم أن الشمس والقمر من آيات الرحمن ، والهلال هو ظهور جزء من القمر دون الكل ، ولقد جعل الله عز وجل ظهور الهلال لتحديد الشهور العربية بمواقيت يحددها الله وحده ، لأن في عهد الرسول ﷺ ومن سبقه من الرسل عليهم السلام لم يكن هناك أقمار صناعية ولا مراصد فلكية ولا آلات لضبط وتحديد الزمن مثل الساعات والحاسبات الإلكترونية مثل الآن ، ومما يحزن حقا هو اختلاف المسلمون الآن في تحديد مواعيد الشهور وبالتالي اختلاف المواسم والأعياد ، فمن الواجب شرعا أن كل الدول الإسلامية التي تشترك مع بعضها في جزء من الليل يجب أن تتوحد تواريخها وبداية شهورها ، وهذا لازم الآن في ظل التفكك الحاصل بين المسلمين ، فعلى الأقل تتوحد مواسمهم ، والدليل على كلامي هذا أنهم مهما اختلفوا في مواقيتهم نجدهم يتحدوا في يوم عرفة ، فإذا كان يوم عرفة موحد فلما اختلفوا في باقي المواسم والأعياد . يا مسلمين أفيقوا واتحدوا .

وبعد ذلك يبين لنا الحق كم نحن سفهاء في تفكيرنا ، كان العرب زمان إذا عاد أحدهم من السفر أو الحج يدخل بيته من الخلف تيمنا بأنه بدأ من جديد ، وهذا

سفه وقضايا تافهة ليست من البر ولا الدين ولا الطاعة ولا عمل الخير ، وهنا الحق يوجهنا إلى أن لا نهتم بالظواهر الخارجية أو الأفعال السطحية التي قد تسيء إلى عظمة الإسلام ورقى معناه وحضارة سلوكياته .. وقوله سبحانه أن تأتوا البيوت من أبوابها له معاني كثيرة ، مثلاً : إذا أردت أن تتزوج اذهب في النور لأهل من تريد الزواج بها ، أو إذا أردت العمل فاذهب لرب العمل مباشرة ، إذا أردت إنجاز شيء ما فاذهب مباشرة في طريق واضح وأمامي لا تخشي إلا الله ما دمت على حق ، يعني لا داعي لللف والدوران حول ما تريد فاقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم ، وهنا إشارة بأن البر والعمل الصالح ليس بالأفعال بقدر ما هو في تقوى النفوس وصلاحتها ، وهذا لمن يعترض من أهل الشريعة على أهل الحقيقة ، ويحذرن الله بقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكأنه سبحانه يقول ليتكم تتقوني لتنجحوا في كل أعمالكم ، وهذا قانون وضعه الحق للنجاح ألا وهو تقوى الله والثقة بأنه على علم بما في ضمائرنا ، كم أنت رحيم يا الله و (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٠)

ما زال الحق يضع لنا المنهج الرباني الذي يجب أن نلتزم به ، وهو هنا يأمرنا بالجهاد والقتال في سبيله هو فقط ، ولا نقاتل إلا من يقاتلنا أو يعتدي علينا أو يتحكم في حريتنا دينياً ودينياً ، ولكن حرم علينا الحق أن نعتدي على أحد بظلم ، وهنا المجال واسع يرد على من قال أن الإسلام انتشر بالسيف ، لقد كان السيف على رقاب من يمنع الناس من أن يسمعوا كلام الله من الحكام الطغاة فقط ولم يجبر أحد على اعتناق الإسلام ، فالقاعدة في الإسلام هي من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهنا يوضح الحق أنه لا يحب المعتدين بغير حق ، وهذا يعني أن الله يحب المسالمين والعجيب في كلام الله أنه حين ينفي حبه للمخطيء لا يقول (والله يكره كذا) بل من رفته ولطفه وعظمة رحمته وجمال عباراته وروعة حنانه يقول : إن

الله لا يحب كذا وكذا ... حتى لفظ الكره لا ينسبه لنفسه ولا يطلقه على خلقه ، هل رأيتم حنان كهذا ، هل هناك من يحبكم مثل هذا الحب ، لا والله لا أجد غير الله لي حبيب و (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْعَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١١١)

وهنا يأمرنا الحق بأن نقتل كل من يقاتلنا في كل مكان نجدهم فيه ، وهذه الآية ليست قاصرة على كفار مكة ولكن على كل من يخرج المسلمين من بلادهم ظلما ، ومن الملاحظ هنا صيغة الجمع في قول الحق (قاتلوا) و (لا تعتدوا) و (اقتلوهم) و (أخرجوهم) تفيد أن الحق يطالبنا بالعمل الجماعي من خلال جيش وليس أفراد أو جماعات أو تفجيرات فردية كما يحدث الآن من الأعمال الانتحارية ، ويقول الحق (والفتنة أشد من القتل) وهنا الفتنة بمعنى الواقعة بين المسلمين والتفريق بينهم والتشتت لأمرهم بسبب سوء معاملة الناس لهم وقهرهم بسبب دينهم ، والفتنة هي التفريق بين صفوف المسلمين وجعلهم فرق وجماعات وطوائف ، قال رسول الله ﷺ من جاءكم يشق عصاكم فاقتلوه فهو شيطان .. لأن في التفريق ضعف ولم تتجراً علينا الدول الغير مسلمة إلا بسبب تفرقنا وضعفنا ، وقيام جماعات يأسست من اتحاد المسلمين تحت راية واحدة لتقوم بما يجب أن تقوم به جيوش المسلمين متحدة مع بعضها البعض ، ولذلك قال الحق الفتنة اشد ذنبا عند الله من القتل ، لأن القتل سيكون مهما ذاد في أفراد أما الفتنة فهي قتل للأمة بكاملها ويأمرنا الحق بعدم القتال عند المسجد الحرام إلا إذا قاتلونا فيه لأن هناك مكان من دخله كان آمنا ، ولا يصح سفك الدماء فيه إلا إذا قاتلوكم فوجب حق الدفاع عن النفس و البيت الحرام . فإن تجرؤا على حرمة البيت الحرام فاقتلوهم جزاءً لكفرهم ، فإن الله له أماكن يحبها ويجب أن نحميها محبةً لله حتى يحبنا الله ، هذا البيت بناه الملائكة قبل خلق آدم وحجت إليه قبل آدم وفي كل يوم يدخله

آلاف الملائكة ومنهم من حضر خلق آدم وكرهوا سفك الدماء ، ولذلك حرم الله سفك الدماء أو القتال فيه ، وهو مكان للعبادة ولذكر الله والله هو السلام فكيف تذكر السلام وأنت في قتال ، ولكن نحن نسالم عن قوة ومقدرة وليس عن ضعف ولذلك يجب إذا قاتلنا أحد من المشركين أن نوقفه عند حده حتى لا يتجرأ علينا أحد وهذا لأن الأمة المسلمة هي أعظم الأمم ويجب أن تظل هكذا إلى يوم الدين ، وعلى هذه الآية وغيرها يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٢)

فإن إن انتهوا ، أي كفوا عن قتالكم فإن الله غفور رحيم ، وهنا من رحمة الرحمن لم يحدد لمن المغفرة ولا لمن الرحمة ، أطلقها على العموم ، ما أروع رحمتك يا رحيم وما أعظم حلمك بعبادك حتى الكافر منهم بنعمك وآلائك ترحمهم وتغفر لهم يحب الله السلام ويحث الناس عليه لا يحب الحرب والنزاع لأنه هو السلام ومنه السلام وإليه السلام ، والإسلام مشتق من السلام ، وليس إرهاب كما يدعي الغرب الآن ، يقول الحق أنه غفور رحيم ، وهل هناك من يضطره لكي يغفر ويرحم ؟ نعم إنه هو ذاته الذي يحب هذه الصفات فهو الرحمة وهو المغفرة ونحمده على ذلك حمدا كثيرا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١١٣)

هنا يبين لنا الحق لماذا أمرنا بالقتال ، حتى لا يفتن من آمن عن دينه ، فالقتال لتوفير المناخ الآمن للمؤمنين ليعبدوا الله بحرية ، وأيضا لنشر دين الله ، وكلمة الحق (ويكون الدين لله) أي أن القتال لا يكون إلا في سبيل الله ، ويجب على كل البشر أن يدينون بدين الله ، وهذا معناه الرجوع والتسليم لله وحده ، نلاحظ أن الله قسم البشر إلى مسلمين يقاتلون في سبيل الله وكفار يقاتلهم المسلمون في سبيل الله إذن كله في سبيل الله ، ثم لأن الله رءوف رحيم يأمرنا بعدم الإفراط في القتل فإن كفوا وانتهوا عن القتال فكفوا أيديكم عنهم ، ولا تعتدوا إلا على من ظلم ، هذه

الآية تبين كم رحمة الله بعباده من مسلم أو كافر، فهو لم يجبر أحد على الإيمان ولم يحرم أحد من الرزق حتى الكافر، فالحق يمد له لعله يهتدي وهذا لأنه هو الرحمة ذاتها، في هذه الآية إشارة خفية تشير لنهاية الزمان حين ينزل عيسى ويدعو الناس إما للإسلام أو الموت ويأتي هذا من قول الحق سبحانه (ويكون الدين كله لله) ولم يشير الله إلى استمرار القتال بل قال لا تعتدوا إلا على الظالم، والظالم هو من ظلم غيره أو أبان كفره بظلم أما من أخفى كفره فلا عدوان عليه لأن الله سيكفيهم الله، المنهج القرآني لا يترك الله فيه شيء لم يوضحه، فللقرآن مع كل حدث أو موقف في الدنيا والآخرة رأي ومنهج للسير عليه رحمة من الرحمن الرحيم، ويجب أن نشكر الله على منهجه الرائع وهو القرآن و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنۢ وَعَدَنۡكَ عَلَيۡكَمۡ فَأَعۡتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثۡلِ مَا أَعَدَّكَ عَلَيۡكُمۡ وَآتَقُوا۟ اللَّهَ وَعَلِمُوا۟ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

الله في الأرض أماكن حرم كما أن هناك أزمان حرم وهي الأشهر الحرم التي بني فيها الحرمان الشريفان في مكة والقدس، وهذه الأشهر هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وضعت الملائكة قواعد البيت الحرام بمكة في شهر ذي القعدة ولذلك سمي بذی القعدة، وحجت إليه الملائكة قبل خلق آدم في شهر ذي الحجة ثم خلق الله آدم في شهر المحرم، وأقام آدم وأبناؤه حول البيت بعد نزوله الأرض في مكة وهي أول قرية علي الأرض، وكلمة قرية آتية من الاستقرار والمقر ولذلك سميت مكة بأمة القرى، ثم بنت الملائكة المسجد الأقصى في بيت المقدس، وسمي بالمسجد الأقصى أي البعيد عن المسجد الحرام بمكة التي نزل بها آدم وحواء. سئل رسول الله ﷺ عن أول بيت وضع للناس فقال: المسجد الحرام بمكة ثم المسجد الأقصى، فسئل كم من مدة بين بناء المسجدين؟ فقال: بينهما أربعون سنة. كيف هذا؟ قال الحق (إن يوما عند الله كآلف سنة مما تعدون) فكم تكون الساعة عند الله؟ الساعة عند الله تساوي أربعين سنة من سنين

الأرض ، وهي مقدار صعود الملائكة إلى الله وبنائهم المسجد الحرام بمكة ثم هبوطهم إلى الأرض لبناء المسجد الأقصى بالقدس ، صعدوا في شهر ذي الحجة وهبطوا بعد أربعين سنة كان الزمن في تلك السنة قد وصل إلى شهر رجب فحرم رجب لذلك ونزول الملائكة في القدس جعل فيها معراج (أي مصعد) يصعد منه الناس والملائكة مثل الذي في مزدلفة الذي نزل منه آدم ، وهناك من المعارج في الكون مما لا يعلمها إلا الله وهذا معني قول الحق (من الله ذي المعارج) ولذلك جعلت هذه الشهور محرم فيها القتال لأن فيها نزول الرحمات من الرحمن ببناء مساجد لذكر الله في الأرض ، أما إبراهيم فقد أقام قواعد البيت بمكة وقواعد البيت بالقدس ، لأنه كان أمة بعد أن ضاع الدين في الأرض أعاد الله به دين آدم ، وحرم الله القتال في هذه الأماكن وفي هذه الشهور الحرم لكثرة الملائكة فيها ولكرامة هذه المحرمات ، ولكن في هذه الآية يبيح الحق للمؤمنين أن يقاتلوا من يقاتلهم في الأشهر الحرم دفاعاً عن أنفسهم ، ويقول الحق من انتهك حرمتكم فقاتلوه لأن كل ما يجب المحافظة عليه واحترامه يجب الذود عنه والقصاص واجب حتى لا يتجرأ أحد عليكم والعدوان بالمثل ، أمرهم الله بأن يقاتلوا من يقاتلهم لإقامة العدل وأمرهم بتقوى الله بحيث لا يكونوا هم البادئين بالقتال وانتهاك المحرمات ، لأن الله ينصر المتقين وهو معهم في كل وقت وفي كل المعارك وفي كل المواقف... تتجلى في هذه الآية قمة الاحترام للمقدسات والمحرمات وهنا يعلمنا الله معني القدسية ومعني الكرامة ويضرب لنا الله المثل الأعلى في الأخلاق والكرامة والذود عن حرماننا ومقدساتنا، وكيف يحترم الإنسان كرامته ودينه ولا نفق هكذا في ضعف كما هو حادث هذه الأيام من انحطاط وضعف للأمة الإسلامية على الرغم من كثرة عددهم ولكنهم مثل ما قال عنهم الرسول ﷺ كأنهم كغثاء السيل ، مثل الرغاوي وفقايق الهواء، يريد الله منا أن نكون بأخلاق الفرسان وشجاعتهم وتقوى الأنبياء وبسالتهم، وهل تريد لنفسك أفضل من هذا ؟ هذا لأن الله يحب المتقين من خلقه و(الحمد لله رب

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

تحثنا هذه الآية على الجهاد في سبيل الله بالمال والجهد وأن لا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة بأن نقول لن نقاتل لأننا في أشهر حرم أو ما شابه ذلك من الأعداء التافهة التي نعلق عليها جبننا وفشلنا وتقاعسنا عن الجهاد في سبيل الله ، وقول الحق لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يثبت أن ما يحدث الآن من أعمال انتحارية التي يقوم بها أفراد من الشباب على اعتقاد أنها الشهادة ليست حق ولا داعي لها فإنها لم تغير في الأوضاع شيء ، ولا يعلم من الشهيد إلا الله ، وليس كل من لبس حزام ناسف وفجر نفسه كان شهيدا ، ومن الملاحظ في آيات القتال أن الحق يستخدم لفظ الجماعة في قوله (قاتلوهم - واقتلوهم - واعتدوا - واتقوا) لم يستخدم لفظ المفرد ، وهذا يبين أن الجهاد والقتال عمل جماعي يعني جيش من المسلمين له ضوابط وقوانين إلهية لا يتعدها ومنها عدم قتل الأطفال والشيخ والنساء يعني عدم قتل المدنيين ولا يحرق زرع ولا يدمر ما لا فائدة من تدميره يجب أن يكون جيش على خلق ودين وعدل وتقوى لله ، ولذلك يقول الحق (بمثل ما اعتدى عليكم) ، وقول الحق (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أن يتعد الناس عن ما يدمر حياتهم مثل المخدرات والزنا وعمل الحرام بكل أنواعه مما هو صفة العصر الحديث الآن نجد الشباب يفعل كل المحرمات دون وعي والخطيئة في تناول يد الأطفال قبل الكبار في عالم مفتوح فيه الإعلام والانحلال ، وهذا من أخطر أنواع التهلكة لأنها تهلكة للأخرة حيث لا يبقى للشباب أو الفتاة أي رصيد عند الله مما يعرضهم لعذاب الدنيا والآخرة 0 ويقول الحق (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) كم هي جميلة صفاتك يا الله توجه عبادك إلى ما ينجيهم من التهلكة وتأمرهم بالإحسان والعمل الصالح ، وتتجلى رحمتك حتى في غضبك وحسك على القتال بشرف رحمة منك حتى على خلقك غير المؤمنين كم أنت عظيم في رحمتك يا

أرحم الراحمين ، ماذا أقول غير (الحمد لله رب العالمين) على أنه هو الرحمن الرحيم .

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَغَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾﴾

ما معني الحج في اللغة ؟ ..معناه القصد والاتجاه ، يقول الحق (وأتّموا الحج والعمرة لله) يعني اسلكوا الطريق الذي سلكه أبيكم آدم هو وحواء حين أرزلفهم الله إلى الأرض ولكن لكي يكون تام يجب أن يكون بعكس الطريق الذي سار فيه آدم وحواء لكي يكون القصد لله ، أي الاتجاه لله 0 وهنا نحكي قصة هبوط آدم وحواء إلى الأرض : بدأت القصة بأن قال الله لآدم وحواء والشيطان الرجيم اهبطوا من الجنة بعضكم لبعض عدو، فنزلوا من الجنة التي هي أرض مثل أرضنا هذه ولكن على أعلى مستوي حضاري ممكن أن يتخيله عقل ، فليس من المعقول أن الحق خلق كل هذه المجرات والأفلاك والكواكب التي تعد بالمليارات لأجل الرملة الصغيرة التي نعيش عليها وهي الأرض والدليل على ذلك قول الحق للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، بمعنى أن الله خلق آدم في أرض مثل أرضنا هذه ولكن مهياً على أعلى مستوى، حين قبل الإنسان الإرادة الحرة وهي أمانة التكليف بالفعل ولا افعل وعصي ربه من أول اختبار فأكل من الشجرة الحرام أنزله الله إلى الأرض البكر التي ليس فيها شيء من الحضارة وكان النزول في مزدلفة وواضح من اسمها معناها أي مكان التزلف أو النزول ، فلما نزلوا جميعاً وهم أعداء بعض كان هناك هبوط في المكانة عند الله أيضاً وهبوط معنوي حيث أن نفس آدم وحواء في حالة حزن وغم ، فماذا فعلوا لما رأوا الأرض التي وصفها رسول الله بأنها سجن المؤمن ، وليس فيها إلا الصخور والحصى ، أخذ آدم

وحواء يجمعان الحصى بيديهم ويرجموا إبليس اللعين الذي تسبب في هذه العقوبة لهم ، والرجم هذا تنفيذ لأمر الله عز وجل بأن الشيطان رجيم ، وبعد الرجم لم يجدوا بدا مما ليس منه بد فبدأوا يبحثوا عن بيت الله الذي تعودوا على الطواف حوله في جنتهم السابقة ، وكانت الملائكة قد بنت البيت من قبل ، فلما وجدوا البيت في أرضهم الجديدة، طافوا طواف الإفاضة ، ومعني الإفاضة أنهم فوضوا أمرهم لله فيما هم فيه وقال آدم حين طاف حول الكعبة لأول مرة بعد النزول للأرض :وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، ثم جعلوا قرارهم وبيتهم عند الكعبة ليحتموا بظل عرش الله من المجهول الذي ينتظرهم ، وبدءوا في تفقد المكان حولهم ، ووصلوا إلى جبل الرحمة في عرفات وهناك تجلت رحمة الرحمن على عباده وأفهمهم لماذا هم في هذه الحياة الدنيا ، وعرفهم ما هو دورهم فيها ، علم الله آدم الأسماء في الحياة العليا التي كان فيها ولكنه لم يعلمه المعاني ولقد أنزله لمدرسة الحياة الدنيا ليتعلم معاني الأشياء ومعاني القيم حتي لا يتعرض لكاذب مثل إبليس اللعين يقسم له فيصده لأنه لم يري أحد من قبل يقسم بالله كذب ،أنزله الله إلى الدنيا حتى يعرف الخبيث والطيب ويعرف معاني الأخلاق والسلوك ومعاني الحاجات ، وهذا هو معني عرفات جمع معرفة ...نلاحظ الطفل يولد لا يعرف شيء ثم يتعلم نطق الأسماء ثم يبدأ بالتعرف على الأشياء ، وهذا ما حدث لآدم وحواء عرفوا ماهم مقدمين عليه في هذه الأرض وبعد قضاء يوم عرفة عاد إلى مكة وطافوا طواف القدوم والاستقرار في أم القرى حيث آتاهم الله من رزقه ، ونلاحظ أن آدم وحواء نزلوا إلى الأرض وهم يلبسون من ورق الجنة ما يسترهم فقط ، وهذا ما يلبسه الحاج حين يحرم ، وكلمة إحرام على وزن أفعال أي معناها (فعل الحرام) وهو أكل آدم من الشجرة المحرمة مما أدى إلى كشف جسده وأخذ يغطي جسمه بورق الجنة ، وهذا هو زى الحاج فكل من جاء للحج كان من قبل يفعل الحرام أو له على الأقل أخطاء يريد أن يتخلص منها ،فهو في هذا الموقف يرتدي زى آدم حين فعل الحرام وسميت بملابس الإحرام لهذا ولأنها تكاد تستر

العورة فقط ولأن الحاج لا يفكر إلا فيما فكر فيه آدم وهو إلى أين الطريق لم يفكر في زينة ولا متعة ولا شيء غير رضا الله حتى يعود لما كان فيه من نعيم ، ولأن الله حين يشرع تشريع يكون لهذا التشريع تاريخ ماضي وحاضر حاصل الآن ومستقبل يدر بنا الله عليه ، ولقد ذكرت تاريخ مناسك الحج ولما هي بهذه الطريقة ، والآن اذكر الحاضر لهذه العبادة نحن نعلم أن الله قال (ولله على الناس حج البيت) كل الناس يجب أن يحج من استطاع ذلك لماذا ؟ لان الذي يحج في الدنيا يحمل فورا إلى مزدلفة يوم الدين لا يمر بالمناسك التي سيسلكها من لم يحج وكان قادر على الحج ومن لم يقدر وتمني من قلبه بصدق (فإنما الأعمال بالنيات) فقد كتب الله له بهذه النية حجة ، فطريق الحج هو الطريق إلى جنة ادم وحواء ، إذن الحج تدريب ليوم البعث علي الطريق الذي سيسلكه كل الناس ، فمن حج لا يتعب ولا يطول معه الوقت للوصول إلى يوم عيد الأضحى في أيام التشريق حين تشرق الأرض بنور ربها ويأتي النبيين والشهداء ليشهدوا علي الناس ويدخل أهل النار إلى النار زمرا ويدخل أهل الجنة إلى الجنة زمرا أي أفواج وجماعات كل في دوره حسب عمله ، وهذا هو المستقبل بالنسبة لفريضة الحج ، فالحج هو (الصك)

وهو الحجة التي يقدمها الإنسان لله ويقول من خلالها أنه سار في طريق التوبة إلى الله وهو عكس طريق الإحرام الذي سلكه آدم ، ومن حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن الحجر الأسود أن الحجر يشهد لمن استلمه من بني آدم ويذكر اسمه أمام الله يوم الحساب ، هذا هو الحج بمعناه التشريعي ، أما معناه في المشاعر والأحاسيس فهو مثال للحب بكل معناه ، فنحن نحب الله ونريد لقاءه ومناسك الحج توصلنا إليه بمشاعرنا وتلك الطقوس التي لم تتغير منذ آدم وللآن ، وفي الحج رمز للوفاء لأول زوجين في الأرض وهما أبوانا آدم وحواء ، وأيضا صلة رحم لهما فنحن حين يأتي العيد نذهب للأهل في القرى أو في بيوتهم إن لم يكونوا معنا في بيت واحد لنعيش معهم مشاعر الفرحة والسرور بالعيد وهذا يتم مع أولاد آدم وحواء يأتوا إلى مكان أبيهم لقضاء العيد ، ولذلك يطلق الحق

علي أعمال الحج كلمة (مشاعر الحج) بمعنى أحاسيس وانفعالات، هذا هو الله يحب المشاعر الجميلة الرقيقة والأخلاق الحميدة التي هي منه سبحانه وتعالى، في هذه الآية يبين الحق بعض حكمه من مناسك الحج والعمرة فيقول إن خرجت للحج أو العمرة فاجعلوا خروجكم كله خالصا تماما لوجه الله لا يشوبه شبهه أو عرض دنيوي أو رياء أو سمعة، فإن منعتم من اتماهما بسبب قهري، فاهدوا إلى الحرم ما يهدي من الأنعام حسب ما يتيسر لكم، هذه الأحكام تنفيذ لدعوة إبراهيم عليه السلام، ولا تحلوا الإحرام بالحلقي إلا إذا وصل الهدي لمكان ذبحه عند الحرم أو حيث أحصرتم، فمن حلق بسبب مرض أو أذى في رأسه فعليه فداء وهو إما صيام أو صدقة أو نسك (يعني شاة)، فمن امن وقرر أن يقوم بالحج وفك إحرامه بعد أداء العمرة وتمتع إلى ميقات الحج فعليه هدي التمتع، نجد أن الحق في إحكامه يركز على الإهداء بالمال والأنعام للحرم تنفيذا لدعوة إبراهيم عليه السلام، ولذلك نرى الآن أن الحرم يرسل هداياه إلى الدول الإسلامية الفقيرة بسبب كثرة ما يهدي إليه، فمن لم يجد مال للهدي أو لم يجد الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبع حين يعود لأهله وبلده (يعني صيام عشرة أيام) هذا فقط لمن ليس من سكان مكة، ويشدد الله على تقواه وسماع أوامره ونواهيه ويحذرنا انه شديد العقاب لمن ظلم وعصى.... نلاحظ أن الحق ييسر على الحاج ما يقوم به من مناسك لأنه يرحم غربته وتعبه وسفره وهذا من رحمة الله عز وجل ليكمل بذلك منظومة الحب من الله للعالمين ولا أجد غير قولي دائما (الحمد لله رب العالمين)

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْيَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٧)

يعلمننا الحق في هذه الآية بعض آداب الحج

أولا: إن للحج ميعاد ثابت في اشهر معلومة للكل فمن فرض الحج ونوي

الخروج له فليعلم أن في الحج لا فاحشة ولا جماع ولا خروج عن الطاعة بالمعصية ولا جدال ومراء عقيم ولا مساومة على البضائع في الحرم ، هذا تنبيه من رب العزة لأصحاب العقول ، هنا حرص شديد من الرحمن على آداب السلوك الجماعي الإنساني ، حقا إنك رب العالمين. وتذود بالمال وغيره حتى تصون وجهك من السؤال وتذود بالتقوى من الله لأن صون الوجه من السؤال عزة ، وعزة المؤمن من عزة ربه ، الله هو الرب الذي يربينا وهو يقول اتقوني يا أولي العقول واعلموا أن تقواي هذه هي رصيدكم في القبر وفي يوم البعث وعلي قدر التقوى يكون غناكم في الحياة التي بعد الموت ، ويقول أيضا خير الزاد التقوى كزاد في الحياة الآخرة (والحمد لله رب العالمين)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾

ما زال الحق يعلمنا بأعمال الحج فيقول سبحانه : لا ذنب عليكم أو إثم إن مارستم التجارة أو غيرها من أعمال الدنيا التي تدر عليكم المال مادمتم ملتزمون بالسلوك الذي ذكره الله في الآيات السابقة ، ولكن بعد الإفاضة من عرفات يجب أن يكون أهم شيء تفعلوه هو ذكر الله بشدة وخاصة عند المشعر الحرام ، ما هو المشعر الحرام ؟ مكانه في مزدلفة ومنى وهذا هو المكان الذي هبط فيه آدم وحواء من الحياة العليا التي كانت جنتهم قبل فعل الحرام وأكلهم الحرام الذي حرمه الله عليهم وهي الشجرة المحرمة ، فحين نزلوا إلى مزدلفة ووجدوها أرض صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء شعروا بهول الحرام الذي فعلوه وكيف هي معصية الله كبيرة ومهلكة وظلوا في حالة الشعور بالحرام حتى غادروا هذا المكان ، ولأن الحق رحيم راف بهما ومن كثرة ذكرهم لله واستغفارهم غفر لهما وأقرهم في مكة ، ولذلك يوجهنا الحق أن هذا المكان يجب ذكر الله فيه كثيرا والدعاء فيه مستجاب مثل ما حدث مع آبائنا آدم وحواء من قبل ، فكأن الله يعرفنا بأسرار الأماكن وأهميتها

المواقيت بالنسبة لإجابة الدعاء ، وهذا معني قوله سبحانه (واذكروه كما هداكم) وأري معني قوله أننا كنا من قبل ضالين ، بيداً من ضلال أبونا آدم وحواء ، ثم الجهل الذي توالى علي البشر بعدهم ثم الجهل الذي كان في المسلمين لا يعرفون ما الذي يفعلوه من معاني المناسك والمشاعر في الحج أو في العبادات الأخرى ، ربنا لا أجد قول يفي لله بحقه علينا من كلمات الشكر التي عجزت عن التعبير عن مننه وعن رحمته وكرمه بنا نحن البشر ، و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾



كانت قريش تترفع أن تقف مع جمهور الحجاج في عرفات وكانت تقف في مزدلفة تكبرا وترفعاً ، فنهى الله الناس عن ذلك ، وأمرهم أن يسيروا في مناسك الحج مثل كل الناس ويأمرهم بالاستغفار عن هذا الكبر لأن الكبرياء لله وحده وأنه من رحمته سوف يغفر لهم لأنه هو الغفور الرحيم .. كلمة (من حيث أفاض الناس) هي التي عرفت منها تاريخ نزول آدم وحواء الذي ذكرته في الآيات السابقة ، والآية كلها تحكي قصة استغفار الناس في هذه الأماكن من أول آدم لأنه أول الناس وهذه الآية تؤكد ما قلته عن مشاعر الحج ، فهذا مكان إفاضة الناس إلى الجنة وهذا من قوله سبحانه (ثم أفيضوا) معناها أننا ننظر في إفاضة إلى هذه الأماكن حتى نعود إلى الله في الجنة إن شاء الله ، هذه الآيات ليست خاصة بالمسلمين فقط بل بكل الناس وهذه الآية تدل على أن الإسلام هو دين الناس جميعاً ، ولرحمة الله أنه فاتح باب المغفرة للناس لآخر لحظة في الدنيا لأنه رحيم ، أليس هذا حب من الله للعالمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِذَا قُضِيَّتُمْ مِنْكُمْ صَلَاتُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ



هنا ينبهنا الحق بأننا بعد إتمام مناسك الحج يجب أن نزيد في ذكرنا لله أكثر من ذكرنا آبائنا ، ما هو ذكر الله ؟ هل هو التسبيح والحمد والتكبير .. نعم ... ولكن هذا ذكر اللسان وأعظم ذكر هو ذكر القلب والروح فالتفكير في الله وجماله وكماله وجلاله ساعة خير من عبادة سبعين عام (ولذكر الله أكبر) لماذا يحثنا الله على ذكره وهو في غني عنا ؟ لأنه يحبنا ويحب مصلحتنا فحين نذكره يذكرنا هو فكيف إذا ظللت في ذكر دائم يظل هو ذاكرك ومن ذكره الله لا يضيعه أبدا ولا يضلّه شيطان ، وهنا ينبهنا الحق أن لا تكون الدنيا أكبر همنا وأهم دعائنا ولا يكون كل دعائنا ربنا آتنا في الدنيا وهي الفانية ولا نذكر الآخرة وهي الباقية ، ومن حب الله لنا ينبهنا لأقوالنا ودعائنا ويعلمنا أن نطلب منه الآخرة كما نطلب منه الدنيا حتى لا نأتي في الآخرة وليس لنا شيء فيها ، ما أكرمك يا رب وأرحمك بنا ولا أجد إلا حبي لك وقولي (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١)

ما أرحمك يا رب تعلمنا كيف الدعاء كما علمت أبنينا آدم ولكن بأسلوب إخباري ، فيقول إن منكم من يقول يا رب آتنا من حسنات الدنيا ومن حسنات الآخرة واحمينا من عذاب النار .. وكلمة (ربنا) تشير إلى الله بصفته المربي لنا والمعلم لنا كيف السؤال وعليه هو الإجابة ، ما هذا الحب الذي تحبه لخلقك يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحَسَابِ ﴾ (٢٠٢)

من قال الدعاء السابق الذي في الآية السابقة له حق الإجابة ، وهنا يوجهنا الحق إلى أننا يجب أن نعمل ولا نتواكل على الدعاء فقط ، بل نعمل ونحن ندعوا الله ونتوكل عليه ، لأن الله سيحاسبنا سريعا على أعمالنا ، فإن عملنا خيرا فهو خير لنا وإن عملنا شرا فهو يحاسبنا عليه سريعا ، وهذا تحذير لنا من الحق سبحانه حتى

لا نتواكل (والحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

اللهم أشهدك أني احبك ، ولم يعد في قلبي مكان لسواك ولم يعد قلبي يسع هواك فقد فاض الهوى على فؤادي الصغير الذي يهواك 0 تقول يا حبيبي وليس لي حبيب سواك واذكروا الله في أيام معدودات ، هكذا يكتفي الحق من الغافلين عن ذكره بعدة أيام حتى يجد لهم بها ما يرر رحمته لهم وهم لا يستحقوا هذه الرحمة إلا أنه هو الرؤوف الرحيم بحق ، ويزيد من رحمته ولعلمه بأن عبيده في عجلة من اللهث خلف الدنيا فيقول فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن زاد في عدد الأيام فلا إثم عليه ، ما هذه الأيام ؟ إنها أيام التشريق (عيد الأضحى) هذه هي أيام الدخول إلى الجنة بعد البعث لأنها أيام التشريق ومعني التشريق (وأشرقت الأرض بنور ربها)(الزمر) الأيام التي يتجلى نور الله فيها على أهل المحشر ليرحمهم ولذلك يريد أن يجعل للناس رصيد من الذكر لله في هذه الأيام ليرحمهم به في أيام التشريق الأخيرة في الأرض ، سيقول لي أحدهم مستنكر قولي هذا من أين أتيتي بهذه المعلومات التي لم نعرفها من قبل ؟!! سأقول له أكمل قراءة الآية تجد الإجابة عن سؤالك ، (لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)

يقول الحق هذا الذكر لا يكون إلا لمن اتقى الله في مناسك الحج ولذلك يكافئه الله بقبول ذكره لله في أيام التشريق ، وقوله سبحانه واتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه تحشرون ، كأن الله يشير لمن له عقل إلى تقوى الله في يوم الحشر الذي يشبه في موقفه أيام الحج وأيام التشريق التي أمر بذكره فيها ، لا يذكر الله الحشر هنا إلا لهذا المعني وقد يكون هناك معاني أخرى لا يعلمها إلا الله ، ولهذه الرحمة التي جعلت قلبي يذوب حبا وشكرا وحمدا لله ولا أجد كلمات تفني بهذه المعاني أقول وأنا عاجزة عن الحمد (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤)

يخبرنا الله عن بعض من خلقه كلامهم رائع ولسانهم يقطر عسلا ولكن قلوبهم أمر من العلقم والصبار ، فهو شديد العداوة على الرغم من حلاوة لسانه مع الناس ، وهنا تنبيه من الله ألا تظهر عكس ما نبطن لأن هذا هو النفاق ولذلك تعجبني مقولة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (اللهم اكفني شر أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم) ، لأن من يدعي الصداقة ويتحول من داخله إلى عدو فإن ضربته لي ستكون في مقتل لن أنجو منها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ (لم يبعث الله رسولا أو نبي وله خائنة الأعين) (متفق عليه) بمعنى أن الرسول أو النبي صادق في القول وصادق في الفعل وحتى في النظرة صادق فيها أيضا ، ومما يحزن أنه يتجراً ويشهد الله على ما في قلبه ، فهو يستهين بغضب الله هذا الإنسان الغبي الضعيف ألا يعلم بأن الله يرى ما في قلبه وسيحاسبه عليه ، ويحذرننا الله من هذا المنافق فهو ألد عدو للناس ومن رحمة الله أن يحذرننا من هؤلاء حتى لا نخدع بأقوالهم المعسولة ، من هم هؤلاء في عصرنا الحالي ؟ إنهم دعاة التحزب والتفريق بين صفوف المسلمين ، كمن ينتهج طريقة ويقول أنا شيخ طريقة ومنهم من يكونوا جماعات في الظلام ويقولوا نحن مجاهدين في سبيل الله ، حكم هذا الله بكلمة التوحيد (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) هذا هو المنهج الذي وضعه خالقنا فلما السير خلف هذا وذاك من دعاة التشتت والتفرق بكلام تحسبه حق وهو الضلال بعينه ، وحكم فيها الرسول ﷺ حيث قال (الإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس) فكل ما تخاف أن يعرفه الناس عنك فهو خطأ فالإنسان المسلم بحق ليس في نفسه ما يخاف منه إلا الله عز وجل (والحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٥)

وهنا يحذرنا الله من هؤلاء الناس الذي ظاهره غير باطنه وهم ألد الأعداء لنا فيقول : إن هذا الإنسان إذا (تولى) يعني إذا تمكن من القيادة أو استغني بسلطة أو مال أو بتحكم في الناس أو بأي نوع من السيطرة كان شغله الشاغل هو الفساد في الأرض وإهلاك الزرع والنسل ، (والله لا يحب الفساد) وهذا يدل على أن الله يحب الإصلاح في الأرض وعمارها ، ومن الملاحظ الآن أن أغلب قادة العالم الآن هم هذا الرجل الذي يفسد في الأرض وهذا من علامات الساعة يوم يولى الأمر لغير أهله انتظروا الساعة ، لم يترك الحق شيء في حياتنا إلا وعلمنا كيف التعامل معه لك الشكر يا رب و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

يكمل الحق وصف من تولى وفيه صفات الفساد السابق ذكرها في الآيات السابقة فيقول : أنه إذا نصحه أحد بأن يتقي الله تكبر وترفع بنفسه عن قبول النصيحة ، واعتقد في نفسه أنه إله يمشي على الأرض ولا يخطئ ووجد لنفسه كثير من المبررات التي تعينه على ظلمه لنفسه التي جملة له أفعاله على قبحها وزينت له ظلم الناس والفساد في الأرض ، هنا يتوعده الله بأنه يكفيه جهنم فراش ومضجع ينال فيه واستخدم الحق كلمة جهنم لأن هذا الظالم عكس منهج الله في الأرض وهو الإصلاح وجعله فساد في الأرض ، جهنم ____ عكسها (منهج) ولعكسه المنهج فله جهنم وما أسوأها من فراش من النار للظالمين الذين غيروا منهج الله في الأرض من الإصلاح والإعمار إلى الخراب والدمار... وهذا الوصف ينطبق حاليا على كثير من قادة العالم وأهم واحد كملت فيه هذه الصفات هو (جورج بوش) فقد فاق حد الفساد في الأرض إلى الدمار لها والله المنجي منه ومن أمثاله ، وأحمد الله انه سيقوم عدله ولو بإدخال الظالم إلى جهنم ليشفي صدور من ظلمهم وأشكر الله على أنه هو الله ، فإنه نعم المولى ونعم النصير و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

يتكلم الله هنا عن ناس من بني آدم باعوا أنفسهم ابتغاء رضا الله ، فمنهم من ضحي بماله ونفسه وولده ، ومنهم من يقول :الله أغلى عندي من نفسي ورضاه عني هو كل أمنياتي ويصف الحق نفسه في هذه الآية بأنه رءوف رحيم ، رءوف يعني شديد الرحمة والحنان على هؤلاء العباد ، فهم عباد الله المخلصين له حقاً ، ونحمده على أنه رءوف رحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨)

يأمر الحق عباده المؤمنين بأن يدخلوا في السلام ، أي أن يجعلوا حياتهم محاطة بالسلام من كل النواحي أي يجعلوا السلام عام في البيت والمصنع والشارع والدولة كلها والأمة جميعها ، فلا يقاتل أخ أخاه ولا زوج زوجته ولا جار جاره ولا بلد مسلم بلد مسلم آخر ، ولا تعتدوا على أي بلد بظلم ، واجعلوا شعاركم هو السلام دائماً ، ولا تسمعوا لوسوسة الشيطان الذي يوقع العداوة بينكم ، فإنه عدو لكم شديد العداوة وعداوته واضحة، نرى الحق حريص على أماننا وسلامنا، وإذا كان هناك حرب فهي من فعل الشيطان اللعين، والله حريص على أمن وأمان المسلمين و(الحمد لله رب العالمين)

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩)

توجد نعمة حزم وشدة من الحق في هذه الآية لأنه هنا يصف نفسه بالعزیز الحكيم فإنه يقول إذا انحرقتم عن الحق بإتباع غرور الشيطان وسرتم في طريقه بعدما وضحت لكم البراهين على عداوة الشيطان والبيّنات الموجودة في آيات القرآن ، فاعلموا أن الله حكيم بعزة ، بمعنى أن حكمته هنا تتجلى بعزته عليكم ، أي إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم ، ومع ذلك فلا خوف من ظلم لأن الله هو العدل ولأن في حكمته منذ الأزل أن الرحمة فوق العدل و(الحمد لله رب العالمين).

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٣١)

هنا يذكر الحق حقيقة واقعة لا جدال فيها وهي أن يوم الحساب أت لا محال ، ويقول : ماذا تنتظرون غير أن يأتي الله في طاقات من السحاب الأبيض الرقيق والملائكة ويقضي بين الخلق جميعا وينتهي أمر الدنيا ويكون أمرهم بيد الله هو المتصرف فيهم والأمر كله بيديه ، مازال الحق يذكر الخلق لأنه حريص عليهم (والحمد لله رب العالمين).

﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١١)

هنا يذكر الحق بني إسرائيل ويأمر رسوله بأن يسألهم عن الآيات الكثيرة التي جاءهم بها ، ومع ذلك لم يتقوا الله وبدلوا نعم الله التي أنعم عليهم بها ، وتحولوا من عبادة الله إلى كفران نعمه ، ونلاحظ أن بني إسرائيل أسماهم الله بهذا الاسم مع أن اليهود الذين كانوا في المدينة لم يطلق عليهم اسم بني إسرائيل وكانوا يسمون بأسماء قبائلهم مثل بني النضير ويهود خيبر وهكذا ، ومن هذا يتضح أن الله يريد في القرآن أن ينبه أنه في آخر الزمان الذي نحن فيه الآن ستكون هناك دولة لبني إسرائيل التي توجد في فلسطين الآن وأنهم أنعم الله عليهم حتى أنهم يتحكموا في العالم كله برؤوس أموالهم وسياستهم داخله في كل دول العالم ومع ذلك لا يشكرون الله ولا يعيشون في سلام مع الناس ، يقول الحق هنا لبني إسرائيل : أنا أنعمت عليكم وأنتم بدلتم نعمتي عليكم فجعلتموها نقمة على من في الأرض وإني شديد العقاب وسوف أعذبكم إن لم تنتهوا ، إن كان في القرآن شك أنه كتاب لآخر الزمان فهذه الآية تؤكد صدق هذا الكتاب ففي أولها يقول الحق (سل بني إسرائيل) ولم يوضح من الذي يسأل بني إسرائيل ، إذن هذا الأمر بالسؤال مصروف لكل من قرأ كتاب الله (والحمد لله رب العالمين).

﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١١٢)

يصور لنا الحق مشهد رائع التصوير يبين الذين كفروا وهم في الدنيا يملكون الكثير من حداثق وثمار وبيوت كاملة من كل شيء وسيارات فارهة وحياة ناعمة رغدة ، حتى أنهم فتنوا بها وأعجبوا بحياتهم وتحولوا بهذه النعمة كما في الآية السابقة التي ذكر فيها بنو إسرائيل إلى السخرية من الذين آمنوا ، فقد يكونوا أقل منهم مالا أو في مستواهم ولكن النعمة تجعل الإنسان يطغى ، وهنا يوضح الحق أنكم في الدنيا تتباهون بالدنيا المقبلة عليكم وتعلون على المؤمنين ولكن في يوم القيامة يتغير هذا المشهد ف نجد الذين اتقوا ربهم فوق الكل في مكانة يحسدهم عليها هؤلاء الساخرين بالأمس ، ويقول الحق إن افتخاركم بالرزق فإن الرزق بيد الله والله يرزق من يشاء بغير حساب ، وكلمة (بغير حساب) لها معاني كثيرة فأولا: أن الله قادر على أن يرزق المؤمنين في الدنيا فيكونوا أغنى منكم مالا وأعز نفرا بدون فعل منهم أو حسابات دنيوية من حيث لا يفكر الإنسان يجد الله يرزقه المال ، ثانيا : بغير حساب تعني بوفرة كبيرة جدا ، ثالثا : بغير حساب أي لا يحاسبهم عليها في الدنيا ولا في الآخرة ، رابعا : بغير حساب تعني يدخلهم الجنة بغير حساب ويرزقهم فيها ما يشاءون (والحمد لله رب العالمين).

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١١٣)

هذه الآية رواية قصصية يحكي لنا الله فيها تاريخ البشرية من الوجهة الاجتماعية، كيف كان المجتمع في القديم ثم كيف أصبح ، كان الناس مجتمع واحد مترابط في عهد آدم واستمر هكذا إلى أن مات آدم وأصبح في الأرض أولاده

وأحفاده ، وأحفاد أحفاده ، وهكذا كثر الناس ومن ثم اختلفوا في رغباتهم ، وبالتالي اختلفوا في آرائهم لأن الله خلق الإنسان وله حرية الاختيار في أن يفعل أو لا يفعل ، إلا عباد الله المخلصين ، فقد تولاهم الله بالرعاية وعصمهم بقدرته ، وهم الأنبياء والأولياء والصديقين .. وحين كثر الناس وكثر اختلافهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر والعياذ بالله ، فأرسل الله الرسل ليبشروا الناس ، وهنا قدم الحق البشارة على الإنذار ليعلم الناس أن الله رحيم .. والرسل جاءوا لينذروا الناس من غضب الله وعقابه وأيضاً أنزل مع الرسل الكتاب بالحق ، ونلاحظ استخدام الله صيغة الجمع في كلمة الرسل لأنهم كثير وعددهم كبير ، وحين ذكر الكتاب أفرد ، بمعنى أن كل كتاب نزل من الله فيه نفس القواعد الأساسية وهي أنه لا يؤمن أحد من البشر إلا إذا آمن أن لا إله إلا الله وآمن بالملائكة والكتب والرسل وبالغيب واليوم الآخر إلى آخر هذه القواعد الأساسية في الإيمان 0 فمهما اختلفت الكتب فهي من كتاب واحد من عند الله وهي على أساس واحد وهو التوحيد لله وحده لا شريك له ، وبالحق تعني بالصدق والأمانة والعدل وكل ما هو حق ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الله رحيم لا يهمل في خلقه مهما فعلوا ومهما حدث ، ويرسل رسله ومعهم كتابه ليبين للناس الأحكام الشرعية في علاقتهم بالله والأحكام البشرية في العلاقات الإنسانية التي بينهم والتعاملات المادية وكل شيء فيما يخصهم في الدنيا والآخرة ، ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون 0 وقوله سبحانه (كان الناس أمة) تفيد معنى أن الناس كلهم منذ خلق آدم إلى قيام الساعة كأنهم أمة واحدة في كل سلوكياتهم وأحاسيسهم وأخطائهم ، ونجد الآن في آخر الزمان أن الناس فعلاً أصبحوا أمة واحدة ، وكأن الكرة الأرضية أصبحت قرية صغيرة بسبب تكنولوجيا الاتصالات وسهولة المواصلات ، فكأن الحق حين ختم الرسل بالرسالة المحمدية كان يعلم أن الدائات البشرية قد تشابهت وكأن أعظم رسالة من الله هي الإسلام ، لأن أحكام الشريعة الإسلامية هي التي تنظم حياة البشر في آخر الزمان ، وأثبتت الحقائق أن كلما اختلف أصحاب الديانات الأخرى في

قوانينهم الوضعية أو أحكام شرائعهم الاجتماعية من زواج وطلاق وخلافه ، لم يجدوا حلاً إلا بتطبيق شرع الله في الإسلام ، وهذه الآية تتكلم عن الناس وليس المسلمين فقط ، ومن العجيب أن الله يقر أن الذين اختلفوا في هذا الحق هم المسلمون بعد ما جاءتهم البينات واضحة ، ونجد الدول الإسلامية تركوا الشريعة الإسلامية واتجهوا إلى القوانين الوضعية مثل القانون الفرنسي أو الإنجليزي أو الأمريكي وبدأ الناس يقننوا بعيداً عن شرع الله ، وهذا ظلم وعدوان على أنفسهم وعلى من لا يعلم الحقيقة من الناس ، ولكن الله يمن على الذين آمنوا بإذنه بأن يهديهم إلى شريعته الحق وأن الله حريهدي من يشاء إلى الطريق المستقيم وطريق الشرع الصحيح ، ومن كل ما سبق نقول دائماً لله ولعله يقبلنا من عباده المهتدين (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤)

في حوار رائع من الله عز وجل لعباده المؤمنين ، وعلى الرغم أن أوله تهديد بقوله سبحانه (أم حسبتم) يعني : هل تظنوا أن تدخلوا الجنة هكذا بدون أن تمرؤا بالتجارب التي مرت على الأمم السابقة ، وأجد أن هذا التحذير يليق بهذا العصر أكثر من أي عصر فات ، فنحن الآن لا نصبر على المصائب التي تحدث لنا ، فقد كان من قبلنا يصابوا بأشد مما نحن فيه حتى أنهم تهتز أو صالهم وتتابهم مشاعر من الرعب والفرع من شدة ما يعانون من ابتلاءات حتى يسألوا هم ورسولهم وهم في حيرة وألم متى نصر الله ؟!! وهنا سؤالهم معناه أنهم أشرفوا على اليأس من رحمة الله ولكن الله يجيب ألا إن نصر الله قريب ، بمعنى أنه إذا اشتد البلاء جاء الفرع ، وذلك ليثبت الله المؤمنين على دين الله حتى يثبت في أنفسهم الثقة بالله ، وحتى إذا جاء نصر من الله فرحوا به وبالأضداد تعرف الأشياء ، فحين اليأس يحزن الناس وحين النصر يكون الفرع شديد ويكون الاستمتاع بالنصر أكبر لأنه جاء بعد شدة وعذاب ، وهذا من حكمة الله في الأرض حتى لا يشعر الإنسان بالملل ، لأن

الإنسان نفسه ملولة ، ودائما يريد هدف يسعى وراءه ويعيش من أجله وإلا يصاب بالملل وهذا من مساوئ الدنيا أنها ليست للراحة ، إذن ما نراه تعب هو عين الراحة في الدنيا، وهذا ما يجب أن يفهمه الشباب أن النصر مع الصبر فلا نصر بلا صبر ، وهذه الآية (ألا إن نصر الله قريب) بشارة لكل مسلم بأن نصر الله قريب لأن القرآن لكل عصر ونحن الآن في عصر أحوج ما نكون فيه إلى النصر، ونلاحظ أن المسلمين انتصروا على الصليبيين في حطين على يد الناصر صلاح الدين ، وهذا ليس اسم للقائد فقط بل هو حل لقضايا الإسلام ، فإن النصر لن يأتي إلا بصلاح الدين ، في هذه الآية بشارة ورحمة من الله لأنه علّم بنفوس خلقه فهو وحده القادر على علاج أنفسهم من كل شيء ، ولذلك يجب أن نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢١٥)

هنا يخبرنا الحق أن الناس يسألون رسول الله ﷺ ماذا ينفقون؟ وهنا يجيب الحق سبحانه إجابة لكل زمان ولكل مكان ، ويلقن رسوله ماذا يقول لهم في الإنفاق فيقول له قل : أنفقوا مالا حلال طيبا وهذا معني كلمة (من خير) ثم رتب الإنفاق حسب الأهمية : أولا : للوالدين ، فهما يجب أن يكونا أول من نهتم بهم في الإنفاق 0 ثانيا : الأقربون: وهم الأولاد والأزواج والأخوات والإخوان والأعمام والأخوال وغيرهم من ذوي القربة وقد يقصد الأقربين في المكان أيضا مثل الجيران ، ثالثا : اليتامى : وهم الأطفال الذين فقدوا أهلهم وليس لهم كفيل ، فوجب الإنفاق عليهم 0 رابعا : المساكين : من الفقراء أو ذوي الحاجات أو المرضى أو الذين يعملون ودخلهم لا يكفي حاجاتهم أو الذين لا يستطيعون ضربا في الأرض 0 خامسا : ابن السبيل أي المسافر الذي فقد ماله أو الغريب عن بلده وإن كان في بلده غنيا ، وأنا أرى أن ابن السبيل هنا مقصود بهم أيضا أولاد الشوارع الذين نراهم الآن يقفون متسولين أو يقوموا بمسح السيارات مقابل قليل

من النقد وأعتقد أن هؤلاء هم اليتامى حقا وإن وجد آبائهم ، ثم يخبرنا الله أنه يعلم كل ما نفعله من خير ، وكأنه يطمئننا أن من ينفق لن يضيع أجره عند الله لأن الله يعلم بهذا الخير وهو الذي يكافيء عليه ، كيف تقدر رحمة الله في هذه الآية ؟!! فهو هنا وضع نظام تكافلي تكاملي شامل لجميع طوائف المجتمع حتى لا يكون هناك محتاج ولا فقير كل المجتمع لو طبق هذه الآية سيكون في أمان ، يرحم الفقير ويسخر له الغني لينفق عليه وأيضا يرحم الغني بأن يشبهه على إنفاقه ويرحمه بهذا المال فهو الحفيظ الذي يحفظ الأعمال الصالحة لأصحابها ، هذا هو الله دائما أحكامه رائعة وشاملة وعظيمة ورحيمة يحب كل خلقه ويرزقهم جميعا ولذلك أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦)

هذه الآية فرض من الله على كل مسلم فقد كتب الله القتال في سبيل الله فقط ونشر دينه ، وقد كتب على المسلمين جميعا لأنه جاء بضمير المخاطب في قوله سبحانه (كتب عليكم) أنتم يا من تقرأون الكتاب وهذا حكم جماعي شامل السلف والحاضر والمستقبل ، لماذا؟ لأنه سبحانه يعلم أن الناس لن تكون كلها مؤمنة بالله ، وهو حريص على خلقه جميعا وهذا معناه أن كل من قرأ كتاب الله وهو مسلم وجب عليه الرباط لأي لحظة ليدافع عن دين الله ، وليس هذا معناه القتال الفردي بل الجماعي لأنه قال (عليكم) بصيغة الجمع ، ويعلم الله أن الناس تكره القتال ، ولذلك يحفزهم قائلا :وعسى أن تكرهوا شيء وهو خير لكم ويضيف ليعلمنا بقوله وعسى أن تحبوا شيء وهو شر لكم ، هذا الكلام لمن يدعو الله ويطلب منه شيء يحبه وهو لا يعلم أن هذا الشيء يضره ولكن الله يعلم كل شيء وأنتم لا تعلمون ، هذا هو الله برحمته التي ليس لها حدود ينبه أنه قد لا يستجيب للعبد لأن طلبه هذا فيه ضرر له والله يعلم والعبد لا يعلم فمن رحمته سبحانه يمنع عنه السوء ولهذا أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢١٧)

ما زال الحق يضع قواعد للمسلمين يجب أن يتبعوها وذلك من خلال وصف الرحمن لحوار بين المسلمين ورسول الله ﷺ فهم يسألون وهو يجيب ، أولا : يسألون عن الشهر الحرام هل يجوز القتال فيه ؟ فيجيب الرسول عليهم بما شرعه الله وهو لا قتال في الأشهر الحرم لأن القتال فيهم من الكبائر وذنب كبير يصل لمرحلة رهيبة بمن يفعل ذلك فقال إنه صد عن سبيل الله وأيضا كفر بالله والعياذ بالله ، إذن وجب على كل مسلم أن لا يقاتل في أحد في الأشهر الحرم ولا في الحرم ، والمقصود هنا بالقتال ليس القتال بين المسلمين ولكن القتال بمعناه الشمولي ، يعني لا قتال بين المسلمين وإن كانوا على حق ، بمعنى لو طائفتان من المسلمين في خلاف ونزاع يجب أن يحترما آداب الله وأوامره في عدم القتال أو النزاع في الأشهر الحرم ، والحكمة واضحة وهي أن الله يأمرنا ضمينا أن نتروى ونعطي فرصة للتشاور والصلح وأخذ هدنة حتى يعطي فرصة للسلام ليعم على الأرض ويخفف من حدة الانفعال ولو في بعض الشهور حتى تهدأ النفوس لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، ثم إن هذه الشهور يجب أن يكون فيها عمل فإذا كان ليس فيها قتال إذن سيكون فيها إعمار للأرض وبناء وزرع ، نلاحظ أن الرحمن ينظم لنا أوقاتنا بين كل شيء حتى لا تخرب الأرض من استمرار القتال فيها ، وعلمني الله من لدنه علما ومنه أن الله عز وجل حين يأمرنا بأن هذه الشهور رحمة وهدنة وعدم قتال ، فهو أولى بهذا الأمر منا ، ما معنى هذا؟ معناه أن الله يرفع العذاب عن موتى المسلمين الذين يعذبون في القبر في الأشهر الحرم كرامة لهذه

الشهور ، ويضيف الحق أن القتال ممنوع أيضا في المسجد الحرام فلا قتال فيه لا في الشهور الحرام ولا في غيرها ، فالقتال فيه حرام إلا من اعتدى علينا من الكفار ، ولكن القتال بين المسلمين وبعضهم فهذا حرام في الحرم وخارج الحرم أيضا ، وإخراج أهل المسجد الحرام منه من الكبائر والذنوب الرهيبة التي لا يتهاون الله في عقوبتها ، وأهل المسجد ليس فقط سكان مكة السابقين حين أخرج الكفار المسلمين من مكة في عهد النبي ﷺ ، ولكن الآن كل من قصد المسجد لا يجب أن يتعرض له أحد بالطرده أو البعد لأن كل مسلم هو من أهل الحرم ، فإذا جاء إلى البيت الحرام وجبت له الحرمة كأه من سكان مكة . (الفتنة أكبر من القتل) الفتنة كانت في عهد الرسول هي تعذيب الكفار للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم ، ولكن الفتنة الآن أكبر بكثير من هذا ، الفتنة الآن دخلت كل بيت وفي الشوارع ، صدرت لنا دول العالم الخارجي سلوكياتهم وتصرفاتهم وبثت أفكارهم الانحلالية عبر الأسلاك وعبر الهواء عن طريق الراديو والتلفزيون وشبكة الإنترنت والتليفونات . ولقد حذرنا الله من الفتنة في هذه الآية لعلمه المسبق بما سيحدث الآن لنا ، ولا يزال الغير مسلمين يقاتلوننا حتى يردونا عن إسلامنا ، وهذا ما هو حادث الآن ، فكل العالم الآن يحارب الإسلام بدعوى أنه إرهاب وهذا بهتان كبير ، يستخدموا كل السبل والطرق من قنوات فضائية وفتن جنسية ومغريات دنيوية أو قتال مباشر مثل ما حدث في فلسطين والعراق حتى يصلوا بنا إلى الكفر والعياذ بالله ، ويحذرنا الله من الارتداد عن الإسلام ويتوعد الله من يرتد عن دينه ويمت وهو كافر فهو لاء فشلت أعمالهم في الدنيا وفي الآخرة ، وقد توعدهم الله بأنهم في النار خالدون ، لله في الأرض أماكن وأزمان لها حرمان ولها عند الله كرامة وله حدود لا يحب أن يتعداها البشر ، ومن حب الله للبشر أن يوضحها لهم حتى لا يعذبهم بها وهذا من رحمته ولذلك يجب أن نقول دائما عرفاناً بالجميل لله (الحمد لله رب العالمين).

﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢١٨)

هنا يستثني الحق الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، فهؤلاء يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ، وليست هذه الآية قاصرة على المهاجرين والمؤمنين في عهد رسول الله ﷺ ولكن المقصود بها أيضا المؤمنون في العصر السابق والحالي والتالي ، وقد قال رسول الله ﷺ (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) (متفق عليه) ، حين يقرر الحق أنه غفور رحيم فهاتان الصفتان يجب أن نحمد الله عليهما (الحمد لله رب العالمين).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١٩)

الكلام هنا موجه لرسول الله ولكن يجب أن نعلم أن كل آية موجهة بأوامر عامة أو نواهي عامة فإنها لا تخص رسول الله ﷺ وحده ، بل هي موجهة لكل مسلم إلا إذا كانت تشرح في أدق تفاصيل حياة النبي الخاصة فقط مثل قول الحق (لا يحل لك النساء من بعد) (الآية) ، ولكن هذه الآية عامة لكل مسلم يسأل عن الخمر والقمار بجميع أنواعه فيجب أن يجيب بأنهما إن كانا فيهما منفعة لبعض الناس فهما خطيئتان وذنبيهما أكبر من نفعهما ، والسؤال الثاني في نفقة المال ، فيسألون ماذا ينفقون وتكون الإجابة (العفو) ومعناها ما يسهل على نفسك إنفاقه بطيب خاطر وسماحة ، هكذا يبين الله لنا ماذا نفعل فيما يخص أدق تفاصيل حياتنا ، وجميع سلوكيات حياتنا ومعاملاتنا ، وذلك لعلنا نتفكر في كرم الله معنا ورحمته بنا وأقل شيء نقوله (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهَا فَأَعُوذُ بِاللَّهِ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢٠)

يبدأ الحق الآية بقوله (في الدنيا والآخرة) وهذا له معاني كثيرة قد يكون تكملة للآية السابقة لقوله سبحانه (لعلكم تتفكرون) وهذا معناه أن نذكر الدنيا والآخرة

ونعمل لهما معا، أو أن هذه الآفة العمل بها لنفع الدنيا والآخرة، مهما كان معناها فهي تذكرة بأن الدنيا طريق للآخرة وهما متلازمان من عاش في الدنيا فهو في طريقه للآخرة، فهؤلاء اليتامى في الدنيا وآبائهم في الآخرة، وهنا مازال الحق يضع الأسس التي يجب أن يبنى عليها المجتمع المسلم السليم وذلك بذكر أدق التفاصيل في العلاقات الإنسانية وذلك من خلال حوار يبين فيه الله أسئلة الناس لرسوله أو لمن يتولى الدعوة لدين الله، يقول الحق يسألك البعض عن سلوكهم مع اليتامى كيف التعامل معهم وقد أنزل الحق إنذار بعدم القرب من مال اليتيم !!؟ وهنا تتجلى الحكمة الإلهية في الرحمة المطلقة على جميع خلقه وخاصة الأيتام: تبدأ الآفة بقول الحق (في الدنيا والآخرة) كأنها عنوان لما يصلح أحوالنا في الدنيا والآخرة، ثم يشرح لنا بعد ذلك كيف التعامل مع اليتامى وهو أن نصلح لهم كل أمورهم، من أول التربية الصالحة لهم والتعليم الصالح لهم، وتوفير بيئة صالحة لهم، والمعاملة الصالحة لهم، بمعنى أن يشمل الصلاح كل جوانب حياتهم، وإن كان لهم مال فهو أمانة يجب أن نعمل على تنميته بالحلال وأيضا أباح لنا التعامل معهم في حياتهم الاجتماعية والمشاركة معهم في الطعام بدون إفساد، وأيضا الزوج والمعاشرة بالصلاح، بمعنى لا تفريط ولا إفراط، لانفرط في التدليل ولكن نتعامل بالرحمة والحسنى والنصح والإرشاد، ونتقي الله بمعنى أن نتعامل معهم كأنهم إخواننا وكما نعامل أبنائنا، ويحذرنا الله بأنه يعلم من منا الصالح ومن المفسد، ويقول أنه لو شاء لكلفنا بما يشق علينا ولكنه رحيم، وهنا يجب أن يكون الله هو العزيز الحكيم، فعزيز هنا بمعنى قائد ووالي مهيم وإرشاده لنا بحكمته البالغة لينفعا في الدنيا والآخرة، ومما سبق يتضح حب الله لخلقه وحرصه عليهم جميعا قويمهم وضعيفهم فهو الرحمن الحنان على خلقه (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ

النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾

اهتمام بالغ من الله بعباده فهنا يوضح لنا الحق كيفية الاختيار في الزواج ، نهى الله عن زواج المسلمين بالمشركات حتى يؤمن ، لأن الزوجة موضع سر زوجها وبصلاحها يصلح الزوج وبفسادها يفسد الزوج ولذلك اختار لكل مسلم أن يتزوج بالمؤمنات الصالحات حتى ولو كن إماء أي عبيد ، وحتى لو أعجبه حسن وجمال المشركات ، ثم يقرر نفس القاعدة للنساء أيضا فيأمرهن بعدم الزواج بالمشركين حتى يؤمنوا ، ويطالبهن بالزواج من المسلمين الصالحين ولو كانوا عبيد حتى ولو أعجبهن المشرک ، ذلك لأن المشرکين يدعوننا إلى الأعمال التي تدخلنا النار في الدنيا والآخرة والله يدعوننا إلى الجنة ، وإلى مغفرة الذنوب بإذنه ، إذا سمعت كلامه وأطعته فقد أذن لك بذلك ، وهذا بيان من الله للناس لعلهم يتذكرون ويفهمون مراد الله وحرصه عليهم ، نلاحظ هنا أننا ببشريتنا وعقولنا المحدودة لا نستطيع أن نحكم على الأشياء والناس بحق وعدل ، ونحن لا نعلم الغيب ولكن الله بعلمه المسبق وحكمته البالغة وحرصه الشديد على عباده وخوفه عليهم من عذاب الدنيا والآخرة لذلك وضع لهم منهجا ليسيروا عليه فلا يضلوا أبدا ذلك من تبع منهج الله ، وقلنا من قبل (منهج) عكس (جهنم) ، ما كل هذا الحب الذي يحبه الله لعباده (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

يكمل الحق الحوار الذي من خلال تسائل المسلمون للرسول ﷺ فهم يسألون في أدق تفاصيل الحياة ، فيقول يسألونك عن المحيض ؟! ويقرر الحق أنه أذى ... ولكن أذى لمن ؟ ... أولا : المرأة الحائض : لو نظرنا إلى رجل شديد قوي البنيان إذا أصابه جرح وأخذ ينزف من جرحه هذا ، هل يستطيع أن يقوم بأي شيء من أعمال الدنيا

قبل أن يقف نزيف الدم من جرحه ؟ طبعاً لا... كذلك المرأة حين تحيض فإنها تنزف الدم من جدار رحمها وهو يتقلص وتنقبض جدرانها ليخرج البويضة الميتة مصحوبة بانفجار الشعيرات الدموية في جدار الرحم المنتفخ بالدم لأنه كان يستعد لاستقبال بويضة مخصبة ، فتنزل له من قناة فالوب بويضة ميتة ويجب أن يخرج الميت من الحي ، وهنا تخرج البويضة بالدم مع آلام المرأة الحائض ، فماذا يكون موقف أرحم الراحمين ؟!!... يعفيها الله من القيام بالصلاة ، ليس فقط بسبب نزول الدم لأنه من مبطلات الوضوء ولكن لضعف جسدها ولآلامها فيعفيها برحمته من الصلاة ومن الصيام أيضاً ويعتبرها مريضة ولذلك وجب عليها قضاء الصيام بعد رمضان حكمها كحكم المريض... ياه على رحمتك يا رب وأيضاً يمنع الزوج عن زوجته في هذه الفترة فهي لا تستطيع أن تتحمل الممارسة أو فحولة الرجل وهي جريحة... والحق يجمع المعاني كلها في كلمة واحدة بقوله عن المحيض أنه أذى ، ويترك كلمة أذى غير معرفة ليمنع الرجل عنها لأنه قد يؤذي المرأة بنقل بعض الأمراض لها من خلال الشرايين المفتوحة في رحمها . ثانياً للرجال: هو أذى لأن العلاقة الجنسية في أثناء نزول الحيض قد تنقل للرجل البكتيريا والجراثيم عن طريق العضو الذكري لأن الدم النازف هذا هو عبارة عن مزرعة خصبة لعدة أنواع من الجراثيم التي تسبب المرض ، فبهذا التشريع يحمي الله عباده من الإصابة بأمراض خطيرة ، أي رحمة منك بعبادك يا الله ، وأيضاً حتى لا يكون الرجل كل حياته في الجنس طوال الوقت وكل يوم فهذا ضار جداً أن يستنزف الجنس طاقة الرجال البدنية فأجبره الله بأخذ أجازة حتى تتجدد حيويته البدنية وحتى لا يشعر أيضاً بفتور في علاقته مع زوجته بسبب كثرتها لأن الممنوع مرغوب ، والفضيلة وسط بين رزيلتين تفريط وإفراط ، وبذلك يحافظ الحق على المشاعر والشوق بين الزوجين فلا يصابا بالملل ، ثم ينتظر الرجل ليس فقط لانقطاع الطمث ولكن ينتظر حتى تتطهر الزوجة بالغسل والتطيب بالطيب والتزين حتى لا يرى منها أي مكروه فيظل في إعجاب بها ، وكان الرسول ﷺ إذا عاد بالجيش ينتظر في المسجد ويرسل خبر للمدينة كلها أن الجيش أقبل حتى يعطي النساء فرصة

للتزين لرجالهن، ما هذا الأدب الرباني ، ويأمر الحق الرجال بأن يعاشروا زوجاتهم من القبل وليس في الدبر ، حرصا من الحق على النسل وعلى الرجال من أن تصيبهم الأمراض بسبب العلاقات الشاذة ، ثم يضيف الحق ما يثلج الصدر بأنه يحب التوابين الذين يحرصوا على طهر سرائرهم وأرواحهم فيجعلوا نفوسهم تائبة متطهرة من الذنوب أول بأول بالتوبة والاستغفار ، وكلمة (الله يحب) ما أروع هذا التعبير الذي يغني عن التفسير ، فالله يحب من يتوب إليه ، كأنه يقول كونوا أحبابي بأن تتوبوا إلى فأتوب عليكم وأحبكم ، ويكرر الحق في نفس الآية كلمة يحب في (ويحب المتطهرين) تكرار للتنوع في أنواع الطاعات التي تحبب الله في خلقه ، وكأنه يقول أنه يحب ويحب أكثر وأكثر وكلما فعلتم ما يريد يزداد حبه لكم والمتطهرين ليس فقط بالغسل بل من غسل قلبه من الآثام والأحقاد وطهر روحه وبدنه ، لأن الله يحب أن يكون المؤمن طاهر الظاهر والباطن جسدا وروحا هؤلاء هم أحباب الله حقا لهم منه حبا على حب و (الحمد لله رب العالمين)

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣)

هنا يصور الحق العلاقة الزوجية بين المسلم وزوجته ، فيقول نساؤكم مكان زرع الولد لكم ، أي الأرض الخصبة التي تضع فيها بذرة ولدك الذي هو امتدادك في الدنيا والآخرة ، ويشبهاها بالحرث هنا ليؤكد علي العلاقة الشرعية بين الرجل وزوجته ، وهي أن يأتي امرأته كيفما شاء ولكن من مكان الحرث ، فكأنما الحق يقول لك تمتع بزوجتك كيفما تشاء دون أن تعصي الله فيما حرم ، ألا وهو الإتيان في الدبر ، ونرى الحق حريص على المسلم وعلى نسله وعلى نطفته أين يضعها ، في الآيات السابقة يحدد لنا الحق نوع الزوجات والأزواج في حالة الاختيار للزواج ، فيجب اختيار المرأة الصالحة والرجل الصالح ثم أمرهم بتقوى الله كل من الرجل والمرأة ، ليكون البذر صالح والأرض صالحة فينبت الولد صالح ينفع نفسه

وأهله والإسلام والمجتمع فتصلح الدنيا والآخرة ليكونوا ممن يحبهم الله، فهذا من شدة حرص الله على عبادة ليس لها مثل ليس فقط حرص بالإرشاد والتوجيه والنصح في آيات القرآن ولكن في الخفاء حيث يقدر هو بقدره وقسمته ما يصلح العباد ولكن بعض الناس لا يأخذوا ما قسمه الله لهم رفضا منهم لقسمة الله عز وجل ويطمعون فيما ليس من قسمتهم فيكونون من الخاسرين فهم لم يأخذوا ما قسم الله لهم لأنهم لهم حق الاختيار (افعل ولا تفعل) ثم يطمعون فيما ليس من قسمتهم ولن يكون أبدا. ويقول الحق تبارك وتعالى (وقدموا لأنفسكم) فيها أقوال كثيرة فقال فيها الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه قل بسم الله الرحمن الرحيم قبل الجماع حتى يكون الولد صالحا وهذه جزئية مهمة ولكنها ليست كل المعنى فقله هنا قدموا أي يجب أن يكون للجماع مقدمات من حسن المعاملة والحنان والمداعبة والتقبيل ونحوه من أسباب الحفاظ على أحاسيس المرأة وإنسانيتها مما يخلق جو الحب بين الزوجين ويشعرهم برغبة كل واحد منهم في الآخر، ويأمر الحق أن تتزين المرأة لزوجها وأن يتزين الرجل لزوجته وذلك من قول الحق (ولهن مثل الذي عليهن) قمة العدل الإلهي، ويحذركم الله نفسه بأن تنفذوا أوامره ونواهيه في أمر النساء لأنهن إن كن ضعيفات فإن الله يدافع عن الضعفاء، ويعرفنا الله أننا سنلاقيه ليس في الآخرة فقط بل في الدنيا أيضا كيف؟!.. حين نتعرض لأزمة وشدة كيف نستطيع أن نرفع أعيننا وأيدينا إلى الله بالدعاء والطلب منه ونحن لم نقدم من قبل ما أمرنا به من طاعة، فإنه يقول: إذا أردتم أن تلاقوه في الدنيا بأن يجيب دعائكم فقدموا لأنفسكم عنده أيضا، فهذا يجعل الله يلقي دعائكم بالإجابة، وتجدد في الضيق الفرج وفي المرض الشفاء وفي الحزن الفرح وفي الفقر الغنى، وهكذا كل ما تطلبه من الله، وكلمة قدموا لأنفسكم هنا تفيد معاني أخرى منها: قدموا عند الله الطاعة له فيلاقيكم بالرحمة والمعونة في الدنيا والآخرة، وملاقوه في الآخرة للحساب إما الجنة أو النار وهذا معناه أن المرء يمكن أن يحدد مكانه في الآخرة قبل الموت (وبشر المؤمنين) والبشارة هنا

لم يتحدد مكانها هل هي في الدنيا أم الآخرة أم الدارين معا إذن البشارة في الدارين معا . و (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤)

هنا أيضا معاني متعددة للآية:

أولاً : لا تقسموا بالله على معصية ، أي تقسموا بالله لمتنعوا خيرا أو لفساد أو قطيعة رحم وتقولوا نحن حلفنا بالله ، إن الله يحب البر بالقسم ولكن في الخير فقط ، أما الحلف لفعل معصية فإنه يعفو بشرط أن تصلحوا وتتقوا .

ثانيا : يطلب الحق أن لا نحلف إلا به ، ونقل من الحلف بحيث ندرب أنفسنا على عدم الحلف ولا يكون في لساننا دائما الحلف بالله ، بمعنى أن لا داعي في كل كلمة نقول الله الله لأنه يسمعنا ويعلم ما في أنفسنا وما تخفي الصدور ، فلا داعي أن يرى قبح نفوسنا وقسمنا على المعصية أو نقسم به كذبا ، ويأمرنا بالإصلاح بين الناس فإنه يحب أن يعم السلام بين الناس وكلمة (وتصلحوا بين الناس) معناها شامل كل الناس ، على جميع الأجناس والأديان والملل ، ليس فقط بين المسلم والمسلم ، ولكنه بين كل الناس فإن الله هو السلام ويحب أن يعم على الأرض السلام ، كم أنت جميل يا الله تحب مكارم الأخلاق ، كم أنت رحيم يا الله وأقول دائما وأبدا (الحمد لله رب العالمين)

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٢٥)

هذا الآية كلها حنان من الله على الناس ، حيث يعفو الله عنا إذا سبق اللسان بالقسم بالله على شيء نعتقد أنه صدق وهو بخلاف ذلك ، أو أن نقسم على شيء نقصد به معنى حق في أنفسنا ويفهمه غيرنا عكس ذلك ، وهذا للإصلاح بين الناس بهذا القسم ، أما الحساب من الله يكون على ما تعمدنا من قول أو فعل ،

وهذا معناه أن الله يحاسب الناس إذا ثبت عنده سبق الإصرار والترصد لأنه مطلع على ما في النفوس من إصرار النية على الكذب وعلى القسم بالله كذبا 0 ويقرر الحق أنه غفور حلیم ، بمعنى أنه غفار للذنوب لأنه حلیم لا يغضب بسهولة لأن رحمته سبقت غضبه ، فهو الحب والحنان والرحمة المطلقة و (الحمد لله رب العالمين)

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٣٦﴾

ما زال الحق هنا يعدل وينظم من سلوكيات عباده في علاقتهم بنسائهم حرصا على كيان البيت المسلم ، فيصور لنا هذا المشهد بين زوج وزوجته حيث يشتد الخلاف بينهم فيحلف الرجل بأنه يترك جماع زوجته ، فيأمره الله أن ينتظر ولا يطلقها لمدة أربعة أشهر ، وذلك ليعطي الرجل والمرأة فرصة للإصلاح بينهم ، فإن عدلوا عن الخلاف بينهم فإن الله غفور رحيم ، لماذا وصف الحق نفسه بأنه غفور رحيم ؟ ليلفتنا إلى صفاته العليا التي يجب أن نشبه بها من المغفرة والرحمة بيننا وبين بعضنا وأيضا لأنه سيغفر لمن تاب منهم عن ذنبه ، لماذا يحرص الله على كيان الأسرة ؟ لحرص الله على مشاعر الرجل والمرأة فهو يحب أن يستر كل منهما الآخر ولذلك وصفهم بأن كل منهم لباس للآخر في آية أخرى ، ولأن الله يحب أن يرى السلام يعم في الأرض ، ويحب المحبة بين الناس تكون تامة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا عم السلام بين المرء وزوجه فإن الوأام الأسري هو أساس الوأام الاجتماعي وبالتالي يتم السلام على الأرض ، هذه هي مشاعر الحق وهذا هو جمال الحق وهذا هو ربكم الذي ليس كمثله أحد لا في الأخلاق ولا في الرحمة ولا في السلوك ولا في الحكمة ولا في أي شيء وبكل الحب لله والشوق إليه والحنين إليه أقول وأنا مغرمة والهة به (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٣٧﴾

أشعر بنبرة حزن في كلمات هذه الآية فالله لا يحب الطلاق ، فهو أبغض ما أحل الله إلى الله ، وهنا يقول إذا مر الشهور الأربع ولم يحدث وفاق بينهم وعزموا

على الطلاق فإن الله سميع لما بينهم وعليم بما يفعلون وهذا تحذير من الله أن يظلم أحدهم الآخر والله يكره هذا الفعل بين البشر ولا يحب خراب البيوت وتشتت الأسر، لأنه حريص على الناس أكثر من حرصهم على أنفسهم ولذلك دائماً أقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٣٨)

يحدثنا هنا الحق إذا حدث الطلاق ماذا على المرأة أن تفعل والرجل ماذا عليه أن يفعل ؟ ..أولا المرأة: تنتظر صابرة متحفظة في شهور العدة وعددها ثلاث حيضات أو ثلاث طهور وإن لم يحضن بسبب الحمل فلا يحل لهن أن يكتمن هذا الحمل عن الناس بل يجب أن تعلم الزوج والأهل بهذا الحمل وبذلك يحل لزوجها ردها في فترة الحمل لأن عدة الحامل هي مدة الحمل إلى الولادة ، فللزوج حق رد زوجته طوال مدة الحمل إلى أن تلد ، ذلك إذا أراد كل منهما الإصلاح بينهم ، فللنساء مثل الذي عليهن في كل شيء وللرجال عليهن درجة أي زيادة في المسؤولية من رعاية وإنفاق عليهن ، وقول الحق هنا(بالمعروف) تعني أن الزوجة إن بحثنا عن دورها في الحقيقة نجد أن دورها الأساسي هو حسن التبعل لزوجها وخاصة في العلاقة الخاصة بينهم أما فيما عدا ذلك من إدارة شئون بيتها وتربية أولادها وإرضاعهم فهذا كله تطوع منها تأجر عليه من زوجها ومن رها مثلها مثل الرجل الساعي على عياله فهو كالمجاهد في سبيل الله أي أنها أيضا كالمجاهد في سبيل الله ، وذلك إذا أحسنت هذه الأعمال ولكن دون تفريط في الحق الأساسي الذي ستحاسب عليه إن أهملته وهو علاقتها بزوجها 0 إن الله رحيم بالعباد أما العباد فليس في قلوبهم رحمة بأنفسهم ، وفي هذا العصر نجد أن المسلمين قد أضاعوا شرع الله وغيروا فيه مما جعل المشكلة تراكمية ، بدأت بدعوى باطلة من

البعض تسمى (تحرير المرأة) إنها دعوة لتعبيد المرأة لا لتحريرها فقد كان الرجال في العصور الإسلامية الزاهرة يحافظون على النساء كما يحافظون على جواهرهم ، ولم تكن تعمل إلا الإماء والعبيد ، فالمرأة لا تخرج للعمل إلا لانعدام رجالها بالموت أو بالعجز والرجال هم الأب والزوج والأخ والابن والعم والخال والجد كل هؤلاء ملزمون بالإنفاق على نسائهم ، والذي دفع أصحاب دعوة تحرير المرأة هن من النساء اللاتي امتنع رجالهم عن الإنفاق عليهن وإذا أنفقوا أزلوا أعناقهن وأهانن وأقتروا وبخلوا عليهن بالنفقة مما لم يكفي بحاجاتهن ، وتراكت الأوضاع المعكوسة ، بدأت بخروج المرأة للعمل ثم اتكال الرجال على كسب المرأة وإلزامها بتحمل النفقة من مرتبها أو من دخلها على البيت والأولاد ، مما كان له بالغ الأثر على الأسرة والأولاد 0 فلم تعد حقوق الرجل في سريره عند زوجته هي الأساس في العلاقة فقد فضل الرجل مالها وعملها على حاجته الجسمانية لها ، ولم تعد المرأة بكامل طاقتها وقوتها لتعادل فحولة الرجل ، لأنها تعمل بجهدا في خارج البيت مما أسفر عن النزاع المستمر بين الزوجين ، فمن أين تأتي بطاقة تكفي للعمل خارج البيت ثم داخل البيت وترضع وتربي أطفال وتوجههم ثم تكون زوجة لزوجها في سريره ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، بمعنى صاحب بالين كذاب وصاحب ثلاثة منافق ، فهذه ليست ثلاثة بل ستة (6) أو أكثر من الأعمال ، عمل خارجي .. عمل في البيت .. حمل ورضاعة .. تربية أولاد ... علاقة زوجية .. علاقات اجتماعية لأهلها وأهله ، ستة أعمال ينبغي أن تنجزها على أكمل وجه ، هذا مع ضعف بنيانها الذي ينزف كل شهر من أربع إلى سبع أيام ، ومع كل ولادة نزيف قد يستمر لأسابيع ثم الرضاعة والتربية ، أي ظلم هذا من البشر لهذه المرأة المسكينة ، لقد كرم الله المرأة ، ومنع بالتشريع أن تكون بهذه العبودية ، ولكنها فقدت حريتها مع زوجها وأهلها وحتى في العمل الخارجي يتحكم فيها الرجال والنساء أيضا ، أين الحرية ؟ هل هي حرية الإنفاق ووجود المال ، ولكنني أجد أغلب الرجال الذين سمحوا لزوجاتهم

بالعمل يحرصون على إنفاق أموال زوجاتهم قبل أموالهم ، كنا نرى في الماضي كانت المرأة لا تكتب ولا تقرأ وكانت تظل في البيت طوال الوقت ولكنها كانت تصنع الرجال والأبطال والمفكرين والمبدعين والأدباء وأصحاب الآراء الحرة والكرامة، كانت المرأة تصنع الشعوب القادرة على صنع المستقبل الحضاري ، وذلك بمجرد فطرتها السليمة وإسلامها الفطري البسيط الخالي من التعقيدات ولكن يعتمد على عادات وتقاليد وموروثات عن الآباء والأجداد الصالحين المخلصين لدينهم وربهم الحق ، و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ مَّعْرُوفٌ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

شرع الحق الطلاق مرتين ثم الرجوع بشروط ، الإمساك بالمعرف للزوجة أو يسرحها بالإحسان والفضل ، ولا يحل للرجل أن يأخذ من مال المرأة شيء إلا إذا كانت المرأة هي التي تريد الطلاق خوفا على ألا تقيم حدود الله ، في هذه الحالة لا إثم عليه ولا عليها في أن تفتدي نفسها بمالها وتطلب الطلاق ، وتدفع للزوج مقابل الطلاق منه ، ويوضح الحق أن تلك حدود الله ولا يجب أن يتعدى أحد تلك الحدود بأن يغيرها لأن هذا سيكون ظلما ممن يغير شرع الله ، هذا تحذير للمشرعين في عصرنا الحالي الذين غيروا وبدلوا في قانون الله وأنتجوا ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية ، الذي في معظمه ظلم وتبديل لشرع الله عز وجل ، وهذا الظلم ناتج عن الظلم السابق وهو خروج النساء للعمل ، هذه الآية تبين حق الزوجة في الطلاق إن كانت لا تريد استمرار الزواج ، وهذا يدل على أن الله في تشريعه يراعي المشاعر الإنسانية للرجل وللمرأة فلا فرق بين رجل وامرأة في حدود الله فهم جميعا بشر وكلهم يرحمهم الله ويقول الحق ولهن مثل الذي عليهن ، هذا هو العدل المطلق من الله عز وجل و(الحمد لله رب العالمين).

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣)

في هذه الآية على الرغم من أن الله يريد بتشريعہ المحافظة على الحياة الزوجية من الطلاق ودمار الأسر ، نجد أنه يريد أن تقام هذه البيوت على أساس من الود والرحمة ، وإلا فلا داعي أن يقام هذا البيت على جروح وآلام أحد من الزوجين أو كلاهما ، يتضح الحرص في قول الحق الطلاق مرتان (الطلاق الرجعي) الذي يمكن الزوج من إرجاع زوجته لعصمته مرتين ، فإذا طلقها الثالثة فلا يحل له أن يردها حتى تتزوج بغيره زواجا صحيحا شرعيا ، فإذا مات هذا الزوج الثاني أو طلقها فلا حرج ولا إثم إن أرادا هي والزوج الأول أن يتزوجا من جديد ، ولكن لماذا أمر الحق أن تتزوج المرأة برجل آخر بعد الطلقة الثالثة ؟ وهنا ليس معناه أن نستأجر رجل ليتزوج المرأة ليكون محلل لها ولكن الزواج هنا زواج غير مشروط وله صفة الدوام ، وسنحاول أن نفهم بعض من حكمة الله في هذا ولو أن أحدا لن يصل لحكمة الله عز وجل أبدا .

أولا: إذا كانت الزوجة ظالمة لزوجها السابق :فحين تتزوج بآخر فقد تجد في هذا الآخر عيوب ليست في زوجها الأول فتندم على فعلتها وتتوب إلى الله وقد يكفر هذا الزوج ذنوبها في حق الآخر ، وقد يكون هذا الزوج أفضل من السابق في نظرها فتستريح معه وحسابها عند الله .

ثانيا: إذا كانت الزوجة مظلومة من طليقها ، فإن الله قد يقسم لها زوج آخر أفضل ، فتجد فيه ضالتها ويرضيها الله به ، لصبرها على زوجها السابق، وأيضا لو أن هذه المرأة تعتقد أن لا أحد أفضل من زوجها السابق الذي أساء معاشرتها ، فإن الله يعرفها أن هناك كثير من الرجال من هم أفضل منه ، وإن كان أسوء من السابق فلعلها تقدر قيمة هذا الزوج السابق وتطلب الطلاق من الثاني وتعود راضية إلى الأول ، هذا بالنسبة للمرأة .

ثالثا: وإن كان الرجل والمرأة كلاهما ظالما للآخر ، فليتفرقا بالمعروف لعل الله يغني كل منهما من فضله ، فهي تتزوج من يسعدها وهو يتزوج من تسعده .

رابعا: إذا كان الرجل ظالما ، فبهذا الحكم يحرمه الله من نعمة هذه الزوجة حتى يقدر قيمة ما أنعم به الله عليه ، وأيضا ليرغم أنفه حتى يحسن معاملة النساء ويكون له درس حتى لا يفرط في الحق الذي أعطاه الله له من القوامة وحرية الطلاق ليتأدب مع الله ويكف عن إيمان الطلاق .

خامسا: إذا كان الرجل مظلوما ، بذلك يكون تحرر من تلك المرأة الظالمة ، فإذا أراد أن يردها فهو حر في أن يفعل أو لا يفعل ، فإن ردها كان عنده من الخبرة والقدرة على السيطرة على حياتهما معا 0 ومهما بلغنا من العلم فلن نبلغ ذرة في حكمة الله عز وجل 0 بعد الطلاق الثاني ، يشير الحق إلى الزوجين أن يجتمعا على المعروف وإن لم يستطيعا فتسريح بإحسان ، بمعنى أن بعد الطلاق يكون التعامل بينهم بالأخلاق الحسنة ، والإحسان هنا معناه أن التعامل بينهم يكون بالفضل لا بالعدل ، فهو يعطيها كل حقوقها وهي لا تسيء إليه بالقول أو بالقضاء مادام أعطاها حقها 0 فإن ظنا أنهما ممكن أن يقيما حدود الله بينهم فلا مانع أن يتراجعا ، وقول الحق (لقوم يعلمون) معناه أن هذه الآية لقوم يعلمون يستطيعون أن يستخرجوا من هذه الآيات كل الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة في كل أحوال العلاقة بينهم حتي إذا استجد شيء يستنبط العلماء ما ينفع للأسرة من آيات كتاب الله ، ومن الملاحظ في هذه الآيات أن الله أرحم بنا منا بأنفسنا ، فهو يهتم بكل كبيرة وصغيرة في حياتنا ولذلك يجب دائما (الحمد لله رب العالمين) .

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا نَبَذْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

في هذه الآية مازال الحق في حرصه على العلاقة الزوجية لأنها سبب عمار الأرض ، فأول أسرة وضعت في الأرض كانت آدم وحواء ، زوج وزوجة ، ولذلك أهم عناصر عمار الأرض هما الزوجان ، وهنا يقول الحق إذا قاربت مدة العدة وهي ثلاث شهور أن تنتهي فإما أن تتمسكوا بزواجكم بالمعروف والرحمة وحسن العشرة ، أو تطلقوهن وتسرحوهن بالإحسان والفضل والخلق الكريمة ، ويؤكد الحق على عدم ترك الزوجة معلقة لاهي زوجة ولا هي مطلقة وذلك ليعذبونهن ، وهذا اعتداء صارخ على حدود الله عز وجل ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، بمعنى أن الله سيعاقبه عقاب شديد على هذا الظلم ، يحذر الله الناس من أن يهزئوا بآيات الله ويذكرهم بنعمته عليهم إذ أنزل إليهم الكتاب والسنة وما استنبط منهما من أحكام الشريعة ليعظمهم به وهذه رحمة من الله بهم ويحذرهم الله بأن يقول اتقوا عذاب الله ، ويعرفهم بأن الله يعلم كل شيء يحدث أو تحدثوا به أنفسكم ، في هذه الآية (إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بإحسان) هذا من معانيه أن الزوجة إذا طلقت طلقة رجعية يجب أن تمضي شهور العدة في بيت الزوجية ، لا تخرج إذا تمت عدتها ولم يراجعها زوجها 0 ونلاحظ من سياق حديث الرحمن في كلمة فأمسكوهن بمعروف ، تعني أن الزوج له أن يراجع زوجته بمجرد كلمة معروف ، كأن يقول لها أنا أحبك أو أنا محتاج لك ، أو يعاشرها بمعروف أي يجتمعاً معاً في فراش واحد ، وهنا نجد رحمة الرحمن في الحفاظ على الحياة الزوجية وإعطاء كل من الزوجين فرصة يراجع نفسه دون تدخل الناس بينهم حتى لا تتسع الخلافات بينهم ، ويكون الصلح سهل وسريع لأن العشرة والتعامل والخلوة كلها عوامل تساعد على الوُثام بين الزوجين ، أرى رحمة الرحمن ترحمنا أكثر من أنفسنا (احبك يا الله) (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

هنا اهتم الرحمن بالحديث إلى الزوج والزوجة ويحدث ولي أمر الزوجة وأقارب الزوج ، فالحق يريد أن يعطي أهل الزوجة حرية الاختيار للزوجة وذلك بعدم رفض رغبتها في أن تعود لزوجها وإن انقضت مدة العدة إذا حدث بينها وبين زوجها صلح وتراضي ، وأيضا الحديث لأهل الزوج أن يكونوا عادلين ولا يفرقوا بين الزوجين ، وهذا واضح من قول الحق سبحانه (ذلك يوعظ به، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) بمعنى أنه من كان يؤمن بالله يلتزم بأوامره ونواهيه ومن يؤمن باليوم الآخر يعلم أنه محاسب بين يدي الله فليتقي الله ولا يظلم أحد .

أرسل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجلين ليصلحا بين زوجين ، فعادا إلى عمر ولم يستطيعا أن يصلحا الزوجين ، فضربهم عمر بالدرة، وقال لو أخلصتم النية لصلح العمل .

وهذه الآية تبين أن هناك أسر تمنع الصلح بين الزوجين على الرغم من رغبة الزوجة في الصلح والرجوع إلى زوجها ، فمن يمنعها فهو ظالم ، وقد يكون من أقارب الزوج أيضا من يفعل هذا ، وهنا الحق يبين أن أتباع أوامره أنفع للناس وأجلب للبركة ، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ومن قال كلمة فهو مسؤول عنها أمام الله وأمام الناس وفي ذلك نظافة للسمعة وبعد عن الشبهة ، هكذا رحمة الله عز وجل لا حدود لها و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

ينتقل الحق من مرحلة الزوجية لمرحلة الأمومة والطفولة والأبوة ، ويبدأ في وضع أسس لتربية الأطفال على أساس من الشرع ، يأمر الحق الأم أن ترضع

صغيرها لمدة حولين كاملين وهذه إشارة للرضاعة الطبيعية من لبن الأم ، ومن الملاحظ أن من أول لحظة في حياة الإنسان حين يخرج من بطن أمه وهو يعاني في جلب الرزق ، ولو ترى الرضيع على ثدي أمه كيف يبذل مجهود عضلي للمص والرضاعة ، مجهود شديد فلا يستطيع الإنسان حين يكبر أن يفعل بفكيه ما يفعله الرضيع وهذه من حكم العزيز القدير ، ودلالة على أن الإنسان خلق في كبد حقا ، صدق الحق (خلق الإنسان في كبد) منذ ولادته وهو يكابد ويعاني في طلب الرزق ، ومن رحمة الرحيم أن جعل فترة الرضاعة على الرغم من أنها حبس للآم حولين كاملين ، وكلمة حول تعني دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة ، يعني أربع فصول ، وهي مدة أطول من السنة ، لأن السنة (12) شهر قمري ، وكلمة سنة مأخوذة من السنة الإلهية حين خلق الله الأرض ، ولذلك يقول الحق ذلك لمن أراد أن يتم الرضاعة ، ذلك من رحمة الرحمن بالطفل حتى يشبع الطفل من حليب أمه الذي هو سر من أسرار الله عز وجل ، فيه من الضادات الحيوية والقيمة الغذائية والوقاية ما يحمي جسم الطفل الرضيع في هذه السن الصغيرة ، ويزوده بمناعة الإلهية ويسمونها مناعة طبيعية ، ثم هذه المدة أيضا للتنشئة النفسية والروحية حين يرتبط الطفل بصدر أمه وحضنها فيشرب الحنان والرحمة مع اللبن فيكون في روحه رحمة وحنان مكتسبان من حنان أمه فيرحم خلق الرحمن بهذه الرحمة الربانية ، وهذه من حكم الرحمن ليتراحم البشر فيما بينهم ، ولقد سمي الله المكان الذي ينشأ فيه الولد (الرحم) يعني مكان الرحمة 0 وهنا يظهر تشريع المولى العزيز الحكيم في أن الرجل (المولود له مولود) أوجب الحق عليه الإنفاق على الوالدة (أم الطفل) التي ترضعه ، بمعنى أن لها أجر من زوجها على الرضاعة لأطفالها ، وذلك إذا كانت مازالت زوجته ، فإذا كانت مطلقة فهو مجبر على الإنفاق عليها مادامت ترضع صغيرهما ، ولكن كل على قدر سعته ، لا يكلف الله الرجل أن ينفق فوق طاقته المادية ، ولكن بما قسمه الله له ينفق على قدر استطاعته ، وهنا يبين الحق العدل أن لا ضرر على الأم أو الأب بسبب الولد وكذلك إذا كان

الأب متوفى وهناك من يكفل هذا الطفل مثل عم أو جد فالحكم له أيضا بأن لا ضرر عليه من المولود ، إن الله رءوف رحيم نراه يدقق في أدق التفاصيل الخاصة بالأم والأب والأولاد وحتى الكفيل للولد بعد أبيه ، فإذا قرر الزوجان الانفصال بالتفاهم بينهم واتفاق ومشاورة فلا ذنب عليهما في ذلك فكلاهما حر ، وإن أردتم أن ترضع أولادكم مرضعة غير الأم فلا إثم ولا حرج عليكم ، هذا إذا أعطيتكم الأمراض أجرهن بالمتعارف عليه بينكم في هذا الأمر ، ويأمر الحق أن نتقي الله في أفعالنا كل منا تجاه الآخر ، فلا تستغل المرأة ولدها لتضر زوجها أو طليقها بالولد ولا يستغل الرجل ولده ليضغط علي الأم في أمر ما أو يحرمها من ابنها ليعاقبها ، أو يمنع عنها النفقة لسبب ما لأن الله يرى كل ذلك وهنا نرى الله يضع الموازين الحق والعدل في العلاقات الأسرية و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤)

هنا يتحدث الحق عن الأرامل الذين مات أزواجهن ، ويجعل لهن مدة من الحداد والعدة للزوج المتوفى على زوجته ، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام ، وهذه من صفات الرحمن أنه يحب الوفاء والإخلاص في العلاقات الإنسانية وخاصة بين الزوجين ، فيفرض على الزوجة أن تظل في حداد على زوجها ، ويقول (يتربصن) أي كأنها في حالة شبه عزلة مع نفسها حتى تتم عدة الزوج المتوفى ، ومن الملاحظ هذه الأيام أن كل أرملة مازالت في سن الزواج ، فإنها تكون مطمع لكل من يعرفها من الرجال ، وكأنها إرث تركه المتوفى والكل متربص ليكون هذا الإرث من نصيبه ، وهذا ما ينبه عليه الحق بقوله للأرامل (يتربصن بأنفسهن) يعلم الله أنها مطمع فيريد أن يحافظ عليها وعلى عفتها ولكي تسترد تفكيرها السليم بعد صدمة موت الزوج وحتى لا تختارأي أحد ويكون اختيارها خطأ لها ولأولادها ولذلك وجب أن تربص الأرملة بنفسها حماية لها، والحق يعرف أن لكل نفس نزعات

فناه هنا يعطي المرأة الحرية أن تفعل لنفسها ما تشاء بالمعروف ، إن كانت تريد زوجا آخر مادامت قد أتمت العدة المفروضة ، والآن أرى المجتمع ينظر دائما للمرأة التي تتزوج بعد موت زوجها نظرة احتقار وحذر منها ، على الرغم أن هذا هو حقها في شرع الله ، وهذا يتضح من قول الحق عز وجل (والله بما تعملون خبير) هذه هي رحمة الله ، يرحم خلقه ولكن الخلق لا يرحمون أنفسهم ، ولذلك لا يكون الشكر والحمد إلا لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْخِذُوهُنَّ بِسَرٍّ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

كم أنت جميل ولطيف ورقيق يا الله ، أراه في هذه الآية يرسم لنا صورة تمثيلية في مشهد جميل يبين فيه ، امرأة توفى زوجها وهناك رجل يرغب في أن يتزوجها ويريد أن يخطبها لنفسه ، فيأتي ليقوم لها ببعض الأعمال التي تحتاجها ، ويشير من بعيد ببعض الكلمات تبين لها في أدب أنه معجب بها وأنه في خدمتها ويلمح إلى أنه يريد خطبتها بدون تصريح صريح ، هنا أرى الله يشجع على هذه المواساة لهذه الأرملة وبعث الأمل في نفسها حتى تتحمل فراق زوجها ويتجدد أملها في الحياة مع رجل آخر ويعرفها أن موت الزوج ليس نهاية الحياة ويهدأ من نفسها ، ولكن مع شدة هذا الحنان فالله شديد الحرص على حدوده ، فلذلك يقول الحق لا عزم في عقد الزواج قبل أن تبلغ المرأة عدتها ، ويحذر من أنه يعلم ما في أنفسنا ويجب أن نحذره ونخاف من التعدي على حدود الله ، ثم يتبع ذلك بقوله اعلموا أيضا أن الله بحلمه يغفر لكم (أن الله غفور حلیم) ما هذا الرقي الرائع في حكمة الله وعظمته ورحمته في أن يرحم تلك الأرملة فيواسيها ويعوضها بمن سيحل محل الزوج المتوفى ، مع وجود الوفاء للزوج الميت بزيادة فترة العدة عن المطلقة ، تبين هذه الآيات السابقة عدة معاني يجب أن نعمل بها : منها الوفاء بين الناس ... والعطاء

بين الزوجين التراحم بين الناس وخاصة بين الرجال والنساء .. يعلمنا الحق انه يجب التعامل بين الزوجين بالرحمة والرومانسية الرقيقة ... ما هذه القمة في رقي وسمو وحضارة القرآن الذي يشرع لنا منذ (1427) سنة ما يتماشى مع السلوك الاجتماعي في القرن الحالي ، ما أروع هذا القول الرباني حيث يرهب ويرغب في جملة واحدة ، إنه هو الرب والمربي الأعظم ، يهدد ثم يبشر برحمة منه وحلم من ذاته على عباده و لا أقول إلا (الحمد لله رب العالمين) 0

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٣)

نرى الإحسان من الله في هذه الآية حيث يدعونا لمكارم الأخلاق في التعاملات المختلفة في الزواج والطلاق ، فيقول الحق ما معناه لا ذنب عليكم يا عبادي من الرجال إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن ، وهذا ما نسميه الآن (كتب الكتاب) وهو عقد العقد الشرعي بالقول أو بالكتابة والتوثيق من خلال الجهات الحكومية أو من خلال كتابة عقد شرعي بين الزوج وأهل الزوجة دون توثيق حكومي ، ولكن هذا عقد فقط دون دخول بالعروس أو إتمام الخلوة الشرعية بينهم وهذا معنى (ما لم تمسوهن) أو إن لم تكتبوا عليكم مالا مؤخرا للصدق مثلا أو شرط مادي في العقد ، بمعنى أن الطلاق تم دون لمس أو شرط أو قيد ، هنا تتجلى عظمة الخالق صاحب الأخلاق السامية الرفيعة فيأمر هذا الرجل الذي طلق أن يدفع لمطلقاته التي لم يمسه مال على سبيل المواساة ليطيب خاطرها على قدر استطاعته ، فإذا كان غني يعطي كثير وإن كان فقير فيعطي على قدر استطاعته ، بمعنى أنه لم يعفي أحد بسبب فقره أن يدفع لطليقته ما يطيب به بالها ، وجعله حق على المحسنين يقدمه لها بالمعروف بدون قسوة أو أذى 0 ماذا أقول لله غير (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا

﴿الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٧)

يختم الحق هذه الآيات بمسك الختام لوصف آخر صورة من صور الطلاق ، فيقول إذا طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن وقد حددتم لهن مقدار من المال على سبيل الصداق أو المهر فيجب أن تعطيهما نصف ما قدرت لها إلا أن تسامح المطلقة في هذا الحق هي أو وليها أو تنازل أنت أيها المطلق فتعطيها المال المفروض لها كله ، وهذا هو العفو الجميل ولذلك يقول الحق (وأن تغفوا أقرب للتقوى) يحفظنا الحق على أن لا ننسى الفضل بيننا يجب أن يبادر كل منا إلى إرضاء الآخر لأن الله يري كل أفعالنا وهو يحب أن نتخلق بالأخلاق الفاضلة ، حرص منه على كل البشر من رجال ونساء وحرصا منه على مشاعر كل منهم ، منتهى اللطف من الله والرحمة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨)

لنرى الحب في الصلاة ، وكيف أن الصلاة هي عبارة عن منظومة حب من الله لنا وحب منا لله 0 (معنى كلمة صلاة) معناها وصل أو اتصال أو التصاق والتحام أو وصول أو وصال ، وصلت الشيء بالشيء أي ألصقته به إذن نأخذ معنى (صلات) جمع صلة ، إذن الصلاة بكل معانيها هي وصل مع الله ، ولكل مضيف أن يقدم لضيفه هدية وقرى ، وقرى الضيف واجب ، والمضيف هنا هو الله والضيف هو سيد ولد آدم محمد ﷺ وفي المعراج مكان اللقاء فوق الدنيا كلها ، وقدم الله هديته لرسوله وهي الصلاة ، ولذلك يقول الرسول ﷺ جعلت قرعة عيني في الصلاة ، علمنا المعنى اللغوي للصلاة فما المعنى الحسي الخاص بالروح في الصلاة ؟.. حين وصل رسول الله في المعراج إلى مكانة قاب قوسين أو أدنى...أولا ماهم القوسين ؟ ...لو نظرت إلى ذراعيك حين تهم بأن تضم أحد إلى صدرك ترحيبا به ، ستجد ذراعيك يشكلا شكل القوسين ، وقوله أو أدنى تعني ضم الذراعان في وضع حضن ، ولقد شرحت هذا المعنى في الآية (3 البقرة) إذن

وصل الرسول ﷺ مع الله في المعراج إلى حالة من إحاطة الله به من كل جانب ،
والحق يقرب لنا المعنى بقوله (قاب قوسين) وهذا رأي الإمام (أحمد بن حنبل)
حيث قال (التمست معنى قول الحق قاب قوسين ثماني سنين فلم أجد إلا أن
الرسول نظر أمامه فرأى الله ونظر يمينه فرأى الله إلى آخر كلام الإمام ،والذي
يقصد أن الله أحاط برسوله من كل اتجاه وهذا معنى الصلاة الشمولي ، وهذا معنى
الوصل والوصل بالله ... وحين نقول (اللهم صلي وسلم على محمد) كأننا ندعو
الله أن يضم رسوله بحالة من الوصل التي هي قاب قوسين أو أدنى ويغمره
بالسلام والأمان وهذه حالة يحبها الله ورسوله ، ولذلك نجد أن الله يأجرنا عليها
بأن يصلي بها علينا عشر مرات ، ومن صلى على النبي عشر صلى الله بها عليه مائة مرة
وهكذا.... لأن الله يحب رسوله ويحب من يحب الرسول ﷺ .

في جسدك الملايين من الملائكة يعملون داخل جسدك دون أن تراهم ، وحين
تقف للصلاة يتنظموا في جسمك في حالة تأهب لأن الله هل عليهم معك فيأخذوا
من أنوار الله المدد الإلهي الذي يجدد نشاطهم فيعملون في جسمك بنشاط وقوة
فلا تعلم بدخولك في الصلاة كم من الأمراض النفسية والجسدية التي لا تعلمها
تشفى بإذن الله في الصلاة ، ثم إن روحك التي هي من روح الله وتسيطر على
الكيان القائم من جسد وملائكة بداخله وأرض تعمل فيها وتعملها ، هذه الروح
تستمد من النور الإلهي في الصلاة ما يعينها على الاستمرار بهذه الطاقة النورانية
الربانية في الحياة ، ولذلك يقول الحق (ففرروا إلى الله)... كيف الفرار لله ؟ كأن
هذه الآية تبين أن الملاذ والأمن والأمان في الدخول في حصن الله وحصن الله هو
الصلاة ، فحين يحزنك أمر اجري وادخل في الصلاة واجعل روحك تشتكي لله
دون أن ينطق لسانك وإذا سجدت لله فقل ما شئت في سجودك لأنك ليس لك
حبيب غيره عز وجل ، واعلم أن الله هو الأمان والسلام ، فيكون العبد في حالة من
الرعب والهلع فيهرع للصلاة ويعرف أنها اتصال مباشر بالله ودخول إلى حضرته

مباشرة فيلقي همومه بين يدي الرحمن فيرحمه ، ومن العجيب أن الله من شدة حرصه علينا يجعل الصلاة فرض علينا ، وهذا الواجب اليومي لمصلحتنا لنصحح أبداننا وأرواحنا والملائكة التي تعمل لنا ... فرضت الصلاة في الملائكة الأعلى وكانت خمسين صلاة على مدار (24) ساعة ($50 / 24 = 1 + 2$) أي أكثر من فرضين صلاة في كل ساعة ، وهذا لا يصح ، سنقول أن في كل ساعة صلاتين إذن سيكون هناك ساعة فيها ثلاث صلوات لتكملة الخمسين ، فما هي هذه الساعة؟ وما هي الصلاة الوسطي؟ ... اختزل الله الخمسين صلاة إلى خمسة صلوات فأى صلاة فيهم هي الوسطي؟ وما معني وسطي؟ أولا كل صلاة من الخمسة تعادل عشر صلوات من الخمسين صلاة إلا واحدة تعادل أكثر... لنرى مواقيت الصلاة نجد أن الفجر والمغرب تقريبا يكونا في موعد واحد وهو بين الليل والنهار ويتبادل فيهما ملائكة الليل والنهار ، إذن هاتان الصلاتان متوسطتان بين الليل والنهار وبين ملائكة الليل والنهار ، ومتوسطتان في أجرهما وفي عدد ركعاتهما ، فهما فرض الصبح ركعتان فقط وثوابهما ثواب عشر صلوات وصلاة المغرب ثلاث ركعات وثوابها ثواب عشر صلوات ، لو جمعنا عدد ركعات الفجر مع المغرب لكان عدد الركعات خمسة ، ولو اعتبرناها فرض واحد قسم ليكون بين الليل والنهار في نفس الميعاد في بداية اليوم ونهايته تكون هذه الصلاة هي الأكبر في عدد الركعات إذن الصلاة الوسطي هي صلاتي الفجر والمغرب ، قال رسول الله ﷺ (من صلى البردين دخل الجنة) (البخاري) وهل هناك ساعتان في اليوم كله أبرد من ساعتين الفجر والمغرب ، أرى أنها كانت صلاة واحدة وقسمها الله فجعل للفجر ركعتان في أول اليوم ثم المغرب ثلاثة في أول الليل وكلاهما يكافئ صلاة ورعب ($5 = 1 + 4$) ركعات وذلك ليشهد الملائكة هذين الفرضين ويسجلها كل منهما عنده ملائكة الليل يكتبوها وملائكة النهار يكتبوها ، ونلاحظ أن كلمة صلوات تطلق على ثلاث أو أكثر من ثلاث صلوات ، فحين يقول الحق (حافظوا على الصلوات) أقلها ثلاث صلوات وحرف (و) في كلمة (والصلاة

الوسطي)بمعني أن هناك صلاة قسمت اثنين فكانت في وسط بين الليل والنهار ولذلك قصرت في الفجر إلى ركعتين وفي المغرب إلى ثلاث ركعات فكان المجموع خمس ركعاتومما أذكره في حديث الإسراء وحوار الرسول ﷺ مع موسي حين قال له ما معناه : يا محمد أسأل ربك التخفيف في الصلاة فإن أمتك ضعيفة ، فإن بني إسرائيل كان لهم صلاتين اثنتين واحدة في الصباح وأخرى في المساء ولم يحافظوا عليها ، من الملاحظ أن أهم صلاة للبشر عموما هي التي في أول الصباح وأول المساء ، ومن الملاحظ أن كلمة صلوات تطلق على ثلاثة إلى عشرة صلوات لا أقل ولا أكثر فإن الحق في هذه الآية يوجهنا للحفاظ على الصلوات المفروضة من ثلاث إلى خمسة فلو أخذنا ثلاث صلوات وهم الصلوات المتساوية في عدد الركعات وهم الظهر والعصر والعشاء وعدد كل منهم أربع ركعات ويعطف عليها (والصلاة الوسطي)وهو فرض أصلا خمس صلوات فتكون الصلاة الوسطي هي الفجر والمغرب وهي مقسومة بين البردين وهما الوقتان اللذان في أغلب السنة متقاربين في الساعة فكلاهما تقريبا إما في الرابعة أو الخامسة ، ولو أخذنا في الاعتبار أن صلاة الفجر منحة من الله لأننا نكون غالبا نيام في وقتها فيكون قول الحق حافظوا على الصلوات خاص بأربع فروض فقط لأننا لا نملك المحافظة على الفجر لنومنا ،وتكون الصلاة الوسطي هي المغرب ونلاحظ أن المغرب هي الصلاة التي ركعاتها وتر ،والصلاة الوسطي هي وسطي لأنه قسمها نصفين نصف في الفجر ونصف في المغرب ، ومن رحمته التخفيف على النائم فجعل صلاة الفجر ركعتين وجعل المغرب بين فرضين كبيرين أربع ركعات. لماذا تكون الصلاة ثقيلة على بعض الناس ؟...لأن داءات الناس كثيرة والوقوف بين يدي الله لتعديلها يأخذ منهم جهدا كبيرا لأن هوى النفس هو صاحب هذه الداءات ، ولذلك يستثني الحق المتقين أي الذين في قلوبهم تقوى الله أو الذين اتقوا الداء بوقاية أنفسهم منه فكان الوقوف في الصلاة سهل وممتع لنفسهم لأن التنقية بسيطة .

(وقوموا لله قانتين) كلمة قوموا لله في الصلاة هي كلمة حق من حقوق الله في الصلاة ، فأحيانا يقول (أقم الصلاة)ومرة يقول (وإقامة الصلاة) إذن الصلاة في بدايتها هي قيامنا ووقوفنا لأن ربنا حضر فيجب الوقوف للكبير وهذا من الآداب التي يتعلمها الصغار فحين يدخل عليهم رجل أو سيدة كبار في السن يجب أن يقفوا احترام لهم ، فإذا كان من يهل علينا بنوره هو الكبير بحق ولا كبير غيره ألا نقف بأدب في حضوره، ولذلك يقول الحق قوموا لله في الصلاة لأنه يهل عليكم وأنتم خاشعون مطيعون لله .

والصلاة فيها تشبه بيوم القيامة أليست الصلاة قيام لله ويوم القيامة أيضا قيام من الموت لنقف بين يدي الله عز وجل ، فإن وقوفنا في الدنيا في الصلاة تدريب لوقوفنا بين يدي الله عند الحساب ، فيكون هناك تدريب سابق ومعرفة بهذه الحالة التي يكون عليها العبد في النهاية ، فنكون في أمان يوم القيامة حين يفرغ الناس حين يقوموا من القبور لملاقاة الله عز وجل للحساب ، لكن المسلم كان له تدريب سابق في الدنيا على هذا المشهد ، وذلك في صلاة الفجر حين يوقظ الحق عباده لصلاة الفجر وكأنه يحييهم من الموت للوقوف بين يديه ، تدريب يومي على هذا المشهد المنتظر يوم القيامة ، ولذلك من يصلي الفجر حاضر دائما لن يفرغ حين يقوم من النوم الأخيرة التي هي الموت ، ليقف في المشهد المروع لأنه تعود أن يقوم في الظلام ليصلي الفجر ، ولذلك أقسم الله بالفجر فقال (والفجر) ولأن يوم القيامة لن يكون هناك نور والناس في ظلام حالك حتى تشرق الأرض بنور ربها ولن يكون هناك إلا نور المؤمنين الناتج من أثر الضوء لأن الضوء زيادة في الضوء ، وكل أعضاء الجسم التي توضع ليست من عورات الرجال ولا النساء فكلها مكشوفة وهي عبارة عن كشافات من النور الوضوئي الذي سبق المسلمون بشحن بطارياتها بكثرة الضوء وإسباغ الضوء على المكاره ، فهذه الرأس مقدمتها نور والوجه نوره أشد من نور الشمس والذراعين نور على نور والقدمين نور على الأرض يمشي ينير لمن لا نور له ، ولأن النوم موت كما قال الحق (الله

يتوفي الأنفس في موتها والتي لم تمت في منامها) (الآية) وهذا يعني أننا في النوم نكون أموات ولذلك صلاة الفجر تشبيه للبعث يوم القيامة حيث لا موت بعده أبداً، وصلاة المغرب تشبه يوم الوفاة حيث نصلي قبل أن يخيم علينا ظلام الليل الذي يشبه حياة القبر فقبل الموت نقيم صلاة المغرب تشبه بساعة الموت فيجب أن نتزود بطاقة من الوقوف بين يدي الله قبل أن ننام النوم الطويل في حياة البرزخ لكي نبعث مرة أخرى يوم القيامة ، وهذا يتضح من قول الحق (وقوموا لله قانتين) أي في كل صلاة كن في خشوع وطاعة لله لأنه أرحم وأحن عليك منك على نفسك فإن تطعه تكسب وتكن من المفلحين ولكل هذا الحب نقول لله الحبيب الرحيم الذي يشرع لنا رحمة في رحمة لنا (الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَاتًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٩)

هذه الآية هي إثبات لما قلته من أن الصلاة هي ضمة رحمانية كلها أمان للمسلمين، يقول الحق (فإن خفتم) هنا يذكرنا بأحوالنا في الدنيا والآخرة فطبيعة البشر الخوف وهنا يوجهنا الحق إلى أن الصلاة والحفاظ عليها يمنع الخوف ، وهناك صلاة تسمى صلاة الخوف ، ولا شيء يمنع المصلي من الصلاة إذا كان سائراً أو راكباً لأن صلتك بالله لا يمنعها أي وضع أنت عليه فإن الصلة متصلة في أي وضع وفي أي مكان...مما نخاف؟...نخاف من عدو يتربص بنا....نخاف من وحش ما..نخاف من مرض قد يصيبنا..نخاف من فقر قد يحدث...نخاف على أنفسنا من ذنوب أو هم....نخاف على أولادنا....نخاف على أموالنا...وأعظم خوف هو الخوف على علاقتنا بالله والخوف من الله.....وصف لنا الله كيف التخلص من أي خوف وذلك بالصلاة التي فرضها الله علينا حبا لنا ، على الرغم من كثرة المعاصي والذنوب ، فإذا شعرت بالآمان فذكروا الله وفضله عليكم وكرمه حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون من الصلاة وفائدتها وهذا حب

من الله يريد أن نذكره حتى يذكرونا ويتولانا ألا يستوجب هذا أن نقول (الحمد لله رب العالمين) .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠)

ما زال الحق يراعي شأن الأراامل المتوفى عنهن أزواجهن وتركوهم في بيوتهم ، فلا يخرجهن أحد من بيوتهن ، ثم عليكم لهن النفقة ومتاع لمدة حول كامل ، وقول الحق (غير إخراج) تعني لا يجبرها أحد على الخروج من بيت زوجها ، فإن خرجت هي لأمر ما من زواج أو عمل أو أي أمر من المتعارف عليه بأنه حلال لا حرام فيه فلا ذنب عليكم في هذا من المخاطب بقوله سبحانه (عليكم) ؟ ممكن يكون أهل الزوج ... أو أهل الزوجة ... أو ولي هذه السيدة مثل الأب أو الأخ أو عمها أو جدها أو غيرهم من الأقارب وقول الحق (والله عزيز حكيم) تعني أنه سبحانه قد يعز علينا فلا يعرفنا ما هي حكمته من هذا التشريع ولا يجب إلا أن نقول سمعنا وأطعنا ، لأن حكمته غالية جدا وهنا نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٤١)

ما زال الحق يهتم بأمر المطلقات ، فيشرع لهن حق في مال المطلق لهن ، وهو ما يسمى نفقة (المتعة والعدة) حيث يجب على الرجل أن ينفق على طليقته حتى تفي عدتها المعتدة هي فيها له ، فذات الحمل لها النفقة حتى تلد وغير هذا من النفقة التي بحثها الفقهاء وحددوها ، ويقول الله أن النفقة حق كل من يتقي الله ويخشى العقوبة من الله ، الله يدعو للفضل في التعامل بين الرجال والنساء لأنه يريد أن يعوض على المطلقة لرحمته بمشاعرها وحزنها وهو أعلم بعباده وهو الرؤوف الرحيم ، وكلما رأيت رحمته وحنانه على خلقه كلما ازدادت حباله ولا

أجد غير كلمتي له (الحمد لله رب العالمين)

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٤٤)

هنا يقول الحق أنه يبين لكم أحكامه في الآيات لعلكم تعقلونها وتستخرجون منها الأحكام الشرعية التي تناسب كل عصر بدون التعدي على حدود الله الثابتة ، فمن عظمة القرآن أن تشريعه وضعه الله بحيث يفصل لكل عصر ما يناسبه من قوانين فالقرآن ليس قالب جامد ، لكنه موضوع لعل البشر يعقلون ما فيه من ما خفي من الأحكام اللازمة للناس على طول الزمان ، وهذا من رحمة الحنان المنان الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا اهتم بها وبشأنها وأحوالها ، يشرح أدق تفاصيل العلاقات والمعاملات الإنسانية ، ثم يعطي للعقل البشري فرصة للتفكير والاستنباط من الآيات والأحكام هذا هو الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣)

هنا يروي لنا الحق قصة قوم من بني إسرائيل ، أصاب قريتهم مرض مثل الطاعون ، فخرجوا من القرية وأعدادهم بالآلاف خائفين من الإصابة بالمرض والموت ، فأماهم الله ثم أحياهم ... هذه القصة يرويها لنا الله لعدة أسباب ألا وهي :

- 1 - لنعرف أن لا فرار من قدر الله ، فإن الله يعلم من يؤمن به ، ومن لا يؤمن ولو شاء أَمَات الناس بدون مرض أو وباء (وكلمة يؤمن آتية من الأمان) .
- 2 - الميكروب أو المرض أعقل من أي عاقل في الدنيا ، فهو لا يصيب الناس عشوائيا بل كل شيء بقدر الله عز وجل يصيب من يشاء ويعافي من يشاء .
- 3 - يبين لنا الله قدرته في أن يميت ويحيي .
- 4 - يعلمهم بعد أن يميتهم ما هو الموت لعلهم يشكرون الله ويحمدوه .

- 5- يذكرنا الله بفضلِهِ علينا في نعمة المحيا ونعمة الممات .
 - 6- يجب أن نسلم جميع أمورنا لله لأن الله هو الولي الحميد ...
 - 7- علم الله أن أكثر الناس لا يشكرون الله ولا يحمدوه حق حمده ..
 - 8- يوجهنا الحق أن لا خوف ولا فزع من الموت ، فإنه مثل الحياة وكلاهما نوع من أنواع الحياة ، ولكن أبعاد كل منهما مختلفة باختلاف معطياته
- هنا يبين لنا الله ما المطلوب من البشري الدنيا (الشكر لله) هو أهم شيء في الحياة ولذلك اردد دائما قولي (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٤)

بعد ما ذكرنا الله بأن الموت والحياة بيد الله ، يحث الحق المسلمين على القتال في سبيل الله وأن لا يخشوا أحد إلا الله لأنه هو من يملك الموت والحياة ، والقتال ينتج عنه إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، ويعلمنا الله أنه يسمع ما نقول ويعلم ما نخفي وما نبطن ويعلم أيضا ماهي مصلحتنا ، ويرى أن الجهاد في سبيله من مصلحتنا لأنه كما قلت النصر أو الشهادة ، والشهيد لا يموت بل يحيا عند الله يرزق وهو في نعيم مقيم ولا يدخل لضممة القبر والله هو الذي يقبض روحه ولذلك لا يشعر بألم حين الشهادة و يسمى شهيد لأنه يرى الله حين يقبضه ، فهل هناك أعظم من ذلك للبشر ليحصلوا عليه ، يوجهنا الحق للدرجات العلا في الجنة أي حب هذا من الله لعباده و(الحمد لله رب العالمين)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥)

هذه الآية أجد فيه تصور داخل نفسي كأن الله يزايد في مزاو للربح والتجارة معه سبحانه ، وكأنه ينادي على الخلق أجمعين ، ويزايد على سلعته ، وسلعته ليست الجنة فقط بل مضاف إليها سعة الرزق في الدنيا والبرزخ والجنة ، فينادي قائلا

بتواضع العظيم العلي الكبير : من منكم يقرضني قرضا حسنا من مال حلال وعن طيب نفس فأضاعفه له أضاعافا مضاعفة ، هذا لأنه هو الغني ذو الفضل والسعة وهو الذي يرزق ، فهو يقبض الرزق عن بعض الناس ويسطه لبعضهم وفي النهاية نحن نعود له ، إلى أين المصير إلى الله رب العالمين (الحمد لله رب العالمين)

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

هنا يصور لنا الحق قصة قوم من بني إسرائيل من بعد موسي عليه السلام ، حيث هزموا من قبل ملك ظالم يدعي (جالوت) فقد احتال هذا الملك حتى حصل على التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسي وآل هارون وفيه سكينه من الله وأمان وكان يحتوي على عصا موسي والألواح التي فيها التوراة وانتصر علي بني إسرائيل واستولي علي أموالهم وأسرهم ، فذهب وجهاء وأغنياء بني إسرائيل إلى نبي لهم لم يذكر القرآن اسمه وقرأت في الأثر أنه يدعي (شمويل) ، جاؤه لكي يعين لهم ملك منهم ليجمعوا عليه وينظمهم حوله ليقاتلوا جالوت ويتحرروا من الأسر ويستعيدوا أرضهم و أموالهم ، فقال لهم نبيهم :أخشي إذا كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، لعلمه بنفوسهم ولجأجتهم ، فوعده وقالوا كيف لا نقاتل وقد أخرجنا من ديارنا وأبعدنا عن أبنائنا الذين أسرواويحكي الحق أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا عن الزحف إلا قليل منهم ، ويعقب الحق بأنه عليم بالظالمين منهم ومن كل الخلق ، وفي قول الحق :والله عليم بالظالمين ...إشارة لكل ظالم في أي وقت وأي مكان فاليحذرأي ظالم من الله ،وأيضا معناها أن الله نصر عليهم الملك الظالم بسبب ظلمهم ، وهذه إشارة لكل شعب يعاني من حاكم ظالم أن يتقي هذا الشعب الله لأن الله حكم فيهم ظالم لأنهم ظالمين ، وأكبر مظهر للظلم أن الله

فرض القتال الجماعي للأمة للدفاع عن الحقوق المسلوقة منها فماذا فعلت شعوب الأمة الإسلامية لنصرة المسجد الأقصى أو للدفاع عن العراق لا شيء ، فلتزح هذه الأمة تحت وطأة الظلم وهي من الظالمين ، والله يذكر هذه التواريخ ليعطي لنا الحكمة من كل شيء فالقرآن منهج علمي يجب أن نسير عليه ونتعلم منه كيف التعامل مع المواقف المختلفة ، لأن قصص الظلم منذ فجر التاريخ وعلى مر العصور تكاد تكون متشابهة ويجب أن نحمد الله على قرآنه وحكمته وأقل ما نقول لله (الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٧)

يكمل الحق هنا باقي قصة طالوت وجالوت ... فيقول النبي لبني إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملك عليكم وهو ليس من وجهاء القوم ولا من أغنيائهم ، فاعترض الأغنياء منهم بأنه ليس بغني حتى يكون له الملك عليهم ، فرد النبي بأن الله اصطفاه عليكم وزاده عنكم بسطة في العلم والجسم ، والله حر حيث يؤتي الملك من يشاء ، فهو مالك الملك يفعل فيه ما يشاء ، لأن الله واسع العطاء وواسع المعرفة وواسع لجميع الأملاك وعلیم بمن يستحق الملك أو يستحق العطاء ، هذه الآية راحة لمن يطلب الملك أي ملك ، فالملك لله يؤتيه من يشاء ، إذن الملك عطاء رباني وليس شطارة بشرية ، فمن طلب الملك وتحايل للوصول إليه وكله الله لهذا الملك فجعل يعمل فيه بهواه وظلم نفسه وظلم الخلق معه وحوسب بين يدي الله أشد الحساب أما أن يؤتيه الله هذا الملك فالله يعينه عليه ويقومه إذا اعوج أو ظلم ، فالملك من الله منحة والملك من نفسك محنة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨)

وجاءهم النبي بآية من الله تثبت أن طالوت ملك من قبل الله ، وهو أن الملائكة تأتيهم بالتابوت الذي سلب منهم ، وفيه سكينة وبقايا مما ترك موسى وهارون ، وكان هذا التابوت إذا حمّله بني إسرائيل أمام الجيش انتصروا بإذن الله ، وهذه آية لكم لتطمئنوا إلى فعل الله ، وحكمته في اختيار طالوت ملك لبني إسرائيل ، والتابوت سيحضره الملائكة وهذه علامة ومعجزة من الله لكم إن كنتم مؤمنين ، لا يترك الحق عباده دون أن يثبتهم ، فها هو يرسل الملائكة ومعهم التابوت ليطمئن بني إسرائيل ، وهذه الآية تنبها إلى قاعدة ربانية وهي أن التساهيل من الله علامة التوفيق منه عز وجل ، والمعوقات تدل على فشل الموضوع الذي نحن نسعى فيه ، ولكن هذا له شرط وضعه الله في الآية وهو (إن كنتم مؤمنين) يعني أن هذه القاعدة تتم لمن كان يؤمن بالله الواحد الأحد فقط ولهذا يجب أن نقول لله ونحن في قمة الإيمان واليقين به (الحمد لله رب العالمين)

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مُّبْتَلَوْنَ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادُنِ اللَّهَ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢٤٩)

وبالفعل جهز طالوت الجيش وبدأ الزحف لملاقاة جالوت ، وقبل المعركة أراد الله أن يختبر الجيش وطاعته لله ولطالوت الملك ، ويقويه على التحمل للصعب ، فقال لهم ملكهم إن الله مبتليكم بنهر سنمر عليه ونحن عطشي فلا تشربوا منه ، فمن شرب منه فلا يتبعني وأنه لن يقاتل معي ، ومن لم يطعمه فإنه

مني، إلا من غرف بيده غرفة واحدة ليبلل فمه وحلقه فقط، فشربوا منه كلهم إلا قليلا منهم، فمرض من شرب من النهر وتخلف عن جيش طالوت، وسار طالوت مع من بقي من الجيش وكان عددهم قليل بالنسبة لعدد جيش جالوت وكانوا من العماليق، وكان من ضمن جيش جالوت نبي الله داود، حيث كان يعمل حدادا وألان الله له الحديد فصنع من الحديد لنفسه درعا واقيا يلبسه علي صدره وكان فتي صغير، قال الجيش ممن تبع طالوت نحن قلة ولا طاقة لنا بقتال هؤلاء العمالقة من أتباع جالوت، وقال الذين سبقوا بإيمانهم ويعلمون أنهم ملاقوا ربهم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله لأن الله مع الصابرين، والنصر مع الصبر وما النصر إلا من عند الله، هذه الآية تلفتتنا إلى أن الطاعة لله تكون طاعة كاملة ليس معها سؤال أو شك ويجب أن نثق في فعل الله أكثر من ثقتنا فيما نري أو نعقل، وتكون علاقتنا بالله هي اليقين الذي يعرفنا أن الله لا ولن يضرنا في أمر هو أمره ولكن الضرر في المخالفة لهذا الأمر، وهنا الحق يلفتنا إلى قول الحق عسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، هذه حكم الله البالغة ولا يستطيع أن ندرکها بعقلنا البسيط فالطاعة الطاعة لله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾

فلما ظهروا أمام جالوت وجيشه، كان جيش طالوت هم الفئة القليلة المؤمنة التي اعتصمت بالله ودعوا الله مخلصين له قائلين ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وهنا يعلمنا الحق هذه الكلمات لندعوه بها في الشدة وفي الحرب علي أعدائه، تعلموا يا مسلمين من رب العالمين كيف الدعاء وكيف الكلام مع الله وكيف تكون إجابته سريعة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٥١)

والتقت الفتتان وبرز جالوت أمام الجيوش وطالب بأن يخرج الملك له ، فخرج له داود عليه السلام ، فاحتقره جالوت وقال ما هذا الغلام وأطلق عليه سهما فجاء في الدرع الحديدي فسقط السهم علي الأرض ، فرفع داود مقلاعه (ما يسمى بالنبلة) ووضع فيه حجر ودعا باسم الله وبحق آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فاندفع الحجر من المقلاع فشق رأس جالوت ، بإذن الله ، وتوالت الأحجار من داود علي جيش جالوت فأصاب كثير منهم وهزم جيش طالوت جيش جالوت ، بإذن الله وزوج طالوت ابنته لداود ، وكان داود دائما في مقدمة جيوش طالوت يقاتل ويتنصر بإذن الله حتى مات طالوت وورث داود الحكم والنبوة والحكمة من دروس الحياة ومن تعاليم الله عز وجل ، نري في هذه القصة روعة التربية الإلهية حيث خلق الناس ونشأهم في حكمته العظيمة ويعلم الكل ويمد هؤلاء وهؤلاء من نعمه فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، ويقول الحق أنه يدفع الناس بالناس حتى لا تفسد الأرض التي أمر الله بعمارها بيد بني آدم حتى تصبح في مصاف الجنان ، ولكن الفضل بيد الله ينصر عباده المصلحين ، وهو ذو فضل واسع علي العالمين ، وهذا إقرار من الله أن فضله سابغ علي كل الأمم وجميع العوالم ، كم من العلم تعلمناه من هذه القصة ، يا رحمتك يا رحيم ويا كرمك يا كريم إنك لا تضيع أجر من أحسن عملا وكان من المؤمنين إنك ناصره وهازم المفسدين الظالمين ، ولا أحصي ثناء عليك و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢٥٢)

هنا يوجه الحق كلامه لرسول الله ﷺ قائلا هذه الآيات يتلوها الله عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ، لن تستطيع بني إسرائيل أن تنكر هذه القصة لأنها حقيقة من

عند الله ، وهذا تأييد من الله لرسوله لعدة أسباب ، أولاً إن المسلمين كانوا في أول الدعوة عددهم قليل فأراد الله أن يعطي لهم العبرة والحكمة من قصص المؤمنين السابقين الذين كانوا قلة في العدد ونهرهم الله بفضله وبإيمانهم بالله وصبرهم ، وثانياً يعلمن الحق أن الملك بيد الله يؤتیه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، وثالثاً يعلمنا الله أنه مع شدة حلمه وحكمته إلا أن الباغي الظالم لابد أن يأتي يوم يأخذ فيه عقابه وهذا من عدل الله ، ورابعاً يعلمنا أن النصر مع الصبر .. وخامساً يعلمنا الحق أن نطور الأسلحة مثل ما فعل داود لنكون على أعلي مستوي حضاري في تكنولوجيا الأسلحة ليعمل لنا الناس ألف حساب قبل التجرواً على محاربتنا ، وأن نتقي الله لنتصبر ، هذه القصة تؤيد رسول الله ﷺ أمام أحبار يهود والذين يعرفونها جيداً ، نحن هذه الأيام نضع أنفسنا مكان رسول الله في هذا الخطاب وننفذ ما فيه بكل دقة فكل مؤمن رسول لمن حوله ولمن بعده إلى قيام الساعة فكل منا مطالب بالتبليغ عن رسول الله وعن الله عز وجل ، لأن هذه القصص ليست للتسلية وإنما جاءت لتعلمنا أننا وإن ظننا في أنفسنا الضعف فليست القوة في السلاح ولا العتاد ولا التقدم التكنولوجي فقط ، إنما القوة الحقيقية تكمن في الإيمان الصادق بالله واليقين بأنه لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا ، ومن الحروب الإسلامية نجد أن صلاح الدين حين وحد المسلمين حول راية لا إله إلا الله محمد رسول الله انتصر بإذن الله على الصليبيين ، لقب صلاح الدين بالناصر صلاح الدين وهذا ليس لقب بقدر ما هو نصيحة لنا جميعاً فإن صلاح ديننا هو الذي ينصرنا بإذن الله ، وتوجهنا الآيات أننا لا نتم بمن يكون الحاكم بقدر ما نهتم بما نكون عليه من تقوي وشجاعة وإخلاص في أعمالنا المدنية قبل الحرية فهذا هو الناصر لنا على كل من يعيقنا من أعداء أو جهل أو فقر أو مرض أو تخلف حضاري ونحمد الله أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وكما أقول دائماً (الحمد لله رب العالمين)

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ

مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾

يذكر لنا الحق هنا قاعدة رائعة وضعها لرسله وهي أنه فضل رسله بعضهم علي بعض ، ومعني الأفضلية هنا ليست أنه يحب واحد أكثر من الآخر لأنهم كلهم رسله ، ويحبهم جميعا ولكن كل واحد له منهم له أفضلية في ميزة معينة مختلفة عن الآخر ولذلك يقول (فضلنا بعضهم علي بعض) يعني مثلا أن هذا ميز في الكلام مع الله مباشرة يسمعه ويتكلم معه دون واسطة ولكن دون رؤية مباشرة أي من وراء حجاب مثل موسى عليه السلام وآخر مثل عيسي الذي أتاه الله المعجزات المؤيدة له وأيده بروح القدس ، أي زاد في روحه من روح الله ، بمعني أن النفخة الربانية التي نفخت في آدم أخذ الله منها كل ذرية آدم ، استل أرواحهم من روح ادم أو من النفس الرباني الأول الذي نفخ في ادم حين خلقه الله ونفخ فيه من روحه ، . وكلمة روح القدس هنا معناها الروح المقدسة وهي روح الله ، وقول الحق أنه أيد عيسي بروح القدس ، أي أن النفخة الإلهية التي نفخت في عيسي كانت نفخة واحدة خاصة بعيسي وحده ولم يستل منها أرواح أخرى فكانت قوية بذاتها فيها من قوة فعل الله وذلك بإذن من الله كان يشفي المرضى ويحيي الموتى بإذن الله ، ويؤكد الحق هنا على أن عيسي هو ابن مريم وليس شيء آخر أي أنه بشر فيه طاقة روحانية زيادة عن غيره وهذه هي أفضلية عيسي مثل موسى له كلام الله وعيسي له روح الله ، إذن الحق يلفتنا إلى أنه يصنع آياته لكل رسول حسب إرادة الله وهو يفعل ما يريد ، وهنا يحكم الله آياته في حرية إرادته فهو يفعل ما يريد لا أحد يملئ على الله شيء ولكن الله هو المهيمن على كل شيء ، ولا داعي يا بشر أن تختلفوا ، ولنضرب مثلا (ولله المثل الأعلى) : هب أن عندك أولاد وعندك مال ، وهذا المال منه عقارات ومنه أراضي زراعية ومنه ذهب ومنه أموال سائلة وأنت بمعرفتك بأولادك تقول هذا الولد يستطيع أن يزرع فنعطيه الأرض الزراعية ، وهذا يستطيع

أن يبنني فنعطيه العقارات ، وهذا يستطيع أن يتاجر فنعطيه المال ، وهذا لا يجيد صياغة الذهب فنعطيه الذهب ، هنا أنت لم تميز أحد عن أحد ، ولكنك وضعت كل واحد فيما يبدع ويجيد فيه بملكاته وقدراته التي تميزه عن غيره ، كذلك رسل الله قسم الله عليهم آياته كل حسب المطلوب منه وما هو بقادر على فعله وما ينفع من أرسل إليهم لأن الله حكيم وعليم ، وهذه الآية ترد على اختلاف اليهود والنصارى بعد موت موسي ورفع عيسي وكل منهم له أتباع وكل منهم يشك في الآخر ويكذبه ويصل هذا الخلاف إلى درجة التعصب وأيضا يصل لدرجة الكفر والعياذ بالله ، ويقول الحق أنه رفع بعض الرسل درجات ، وهذا الترتيب في الدرجات ذكره رسول الله ﷺ في حديث الإسراء والمعراج وقال أن رسل الله لقيهم في المعراج كل واحد منهم في إحدى السماوات وأحيانا يكون في السماء الواحدة عدة رسل ، وقد يكون كل الرسل منطلقين في كل السماوات ولكن الرسول تصادف معهم في معراجه في السماوات المختلفة ، ومن الملاحظ أن الحق دائما يؤكد أن عيسي ابن مريم ليس له أب ولا جد وهو خلقه بنفخة خاصة به مثل ادم وادم هو جده لأمه فقط ،

في هذه الآية إشارات خفية لرحمة الرحمن بالعالمين ، فهو يقول لا داعي لاختلاف أتباع الرسل ، لأن الرسل وإن اختلفوا في آياتهم التي آتاهم الله بها إلا إنهم اتحدوا على قواعد لا تختلف من رسول إلى رسول وهي : لا اله إلا الله ، الإيمان بالملائكة والكتب والرسل جميعا واليوم الآخر والجنة حق والنار حق والحساب والعقاب والثواب ولا بد من مكارم الأخلاق التي هي من صفات الله عز وجل .. والعدل والرحمة فوق العدل ... وإقامة شرع الله في الأرض عمارة الأرض والعمل فيها بما يرضي الله ... هذا وإن اختلفت الشرائع من أمة إلى أمة حسب حاجة كل عصر من العصور ، فما ينفع في عصر الفراعنة لا ينفع في عصر الرومان ، وما ينفع الأرض قبل تكنولوجيا الاتصالات لا ينفع الآن وقد أصبحت الأرض قرية واحدة مفتوحة ، هذه الإشارة من الله لنا أن كل إنسان وجد

في الدنيا مهما قل شأنه فيها فإن له دور وجد في الأرض للقيام به وإن اختلفت قيمة هذا الدور الذي يقوم به كل إنسان إلا إنه مهم في حد ذاته ، ولا يقلل من شأن أي إنسان هامشية دوره في الحياة فكلما میسر لما خلق له ، في هذه الآية حرص شديد من الرحمن على جميع البشر ، فإنه يوضح أن الاختلاف جاء بعد موت الرسل ، وكان الاختلاف بين الأتباع ، من هم الأتباع ؟ إنهم البشر من كل الملل والأجناس وكلهم عبيد لله مهما كان لون الإنسان أو نوعه أو دينه أو لغته أو بلده مهما اختلفوا فإن تركيب الإنسان التشريحي واحد في كل البشر ، فكل إنسان يتنفس ويأكل ويبكي ويضحك بنفس الطريقة في كل الأرض ، لا اختلاف في سلوكيات الفطرة البشرية ، ولكن اختلفت الثقافات المكتسبة ولا يجب أن تختلف لأننا لآدم وآدم من تراب ونحن لله وسنعود إليه في يوم ما ، يحرص الرحمن على توحيدنا وإن كان لا يفرض علينا الاختلاف لأننا منذ البدء اخترنا الإرادة الحرة فلن يتدخل الله لأنه إن شاء ما اختلفوا ولكنه تركهم لحريتهم ليميز الخبيث من الطيب، وهذا هو دور الرسل تعريف الناس بالدين والدنيا وتذكيرهم بالله فلا داعي أن نختلف ونشغل بخلافاتنا حول الرسل ونترك الله المرسل لهم ونترك رسالاتهم التي أرسلوا بها ونشكر الله على اهتمامه بنا و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

هذه الآية مرتبطة بالآية السابقة حيث يحثنا الحق على أن ننفق مما رزقنا الله قبل أن ينتهي العمر وتأتي ساعة لن تفعل فيها شيء فلا بيع ولا صداقة ولا شفاعة تنفعك في هذه الساعة ، والكافرون هم الظالمون ، حين خلق الله الأرض وقدر فيها أقواتها في ليلة القدر ، يوم أتم الله انشاء الأرض وأرسي فيها الجبال وأجري فيها البحار والأنهار وقدر فيها أقوات جميع المخلوقات منذ بدأ الخليقة إلى قيام الساعة ، إذن الحق حين قدر الأقوات جعل أقوات البشر تكفي جميع البشر

وأضعاف مثلهم لأنه هو الغني المغني ولكن الناس لا توزع الأقوات بالعدل بل دائما ما نجد فئة قليلة تتحكم في أقوات الخلق ومنها العادل وكثيرا منهم ظالمون وهم من قصد الحق ذكرهم بأنهم الكافرون لأقوات الله ويمنعوها عن الناس وكلمة كافر معناها مغطي أو ساتر أو مانع أو رافض وكلها معاني تدل علي الظلم البين والظلم آتي من الظلام الذي ليس فيه نور الحق وعدالة التوزيع ،ومن رحمة الله ليمنع الاحتكار للأشياء والسلع الحيوية للبشر جعل كل مكان ينتج شيء معين حتى يحتاج البشر بعضهم بعض ويتواصلوا ويتبادلوا سلعهم ولا يكون هناك احتكار للسلع بين الناس ولا منع لأقوات الخلق ، وبذلك يسود العدل ويتواصل الناس ويتبادلوا المنافع بينهم ، ويتتهي الجوع والفقر من الأرض ، حقا فضل الله بعض الناس في الرزق وأمرهم أن ينفقوا من هذا الرزق على من لا يستطيع كسب رزقه بنفسه حتى ينشر الأمن في الأرض ، أما الآن نجد بعض الدول تحتكر بعض السلع وقد تلفها أو تلقيها في البحر ولا ترسلها إلى الدول الفقيرة لهذه السلعة حتى لا يقل ثمن هذه السلعة في السوق ، فمثلا في عام أَلقت أمريكا القمح في البحر حتى لا يرخص وفقراء أفريقيا يموتون من الجوع والفقر ونجد مثلا بلد مثل أيرلندا علمت من إحدى صديقاتي المقيمين فيها أنهم أحيانا يلقون اللبن في البحر ولا يصدروه للدول الفقيرة....القمح هو العيش والخبز أهم مقوم للغذاء ، ثم اللبن الذي يغذي الأطفال ، أي ظلم هذا وأي كفر هذا ، في العصر الحالي أصبحت الكرة الأرضية قرية واحدة والإعلام على أعلي مستوي والمغريات من طعام وشراب وملابس وسيارات ووسائل ترفيه يعلن عنها ليلا ونهارا في جميع القنوات الإعلامية....من من البشر يري كل هذا ولا يتمني أن يعيشه ؟ هذا كمن يسكب الماء أمام الظمآن !!! ما هذا الظلم ؟!! ثم بعد ذلك نطالب الشعوب بالمدينة والحضارة والبعد عن الإرهاب ، كيف ؟ كيف تطلب العقل و الرحمة والعدل من جائع ؟!!! أمن الناس ، علم الناس ، أشبع الجائع ، أعطي المحتاج حاجته وحق الرحمة والعدل في الأرض تحصل على الأمان والسلام ، هذه الآية كأن الله يقول

فيها إن أردتم عدم القتال فيما بينكم أو أردتم أن لا يكون بينكم خلاف بعد الرسل أنفقوا مما رزقكم الله على من ليس له رزق يكفيه، هذه الآية تحل أزمة الإرهاب والفقر في الأرض، ويحذر الله الناس من يوم لن ينفعهم هذا المال أو هذا الرزق، لن ينفعهم كنز المال، ولن تباع فيه سلع لنشتري رحمة الله بها ولا صديق ولا صداقة تنفع ولا شفاعاة لمن جوع الخلق وحرهم من رزق الله، وحدد الرحمن أن من يكفر نعمة الله يعني من يمنع نعم الله ورزقه أو يكفر الآية وهذا التوجيه الإلهي ومن لم يقيم العدل في الأرض هم الظالمون وليس الإرهاب... هذا هو عدل الله ورحمته وحكمته في الأرض وهذا هو حب الله للعالمين في هذه الآية ولحرصه ورحمته بنا نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

هذه الآية هي القاعدة الأساسية لخلق البشرية لإثبات الوجدانية لله وحده، (الله لا إله إلا هو) هي محور الكون، حين خلق الله الأرض وأرسي فيها الجبال، وأيدها بالملائكة، ظلت تميد وتتحرك ولم تثبت، فأنزل الحق (الله لا إله إلا هو...) (آية الكرسي) فثبتت، فهي كنز من عرش الرحمن أنزله إلينا لنحفظ به أنفسنا وأرضنا وسمائنا فمن قرأها كل ليلة بنية الحفظ من الله، حفظ بإذن الله، ما معني هذا؟ هذا هو الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء أو أحد، وهذا كلامه نزل من الرحمن علي الأرض والسماء فثبتت...

كلام عكسها----مالك،.....كلم----ملك،.....كلمة----تملك

ولذلك نزل كلام الله على الأرض فملكها وثبتها لأن كلام الله هو كلام مالك الملك، وهذه الآية يصف الرحمن فيها بعض صفاته الذاتية فهو الإله الواحد مع

التخصيص بمعنى أنه (لم ولا ولن) يوجد إله غيره فهو المتفرد بالألوهية ، فلما الخوف إذن ، مادام الحاكم والقاضي والمحاسب والجلاد والشاهد والمحامي والرقيب كلهم اجتمعت صفاتهم في ذات الله عز وجل إذن لا خوف ولا فزع ولا ظلم بل أمان تام ، حين أقرأ آية الكرسي يتتابني شعور غير عادي بقيمة الأمان والسلام ، فهذه الآية تبني في كل قلب حصن من الأمان الذي يذهب أي رعب من نفس الإنسان ، (هو) الضمير الذي في الآية يوضح أن كل ضمير حي هو الله ونور من الله يلقيه في أنفسنا ، ومن إعجاز الله أن جعل القرآن إعجازه أول نزوله في لغته العبرية، أما الآن فإن القرآن مع عبرية لغته إلا أنه عبقرى في أنه حي ، آياته تنفع السابقون واللاحقون وتنفعنا أيضا ، وأحكامه مفصلة لكل عصر ومكان، (الله لا إله إلا هو) هي أول أركان الإسلام وتعني (التوحيد) ما معني شهادة أن لا إله إلا الله ؟

حين ندخل في الإسلام يجب أن نقول هذه الشهادة ، وهل نحن رأينا الله لشهد بذلك نعم نحن رأينا الله جميعا وذلك مذكور في الآية (172)(سورة الأعراف)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۖ﴾ (١٧٢)

إذن الشهادة حق لله حيث إننا جميعا رأيناه وشهدنا له بالوحدانية ، ولذلك أقول حين أسلم ، أشهد (يعني أري) أن لا إله إلا الله (بمعني :لا يوجد مع الله أحد يشاركه في الألوهية) فهو واحد فرد صمد لا شريك له وهو أحد بمعني التوحد في نوعه فليس مكون من أجزاء بل هو صمد نوعه واحد أحد ليس كمثله شيء ، وكما قلت من قبل الله بعد تجريد هذا الاسم من (ال) التعريف ، و(لام الملكية) يبقى (الهاء)

و(الهاء) هي صوت الشهيق والزفير في صدر الإنسان ، وإعرابها ضمير غائب تقديره ... هو وألفاظ الألم كلها(هاء) مثل (آه ... ياه ... يا هو) كلها نداء لله

ولو لم نعلم معناها ، وحين نري شيء جميل نقول الله ، كلها ألفاظ تنادي على الله وما يسكن القلب إلا هو إذن حق علي هذا القلب أن يقول أشهد أنا القلب أن الذي يملأني هو حب واحد وهو الله إذن لا إله إلا الله ،

حين يتكلم الحق عن نفسه فهو يقول : ليس كمثله شيء ، فإنه واحد منفرد ليس له ثان ، وأحد يعني عنصره واحد وليس كمثله عنصره شيء في الوجود فهو الواحد الأحد ، وبما أن الإنسان فيه جزء صغير لا يذكر من صفات الرحمن مثل (السمع والبصر والمشاعر والأحاسيس والخلق) والله سبحانه هنا يصف نفسه بأنه لا ينام ولا حتى الغفوة التي تسبق النوم فإنه لا يغفل وذلك لأنه حي قيوم وبما أن النوم موت مؤقت فلا يصبح أن الحي القيوم ينام أو يغفل لأنه حي دائما لا ينام ولا يموت وقيوم يعني دائم التنبه والقيام بتدبير شؤون ملكه وملكوته ليلا ونهارا من الأزل وإلى الأبد ، وهنا تتجلى رحمة الرحمن في قيوميته حين ننام وهو لا ينام ، يرعانا ويرعى شئوننا ويحمينا ويدبر مصالحنا ويرحمنا ، لأنه لا يغفل وهو حي دائما حتى بعد موتنا فإنه يرعانا أحياء وأموات ويرعى أولادنا وأموالنا وبلادنا وكل شيء فلا قلق مادام الله حي أبدا قيوم علينا دائما فقل (الحمد لله رب العالمين)

وهو مالك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من مخلوقات وجمادات وكل شيء ملك خالص لله ،

وكلمة (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عنده) أشعر فيها بالكبرياء الإلهي والعظمة الإلهية ، كأن الله يقول في شموخ وعظمة وكبرياء : لا أحد يتجرأ من الخلق أن يشفع عندي لأحد أو في شيء إلا إذا أذنت له فقط ، إذن حتى التشفع هو شفع نفسه لنفسه ليسمح لمن يشفع عنده ذلك من عظمة ذاته عند ذاته ، هنا تتجلى رحمته في أنه اختص بعض من خلقه فأذن لهم بالشفاعة عنده وذلك لقدرهم عنده وحبهم لهم وذلك حتى يشفع في خلق لا يستحقون الرحمة فيجعل الشفاعة عنده رحمة لهم ،

وهذا من عظمة رحمة الله بالعالمين فقل (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

أي أنه محيط بهم بعلمه من كل الجهات وبكل المعاني في داخل وخارج أنفسهم وفي الأرض وحولهم في السماوات وعالم بالحاضر والمستقبل في الأرض وفي الدنيا وفي الآخرة ويعلم ماضي كل شيء وحاضره ومستقبله ، وفي المقابل لا يستطيع أحد أن يحيط ولو بشيء بسيط من علم الله إلا بمشيئة الله عز وجل

إذن هو يعلم كل شيء ، ولا نستطيع أن نحيط بشيء من بعض علمه إلا بإذنه ، وتتجلى الرحمة هنا في أن الحق علي عظم علمه لم يحرمنا من بعض من علمه ، فهو يمن علي من يشاء من عباده بشيء من بعض علمه المطلق ، وهذا من فضله ورحمته حتى يعلم من تعلم من الله من لم يتعلم من خلق الله رحمة بخلقه أيضا ، وهذا من فضل رحمة الرحمن بالعالمين (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

وصف الرحمن كرسي عرشه أنه وسع من ضمن ما وسع السماوات والأرض ، إيحاء بأن السماوات والأرض شيء صغير بالنسبة لكرسي عرش الرحمن ، كيف هذا الكرسي ؟ لو عكسنا حروف (كرسيه) ---- تكون (هي سرك) بمعنى لا يعلم سر الكرسي إلا الله وعكس كلمة (شرع) ---- (عرش) وهذه إشارة للعقل أن يقف عند حدود شرع الله ليظل تحت عرش الرحمن في الدنيا والآخرة ، وهذا يبين أن الله كبير كبر لا يحيط عقل بكبره ولا يستطيع أحد أن يحيط بعلمه شيء من كبر الله وعظمته هذا يجعل القلب المؤمن يطمئن ولا يقلق لأن الله كبير في كل شيء ، وأهم شيء يهمننا في كبره هو كبر رحمته فبذلك تصغر خطايانا بجانب كبر رحمته ، ويقل حجمنا بجانب كبر كرسيه وعظمته ... ثم يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ... ومعني هذا أنه لا يثقله ولا يشق عليه أن يحفظ السماوات والأرض لأنه علي في المكان والمكانة ،

وعظيم في كل شيء ومترفع عن صغائرنا ويرحمنا لجهلنا لأنه العظيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

هذه آية نزلت بعد آية الكرسي وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن ، يقول الحق لا إكراه في الدين فقد وضح كل شيء ، فعرفنا الحق وعرفنا الباطل وعرفنا ما هو الدين ، إن الدين كما قلنا من قبل هو اعتراف بأن لا إله إلا الله والخروج من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته ، ومن عجزنا وضعفنا إلى قوة الله وعظمته ، بدأ الحق الآية بلا النافية فقال لا إكراه... ولم يعرف من سيكره من ولا من سيكره ، ولكن جعلها نكرة ، ولذلك فلها معاني متعددة مثلا لا أحد يكره أحد على الدين فالكل حر يختار ما يشاء ، ومعناها أن الله من يوم عرض الأمانة علي الخلق وقبلها الإنسان أعطانا الإرادة الحرة فيما نفعل أو لا نفعل ولن يكرهنا على شيء ، حتى الدين ، لأنه لا يريد أن يأتيه أحد وهو مكره ، فإنه لو شاء لأجبر من في الأرض جميعا على طاعته وعلى عبادته ، لكنه ترك لنا الإرادة لحرية لنتخار ما نريد ، ولأن بنزول الرسالة المحمدية قد تبين كل شيء ، وضح الحق وبطل الباطل ولقد كانت الرسالة الإسلامية هي الرشد والعقل والمتممة لكل الرسالات وخاتمة لها وفيها ما يصلح العالم حتى نهاية الدنيا فالحق واضح والباطل واضح

وهنا يبين الحق أن من يكفر بكل متعدي وكل معبود من دون الله وهم كثر، مثل المال والولد والنساء أو الحياة الدنيا ذاتها أو الشيطان أو الأصنام ،ومن يؤمن بالله وحده فقد استمسك بالعروة الوثقى(عروة) عكسها -----(تورع) اتقاء الله والعروة الوثقى هنا هي (عقيدة الإسلام) التي هي شديدة في تماسكها ومن تمسك بها لن يخذله الله لأنها استسلام لله وحده بل سيعليه في الدنيا وفي الآخرة ويصف الحق نفسه هنا بأنه سميع عليم ، يسمع كل شيء حتى همس

النفوس لنفسها ... وسميع وعليم كلاهما على وزن (فعليل) يعني شديد الفعل ، شديد السمع ويعلم السر وأخفي ، وعليم هنا مطلقة لا يحدها حد ، وهذا يبين لنا رحمة الرحمن بنا بإعطائه لنا فرصة لنراجع أنفسنا بعد حمل الأمانة ، وهي أمانة الإرادة الحرة وذلك بأن نتمسك بدينه ونلجأ له لأنه هو السميع لكل طلباتنا وهو العليم بأحوالنا ونفعنا و(الحمد لله رب العالمين)

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ وَهُمْ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

هذه الآية رحمة وحنان من الله بعباده الذين آمنوا به فهو يوضح هنا أنه يتولاهم فيخرجهم من الظلمات !!! كل الظلمات : ظلمات جهنم ، وظلمات الكفر ، وظلمات الجهل ، وظلمات الهم ، وظلمات المرض ، وظلمات الفقر ، وظلمات القبر ، وظلمات الناس ، وظلمات النفس ، وظلمات الشيطان ، وظلمات الكفار والطغاة ، وظلمات كل شيء فيه ضلال أو ألم أو ضيق أو هم

يخرجهم إلى النور !!! نور الله ، نور الجنة ، نور العلم ، نور الصحة ، نور الغني ، نور القبر ، نور الناس ، نور النفس ، نور الملائكة ، ونور المؤمنون ، ونور السعادة ، ونور كل شيء فيه نور ومتعة وفرح وسعادة في الدنيا والآخرة ، وهذا عهد من الله لمن آمن به

أما الذين كفروا فإن أوليائهم كل ما عبدوا من دون الله ، وعلى رأسهم الشيطان ، وآلهتهم هذه تخرجهم من النور إلى الظلمات عكس ما ذكرته سابقا ، وبما أن من آخر الظلمات هي ظلمات الجحيم فإن عبدة الطاغوت تخرجهم الطواغيت من نور الجنة إلى ظلمات الجحيم ، ويصفهم الحق بأنهم هم أصحاب النار وهم فيها خالدون ومن الأشياء التي تزيد من سعادة المؤمنين رؤيتهم للقصاص من المفسدين في الدنيا وشعورهم برحمة الله الذي هداهم للإيمان ونجاهم من

البحيم ، وهذه رحمة الله بعباده المؤمنين ولذلك يجب له الحمد(الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

هذه الآية مشهد تصويري رائع ، يوضح به الحق كيف يؤيد من آمن به ويخرجه من ظلمات جهل الطاغية إلى نور المعرفة والعلم فيكون الحق في قلبه يلقيه الحجة ويتكلم بنور علم الله ،

والصورة هي : الله يمن على رجل بالملك فيصبح ملك ومع ذلك ضل هذا الملك وكفر بمن ملكه ، وتمرغ في ظلمات الكفر وباقي الصورة : حشد من رعايا ذلك الملك وبينهم يقف نبي الله إبراهيم مدافعا عن دينه وربّهوهنا يسأل الطاغية قائلا : ما قدرة ربك يا إبراهيم ؟

فيقول إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ... (وكلمة الذي بالتخصيص بمعنى الإحياء المطلق والموت المطلق بمعناه)

فيرد الطاغية قائلا : أنا حيي وأميت (بمعني أنه يحكم علي أحد بالإعدام ثم يلغي الحكم فيكون أمات واحيي ، أو يقتل واحد ويترك واحد لا يقتله فيكون أمات واحيي)

وهنا يظهر نور علم الله في ذكاء رد إبراهيم علي الطاغية ، فقد ترك قضية الإحياء والإماتة لأن فيها حوارات وانتقل لقضية لا يمكن أن يجادل هذا الطاغية الغبي فيها فيقول إبراهيم : إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتني بها من المغرب، هنا دهش وتحير هذا الكافر وأخزاه الله بنور علم الله الذي رد به إبراهيم كيد هذا الكافر.... ويعقب الحق علي هذه الآية بقوله : والله لا يهدي القوم الظالمين

...وهذا يعني أنه يهدي القوم المؤمنين بنور الهداية لعلم الله ، بمعني أن الله أيد إبراهيم بالرد علي هذا الطاغية برد أخرس لسانه ، وهدم قضيته أمام نفسه أولاً وأمام الناس ثانياً . هذه القصة تبين كم رحمة الله وحلمه بخلقه حتى الكافر الذي يدعي الألوهية يرسل له من يحاوره ويناقشه لعله يفيق ويخرج من ظلمات الكفر إلى نور

الهداية والإيمان بالله ، ولذلك بنا أنه علمنا كيف يكون الحوار مع الذين ندعوهم لله ، لا نقف عند قضية جدالها عقيم بل نستتير بالله وعلمه ونجادل بالحجة الداحضة التي لا تفتح مجال للشيطان أن يدخل ويحول الحوار إلى مرآة عقيم و أقل قول نقوله لله ونحن عاجزون عن شكره (الحمد لله رب العالمين)

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

هذه الآية تصور لنا قصة تتجلى فيها قدرة الله وعظمته وحبه ورحمته بخلقه منذ الأزل ، تبدأ القصة بتخريب الرومان لبيت المقدس وطرد أهله وتشريدهم وحرق ديارهم ونخلهم وزرعهم ، لم يتركوا فيها جدار قائم ولا نبتة حية ، وكان من بين من خرجوا من بيت المقدس (العزيز وأولاده) وبعد أن استقر به المقام في بلد آخر هو وأولاده ، عاوده الحنين إلى بيت المقدس ، وكان العزيز حافظاً للتوراة وكان مستجاب الدعاء من الله لأنه لأنه رجل صالحاً ، وفي ليلة رأي رؤية يأمره فيها الله أن يعود إلى القدس ، وتكررت هذه الرؤية وألحت عليه عاطفته وحنينه إلى بلده الذي يحبه ، ولكن كيف وقد دمرت ؟!! ومن شدة إلحاح نفسه عليه قرر الرحيل إلى القدس ، وأعدت له خادمته خبزاً ساخناً وجبناً طازجاً وعصر له ولده عبناً

طازج وحمل هذا الطعام على حماره وركبه وسار عائدا إلى بلده ، فلما وصلها ووقف فوق جبل مطل عليها فوجدها حطام خاوية خربة لا شجر فيها ولا زرع ولا بيوت ولا ناس ولا حيوانات ولا أي شيء من مظاهر الحياة في هذه القرية ، وكلم نفسه متحيرا حزينا وسائلا ربه متعجبا : كيف ومتي يحيي الله هذه القرية ؟!!! والسؤال يفيد التعجب من استحالة حياة هذه القرية بعد موتها وخرابها الذي يراه أمامه ، ثم دخل العزير وهو حزين إلى أحد الكهوف ليبيت فيه ليلته ويستريح من عناء السفر ، وأدخل حماره أيضا ووضع طعامه علي صخرة مرتفعة في الكهف ووضع للحمار غذائه وفرش فراشه على أرض الكهف ثم نام عليه ، فأماته الله مئة عام ، والعام إما أن يكون سنة بالحساب القمري أو حول بالحساب الشمسي ، فالسنة هي سنة هجرية أو قمرية وسميت سنة نسبة لسنة الله في الزمان وسنة رسوله ﷺ ، والحوّل هو سنة بالحساب الشمسي حيث تعاقب الفصول الأربعة من دوران الأرض حول الشمس ، والعام قد يكون هذه أو تلك آتي من العموم والشمول ،

نعود للعزير حيث موته الذي استمر مئة عام ، وتحلل الحمار ولم يبق منه غير العظام ، ومن عظمة قدرة الله أن الطعام ظل طوال المئة عام طازج الخبز طري وساخن والجبن طازج وحتى عصير العنب الذي يتخمر في ساعة ظل طازج وبعد ، أحيا الله العزير ليجعله آية من آيات الله لأن العزير يحمل التوراة في قلبه وعلم الله لا ينتهي وهذا من رحمة الرحيم بخلقه لا يحرمهم من علمه ومنهجه ، ثم تنتقل بنا الصورة للعزير حيث الحوار مع ربه وهو يتخاطب معه بحوار صامت يسمى التخاطر وكأن العزير يكلم نفسه ... فيقول متسائلا : كم لبثت ؟ !! كأنه ظن أنه كان نائم فيقول لنفسه أنا نمت يوما أو بعض يوم فيقول له الحق : لا لقد ظللت ميت مدة مئة عام ، ولتأكد من هذا انظر إلى حمارك الذي تحول إلى بقايا عظام ، وانظر إلى طعامك الذي مازال صالحا طازجا ، ليثبت الحق له ولنا طلاقة قدرة الله ... ثم أراه المعجزة الكبرى وهي إحياء الله للموتى فقال له الله انظر

إلى عظام الحمار كيف يوقفها الله ويخلقها من عدم ويرتبها ثم يكسوها لحما ثم يحييها بعد موتها وتحللها.... وقف العزيز منبها مندهشا من عظمة الله وقدراته وبعد أن تأكد له كل هذه الآيات... قال بيقين العارفين أعلم أن الله على كل شيء قدير.... هذه الآية تحمل معاني كثيرة ، ومنها أن الحق يحرص على كتبه التي نزلت محبة في خلقه الذين يحتاجون لحكمته ليسيروا بها في حياتهم ولذلك أحيا العزيز لأنه أحيا القدس وكان لازم من إحياء علوم الدين التي توجد في التوراة الذي يحفظها العزيز في قلبه ، وهنا أيضا يطمأن الحق عباده الصالحين أنه وليهم في الدنيا والآخرة ، ويعرفنا الحق طلاقة قدرته فنسأله ما نشاء دون الشك في كيفية تحقيق ما نطلبه لأن الله على كل شيء قدير ، وهنا يضرب لنا مثلا كيف يخرج الحق عباده من ظلمات الشك إلى نور اليقين بالله... هذا هو رب العالمين الذي أحبه وأعشقه وأهواه ، فهو هو أنفاسي التي أنفستها وأحيا به ، ولا أذكر في حبه جنة أو نار... فإن لم يخلقهما ألا يستحق الحب والعبادة ، والله أنا أحبك يا الله ولا أحب سواك والله اجعلني أحيا بحبك وأستشهد في حبك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣١٠)

هذه الآية أيضا تبين إخراج الحق لعباده الصالحين من ظلام الشك إلى نور اليقين، هنا يصور لنا الحق مشهد تصويري بينه وبين نبيه إبراهيم ، المكان وادي بين الجبال والسؤال من إبراهيم لربه يقول: ربي ارني كيف تحيي الموتى ؟ !! وهنا يريد الله أن يبريء ساحة نبيه من عدم الإيمان أمام من يقرأ القرآن لأن الله يعلم حقيقة سؤال إبراهيم ولكن يجب أن يظهر الحق للخلق فيقول الحق سائلا نبيه في رحمة : يا إبراهيم أو لم تؤمن ؟!!!

فيجيب إبراهيم مؤكدا صدق إيمانه ونافيا للشك في إيمانه : نعم يارب أنا مؤمن ولكن ليطمئن قلبي بعين اليقين... فيقول له رب العزة : هيا لتعمل تجربة أعلمك بها كيف أحيي الموتى... احضر يا إبراهيم أربعة من الطير وضمهم إليك وتعرف عليهم جيدا ثم قطعهم قطعا واخلط القطع مع بعضها البعض ثم ضع على كل جبل جزء من هذه القطع ثم نادي على الطير يأتونك سعيًا بمعنى مسرعين وسائرين على أرجلهم ... واعلم أن الله عزيز حكيم بمعنى عزيز بحكمة ، وحكيم بعزة ، ومعنى (عزيز بحكمة) أنه حين يعز على عباده يكون ذلك لحكمة يعلمها هو وحده ومعني (حكيم بعزة) أن حكمته فيها عزة وكبرياء

هذه الآية تطمئن المؤمنين أن الله يعلم بحكمته أن الإنسان دائما يحتاج إلى ما يؤيد إيمانه ويثبت على دين الله فلذلك لم يمنع الحق أن يؤيد إبراهيم بهذه الآية حتى يطمئن قلبه بنور اليقين بعد أن ثبت إيمانه ، ليعلو بإبراهيم إلى مراحل أعلى في العلاقة مع الله ليصل به إلى حق اليقين وحين يقول الله (واعلم أن الله عزيز حكيم) أشعر فيها بلهجة من الحق توحى بلوم لإبراهيم فيها شيء من العتاب الجميل ، وكأنه يقول أنا حكمتي غالية وعزيرة وعزتي حكيمة فأفهم يا إبراهيم وأفهم يا من تقرأ بعد إبراهيم ما أعظمك يا ربي و(الحمد لله رب العالمين)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٦)

هنا يبين لنا الله عز وجل فائدة الإنفاق في سبيل الله ، فيصور لنا في ابداع تصويري مشهد رائع وهو : كأن رجل وضع صدقة واحدة في طريق من طرق الخير الذي أمر به الله ، يشبه الحق هذه الصدقة بحبة قمح وضعت في طريق الله فرعاها الله وأنبتها الله فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، وهذا هو الحد الأدنى في عطاء الله فهو قد يضاعف هذه الصدقة أضعاف مضاعفة ، فالحد الأدنى للصدقة الواحدة يساوي عند الله سبعمائة حسنة ، وقد تتضاعف وتصل إلى ملايين

من الحسنات عند الله لأن الله كريم ورحيم ، ووصفه نفسه بأنه واسع معناها أنه لا أحد يحدد له مدي عطائه ولا أحد يحد عطائه ولا أحد يحصي فضله ونعمائه ، وهو عليم بمن يستحق أن يضاعف له أعماله ممن لا يستحق ذلك ، ويعلم الذي يعمل لله ممن يعمل للرياء والمصلحة الدنيوية ، هذا هو الله يريد منا الإخلاص فقط وهو يكفيء ويرحم ويزيد في عطائه ، هل هناك أحد بهذا الجود والكرم والوسع والرحمة والحنان على الناس هذا هو الله الذي لا إله غيره وحده لا شريك له و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣٢)

يبحث الحق الخلق على مكارم الأخلاق وخاصة عند البذل والعطاء ، فمن كان يعطي أحد صدقة يبتغي بها وجه الله فلا داعي لأن يمن على متلقي الصدقة بل على العكس يجب أن يتواضع مع الفقراء لأنهم سبب رحمة الله بهم ، ولن يكون العطاء في سبيل الله إذا من وأذى الفقير ، كان أحد أصدقاء أبي من العارفين بالله وكان إذا لقي الفقراء الذين يأخذون منه الصدقات ، كان رحمه الله يلقيهم بالأحضان والترحيب والتقبيل قائلا لهم : مرحبا بحملة زادنا إلى الجنة بغير نول ، والله لم يطلب هذا بل أقل من هذا لم يقل رحبوا ولكن فقط لا داعي للمن والأذى لمن مد يده إليك ، يقول الحق : من تصدق في سبيل الله ولم يمن أو يؤذي المتصدق عليه هذا لا خوف عليه في الدنيا أو الآخرة ولا هم يحزنون لأن الله سيكافئهم بفضله وكرمه وما أدراك ما كرم الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (١٣٣)

هذه الآية هي شرح لكيفية التعامل مع الناس بعضهم بعضا ، أري فيها حرص من الله على السلوك الإنساني والأدب مع الفقراء لأنهم ليسوا أقل من الأغنياء في القيمة الإلهية فإن الله فضل بعض الناس على بعض بالتقوى فقط ، ويقول الحق إن

أكرمكم عند الله اتقاكم ولم يقل أغناكم إذن يجب على من يقدم صدقة لأحد من الناس أن يعلم أنها تقع في يد الحق قبل يد المحتاج ، ولذلك نري السيدة عائشة أم المؤمنين كانت تعطر الدراهم قبل أن تقدمها للمحتاج لعلها أنها تقع في يد الله قبل يد السائل ، ولذلك يوجهنا الحق إلى أن قول معروف وسماحة في التعامل مع الخلق خير من صدقة يتبعها أذى ، لأن الله غني حليم ، هنا يعلمنا الحق قيمة كرامة الإنسان ، فلا يذل إنسان كرامة أخيه الفقير لأنه فقير ولا يحترم أخاه الإنسان لأنه غني ، وهنا يقول الحق أنه غني حليم وكأنه يقول يا من تملك المال لست بغني ولا أنت بمغني فإن من أعطاك المال قادر على أن يعطي غيرك وإنك إن كنت غني ولم تكن حليما فأنت لا تقبل صدقتك عند الله ، ويجب أن نتعامل مع الفقراء برحمة واحترام وإجلال ، إذا كنت غني يا مؤمن فكن حليما في تعاملك لتكون بحق خليفة الله في الأرض .. هذه هي صفات الرحمن الرحيم والرحمة والكرامة والعزة .. هذا هو هدي الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

هنا يحذرنا الحق من ضياع أعمالنا في الدنيا وضياع ثواب صدقاتنا ، فلا نمن على من نعطيهِ الصدقة أو نتظر منه شكر أو مدح على العطيّة ... ويحثنا الحق على إخفاء الصدقة حتى لا تدخل في دائرة الرياء ، كأن تقول فلان محتاج وأنا أعطيته ، أو أعطي صدقة لمن يعمل لي عمل ما رغبة في أن يزيد لي من هذا العمل ، أو أعطي الصدقة لمن يبيعني شيء ليزيد لي في العطاء ويعطيني أفضل ما عنده مقابل هذه الصدقة ، هذه ليست صدقات ، الصدقة يجب أن تخلو من أي مقابل من الفقير ولا يقصد بها غير الله لتقبل عنده ، (فائدة) كيف تعرف أن صدقتك قبلت من الله ؟ أولا : أن تشعر أنها قليلة مهما كانت كبيرة ... ثانيا : أن تنساها ولا تذكرها ، فإنك

إن ذكرتها فعلم أنها لم ترفع من الأرض وأنها أمامك لم يقبلها الله.... هذه علامات قبول الصدقة من الله..... فما شروط قبول الله لها !!؟

1 - أن تكون الصدقة عن طيب نفس ورضا وتمني من القلب لفعل الخير وخالصة لوجه الله تعالى ولا يكون في النية أحد من الناس بل لله وحده ...

2 - أن يكون في القلب رحمة وشفقة عند إخراج الصدقة على الفقير الذي يأخذها.

3 - عدم التباهي بها أمام الناس.

4 - تقدم بأدب واحترام مع افتعال الأحداث التي تجعل الفقير في عزة وكرامة، مثلا تقول للفقير : كنت ماشي وأعجبني هذا الشيء فاشتريت اثنين واحة لي وهذه لك ، أو أي رواية من هذا القبيل تفيد احترام المتلقي لهذه الصدقة .

يقول الحق يا أيها الذين آمنوا....إذن الخطاب للمؤمنين بالله ، يقول : لا تضيعوا أجركم عند الله بأن تؤذوا الفقراء بأن تمنوا عليهم بها أو أن تؤذوا أنفسكم بهذه الصدقة ، فتكون عقوبة عليكم وأذي إذا لم تقدم خالصة لوجه الله وبدون من أو أذي.... ويصور لنا الحق من يفعل ذلك في مشهد رائع ، فيقول : إن أعمال المنان كالتراب الموضوع على صخرة كبيرة ملساء فيأتي مطر شديد كأنه سيل ينزل على هذه الصخرة فيزيل ما عليها من تراب وتترك الصخرة نظيفة لامعة ليس عليها أثر للتراب ، وهذا السيل هو المن والأذى الذي يذهب الصدقات ، وهذا تشبيه لمن يدفع الصدقات للنفاق والرياء وليس لوجه الله ، فهذا هو الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يؤمن بأن هناك حساب في الآخرة ، وتكون صحائف الأعمال يوم الحساب مثل الحجر الناعم الأملس النظيف من أي شيء من الحسنات... ونحن نقول في الأمثال (زى الصيني بعد غسيله) فلا يجد شيء من أعماله التي قدمها في الدنيا سابقا ، لقد فعل للناس والناس لن ينفعوه يوم الحساب ، يحرص لحق علي مكارم الأخلاق ، ويحب أن نكون في توحيد كامل لله لأن من يدفع

الصدقة رثاء الناس فقد أشرك الناس في قلبه بالله والله غني عن الشرك ولا يرضي لعباده الكفر ، ولذلك وصف هؤلاء القوم المراءون بأنهم كافرين والله لا يهدي الكافرين ، وهذا تحذير من الله لعباده لعلهم يعلمون ولا يشركون بالله أحد في قلوبهم ولهذا الاهتمام نقول لله الرحيم (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَأَتِ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾

في هذه الآية يضع الحق المقابل لأنه حق . مثل أنه يعاقب فهو أيضا يثيب المشيب فيصور لنا صورة جميلة لمن ينفق أمواله ابتغاء رضا الله عز وجل وأنفسهم ثابتة لا تتحول عن رضا الله ولا تنظر إلا إلى الله هذه الصدقات التي قدموها مثل جنة على مكان عالي من الأرض وهي وارقة الظلال تربتها حسنة أصابها وابل من المطر وإن لم يكن وابل فمطر رذاذ خفيف يكفيها فيضاعف ثمرها أضعاف والله دائما يبصر أعمالنا ويعلم نوايانا كم هو جميل منك يا رب أنك دائما تجعلنا بين الخوف والرجاء وهذا من قمة التربية الإلهية والرحمة التي تستوجب الحمد لك (فالحمد لله رب العالمين)

﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

يرسم لنا الحق هنا بالكلمات صورة وقصة يصور فيها مشاعرنا أمام أنفسنا ويبدأ كلامه بسؤال فيه تفهيم لكي تشعر بما سيقوله لنا وتتصوره وتعيشه ، فيقول هل يجب أحدهم أن تكون له جنة فيها من النخيل والأعناب وتروى بأنهار تجري من تحتها وفيها له من كل الثمرات ومن كل خيرات الله . وقد تقدم به السن وأصبح كهل عجوز وأولاده ضعفاء لا يقدر على شيء .. ثم يأتي هذه الجنة

ريح شديدة فيها نار فاحترقت هذه الجنة ولم يبق منها شيء يضرب الله لنا الأمثال ليعرفنا ما الذي يقصده ويطلبه منا ، فيصور لنا عمل الإنسان في الدنيا من خيرات لا يقصد بها وجه الله بالجنة هذه التي ذكرها والإعصار الذي فيه نار هو غضب الله بسبب إشراك غيره معه في نية الفعل ، فهذا الغضب يحرق كل عمل ليس لله خالصا ولن ينفع مال ولا بنون فالأولاد مهما كانوا فهم ضعفاء ولن ينقذوا أعمالنا من الضياع ولو عملنا لهم ونسينا الله فهم لن ينفعونا ، ولذلك يلفتنا الحق لهذه الأمثال لعلنا نتفكر في أعمالنا ونراعي مصالحنا في التعامل مع الله وفي إخلاص النية لله وحده في أي عمل نقوم به حتى لا يضيع أجرنا عند الله ، وتنبهه الحق لنا في هذه الآية لحرصه وحبه ورحمته للعباد ، (الحمد لله رب العالمين) ...

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُّوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٣٧)

يوجه الحق حديثه للذين آمنوا أن أنفقوا في سبيل الله من طيبات ما كسبتم من أعمالكم مثل التجارة والصناعة أو أي كسب حلال ومما أخرج الله لكم من زروع الأرض الحلال الطيب ، ولا تقصدوا المال الرديء المستنكر الخبيث لتتصدقوا به، مثل أن تكسب مال حرام وتتصدق منه أو تتقي ما لا تحب من الزرع والمنتجات التي تتجهها وتقدمه للفقراء ، بمعنى أن لا تجعلوا الله ما تكرهون ، والحق ها هنا ينبهنا إلى أن ما تنفقوه من أموالكم فهو لكم عند الله فكيف تكثر لنفسك أسوء ما عندك من مال ، كيف تجمع للأخرة أسوء أموالك ، ويقول الحق أنكم لن تأخذوا هذا الذي دفعتموه عند الله إلا أن تتساهلوا وتتسامحوا في دفعه للفقراء وأن يكون في نظركم مهما كان حسنا وكثيرا أقل القليل الذي تقدموه لرب العزة ولن يقبل الله منكم أعمالكم ويخزنها لكم بكتابتها أعمال صالحة في صحائفكم حتى تكون عن طيب خاطر وسماحة وطلب من الله بصدق أن يقبلها ... ويقول الحق (واعلموا أن الله غني حميد) يعرفنا الله أنه ليس في حاجة لأموالنا

لأنه غني ، ولكن أنتم في حاجة لأن تقدموا لأنفسكم في الدار الآخرة ... ويقول الحق أنه غني حميد لأنه لا يمن في عطائه ولا يؤدي بغناه من أعطاه ، ويحب الله أن يكون هذا هو سلوكنا أن يكون أغنيائنا محمودين عند العباد ورب العباد ، هنا يرحمنا الله ويعلمنا كيف نصل بالعمل الصالح لأعلى مراتب الجنة ، وهو يعلمنا كيف نحترم الفقراء ونقدم خير ما عندنا رحمة بهم وبنا ، وذلك لأن الله يتصف بكل خلق حميد فهو الجمال المطلق والكمال المطلق و(الحمد لله رب العالمين) ...

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٨)

هنا يحذرنا الحق حبا فينا من وسوسة الشيطان ، الذي يوسوس لنا بأننا إن تصدقنا افتقرنا ويأمرنا بالفحشاء بأن نكون بخلاء وأن نحصل على المال بأي وسيلة مهما كانت هذه الوسيلة بشعة وحرام مثل الربا أو الزنا أو السرقة أو أي تجارة غير مشروعة ، يريدنا في الدرك الأسفل من النار ، هذا هو الشيطان لعنه الله والله يعدنا لغفران والرحمة منه والفضل في العطاء والجزاء الوفير ، والله عطائه واسع وهو واسع يسع برحمته وعظمته كل خلقه فيشملهم برحمته وهو عليم بكل خلقه وبكل أخلاق خلقه ، وبكل ما يحتاجه الخلق ، وكلمة واسع تعني أن عطائه وكرمه ورحمته وحنانه وعلمه وكل صفات الجمال والكمال والجلال لا تحد فهي واسعة بوسع الله اللا متناهي و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣١)

يحدثنا الحق في هذه الآية عن الحكمة ، ما هي الحكمة ؟ ... الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، وهي الرأي المحكم في جميع قضايا ومسائل ومشاكل وأعمال الدنيا والآخرة ، بمعنى أن كل كلمة يقولها تكون في مكانها ، ولذلك نسمي السنة المحمدية (الحكمة) لأن رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم بمعنى أنه

يقول الكلمة الواحدة ومن حكمتها تحمل العديد من المعاني وتحل كثير من المسائل ،

ونلاحظ أن الله سبحانه يهب لكل من خلقه منحة منه أو صفة أو خلق أو قدرة معينة ، فمنهم من هو حسن الصوت ، وآخر ينظم الشعر ، وهذا له قوة عضلية ، وهكذا ومنهم من هو ذو قوة فكرية عالية يهبه الله إياها فيكون تفكيره صائبا حيث يرتب الأمور بنور من الله ، وهذه هي أولى مراتب الحكمة ، أما الحكمة الكاملة فهي تكافئ مرتبة النبوة دون أن يكون صاحبها نبي ، ولذلك نجد مثالا لهذا في القرآن (لقمان الحكيم) ليس نبي ولكنه حكيم آتاه الله منحة العقل والحكمة ، ليرتب الأمور ويحل المشاكل ويضع قواعد لكل مسألة يسأل فيها ... والحكمة هي أعظم عطاء من الله ممكن أن يناله إنسان في الحياة الدنيا ، ولذلك من كان ذو حكمة فإنه يكون في خير كثير ، لأن هؤلاء يستخدمون حكمتهم في عمار الأرض وتنوير العقول والقلوب وحل المشاكل وتعريف الناس طريق الجنة والطريق إلى الله ثم يعرفنا بالله ... ولقد وصف الحق نفسه بأنه هو الحكيم ، إذن من يؤتي الحكمة فقد أوتي خيري الدنيا والآخرة يقول الحق وما يذكر إلا أولو الألباب ... والألباب هي جمع لب وهو شيء داخلي يطلق عليه عقل أو روح أو قلب ... يلفتنا الحق إلى أهمية هبته لأصحاب العقول وهي حكمتهم يضعها فيهم ولذلك يوجد بيننا من له عقل حكيم يجب أن نعود إليهم لكي نستفيد من حكمتهم ، وهؤلاء هم رحمة الله بخلقه حتى لا تخلو الأرض من الحكماء فيظل فيها جانب مشرق ينبىء بالأمل وكلمة الحق (يؤتي الحكمة من يشاء) معناها أن الحكمة ليست مكتسبة من علم أو فقه أو جهد بشري لكنها منحة إلهية يؤتيها الله من يشاء من عباده والحكمة قد تكون في الذكر لله ، لأن الله يقول (اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) بمعنى إن الذاكرين الله هم الحكماء ، وعلى فضل الله هذا نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

يحذرنا الحق في هذه الآية من خلف النذر أو منع النفقة ، و يذكرنا بأنه يعلم ما تنفق من أموالنا أو ننذر أيضا من أموالنا وأفعالنا ، ومن يظلم ليس له من أنصار ، وكأن الحق يحذرنا من عدم النفقة أو خلف النذر لأننا بذلك نكون من الظالمين وليس للظالمين من نصير وهذا يعني أن الله لن ينصره وسيمنع عنه أي نصير ، وهذا حرص من الحق على الأغنياء من البخل وحرص على مصالح الفقراء لكل شيء مضاد له ولكل نوع من القاذورات منظم له ، ولذلك يوضح الحق أن الذي يمحو عنكم ذنوبكم الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، نرى الحق بحكمته قد رزق بعض خلقه رزقا واسعا وقدر على آخرين أرزاقهم لكي يكون هناك عمار في الأرض ، هذا يعمل الأشياء ، والآخر يعطيه الأجر والمال ، فبذلك يرحم هؤلاء هؤلاء ، وهذا من حبه لخلق الطائع منهم وحتى العاصي أيضا يرحمه هذا هو الله الرحيم و(الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٧١﴾

إن تظهروا أنكم تتصدقوا ليري بعض الناس هذه الصدقات ، فهو خير ونعمة لعلهم يقلدوكم في فعلكم هذا ، ولكن إن تخفوها وتؤتوها للفقراء فهو خير لكم ، لأن هذا يكفر عنكم سيئاتكم لأنكم إن أخفيتم صدقاتكم فالله بما تعملون خبير خير بضمائركم إن كان رياء وسمعة أو صدقة لوجه الله ، ويحب الله أن نخفي الصدقات حتى لا تشوب النية شيء من مدح أو ثناء وحتى لا يريق ماء وجه الفقراء ، أو يصيبهم ذل من أخذ العطاء ، فإن الله عزيز يحب العزة ، وعزة المؤمن من عزة ربه ...

في هذه الآية صور يصورها الرحمن .. الصورة الأولى يوضح الحق فيها : واحد مؤمن يعطي صدقته أمام بعض الناس ، لا بأس به

الصورة الثانية : آخر يخفي صدقته عن أعين الناس ولا يعلمها إلا الله ويقدمها للفقراء في سرية تامة .. هذه الصورة يعقبها صورة ملاصقة لها أن الله يمحو من صحائف الشمال التي يكتب فيها السيئات ، وينظر الملك في الصحيفة فيجد فيها أماكن كانت مملوءة بالذنوب قد محت من الصحيفة ، ويصف الحق نفسه بأنه عنده كل الخبرة بما تعملون ، هذا هو الله المربي الأعظم الذي يربي خلقه على القيم والمباديء و (الحمد لله رب العالمين)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٢)

هذه الآية تبين أن الصدقات لا تنفق فقط للمؤمنين الطائعين الصالحين ، ولكن الصدقات لكل الناس مسلم وغير مسلم طائع أو عاصي ، يهودي أو مسيحي ، الصدقة تجوز لكل إنسان مادام يحتاج لمقومات الحياة ، وينبه الحق أن المسلم ليس عليه هداية الخلق ولكن الله يهدي من يشاء ، ويعرفهم أن ما ينفقوه من أموالهم فهو لهم يستثمرها لهم الله عنده وقد يكافئهم في الدنيا فيبارك لهم في أموالهم وأولادهم ، وينبه الحق الذين ينفقون أموالهم أنهم لا ينفقوا أموالهم لهذا أو ذاك ولكنهم يبتغون

وجه الله ، ويعرفهم أن ما ينفقوا من أموالهم فإن الله يوفيهم أجرهم في الدنيا وفي الآخرة أيضا وإنهم لا يظلمون ، ما أعظم رحمتك يا رب لا تمنع رزقك عن البشر حتى العصاة والكفار ، رحمتك لا حد لها ، هذه الآية ترد على من يفجر نفسه في اليهود أو الدول الغير مسلمة ويقول أن هذا جهاد في سبيل الله ، كيف يجعل الله الصدقات للناس كلهم وهذا ليكفل لهم الحياة ثم تقول على الله أنه أمر بقتل الناس الغير مسلمة ، هذا بهتان عظيم لا يحق أن ينسب لله ، والله منه برئ إن الهدى هدى الله وحده ويوجهنا الحق إلى مكارم الأخلاق ليعرف الكافر والعاصي جمال

الإيمان وجمال مكارم الأخلاق لعله يعود ويتوب ، يحدد الحق دور المسلم المنفق فقط في النفقة على كل محتاج من البشر ، فالدين لله والأرض والرزق للجميع ، وهذا نوع من التوحيد فلا يجب أن تنصب نفسك محاسب للخلق فالله وحده هو الحاسب الجليل ، ما أعظم حكمك ورحمتك يا رب يحار العقل ويهر القلب من شدة رحمتك بخلقك و(الحمد لله رب العالمين)

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِ ۖ﴾ (٧٣)

لمن الصدقات؟ أولا تكون الصدقة للفقراء الذين حبسهم الجهاد في سبيل الله ولا يستطيعون ضربا في الأرض لكسب الرزق ، مثل من عوقته الحرب بإصابة أقعدته عن العمل أو لأبناء وزوجات الشهداء أو من وهب نفسه لخدمة البشر في سبيل الله ولا يجد مجال لكسب العيش ومن شدة تعففه يحسبه الجاهل من الأغنياء ولكن المؤمن يعرفهم من حالهم الذي يظهر فاقتهم وحاجتهم للمال ومن ظروف معيشتهم ، ومع فقرهم لا يسألون الناس بإلحاح ، ويؤكد الحق دائما وأبدا أن ما ينفق في سبيله يعلمه ويجازي عليه وهذا معناه أن لا شيء عند الله يضيع ، رحمتك لا حدود لها ، ونلاحظ حرص الحق على كرامة الإنسان فلا يذل إنسان أخوه الإنسان لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وليس لأحد فضل في سعة رزق ولكن الرزق بيد الله وحده و(الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ﴾ (٧٤)

هنا يؤكد الحق المعنى السابق في أن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بالليل يعني سرا وبالنهار يعني جهرا ، وفي كل الأوقات لهم أجرهم عند الله ولا خوف عليهم،

ولا هم يحزنهم شيء ، تحفيز مستمر من الله لعباده الأغنياء حبا لهم وحبا في أن يتحلوا بمكارم الأخلاق ومنها الكرم والجود ، وحبا في الفقراء ورحمة بهم ، وحبا في مجتمع مبني على الإخاء والتعاون والبر والرحمة ... هل هذا يزيد في ملك الله شيء ؟ ... لا ولكن الله يحب خلقه ويحب مصلحتهم . (الحمد لله رب العالمين)

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

هذه الآية تصور لنا مشهد مرعب من مشاهد يوم القيامة ، فالحق يصور لنا الذين يأكلون الربا حين ينشق عنهم القبر ويقوموا يوم القيامة وهم في حالة من الفزع والرعب والتشنجات والوقوع على الأرض يتخبطون فيها مثل الذي مسه الشيطان فكم من مرة رأينا من مسه الشيطان يرتعد ويرتجف ويترنح ولا يستطيع أن يملك نفسه ، ذلك بأنهم تعدوا حدود الله وناقشوا جدلا حدا من حدود الله وهو الربا ، مثل ما فعل الشيطان وناقش الحق في السجود لأدم ، فهؤلاء جادلوا الحق في الربا وقالوا إن البيع مثل الربا وكيف يحل الله البيع ويحرم الربا !! ، وهذا رد للأمر على الله وكفر بحدود الله ، أما من يفعل ذلك طمعا في الكسب السريع وهو يعلم أنه حرام فهذه معصية وقد يتوب الله عليه ، فإن أمره لله ، وحين يقول المولى : وأمره إلى الله ... فإن المعنى الذي يتبادر إلى القلب هو أن الله يغفر لمن تاب عن معصية الربا وذلك لأن رحمة الله سبقت غضبه ، ولذلك يقول الحق بعدها (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لقد صدر الحكم الإلهي على من يستمر في أكل الربا حتى يموت بأنه مخلد في النار ومن رحمة الرحمن أن يحرم استغلال المسلم لأخيه المسلم الذي يعاني من ضائقة مالية ليقرضه المال بفائدة ثابتة أو متضاعفة لأن هذا حرام وليس فيه رحمة والرحمن دائما يرقق قلوب عباده على عباده ، ولو أحل الربا لما قام أحد بعمل يعمر الأرض فكل من ملك مال

أقرضه بالربا وجلس ينتظر الفائدة مثل عمل البنوك تأخذ من هذا وذاك وتعطي غيرهم بفوائد مركبة كلما تأخر في الدفع زادت الفائدة ، ما التعب الذي بذله البنك ليأخذ مال الناس ؟!!!!

لماذا حرم الله الربا ؟ ...أولا : لأنه استغلال لحاجة الناس مثله مثل احتكار السلع ..ثانيا : لأنه يشجع الناس على الطمع والكسل وعدم العمل ... ثالثا : لماذا يحدد الفرد فائدة وقد يدر ماله أكثر بكثير من تلك الفائدة ، وقد يخسر فلما يتحمل المدين

وحده تبعة الخسارة وهذا ضد التكافل في الإسلامرابعا تحديد الفائدة شرك بالله والعياذ بالله ، لأن الله هو الرزاق فكونك تقول آخذ مال كذا في وقت كذا هذا تطاول على شيء اختصاص الحق به نفسه فهو حر يرزق من يشاء وقت يشاء كيف يشاء بالكم الذي يشاء ولا شريك له في ملكه ، فلما التجروء على شرع الله ولقد سبق أن علمنا أن لا حيلة في الرزق ، ويريد الحق أن يسود المجتمع مكارم الأخلاق ليرحمهم ويحب الحق الإثار ولا يحب الأنانية وحب النفس ، هذا هو الله العدل والرحمة و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

وهنا صدر حكم إلهي آخر على المال الذي يدخل في الربا وهو أن الله سيهلكه ويذهب بركته وفي المقابل ينمي الله المال الذي يخرج منه الصدقات،

وكما قلنا أن المرابي كفر بحدود الله ، وهنا قرار إلهي بأن الله لا يحب كل من اشتد كفره وكثرت ذنوبهيتكلم الله هنا عن الحب فهو في هذه الآية يصف شعوره بأنه لا يحب الكافر الأثيم ، إذن هو في المقابل يحب المؤمن الصالح ..هل رأيتم رقعة وعذوبة في اللفظ والتعبير عن المشاعر بهذه الروعة ، يقول الله (أنه لا يحب) ولم يقل أنه (يبغض) أو(يكره) منتهي الرقة واللطف حقاً هو الرحمن

.... وهل حب الله كحبنا؟! لا.... إن حب الله للعبد يجعل العبد كأنه نور يمشي على الأرض ، وأعظم مثال على ذلك هو رسول الله ﷺ فهو حبيب الله ، وحين يحبك الله تكون كأنك قرآن يمشي على قدمين ، فإذا تكلمت علاك البهاء والجلال ولا تنطق إلا بما يرضي الله ، وإذا مشيت فلا تمشي إلا في الخير وكأن ساقيك يحملهما الهواء وإذا فعلت كان فعلك أحسن ما يكون... فإنك تكون بالله وفي الله والله ومن الله وإلى الله و(الحمد لله رب العالمين)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٧)

هذا يصدق على ما قلته في الآية السابقة ، هنا يصف الحق الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي أمر الله بها ، وأقاموا الصلاة بمعناها الكامل الذي شرحته بأنه حب في حب وآتوا الزكاة حبا وكرمة لله ، هؤلاء لا يضيع أجرهم عند ربهم وهم في أمان لا يخاف عليهم من أي شيء ليس في الآخرة فقط بل وفي الدنيا أيضا ، لأن لا خوف إلا في الدنيا ، يظل الخوف موجود حتى تنتهي الدنيا وينتهي مشهد القيامة ، وهؤلاء لا خوف عليهم لا في الدنيا ولا يوم القيامة وهم في أمان من الله ..

حتى يصل بهم إلى دار السلام وهي جنة الخلد حيث النعيم المقيم الذي لا ينتهي ... وهم لا يحزنون يعني لا يشعرون بالحزن وهذا أمر مهم ، فقد يكون الإنسان في حزن الدنيا ولكن هناك من عباد الله من يصل مع الله لمرحلة أنه مهما كابد في الدنيا فإنه لا يحزن بل يعلم أن كل شيء من الله فيرضى بالله وبفعله فيه وهذه مرتبة الرضا والرضا هو السعادة ... إذن لا يحزنون بمعنى راضين بقضاء الله وقدره فيهم فهم سعداء الدارين الدنيا والآخرة ، و(الحمد لله رب العالمين)

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨)

هنا أمر إلهي للذين آمنوا بالله أن يتقوا عذاب الله بأن يتركوا ما بقي من الربا إذا كان لهم أو عليهم وكلمة اتقوا الله تحذير من الحق بأنه يخاف عليهم من

المعصية في حد الربا ، ويخشى عليهم الاستمرار في الخطيئة لأنه حريص عليهم (إن كنتم مؤمنين) هذه الكلمة تفيد أن إيمانكم يمنعكم من المعصية وهذا أمر مباشر فإن تسمعوها ولا تنفذوها فهذا ينفي أنكم مؤمنين ، كأنها مقياس يقيس الله به إيمانكم من عدمه ، حرص شديد من الله على عباده المؤمنين ، وهذا يجب أن يطبق الآن حيث الربا دخل في جميع التعاملات المالية بسبب مال اليهود وسياستهم التي تتحكم في مال العالم الآن و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩)

وهنا يحذرهم الله من عصيان أمره في ترك ما بقي من الربا ، ويخبرهم بأن من عصي فليستعد لحرب من الله ورسوله سيشتن عليه حربا لا هوادة فيها ، وما أدراك ما حرب الله ، تخيل نفسك يا ضعيف يحاربك الجبار القهار !!! ماذا يتبقى منك أنت ومالك وعيالك يا مسكين ولكن رحمة ربي سبقت غضبه فيقول ليعطيكم فرصة قبل الحرب الضروس (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) يعني حقكم الأصلي الذي دفع أول الأمر... ثم يتجلى اسمه العدل في قوله : لا تظلمون ولا تُظلمون... يعني لا ظلم منكم ولا ظلم عليكم قمة العدل والرحمة من الحق سبحانه وتعالى و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠)

هذه الآية قمة التراحم والرحمة من الله يجعلها بين المؤمنين ، فإذا كان أخوك في عسر لا يملك مال فاصبر عليه إلى أن يتيسر حاله ويرزقه الله فيرد لك مالك ...

ويتمنى الحق مننا أن نتحلى بمكارم الأخلاق ويقول ما معناه يا ليتكم تتصدقوا على أخيك المعسر بأن تتركوا ما لكم عنده أو تعطوه مما أعطاكم الله صدقة وهذا

خير لكم إن كنتم تعلمون ماذا نعلم ؟ نعلم قيمة فعل الصدقات بترك الدين للمعسر ، فإنها تجعل العبد ربانيا في الدنيا والآخرة ورحماني يرحمه الرحمن ويسبغ عليه نعم الدنيا وحسن نعيم الآخرة ، تظهر رحمتك يا رب في تشريعك للخلق كم أنت رحيم ورؤف يا الله (الحمد لله رب العالمين)

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

نقول دائما (إنا لله وإنا إليه راجعون) هنا يذكرنا الحق بهذا اليوم الذي نرجع فيه إلى الله ، وكلمة الحق هنا (ترجعون) تفيد أننا كنا عنده ثم دخلنا الدنيا ثم نعود إليه فنحن منه وإليه راجعون ، ويبدأ الرجوع بالموت وحياة البرزخ وقد تكون نعيم أو جحيم ، وبعد ذلك نقوم في القيامة للحساب والعقاب أو الثواب وهذا يتضح من قول الحق في هذه الآية (ثم) تفيد أن هناك مراحل تبدأ بالعودة إلى الله ثم القيامة ثم الحساب ثم الجزاء ، وتوفية كل نفس حقها مما كسبته في الدنيا ، ولا ظلم في هذا اليوم لأن المحاسب هو الله العدل المطلق وكان الحق ينبهنا أن الدنيا إلى زوال كأنها سوق أقيم ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر ، لا بد من نهايتها فاعملوا اليوم الحساب هذا و قدموا ليومها ما ينجيكم بين يدي الله ، هذه الآية كلها حب من الله لعباده يريد أن ينقيهم ويعليهم ويصل بهم إلى بر الأمان حيث الجنة والنعيم والرحمة و (الحمد لله رب العالمين)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْفُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تَجَرَّةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا
تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

هذه أطول آية في القرآن وتسمى (آية الدين) وهي كذلك لأن الله أراد أن يوضح لنا كيف تكون المعاملة في الديون ولا يترك أي ثغرة للشك أو للظلم أو للشيطان ، وخلق الإنسان من النسيان ، دائما ينسي ولذلك أوجب الحق كتابة الدين قرأت في الأثر أن آدم لما عرض عليه ذريته وأعمارهم في الدنيا أراد أن يزيد في عمر ولده نبي الله داود عليه السلام وكان عمره ستون عام ، فأراد أن يكون عمره مائة عام ، فقال له الله تنازل له عن أربعين سنة من عمرك وكان عمر آدم في الدنيا ألف عام فوافق آدم على التنازل فقال له الحق اكتب وثيقة بهذا فكتب ومضي عليها بالتنازل عن أربعين عام من عمره لولده داود ، فلما حان الأجل وبلغ آدم (960) تسعمائة وستون عام وحضر له ملك الموت ، نسي آدم ما تنازل عنه من قبل لداود وقال عمري (1000) ألف عام فذكرته الملائكة بالصك الذي تنازل فيه عن الأربعين عام لداود ... ومن هنا كتب النسيان على بني آدم ، ولذلك أنزل الله رحمة بالخلق آية الدين هذه لكي لا يكون هناك مجال للنسيان في الأمور المادية وذلك لتزول الضغائن والفتن بين الناس ولا يأكل أحد مال أحد وقد يكون ناسيا ، وهذه الآية تدل على أن الحق حين يرى آفة في البشر ينزل لها العلاج من عنده ليعالج آفاتهم ، ومن آفات البشر النسيان

يأمرنا الحق إذا اقترض أحد من أحد مال لأجل مسمي بينهم أن يكتب هذا الدين في وثيقة ، وليكتب بينهما كاتب عادل ، ولا يمتنع من يستطيع الكتابة أن يكتب كما علمه الله ، وكأن الله يقول حتى علم الله للبشر الكتابة هذه منحة من الله أيها الكاتب فتصدق على منحة الله لك بالتعليم بأن تكتب للناس والذي عليه الحق (أي المديون) هو الذي يقر ويملي على الكاتب بالحق الذي عليه وليتقي الله

ولا ينقص منه شيء... فإن كان المديون هذا شيء التصرف (مجنونا مثلاً أو مبذر وسفيه مثلاً أو صيباً صغيراً أو كبيراً هراً خرفاً لا يفهم ما يقول) أو يكون المديون هذا لا يستطيع أن يملئ بنفسه لأنه مثلاً أخرس أو جاهل باللغة التي يكتب بها ، فليملئ وليه بالعدل والصدق.... ويجب أن يشهد على الوثيقة هذه شهيدين من الرجال الراشدين الأقوياء ، فإن لم يتواجد رجال ، فرجل وامرأتان ممن تثقون فيهن ، والمرأة بطبيعتها ضعيفة ، ولذلك جعل شهادة الرجل بشهادة المرأتان فقد تنشي أحدهما فتذكرها الأخرى ، ولا يجب أن يرفض الناس الشهادة إذا طلبوا لها ولا تضجروا أو تملوا وتسأموا أن تكتبوا الدين صغيراً أو كبيراً إلى ميعاده المحدد له... وهذا أعدل عند الله ، وهذا يسهل أداء الشهادة إذا سؤل الشهود ، وأقدر على أداء الدين وأقرب أن لا ترتابوا وتشكوا في شيء من الحقوق ،

استثني الحق هنا التجارة الحاضرة والسلع المباعة بين التجار ، حيث يقدم كل منهم سلعة للآخر أو يبيع بمال قلاً داعي للكتابة هنا ، ولكن إن كان هناك تأجيل للدفع وجب وجود الشهود على البيع والشراء ... ويقول الحق أن الكاتب والشاهد لا يجوز أن يضرهم أحد من المتعاملين ، وذلك بتحميله مشقة السفر أو بذل مال أو

غير ذلك مما يضر بهما ، لأن ذلك يخرج بكم من طاعة الله إلى معصيته

ويضع الحق في آخر الآية حكمة وحكم رائع حيث يقول سبحانه وتعالى :
(واتقوا الله ويعلمكم الله)

إذن إذا طلبت العلم أي علم فاتقي الله ويعلمك الله... لأن الله بكل شيء وبكل علم هو عليم.... الله.... و(الحمد لله رب العالمين)

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فَلَئُوذُ الَّذِي أُوتِئْتُمْ بِأَمْنَتِهِ وَلَيْتَ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عِندَ اللَّهِ قَلْبُهُ مُخْلَبٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

ما زال رب العالمين يربينا في المعاملات المالية ، فلا يترك للشيطان علينا سبيل ليوقع بيننا ونظل أخوانا متحابين ..

ولله المثل الأعلى : نجد الأب دائما يحب أن يكون أولاده في ترابط ومحبة مع بعضهم البعض ولا يظلم أخاه ...

كذلك الحق يحب أن ينتشر الحب والإخاء بين الناس وأن يعم السلام ، وهذا لن يتحقق إلا بإقامة العدل في كل نواحي الحياة وخاصة في المعاملات المادية ، ولذلك نجد الحق حريص على ضمان حقوق العباد بينهم وبين بعض ، وهذه الآية توضح أن إذا كان الناس على سفر وأراد أحد أن يقرض أحد ولم يجدوا كاتباً يكتب بينهم بالحق ، فليسلم المديون لصاحب الدين شيئاً يرهنه عنده حتى يوفي له الدين ، فإن وثق كل منهما في الآخر ، فيجب أن يؤدي المؤتمن أمانته في وقتها ، ويحذرهم الله من الغدر لأن الله لا يحب الغدر ... ولا تكتموا شهادة الحق إن سئلتهم في أي سؤال ليس فقط في مسائل المال والدين ولكن في كل سؤال يتوقف عليه حكم القضاء أو حكم بين الناس ، ومن يكتم الشهادة فإنه يتحمل ذنبا عظيما ليس في جوارحه فقط ، ولكن في قلبه يستوجب العقوبة الشديدة من الله لأن الله يعلم كل ما نفعل ، وما نضمر في أنفسنا فهو علام الغيوب و(الحمد لله رب العالمين)

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤)

هنا إقرار من الله بملكيته لكل ما في السماوات والأرض ، ويصور لنا علمه بما نخفي أو نعلن ، وأنه محاسبنا على كل شيء أخفيناه أو أعلنناه ، فيغفر لمن يشاء ،

ويعذب من يشاء ، وإنه على كل شيء قدير ، وهذا أعظم ختام من رب العزة لم سبق في هذه السورة من أحكام شرعية وأوامر إلهية صادرة من الحق لنا ، وكأنه

بهذه الآية كتب هو أيضا صفة ربوبيته وأيضاً صك عبوديتنا، وحساباتنا بين يديه وقدّرتَه على فعل ما يشاء حين يشاء كيف يشاء ، وقرأت في الأثر:

جاء للإمام أبو حنيفة النعمان رجل وسأله في درس العصر : ما شأن ربك الآن؟ فتعجب الإمام من السؤال وكيف يمكن لهذا العبد أن يعرف ماذا يفعل الله الآن؟! فطلب من السائل أن يمهلَه للغد ، فجاء في الغد وبعد الغد بنفس السؤال .. وأبو حنيفة يسوف ، حتى ثالث ليلة رأى أبو حنيفة رسول الله ﷺ في الرؤيا ، وقال له قل للسائل في شأن الله إن الله الآن يبدي أموراً ولا يتديها يرفع أقواماً ويخفض آخرين وهو على كل شيء قدير وكل يوم هو في شأن ... فلما عاد السائل ليسأل الإمام فأجابه بهذه الإجابة ، فهب السائل واقفاً وكان هو الخضر عليه السلام وقال للإمام صلي على من علمك ﷺ ومن رحمة الله نقول (الحمد لله رب العالمين)

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥)

نعود إلى قضية حياتنا وهي التوحيد ، فيقر الحق بأن الرسول آمن بما أنزل الله عليه من قرآن والمؤمنون أيضاً آمنوا كل منهم بالله وملائكته وكتبه ورسله جميعاً لا نفرق بين أحد من رسله ، كلهم عندنا رسل الله ، وقال الرسول والمؤمنون سمعنا كل ما أنزلت على نبيك وأطعنا كل أوامرك ونواهيك يا رب ، ونسألك يا ربنا المغفرة ومصيرنا إليك وأمورنا ورحمتنا بيدك (الحمد لله رب العالمين)

﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦)

يرحمنا الرحمن بقوله أنه لا يكلفنا إلا ما نقدر عليه ، لنا ما كسبنا من خير وعلينا ما فعلنا من إثم ، ولكن الحق كما عودنا يعلمنا كيف ندعوه ، فهنا يعلمنا دعاء ندعوه به ليغفر لنا ويرحمنا ، كما علم آدم من قبل الكلمات التي تاب عليه بها ، فيقول لنا قولوا : ربنا لا تحاسبنا على نسياننا أو أخطائنا ، ربنا لا تجعلنا نحمل عبأ ثقيل من التكاليف الشاقة التي تثبط همة الإنسان عن فعل الخيرات ، كما فعلت ذلك مع الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما يصعب علينا مزاولته أو فعله ، وأعفو عنا في الدنيا والآخرة واغفر لنا في الآخرة وارحمنا من عذاب الدنيا والآخرة أنت سيدنا وولينا وما النصر إلا من عندك ، فانصرنا على من كفر بك

هذه الكلمات ختمت سورة البقرة لأن الحق يريد أن ندعوه بها لأنه سيستجيب لنا بها ... وكأنه يعطيك ورقة الامتحان ويعطيك في آخرها الإجابات الصحيحة ، كم أنت رحيم وعظيم وكريم وحليم يا أرحم الراحمين و(الحمد لله رب العالمين)

سورة آل عمران



الحروف المقطعة في أول السور كما قلنا من قبل هي شفرة من الله يدلنا بها بأن الحروف التي تتكون منها الكلمات فيها أسرار فانصتوا فيها لتعرفوا عن القرآن أكثر وأكثر .

ومن قمة التربية والتعليم أنك لا تأتي بالمعلومة مباشرة لمن تعلمه ولكن تجعل عقله يعمل قبل أن يفهم حتى لا ينسى المعلومة ، والحق سبحانه أعظم معلم ومربي لنا فيتبع نفس الأسلوب معنا في التربية .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

الله هو لفظ الجلالة المطلق المعني بلا حدود لا رب سواه وهو المعبود بحق ،
الدائم الحياة بلا موت أو زوال ، الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظهم وقيامهم على
أرزاقهم وحياتهم وكل ما يتعلق بهم .

هذه الآية تبعث في قلوب المؤمنين راحة وأمان ورضا حيث أن الله يقر بذاته أنه
حي لا ينام ولا يموت ولا يخاف أن يفوتنا ليل أو نهار ولا غد أو بعد إذن هو دائم
الحياة مما يطمئن قلوبنا أنه حاضر دائماً لماذا ؟ ليقوم على شئونا ويدبر أمورنا فلا
خوف على رزق أو خوف من مرض أو خوف فزع أو خوف من غيب ، وظلم ، إن
الحي المطلق يقوم بجميع شئون حياتنا من نوم وصحيان ، من أكل وثياب ، من
صحة ومرض ، من ملائكة تعمل بأمر الله لنا كل شيء .

هذا هو الله أكد بهذا حبه لخلقه جميعاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

يصف الحق في هذه الآية أنه هو من أنزل الكتاب بالحق بكل ما هو صدق .

والحق هنا كل ما هو ضروري لحياتنا من عدل وقوانين تحكم بين خلقه وتحق
الحق بينهم والحق أحق أن يتبع .

وبالحق أيضاً يعني بالصدق وكل ما فيه صدق ، وبالحق أيضاً بكل ما هو حق
ومصدقاً ومؤمناً على ما بين يديه من كتب سابقة ، وأيضاً أنزل التوراة والإنجيل ،
وحين يقول رب العزة أنه أنزل الكتاب بالحق يعني أن ما لكم عندي يا بني آدم من
حقوق النصح والإرشاد والمنهج الذي يصلح حياتكم وآخرتكم ، قد نزل كله لم
يبقى لكم في اللوح المحفوظ كتاب بعد ذلك ، هذا آخر حق لكم عندي ، ولقد

سبق وأن أنزلت إرشادات قبل ذلك في التوراة والإنجيل ، كل منهم يكمل بعضه بعض ، وختمت كل الرسائل بهذا الكتاب ، وهو كل ما لكم عندي من حق فلن يكون بعده كتاب .

وهذا يفيد أن القرآن كتاب شامل لكل نواحي الحياة ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا شرحها وأحل كل حلال وحرّم كل حرام ، وشرع كل شريعة لما بقي من الأزمان في الأرض .

وهذه الآية تفيد معنى أن الزمان فيه قرب من النهاية بنزول القرآن والقرآن على وزن فعلاّن يعني شدة القراءة .

وهذا الكتاب يؤيد ما يقوله رسول الله ويفعله ويأمرنا به وينهانا عنه من حكم النبوة التي هي جزء من وحي الله لرسوله ، ومن حرص الرحمن على عباده في العصور الأولى أنزل التوراة والإنجيل أيضًا ، وهي كتب الحكمة من الله حتى يعم العدل على كل البشر فلا تكون هناك أمة لم يأتيها من الله كتاب ، وهذا حرص شديد من الله عز وجل على عباده جميعًا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

الكتب التي سبقت القرآن كانت ثلاثم في شريعتها الأمم السابقة ، وكانت لهم هدى .

وهنا يقول الحق : ﴿هُدَى لِلنَّاسِ﴾ أي لكل من سبق من الأمم ، ثم أنزل الحق الفرقان ، وهنا يتضح من استخدام الحق لكلمة فرقان شيء مهم ، حين أتم جبريل الوحي وبعد موت رسول الله ﷺ .

قال جبريل للأرض : هذا فراق بيني وبينك إلى يوم الدين ، أي أن مهمة جبريل

في الأرض من إنزال الوحي قد انتهت ، وكون القرآن فرقان ليس فقط أنه فرق الحق عن الباطل ، ولكن فرق النبيين لم بعده نبي يرسل في الأرض وكأن الله يقصد أنه بنزول القرآن فهذا فراق للحياة أنها في نهايتها وهذا آخر كتاب لآخر الزمان ، وأيضا من شمول القرآن على معاني تناسب كل عصر من لدن عصر الرسول ﷺ حتى آخر عصر في الخلق فقد تفرقت آيته في معانيها بحيث أن الآية تحتل التأويل في كل عصر بما يناسبه ، فهو كما لائم عصر الجمل والحصان ، فهو يلائم عصر سفن الفضاء ، والأقمار الصناعية .

وكلمة فرقان أيضا تفيد أنه يتفرق على كل الخلق من ملائكة ، لإنس ، لجان ، وهو للناس كافة يصلح لأمریکا كما يصلح للصين كما يصلح للعرب والغرب ، فمن بُلِّغ بالقرآن ولم يؤمن به وكفر بآيات الله التي تظهر في القرآن مع مرور الزمان له من الله عذاب شديد ، والله عزيز وغالي وله انتقام مثل ما له من رحمة في إنزال منهجه للبشر .

وهنا يحذرنا الله نفسه ويحذر كل الخلق من الكفر لا يتعرضوا لانتقام العزيز المنتقم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

هذه الآية يبين فيها الحق أنها يعلم بكل ما في السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء فيهم .

هذه الآية تطمئن قلبي بما أنه يعلم بكل شيء فهو رحيم وسوف يرحمنا جميعا ، لماذا ؟ لأنك قد ترى قصة شخص من جانب واحد فتبغضه ولكنك لو أحط بكل ما في حياته كلها ربما تحول كرهك له رحمة وحب وشفقة لمعرفتك بأبعاد حياته كلها ، ولذلك حينما يخبرنا الحق بأنه يعلم كل شيء في السماوات والأرض نطمئن أنه قد يرحمنا حين يرى كل جوانب حياتنا.

ألم تصادف أنك شاهدت فيلم فيه شخص قاتل أو سارق وتتمنى أنه لا يقبض عليه لعلمك بظروف فعله هذا على الرغم من أنه مجرم في نظر المجتمع وبكل المقاييس لكن قانون الحق الرحمن العادل أن الرحمة فوق العدل .

وهذا من شدة حسن جمال صفات الله عز وجل فإنه جميل ورحيم وكل ما يصدر عن الجميل فهو جميل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦)

يطرح الحق هنا حقيقة رائعة تفيد أننا قبل أن نوجد في الأرحام كنا عنده في علمه حيث لا يعلم أين سوى الله .

فيقول الحق : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ لا أحد غيره هو فقط وكلمة يصور معناها أننا نكون موجودين ولكن غير مرئيين فيجعلنا الحق مرئيين بأن يضيف إلينا الجسد المجسم لأرواحنا حتى تكون ملموسة محسوسة بريئة .

وكلمة كيف يشاء يعني الحجم والطول واللون والشكل والملاصق والصحة والمرض .

ولكن الذي يجعلنا نطمئن هو أنه الذي يصور وهو عدل ورحمة وحق ، فإذا صور فإنه يصور بحكمة هو يعلمها قد يكون الشكل الدميم نعمة من الله علينا ليحمينا مما لا نعلم ، وقد يكون الجمال نقمة على من يتحلى به فيجلب الألم والشقاء لأصحابه ، إذن يجب أن نعلم أن خلق الله لنا في أي صورة هذه حكمة من حكمه في خلقه .

ولا يحق لأحد أن يخجل من شكله لأنه بهذا يكفر بنعم الرحمن ويتدخل فيما ليس فيه دخل فكل شكل وكل صفة ليست مطلقة القبح ولا مطلقة الجمال ، فالجمال والقبح نسبي ، ما تراه أنت جميل أراه أنا قبيح ، ولكن لطلاقة قدرة الله

نجد اختلاف ألوان وأشكال البشر في كل شيء إلا في التكوين الأساسي للهيئة
الآدمية من دم ولحم وعظم وساقين وذراعين ورأس وقامة رأسية .

وكلمة في الأرحام جمع رحم .

ويقول رب العزة : « خلقت الرحم وشققت له اسم من اسمي ، فمن وصله
وصلته ، ومن قطعه قطعته » .

ما الذي يستفيده الله من صلة الرحم فيما بيننا ؟ لا شيء ، ولكن يحب الله وهو
اسمه السلام أن يعم السلام على الأرض بالتراحم بين الخلق وأن يعم الحب بين
الأهل والإخوان والجيران والمجتمع كله يعيش في سلام وحب وتراحم فيما
بينهم لأن الله رحمن وكلمة رحمن معناها شديد الرحمة فلا يقع بصره على قسوة في
التعامل بين الخلق ، وبما أن الإنسان حر في إرادة يفعل أو لا يفعل فإن الحق
يخشى على عباده أن يقسوا على بعض يحب أن يرى الرحمة تتحقق أمام عينيه فيفسر
بها ويحب المتراحمين ولذلك أول خلق الإنسان بعد آدم كان في الرحم .

ولذلك حين يظل الجنين في بطن أمه تسعة أشهر في داخل الرحم يسمه نبض
قلب أمه ويشعر بدفء حنانها ، وهي تحمله بداخلها ليتشبع من الرحمة حتى إذا
ولد يكون كله رحمة من المكان الذي ولد منه .

ويصف الحق نفسه بأنه لا إله إلا هو يعني أن لا أحد ممكن أن يفعل هذا الفعل
من تصوير في الأرحام كيف يشاء إلا الله والتصوير يكون من العزيز الحكيم الذي
يفعل كل شيء بعزة وبحكمة فهو بحكمته يصور الإنسان في الرحم لما يناسب
حياته ومصيره المقبل وكلمة « عزيز » يعني أنه غالي ونادرًا ما يبين الحكمة من فعله
هذا إلا بما يشاء .

ألا تقول بعد ذلك : الحمد لله رب العالمين .

وهنا إشارة أن التصوير هذا قبل أن ينفخ فيه الروح في الأربع أشهر الأولى
للحمل قبل أن تنزل الروح التي هي تشبه هذا القالب الذي صوره في الرحم على

شكلها هي ، فإذا نفخت الروح ظلت المدة الباقية من الحمل كافية والملائكة يعملون على تدعيمها داخل خلايا الجسم حتى إذا اكتمل التثبيت داخل الخلايا وكمل نمو الجسم الذي هو القلب على القلب الذي هو الروح يخرج الطفل للحياة من بطن أمه ليبدأ رحلة المرور من دار البرزخ إلى الدنيا إلى البرزخ ثم إلى الآخرة ليتم نضجه داخل كل هذه الدور ويكتسب كل الصفات اللازمة للإقامة في دار البقاء من جنة أو نار وقد يعز الله علينا في الدنيا لحكمة يعلمها والحكمة أيضًا هي التي جعلته يمررنا في الدنيا ثم إلى الآخرة .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (٧)

«الحمد لله رب العالمين»

إن الله هو الذي أنزل الكتاب وهو القرآن فيه آيات واضحة لا اشتباه فيها وكلمة محكمات تفيد أنها حكيمة في معانيها ومحكمة في تكوينها كآية لا خلال فيها لغويًا وأيضًا شديدة الوضوح والإحكام ، محكمات الغلق على أسرار يجليها الله للبشر في كل وقت هو يريد به ؛ لأن هذه الأسرار لا يعلمها إلا الله .

وهذه الآيات المحكمات هن أم الكتاب أي أنها ثوابت لا تتغير ويقاس عليها كل ما تشابه عليكم في الكتاب .

وهنا معنى آخر واضح في كلمة : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أن ما نزل في القرآن هو الأساس والمصدر الرئيسي الذي نزل الحق منه كل الكتب السابقة حيث اشتق منه إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكل كتاب نزل للأرض من عند الرحمن .

فلما كنا في آخر الزمان ومع آخر رسالة نازلة للأرض ومع آخر رسل الله محمد

فلزم نزول أم الكتاب الأساسي الذي تفرق على مدى العصور نزول بعض منها حسب حاجة كل رسول أو نبي ليعالج الشعب المرسل له ، وبنفس لغة هذا الشعب تنزل من الله أحكام وآيات لهم وحسب رقي الأرض وتقدمها وتأخرها .

وبما أن آدم كان عربي اللغة ، وهو أول نبي ، ومحمد عربي وهو آخر الأنبياء ، وبما أن العربية هي لغة الله الأولى في الترتيب وهي اللغة العبرية .

فقد وجب نزول أم الكتاب الموجودة في اللوح المحفوظ بنفس لغتها المكتوبة بها عند الله وكذلك تحفظ بالله ولا يוכל أحد من البشر في حفظ أم كتابه فكما حفظه في اللوح المحفوظ على طول الزمان فلا بد من حفظه على الأرض حتى آخر الزمان حتى ينتهي الزمان ويرفع القرآن من الأرض ومن السطور ومن الصدور حين تقرب الساعة .

وآيات متشابهات كأن تكون متشابهة في ألفاظها وكلماتها ومعانيها ولكن تختلف في مواضعها في الكتاب ؛ لأن اختلاف المواضع بين الآيات تفيد معاني مختلفة وتفسيرات مختلفة فقد تتكرر نفس كلمات آية واحدة في عدة سور ولكن اختلاف الموقع في السور يفيد معنى آخر في كل سورة على حدة وهذا من إعجاز هذا الكتاب أن نفس الكلام يتكرر في أماكن مختلفة يعطي معاني مختلفة .

فالذين في قلوبهم ميل وانحراف عن الحق واتبعوا هواهم وشهواتهم يبحثوا في هذه المتشابهات ليفتنوا الناس عن الإسلام وذلك لأنهم يريدوا أن يفسروه على أهواءهم ولا يعلم تأويله إلا الله والعلماء الأقوياء في العلم فيرجعون المتشابه إلى المحكم من الكتاب ، فيصلوا لحكمه الله من هذه الآيات المتشابهة .

ويقول هؤلاء العلماء أنه كله من عند ربنا محكم كان أو متشابه فلا يمكن أن يخالف بعضه بعض .

هذه الآية توضح أن الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا اهتم بها في كتابه حتى لا يدع مجال لأحد ليشكك في كتابه الحكيم وهذا حرص شديد منه على عباده

المؤمنين حتى لا يززع إيمانهم شيء أو أحد أو كلام أحد عن كتابهم فهو يبطل حجج كل من له حجة حبا في عباده جميعا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨)

يعلمنا حبيبنا هذا الدعاء ليرد على الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وميل عن الحق .

يرد بسلاح قوي من عنده ألا وهو دعاء قد في آية محكمة شديدة .

فيقول رب العزة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

يبدأ الحق دائما دعائه في الكتاب بكلمة رب لأن عكسها بر يعني أجاب الدعاء وهذا هو المقابل من الله لدعائنا أن يجيبنا وكلمة ترغ معناها لا تميل قلوبنا عن الحق والهدي لأنك أنت الذي هديتنا .

ويكمل الدعاء بطلب الرحمة هبة من الله وكلمته لنا : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ كأنه يلقنا كيف نسأله الرحمة وهو سابق بها لنا ويعلمنا كيف نتكلم معه بصفاته وأسمائه حيث أن الرحمة الموهوبة لا تأتي إلا من الرحمن الرحيم الوهاب . هل رأيت أحد في حياتك كلها بهذا الحنان والحب والرحمة على عباده .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٩)

هنا إكمال للدعاء السابق بإقرار من الداعي إلى الله أن يقر بيوم القيامة وأنه مؤمن ضمينا باليوم الآخر وإقرار بأنه يعلم أن الله لا يخلف الميعاد .

ويستخدم الحق هنا أسلوب تصويري رائع حين يصور يوم البعث .

وكان الله قد ضرب لنا موعداً للاجتماع بخلقه جميعاً .

فبيعتهم وجمعهم في يوم واحد لا شك فيه كل سيقوم ويجتمع مع كل الناس في هذا اليوم ، ويوفى لكل منهم حقه من بعضهم ثم يثيب من أحسن ويعاقب من أساء لأنه حق وعدل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠)

في يوم القيامة لن يكون هناك مال أو أولاد أو أنساب حينئذٍ ولن ينفع منهم شيء لينقذ من كفر بالله لأن الله سيجعلهم وقوداً لناره لأن الكفر هو أعظم ظلم لأن الظلم في حق الله عز وجل .

وما أنزل الله هذه الآية إلا ليوضح أنه عادل وأنه أيضاً يظل حجة كل من كفر فيقول له حقيقة ما هو بصدده لعله يرجع ويعود هنا يصور الحق موقف كل ما يحبه الإنسان في الدنيا من دون الله ، ماذا يفعلون يوم الحساب لو كان كل مال في الأرض ما يغني عن الإنسان لحظة واحدة من العذاب على الكفر بالله ، ولو كان له أملاك عدد خلق الله ما أغنى ذلك من الله شيء يوم القيامة إذن لماذا نحب ما لا ينفعنا يحب أن نحب الذي يبقى معنى دائماً وهو الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١)

هنا يصور لنا الحق من التاريخ ما ثبت الآية السابقة ويضرب لنا مثال بآل فرعون والأمم التي سبقتهم كذبوا بآيات الله وكفروا به ، فعاقبهم الله بكفرهم والله شديد العقاب .

ألم تلاحظ حرص الحق على عباده كفرت أمم سبقتنا فحق عليها العذاب ، والله عز وجل يحب أو يعاقب أحد ويبدل كثير من الآيات حتى لا يحق القول على البشر حباً من الله لهؤلاء الخلق ورحمة وعظمة وحلم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ أَلْمِهَادُ ﴾ (١٢)

هنا الخطاب مباشر من الله يقول لرسوله ﷺ : قل للكافرين احذروا ستغلبون في الدنيا وتموتوا ثم تحشروا إلى جهنم ، وقبح الفراش والمضجع الذين يأوون إليه جهنم والعياذ بالله وهنا الخطاب ينقل لكل من يقرأ الآية وهو مسلم يجب أن يبلغ الكافرين بهذا الإنذار .

ما زال حرص الرحمن على عباده حتى الكافر منهم يريد أن يعلموا نهاية طريقهم حتى يعودوا عن غيهم .

هذا من رحمة الرحمن وعظمة حلمه بالخلق .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١٣)

تصوير رائع من الحق عز وجل حيث يصور لنا معركة بين الخير والشر بين فئتين فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فيكون الحق في صف المؤمنين فيجعل الكفار يرون المؤمنين عددهم ضعف عدد الكفار رؤيا بالعين هذا لكي يرعب الكفار وينصر المؤمنين حباً لهم وكرامة .

والمعنى مفتوح أيضاً في أن الفئة المؤمنة ترى الكفار ضعف عددهم وهم فعلاً كذلك ولكن الحق يؤيد الفئة المؤمنة على قلتهم ، لأن النصر من عند الله .

هذه الآية بصفة عامة تنطبق على كل مواجهة في حياة المؤمن مع الكافر .
بمعنى آخر مواجهة الكفر والإيمان لا بد أن ينتصر الإيمان بأن الله ذلك بأن الله
ينصر من ينصره .

فإذا وجدت معركة بين خير وشر أو إيمان وكفر ولم ينتصر الإيمان فاعلم أن
الخلل ليس في حكم الله ولكن الخلل في إيمان المؤمنين .
فلو صدق الإيمان لثم النصر بإذن الله فيجب أن تتذكروا يا أولي الأبصار كم مرة
نصركم الله وأنتم ضعفاء .
وهذا من حب الله للذين آمنوا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (١٤)

كلمة ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ ﴾ تفيد معاني رائعة منذ الماضي البعيد منذ خلق الناس وهم
مزين في قلوبهم حب الشهوات بمعنى أن نفوسهم تعشق الشهوات وتجري إلى
تحصيلها بكافة الوسائل المتاحة وغير المتاحة وكأن الدنيا لن تنتهي أبداً .

وكلمة ﴿ زَيْنَ ﴾ بمعنى أن هذا وهم يصيب الناس من حب الشهوات الزائلة
التي لا تدوم .

وكلمة زَيْن تفيد المظهر الخارجي للمتعمق التي في الحياة الدنيا وليس الجوهر .
ليس هذا معناه أن الله لا يحب أن نتمتع بزينة الحياة الدنيا ولكن لا تكون الزينة
كل همنا في الحياة ولكن نأخذ منها ما نحتاجه لا تكون الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ
علمنا .

بعد ذلك يعدد الحق أنواع الشهوات من شهوة النساء وشهوة البنين والقناطير المقنطرة بمعنى الأموال المكدسة بأعداد كبيرة جداً من ذهب وفضة والخيل الرائعة وهنا في عهدنا ما زالت الخيول دلالة على الرفاهية والغنى وزاد عليها السيارات والطائرات والسفن واليخوت وكل وسائل المواصلات الحديثة يحبها الإنسان ويبالغ في اقتنائها ، والأنعام من جميع أنواع الحيوانات والمزارع والحقول والحدائق كل هذا ما هو إلا متاع الحياة الدنيا .

والله عنده ما هو خير من ذلك الجنة وما فيها من متاع .

هنا يبين لنا الحق أن كل متاع الدنيا زائل ولا يحب أن يركن إليه وأنه أعد لنا ما هو أعظم منه ولا يزول أبداً ويرغبنا فيه حب لنا وكرامة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرِ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

هنا إخبار من الحق مع تشويق وترغيب وتحبيب ، تبدأ الآية بـ«قل» فعل أمر من الحق سبحانه إلى نبيه ومن بعد نبيه إلى كل مسلم قرأ «قل» ماذا نقول ؟

نقول : هل تحبون أن نخبركم بشيء خير من النساء والأموال المكدسة والأبناء والأنعام والحرث وكل هذه المتع .

ستجد كثيراً من الأسماع تنصت إليك حين تعدد تلك النعم وأن عندك ما هو خير منها ، فيلتفت إليك الناس فتقول لكل شيء في الدنيا ثمن يقدم لتأخذ متاعها ، وفي الآخرة أيضاً لابد من دفع الثمن والسلعة هنا هي جنة وارفة الظلال وتجري من تحتها الأنهار وكلما وصفها رسول الله ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمعنى أن وصفها لا نجد له في قاموس اللغة عندنا ما يفي بغرض الوصف من عظمة الجمال الذي أعده الله في الجنة لعباده .

— وما ثمن هذا الجمال ؟

الثمن هو التقوى .

وما معنى التقوى ؟

التقوى هي الاحتماء بمكارم الأخلاق في الدنيا مع سبق التوحيد لله يعني أن أولاً أو من بأن لا إله إلا الله ثم أتلى بكل صفات الجمال الخلقى .

وأتجنب كل ما نهى الله عنه .

فأكون في حصن الله لا يضيعني شيء وإذا أخطأت أعود بالتوبة والاستغفار حتى تنتهي هذه الفترة التي هي مدة بقائنا في الدنيا دون أن أخرج منها وفي روعي وجسمي مرض من معصية لم أستغفر منها أو مظلمة لأحد لم أتدخل منها في الدنيا .

هذا هو ثمن النعيم الأبدي الرائع الذي لا ينتهي ويذكر الحق هنا أن نساء الجنة مطهرة ليس فيها عيوب نساء الدنيا فهي رائعة في كل شيء .

ثم يرتقي الترغيب إلى حرملة أعلى من المتع الحسين يقول : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ والرضوان هو أعظم الرضا من الله على عباده وإذا رضي الله عن العبد لا يسخط عليه أبداً ويطبع هذا الرضوان في نفوس العباد شعور طاغي بالرضا من كل شيء فيعرف الإنسان لأول مرة معنى السعادة الحقيقية وهو في الجنة ، فلا ملل ولا سخط ولا ضيق ولا حزن ولا فقر ولا حاجة لشيء ، سعادة غامرة لا تنتهي ومتعة متجردة لا تنفذ وهناك في معنى الرضوان ما هو أعظم من كل متع الجنة ، ألا وهو رؤية وجه الله عز وجل .

هناك في الجنة أناس يستغيثون من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .

إذا حجب الله عنهم لحظة واحدة لا يطيقون أن يحتجب عنهم وجه الله لا يريدون طعام ولا شراب ولا نساء ولا شيء سوى النظر لوجه الكريم الحبيب وهي متعة ليس لها في الدنيا وصف وليس لها مثيل في روعتها ، ومن ذاق ليس

كمن سمع فمن يرى وجه الله لا يستطيع أن يطرف عينه لحظة حتى لا يفوته متعة المشاهدة فهو الجمال المطلق الذي ليس بعده جمال متعة القلب والروح والعين والجسد ، متعة تملأ كيان الإنسان سعادة وأمان وروحه وكل معنى جميل ، اللهم ارزقنا متعة النظر لوجهك الكريم الجميل .

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قد يكون الرضوان من نظرة ينظرها الله لعباده في الجنة .

وقد يعني أنه بصير بأحوالهم في الدنيا ويعلم ضعف نفوسهم ويرحمهم بضعفهم وأيضا يعلم ما يصلح لهم من أمر الدنيا والآخرة وكلمة بصير أنه دائم النظر في أحوالنا وهو مهتم بنا وبشئوننا وهو أحب من الله لنا وأوجب عليه قولنا : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بصدق وحق .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦)

هذه الآية إرشاد لنا من الله عز وجل ليعلمنا كيف يكون الدعاء والطلب من الله وهذا تحت بند وأنه علم آدم كلمات فتاب عليه .

تظل الخاصية الأدمية حتى رحمة من الله وعطاء غير منقوص يلقننا ويعلمنا ويرحمنا وهو بحق لا إله إلا هو .

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

(١٧)

هنا يعود الحق أفعال المؤمنين حقاً ما هي صفاتهم ؟

منهم الصابرين ، والصبر أعلى مراتب الإيمان والصادقين الذين لا يكذبون والصدق في القلب أهم من صدق اللسان ، فإن صدق القلب صدق اللسان .

ويظل المرء يصدق في قلبه ولسانه حتى يكتب عند الله صديقاً .

كيف الصدق في القلب أن يرسخ فيه الإيمان بالله والتصديق بأن كل شيء من عند الله والرضا بالقضاء والقدر والرضا بكل ما يرضي الله والتصديق بأننا لله وإنا إليه راجعون .

يعني نحن له وفي النهاية راجعين له ، وأيضًا الصدق في القلب هو الإخلاص وفعل كل عمل يبدأ بالنية الخالصة لله دون أي أحدًا وأي شيء يعني صدق النية وهو أعظم صدق لأنه مع الله .

والقانتين يعني المداومين على طاعة الله في طمأنينة وخضوع كامل لله وهذا تابع للإخلاص الذي في القلب والمنفقين لأموالهم في سبيل الله حتى وإن كان على أولاده يكون ابتغاء رضا الله وإن أنفق على نفسه أيضًا ليرضي الله في أن يرى أثر نعمته على عبده وينفق في سبيل الله في أوجه الخير على قدر طاقته .

والمستغفرين بالأسحار الذين يسألون الله المغفرة في وقت السحر أي في أواخر الليل وقبل الفجر وهو وقت قال عنه الرسول : أن الله يتجلى في السماء الدنيا ينادي على المستغفرين والتائبين وذوي الحاجة ليجيب دعائهم .

وترتيب الصفات هذه هي الطريق إلى الله .

هذه الآية ترسم لنا خط لو سرنا عليه لعرفنا الله سبحانه وتعالى :

1- الصبر على كل ما هو من عند الله لأن إذا أحب الله عبدًا ابتلاه فيصبر فيجتيه «أي يلفته إلى الله» ثم بعد ذلك يصطفيه لذاته ويكون من عباد الله الصالحين .

2- الصدق : إذا صبر الإنسان على البلاء وصدق الله في قوله وفعله ونيته زرع الحق في قلبه الإخلاص وكتب من الصديقين .

3- بعد هاتين الصفتين الصبر والصدق يأتي القنوت لله عز وجل بالطاعة والعبادة في أمان وإيمان وخضوع لله عز وجل .

كل هذه صفات تشترك فيها الجوارح مع القلب ولكن يغلب القلب عليها .

4- الإنفاق أي لا يكتز ويحرم نفسه وولده والمساكين هذا المال بل ينفقه بحب وسخاء دون إفراط يعني باعتدال وهذه صفة تغلب على الأفعال الطاهرة وهي نابعة من إيمان القلب .

5- الاستغفار :

وهو سؤال الله المغفرة عما سلف أو لحق من الذنوب .

هذه خطة محكمة من الحق لخلقه حتى يكونوا من عباد الله الصالحين أرى حرص الله على عباده ظاهر في هذه الآية التي يضع لهم منهجًا لو عكس لكان جهنم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

كلمة شهد بمعنى رأى أو شاهد ونظر فمعنى قوله الحق أنه شهد يعني أنه رأى أنه هو الإله الواحد الأحد لا شيء ممكن أن يكون إله غيره لأنه مطلق القدرة ومطلق الصفات الحميدة ومطلق الصفات الجلالية ومطلق في كل شيء فلا شيء يدانيه ولا يشبهه ولا يصل إلى حتى جزء من قدراته المطلقة ، فاستحق بحق أن يكون هو الإله الواحد الأحد، وهذه الشهادة إقرار منه له بالوحدانية وإعلام لنا بهذا فإن شهد هو بذلك لذاته وهو الحق فقد وجب على كل خلقه أن يقر ويشهد بالوحدانية لله عز وجل ، ونحن ندين له بهذه الشهادة ويجب علينا أن نوقن بها دون شك فكل صنعة لا بد لها من صانع فمن الذي صنع الكون ؟ ومن الذي خلقنا ؟ لم يأتي أحد ليقول : أن خلق الكون أو المخلوقات غير الله سبحانه إذن حقت له الشهادة لا جدال .

ومن خلقه الملائكة ، أيضًا شهدوا بالوحدانية لله وقد تأتي بمعنى أنهم شاهدوه عز وجل ولم يحدوا له مثل ، بذلك حقت له الشهادة وأولوا العلم أيضًا من مشاهد

الكون شهدوا بأن له خالق واحد ، وقال الشاعر :

في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأولوا العلم أي الذين وصلوا بعلمهم لحقيقة وحدة خالق الكون لأن النظام الذي يسير به الكون يدل على أنه صنع بيد واحدة ، ومن العلماء ومن البشر جميعاً شاهدوا الله في عالم الذر .

حيث أشهدهم على أنفسهم بأنهم رأوا الله فشهدوا له بالوحدانية .

وهو مقيم للعدل في كل شيء .

فالكون مخلوق بميزان وعدل ونظام محكم ليس فيه شيء من خلل ولم يترك الحق شيء للصدفة فكل شيء بقدر وحكمة وعدل وميزان وروعة في خلقه وفي أدائه لمهامه التي خلق لها فهو غالي نادر ليس مثله شيء وهو حكيم في كل شيء يفعل ، ومن حكم الله عز وجل أنه قد يفعل فعل واحد ينتج عنه نواتج شتى تفيد مخلوقات شتى وذلك لأنه حكيم يعلم .

ووحدانية الله عز وجل هي أعظم شيء في حياتنا ، فلو كان هناك إلهين لضاع الخلق بينهم ولكن الوجهة واحدة والمقصود واحد والتعب في السؤال سيكون واحد الاتجاه فهذا من أعظم المنح الإلهية لنا أنه واحد .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩)

الدين آتية من الإدانة فنحن مدينين لله بأن نسلم بأنه مطلق القدرة ولا نستطيع أن نصل إلى تحديد هذه القدرة وحين حملنا أمانة التكليف بأن نفعل أو لا نفعل وهذا من غرورنا بالروح التي نفخت في أجسادنا من الله عز وجل جعلت لنا من صفاته شيء يسير من فكر وإبداع واكتشاف وتحليل وغيرها من صفات الله ، واعتقدنا بهذه الروح التي يحتويها جسدنا أننا نستطيع أن نتدبر شئونا ولكن أثبتت التجربة فشلنا في القدرة حتى على أن نسيطر على أجسادنا التي فيها أرواحنا وكان

تقبلنا للتكليف هذا درب من الجنون فنحن أضعف من أن ندبر حياتنا ولذلك يقر الحق أن الدين الملزمين به كبشر هو التسليم له بأنه لا إله إلا هو على أدق تفاصيل حياتنا هو أحق بالتحكم فيها لأننا أعجز من أن نقوم بها فيجب أن نعود إلى رشدنا ونعيد الأمانة لله ونطلب منه أن يختار لنا كل شيء ويفعل لنا كل شيء وإن كان من حقنا الاختيار فنحن نختار ألا نختار .

لأن مهما كان سيكون اختيارنا فاشل بجانب اختيار الحق لنا .
والدين عند الله الإسلام :

بمعنى أن كل دين نزل من لدن آدم حتى محمد عليهم السلام جميعاً كان دين واحد وهو الإسلام بالوحدانية وأنا لسنا آلهة لنقوم على أرضنا بالقسط والعدل ، كل دين هو إسلام ولكن كل منهم سمي دين على ما شاء .

ونلاحظ أن الحق يتكلم عن الأديان السابقة بقوله أصحاب الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب .

يشرح لنا الحق اختلاف من سبق لهم نزول الكتاب من قبل أنهم حرفوا في معاني ما نزل لهم كل على هواه وذلك من حقدهم وغلهم وحسدهم لبعضهم البعض .

حقدهم على بعضهم البعض أدى إلى أنهم كانوا يخفوا آيات الله ويكفروها على بعضهم البعض ، حتى وصلوا إلى حد العداوة والكفر والعياذ بالله ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب .

لن يدع الحق الكافرين بدون حساب وهذا من عدله في خلقه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ
ءَاسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ



هنا يكلم الله رسوله والرسالة ممتدة لنا أيضًا ، فأنت يجب أن تتلقى أوامر الله
المأمور بها رسوله إن لم تكن خاص به عن شريعة خاصة بالرسول ﷺ .

وجب لنا أن نلبي هذا الأمر دون إبطاء فهو يقول : «حاجوك» أي جادلوك
بالحجة في دينك يا رسول الله ويا مسلم بعد رسول الله .

لأن الجدل ما زال قائم بين الأديان والإسلام .

فقل : انقذت الله عز وجل مخلصًا له وخضعت له بظاهري وباطني والأمين
كانوا هم العرب زمان وما زال هناك في الأرض أميون لا يعلمون أي من الكتب
السمائية والدليل على أن الخطاب يجب أن يكون منا نحن .

قول الحق : ﴿وَمَنْ أَتَّبَعِنِ﴾ دالة على من تبع الرسول وجب عليه أن يجادلهم
بهذا القول .

في هذه الآية نرى قمة حنان الرحمن على عباده من أهل الكتاب والأمين الذين
ليس لهم حظ من الكتب السابقة .

فهو يأمر رسوله أن يدعوهم للإسلام وأنتم يا أتباع الرسول ادعوهم للإسلام
ويقول : فإن أسلموا فقد اهتدوا للخير لهم في الدنيا والآخرة ، وإن تولوا أي أنهم
لم يستمعوا لك وتركوا دعوة الإسلام التي أطلقتها لهم فما عليك إلا البلاغ فقط
أي أن المطلوب هو إبلاغ هؤلاء القوم ؛ لأن الله يرى عباده وأفكارهم وأنواعهم
وسلوكلهم فهو أعلم بهم .

ومع أن الله يعلم ما سوف يحدث من عباده من إعراض وترك دينه إلا أنه
حريص على دعواهم كل الحرص لأنه هو الرؤوف الرحيم حرص شديد على خلقه
حتى الكافر به فهو يحاول معه لعله يهتدي .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١)

هنا تصوير شنيع من الحق لمن يكفر بآيات الله ومعجزاته ويتعدى حدوده في أنه يقتل الأنبياء دون وجه حق ويقتلون من يأمرهم بالعدل هنا فقط يغضب الرحمن ويأمر رسوله بأن يبشرهم بأنه سوف يعذبهم عذاب أليم .

حتى لهجة الوعيد التي في الآية وكلمته فبشرهم أرى أنه يتوعدهم كي يرتجعوا عما يعملون من كفر وقتل ، والله يا رب أنت رحيم ولكن إن لم يرتجعوا فسوف يقيم الحق عليهم بالعدل وهو العذاب الأليم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٢)

وفي هذه الآية يقرر الحق أن هؤلاء الذين كفروا بالآيات ويقتلون النبيين والتابعين للنبيين هم الذين بطلت أعمالهم وخلت من ثمراتها في الدنيا والآخرة ، ولن ينصرهم أحد هنا أيضًا ما زال الحق يرهبهم بهذا الوعيد ، على الرغم من الرعب الذي تحمله كلمات الآية وكلمة : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ كأن الحق يقول : ليس لكم غيري ناصر فافهموا لن ينفعكم أحد غيري ، سبحان الله إلى أي حد أنت حريص عليهم يا رب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣)

كلمة : ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ وكأن الحق حين يتكلم مع نبيه أو معنا بعد نبيه بهذه اللمحة التي فيها إيناس من الحق لعباده وكأنه يتواضع مع عظمته فينزل لمستوى عباده

ومثل ما يحدث بين العباد وبعضهم فنقول لبعضها باللغة العامية : «مستني بقى» أو «عرفت بكذا» .

كم أنت رحيم يا الله .

وكلمة : ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هذه الجملة تدل على أن كتاب الله الذي في اللوح المحفوظ نزل فيه أجزاء قبل أن ينزل كله في القرآن .

نزل منه جزء وترجم إلى العبرية وسمي تورا ، وجزء آخر وسمي إنجيل ، وهكذا كل الكلام الذي نزل على النبيين من قبل كل على حسب حاجة الشعب المرسل له وبلغته حتى يفهم ، ثم جاء آخر الزمان ونزل آخر الكتاب الخاص بالحياة الدنيا وهو القرآن ، وبما أنه نزل باللغة الإلهية وهي العربية وحفظ بالله فلا يصيبه تحريف فهو ليس خاتم الكتب ولكنه الكتاب كله الذي جعله الله منهجاً للبشر منذ خلق آدم حتى قيام الساعة ، وبعد قيام الساعة والجنة والنار لم يترك هذا الكتاب البشر في جميع شئون حياتهم ومماتهم لأنه منهاج وضعه الله لآدم وأبنائه إلى أن يصلوا إلى نار أبداً أو جنة أبداً .

وأنت يا محمد حين تدعوهم إلى كتابهم الذي هو من عند الله ليحكم بينهم تجد منهم من يستمع لقولك أو قول كتاب الله اعتماداً منهم على ما سبق أن عرفوه من كتبهم السابقة المحرفة عن المعنى الأصلي الذي نزل به القرآن وهو كتاب آخر الزمان .

نجد الحق دائماً في القرآن حريص على من بقي في الأرض من بشر لعلمهم ينقذون فإن كان السلف الذي كان في عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب يفعلون هذا حين يواجههم الرسول ﷺ بأن كلامه ليس جديد عليهم وأن كتبهم تحوي معاني هذا القرآن ولكنهم ما زلوا على عنادهم فلعل من يأتي من بعدهم أن يعي ويتدبر ما جاء به القرآن والحق سبحانه حريص ولو بقي منهم فرد واحد أن يبلغه ما بلغه لفعله حتى يحق الحق ويقيم ميزان العدل فكل مسلم مكلف بعد رسول

الله بتوصيل هذه المعاني القرآنية الخاصة بأهل الكتب مع ردود أسلافهم على رسول الله ﷺ لعلهم يفهمون ، ولا يكرروا أخطاء أسلافهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤)

هذه الآية يقول فيها الحق رد هؤلاء الكتابيين على رسول الله ﷺ منهم معتقدون أنهم حين يحاسبون بين يدي الله ويظهر لهم ذنوب فسوف تمسهم النار مسًا خفيفًا لعدة أيام قليلة معدودة وقد تكون مدد هذه العقوبة أربعين يومًا مدة عبادة أجدادهم للعجل وهذا غرور وسفه .

وغرهم جهلهم في دينهم بهذا القول وافتروا على الله كذبًا وزورًا من القول وإصرار الحق على توضيح هذه القضية حتى إذا جاء من بعدهم كتابيون آخرون لا يغتروا بما قاله هؤلاء السابقين ويعملوا عقولهم لعلهم يهتدون .

هل رأيتم كم حرص الله على عباده حتى الضالين منهم .

ألا يستحق أن نقول : «الحمد لله رب العالمين» .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥)

وهنا التذكرة بيوم البعث والحساب وأسلوب الحق بكلمة «فكيف» تفيد معنى أن الحق رؤوف بهم وتلغي بمعنى الوعيد الرحيم أو الإنذار للرؤوف مع التذكرة بالحرص على من يُذكره .

كأنه يقول : أفيقوا قبل أن يأتي يوم لا شك فيه أجمعكم جميعًا وأحاسبكم ليس على فعل أجدادكم من عبادة العجل ولكن على ما فعلتم أنتم وسوف تحاسبوا

فتأخذوا ما لكم وتعاقبوا على ما فعلتم ولكن تكونوا مظلومين لأن الله عدل وحق تبين في تنبيه حباً من الله ورحمة بالعالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾

هذه الآية تبدأ بأمر من الله للرسول ولكل من قرأ القرآن من المسلمين أن يقولوا : الله هو مالك الملك لا إله غيره وأن الملك هو ملك له .

والملك هو السماوات السبع والأرض ، أما الملكوت فهو السماوات والأرض وما خارجهم مما لا يعلمه إلا الله ولقد قال الحق في حديثه القدسي : أن السماوات والأرض ما هما بالنسبة لكرسي عرش الرحمن إلا كحلقة في فلاة والملك هو كل سلطان في الأرض أو السماء .

والملك أنواع ، فهناك من يكون ملك على البلاد .

ومنهم من يكون ملك على المال .

ومنهم من يكون ملك على العلم بأنواعه .

ومنهم ملوك الكلام .

ومنهم ملوك الدين وهم العارفين بالله فهم ملوك الدنيا والآخرة .

ملكهم في قلوبهم وعرشهم سجودهم في الصلاة ، وضياعهم الجنة التي في نفوسهم وسلطانهم من الله وبالله وفي الله والله ، وهؤلاء هم الملوك حقاً .

قال أحد العارفين : لو علم الملوك ما نحن فيه من سعادة لقاتلونا عليها بالسيوف .

وكل هذه الممالك لا يهبها إلا الله ولا ينزعها إلا الله عز وجل ، يؤتي ملكه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، لا حيلة لأحد في ملك أخذه من الله أو نزعه من الله .

وهو المعز الذي يعز من يشاء بعزة جلاله وهو المذل يذل من يشاء بجبروته وكبريائه ، إذن كل شيء منه وإليه في النهاية وفي كل شيء مما سبق خير في التملك أو السلب خير بيد الله في كل الأمرين لعل يكون الملك خير من الله ونزع الملك أيضًا خير بيد الله ، والعز والذل ما داما من الله فهو خير وهل يفعل الحق غير الخير ، وإن كان في الظاهر غير ذلك .

ويجب أن نقر نحن البشر عامة والمؤمنين خاصة بأن الله قادر على فعل كل شيء ، كل شيء يفعل به بيده فهو خير .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧)

هذه الآية فيها صورة تصويرية رائعة تصور الليل يدخل في النهار بظلمته فيذهب نوره وتصور النهار يدخل في الليل فيذهب ظلامه .

وهذه إشارة لعدة أشياء في الحياة الدنيا التي هي وحدتها الليل والنهار يعني اليوم :

1- لا نور يدوم ولا ظلمة تدوم كل منهم يذهب الآخر .

2- لا هم يدوم ولا فرح يدوم كل منهم يذهب الآخر .

3- لا فقر يدوم ولا غنى يدوم كل منهم يذهب الآخر .

4- لا حياة تدوم ولا موت يدوم كل منهم يذهب الآخر .

5- لا ملك يدوم ولا عبودية تدوم كل منهم يذهب الآخر .

6- لا عز يدوم ولا ذل يدوم كل منهم يذهب الآخر .

كل شيء له ضد وكل منهم يذهب الآخر كل منهم مرة تلو الأخرى بالتبادل

بينهم .

وهذا إن دل على شيء يدل على أن هذه الدنيا دنية ، أغيار لا ثبات فيها ولا دوام فيها لحال واحد ، إلا الله فهو الواحد الأحد الثابت على حاله لا يتغير .

وخروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي لها صور متعددة:

1- يخرج النبات الحي من الأرض الميتة .

2- يخرج المخلفات الجامدة من الكائن الحي .

3- يخرج الكافر من المؤمن .

4- يخرج المؤمن من الكافر .

وهذا معناه أن الإنسان قد يكون كافر ويرزق بأولاد مؤمنين والعكس بالعكس .

وأشكال كثيرة لهذه الصورة لخروج الحي من الميت وبالعكس .

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

قد يكون الرزق مال أو عيال أو علم أو ملك أو أخلاق أو دين أو حكمة أو أزواج أو جنة .

ولكمة بغير حساب معناها :

1- دون أن نحاسبه عليه في الدنيا والآخرة .

2- أن ترزق من حيث لا تحتسب .

3- أن يكون الرزق كثير فيصعب حسابه .

4- وتدخل من تشاء في رحمتك أو تحرم من تشاء من رحمتك .

5- تدخل من تشاء الجنة حيث لا حساب .

كم أنت رائع يا رب أن تقول عن نفسك فإنك محل ثقة من كل خلقك تطمئن قلوبهم بالثقة فيك وفي عملك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨)

هذه نصيحة من الله عز وجل في صيغة أمر وإن كانت هي شاملة لكل مؤمن أراد يصاحب غير المؤمن ولا يصاحب الكافر حتى لا يكون سبب في ضياعه في الدنيا وغضب الله عليه في الآخرة .

ويوضح الحق أن البعد عنهم ليس فقط هو المطلوب ولكن إذا كان ولا بد من التعامل معهم فيجب أن نتقيهم كأننا نبتعد عن النار وكلمته تقاة معناه شدة الحذر منهم وأن نميل إليهم ، ويحذركم الله من غضبه عليكم إن عصيتم هذا الأمر لأنه شديد العقاب ويذكرنا الله أن مصيرنا في النهاية إليه .

هذا معنى عام أما المعنى الذي الآن هو :

السماء الآن مليئة بالأقمار الصناعية والبيوت مليئة بالقنوات الفضائية التي تزين للشباب حياة الكفار وتدفعهم إلى تقليدهم في كل شيء وهذا ما يجب أن تلفت إليه أولاً البعد عن هؤلاء ولا نفكر أنهم في خير وإن كان ولا بد من التفاعل معهم فيجب أن نحذر من عاداتهم التي قد تضعف الإيمان وبوجه خاص يجب أن يختار المؤمن أصدقائه من المؤمنين لأن «الصاحب صاحب» يسحب صاحبه إما إلى الجامع وبعده الجنة أو إلى الانحلال ثم النار .

وهذا الاهتمام من الحق سبحانه وتعالى بكل سلوكياتنا حتى ينجينا من عذاب الدنيا والآخرة والحرص الشديد على هدايتنا والتوضيح المستمر لآفات النفس والناس .

ومهما قلنا : الحمد لله لا نوفيه حقه علينا فنحن نعيش ليل نهار في نعمه وفي كنفه ورحمته وعطائه وحرصه علينا وحبه لعباده .

فكيف لنا أن نستطيع أن نشكره أو نحمده ؟ هيهات هيهات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

هذه الآية تصور لنا الحق أن صدورنا ونفوسنا وقلوبنا وضمائرنا كتاباً مفتوح يقرأ فيه الحق كل شيء لا تستطيع أن تخفي عليه شيء ، فهو أعلم بنا منا فهو يعلم ما نظهر وما نبطن وحتى الذي لا نعرفه عن حقيقة مشاعرنا هو يعلمه ويعلم كل شيء في وعن السماوات والأرض كل الأشياء وكل الأحداث وكل الماضي والحاضر والمستقبل .

وكلمته : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لها معاني كثيرة :

أولاً : قدرته في معرفة السر وأخفى لا حدود لها .

ثانياً : كل شيء في السماوات والأرض عليه قدير .

ثالثاً : قدرته فاقت كل شيء في السماوات والأرض وهو القادر فوق عباده .

رابعاً : لا حدود لقدرته عز وجل .

وهذا يبعث في نفس المؤمنين الطمأنينة أن الله على كل شيء قدير .

ويبعث في قلوب الكافرين الحذر بأن الله على كل شيء قدير .

ويبعث في قلوب كل الناس عظمة قدرة الله عز وجل .

مما يستوجب أن نحمده على هذا ولا نكل ولا نسأم من الشكر لله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠)

هنا يصور لنا الحق في كلمات موجزة مشهد يوم الحساب حيث جسد الحق
الأفعال من خير أو شر فجعلهم كأنهم أشخاص نحب أحدهم ونكره أحدهم .

هنا في يوم الحساب تخيل نفسك بين يدي الله عز وجل وأنت ترى حسناتك
وسيئاتك وكأنك خجلان أسفًا على هذه السيئات تتمنى أن تبعد عنك بعدًا كبيرًا .

وهنا يوضح الحق لما ينشر علينا هذه الصورة ليحذر من نفسه خوفًا علينا من
عقابه إنذار من الحق حتى نفيق من غفلتنا ونحاول إن نكف عن ذنوبنا .

ويختتم الآية بالغاية المرجوة من الآية فيقول : ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ مشفق
عليهم يعطف عليهم ويحثهم أن يكونوا عبادًا صالحين .

هذا يوجب أن تقول : « الحمد لله رب العالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١)

قلنا من قبل أن قمة الحب هو العبادة يعني يجب أن أصل بحبي لله حتى يزداد
الحب في قلبي فيصل إلى الله مرحلة العبادة فإن المحب لمن أحب مُطيعًا .

يقول الناس أنهم يحبون الله فما دليل هذا الحب غير الطاعة لله فيما جاء به
رسوله من أحكام وأوامر ونواهي فيقول الحق هنا :

يا محمد ، أو يا أي مسلم أو داعي إلى الله قل لمن يقول أنه يحب الله ولا يعلم
هل يحبه الله أم لا قلهم إن كنتم تحبون الله حقًا فافعلوا مثل فلهي و قولوا مثل قلوي
واعبدوا الله كما أعبدته حتى يحبكم الله وسيغفر لكم ذنوبكم لأن الله غفور رحيم .

قضية الحب والإسلام هي :

الرسول هو حبيب الله .

ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، يعني يحب أن نكون كلنا أحاب الله لأننا أمة حبيبه المصطفى .

ويبدأ الإسلام بـ :

الأركان الخمسة وهم أركان الإسلام وليس أركان المسلم من فعلهم فقد أشهر إسلامه ولكنه ما زال لم يؤمن «الإيمان» .

— فإن آمن بالله وصدق بوجوده فهو مؤمن يرتقي إلى مرحلة اليقين .

يعني يتحول الإيمان إلى يقين بالله ويعبد الله وكأنه يراه من حوله .

المعرفة : وهي أن يعرف صفات الله ويشعر بها ويتعرف بالله عز وجل ويكون من العارفين بالله ويعبد الله وهو يراه وإن لم يحط بصره بالله فإن روحه ترى الله وتعبده وهي تراه .

ثم بعد المعرفة يأتي الحب الإلهي .

نحب الله لأننا عرفنا كل صفاته الجميلة والرائعة التي نتجت من المعرفة ، فمن عرف الله أحبه .

بعد مرحلة الحب تأتي مرحلة العبودية ، وهي الطاعة التامة لمن أحب وقال الحق : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي يصلوا لمرحلة أعلى درجات الحب لله وهي العبادة له عز وجل .

وبعد العبادة تأتي مرحلة التسليم : «أي الإسلام لله عز وجل» نسلم له روحنا وجسدنا وقلبنا وكل أفعالنا .

إذا أحب أحد من البشر الآخر فإنه يسلم له نفسه يفعل بها ما يشاء فما بالك بالله الذي لا يضرك أبداً وكل فعل منه لك إحسان في إحسان حين تسلم له هل يضرك ، أشهد لك أنه هو الرؤوف الرحيم الذي يحب عباده المخلصين .

وهنا تقف وتقول :

« الحمد لله رب العالمين » .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢)

هنا أمر من الحق بطاعة الله ورسوله فمن يتولى ويترك هذا الأمر فإن الله لا يحب من يكفر نعمه أو يكفره حقه في الطاعة .

وهنا يقود لمعنى إن المحب لمن أحب مطيع .

والطاعة هنا هي دلالة الحب لله ، يتحدث الحق عن حبه هنا فيقول : ﴿ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ استعمل كلمة لا يحب ولم يستخدم لفظ يكره أو يبغض أو أي لفظ يفيد معنى الكره المباشر .

هذا لأن الله من الحنان والرحمة واللطف والحنان حتى في استخدام كلماته رحمة وحنان منه على عباده حتى وإن كانوا كافرين ، ليضرب لنا مثل كيف نتعامل مع بعضنا البعض باللين والهوادة واللطف حتى ننبذ الحقد والكره والعداوة والبغضاء بيننا مهما اختلفت اعتقاداتنا فنحن في النهاية بشر أبناء رجل واحد وامرأة واحدة .

ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، لست إلهاً لتحاسب البشر إنما أنت عبد مثلك مثلهم ولكن الله منّ عليك بنعمة الإيمان فلا داعي لبغض خلق الله ، لا أقول حب الكافرين ولكن أقول ترفع بقلبك عن كره أحد من خلق الله ، فالقلب محل حب الله فلا يدخل في قلبك حبه أو بغض أحد فقط أحب الله وحده .

لأنه هو المستحق للحمد والحب وحده .

وقول الحق : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي سلم قلبه لله يوم القيامة كاملاً غير ناقص لم يقطع منه شيء في كره مخلوق أو حب غير الله ولكن سلم القلب من

السوى سوى الله .

فهذا الذي أتى الله بقلب سليم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣)

هنا يعد الحق من خلقه السابقين الذين اصطفاهم واختارهم على العالمين .

وهم آدم ونوح أفراد أولاً ثم يقول : آل إبراهيم الذي نتج منه كل الأنبياء مثل إسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان ويونس عليهم السلام .

ومن فرع آخر لآل إبراهيم محمد ﷺ ثم يختص آل عمران وهو يقصد مريم وابنها عيسى عليهم السلام ، ومعنى الاصطفاء هنا أنه طهرهم ونقاهم وعلمهم ونشأهم لحمل رسالاته إلى باقي البشر .

وهذا حباً في جميع البشر أنه عز وجل يهتم بأن يرسل الرسل فإن الرسل جميعهم رحمة من رب العالمين لكل العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤)

وبعد أن يعد الرحمن الأنبياء المصطفين وآلهم يقول أنهم ذرية بعضها من بعض وهذا حق فكلهم لآدم وآدم من تراب وهم جميعاً من نسل آدم عليه السلام استل منه كل هؤلاء الرسل والأنبياء ومعنى بعضهم من بعض أنهم جميعاً يدعون لرب واحد وأنهم جميعاً مسلمين لرب العالمين .

وينهي رب العزة الآية بقوله : أنه سميع عليم لأنه بعد ذلك سيذكر دعاء لأم صالحة تريد لذريتها أن تكون مؤمنة صالحة .

فهو يخبر عن نفسه أنه يعلم حال عباده ويسمع دعائهم له .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّىٰ لَٰكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

هنا يروي لنا الحق سبحانه لماذا اصطفى آل عمران ؟

تبدأ القصة بأم حامل كانت تشتهي الحمل وترجوه من الله ، فلما حملت توجهت إلى الله بالدعاء أنها وهبت له ما تحمله في بطنها معتقاً من كل شواغل الدنيا ومفرغاً لعبادة الله عز وجل وخدمة بيت المقدس ، وهذا يدل كم هذه الأم صالحة تقية نقية ومخلصة لله .

ويبين لنا كم هو رحيم وحنان ومنان حيث لم يحرم هذه السيدة من أن يكون لها ذرية صالحة .

وينتقل بنا الحق إلى مشهد آخر حيث تمت ولادة الطفلة وكلام الأم مع الله حيث أنها كانت تتمنى أن تضع ولد لكي يقوى على خدمة بيت المقدس فقالت بحسرة : ربي إن وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ويقر الحق هذه الحقيقة التي ما زال الناس للآن في جدال حولها فيقول : وليس الذكر كالأنثى وهذا هو حسم قضية المساواة فكيف يكون هناك مساواة وقد سبق قول الحق بأن الذكر ليس كالأنثى .

ثم أطلقت عليها اسم : مريم ، ومعناه باللغة العربية «عبدة الرب» أو «عبدة الله» ثم أعادتها وذريتها من الشيطان الرجيم .

تصور هذه الآيات كمية التقوى والصلاح التي كانت عليها تلك العائلة .

وتبين الآية التالية رقم (37) عظمة رحمة الرحمن على عباده حيث يقول : أنه قبل هذه الهدية من تلك الأم الصالحة وقبل بنتها التي وهبتها له وقبلها بقبول حسن وهذا قمة الرحمة وعظمة الرحمن في أن يقبل ما هو له أصلاً ولكن توضع الرحيم المعطوف بفكر هذه الأم الطيبة .

فيأخذ الطفلة المقدسة ويكلف أحد أنبيائه برعاية شئونها وتنشئتها على الدين والطاعة والعبادة .

وكان هذا النبي هو زكريا الذي كان هو أيضاً محروم من الذرية وقد كبر سنه وامرأته عاقر ، فكان حرصه على الطفلة بحب ورعاية واهتمام وإخلاص لا حد له ، وكانت مريم تتعبد في محرابها وهو مكان مخصص لها وحدها في بيت المقدس ، وكان المدد الرباني يأتيها من علم وطعام ورزق من كل شيء فكانت كل فاكهة العام كله موجودة عندها في غير أوانها .

فكلما دخل عليها زكريا المحراب تعجب لأنه هو من يكفلها ويطعمها ويستقيها حين يجد هذا الرزق يسألها : من أين هذا الرزق يا مريم ؟ فتجيب الطفلة الصغيرة البريئة الطاهرة المطهرة : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وتؤكد له هذه الصغيرة أن قدرة الله ليس لها حساب بمعنى أنه هو المسبب لكل شيء ولا يحتاج هو لسبب حتى يرزق وهذا معنى كلمة بغير حساب ، تعني أن حسابات البشر لا تلزم الله في أن يرزق بغير سبب .

وكلمة بغير حساب بمعنى طلاقة قدرة الله عز وجل في أن يعطيها رزقاً بدون بشر يزرعون ويصنعون .

وأيضاً يرزق الولد بغير أب أو أم ويعطي الذرية دون أن يكون الأب والأم صالحين للإيجاب .

علم زكريا أن هذا المكان طاهر واصل إليه رحمة الرحمن لأنه يحب هذا المكان بسبب حبه لهذه الصغيرة التي تعبد بإخلاص ، وقد وهبت لله وهي في عالم الغيب

في بطن أمها وهذه الآيات تبين كيف يتفاعل الحق مع عباده الصالحين ويشعر بهم ويحبهم ويخصهم بخصوصيات لا يأتيها غيرهم فهو يجب العالمين ولكن هناك خصوصية في الحب الإلهي لعباده المخلصين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨ فَنادته الْمَلَائِكَةُ ۖ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩ ﴾

ويكمل الحق تصوير مشاهد الرحمة في بيت المقدس حيث يسكن آل عمران في هذا المكان حيث المحراب التي تقيم فيه الطاهرة الصغيرة توجه زكريا إلى الله بالسؤال أن يهب له من لدنه ذرية طيبة طاهرة مثل هذه الصغيرة .

ويقول الله عز وجل : إنك سميع الدعاء ، بمعنى ستسمعني لأنني متواجد في مكان فيه رحمة نازلة من عند الله .

نرى مفارقة عجيبة هذا نبي الله هرم في العبادة والذكر والصلاح تعلمه طفلة ليست من الأنبياء ولكنها عند الله تكاد تكون أعظم من نبي الله زكريا ، وتتجلى رحمة الرحمن وحنانه على هذا العبد الصالح فيرسل ملائكته تنادي على زكريا وهو قائم يصلي في المحراب : يا زكريا إن الله يبشرك بأنه استجاب لك وسيرزقك بولد أسماه الله يحيى وهو سيصدق بكلمة الله المسيح وسيكون سيِّداً بمعنى أنه يسود على قومه ولا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهم تعففاً وزهداً وهو نبي من الصالحين .

وهذا النبي قد جمع كثيراً من الصفات الربانية .

فهو قائد — وهو طاهر — وهو عفيف — وهو زاهد — وهو نبي — وهو صالح في كل شيء .

كل هذه الرحمة وضعت في يحيى وهذه الآيات لا مجال لذكر كم هي رحمة الله لأن ألفاظها توضح وأحداثها توضح كم الحنان الرباني على عباده .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكُ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤٠)

هنا في هذه الآية نوضح معنى التوكل على الحق على الله فمن يتوكل على الله حق التوكل رزقه الله ما يشاء ، ولكن كيف الوصول لصدق التوكل على الله .

هذا نبي الله زكريا في لحظة صدق في دعائه في المحراب مع مريم طلب من الله الذرية وكانت لحظة صدق لأنه كان يرى الرزق الذي يأتي مريم من عند الله دون فعل منها أو من البشر فكان في تلك اللحظة في قمة الثقة بالله فدعى الله وهو في كامل ثقته بأن الله يفعل ما يشاء وأنه على كل شيء قدير .

ولكن حيث بشرته الملائكة بيحيى تسائل عن الأسباب ونسي الثقة التي كان عليها في المحراب مع مريم وردد أنه شيخ كبير لا يستطيع الإنجاب وأن امرأته عاقرة لا تلد .

فيرد الحق عليه بأنه قادر على فعل كل ما يشاء .

يعني السبب في الفعل هو مشيئة الله فإذا شاء لا داعي لديه لأسباب حتى يفعل ما يشاء وحين يشاء وكيف يشاء .

كم هو ربي رحيم وحليم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ (٤١)

فسأل الله أن يجعله آية ومعجزة علامة تدل على أن امرأته حامل في يحيى لأنها

لا تحيض .

أو يريد علامة تؤكد له أن هذه البشارة حق ليطمئن لحمل زوجته فقال له :
العلامة أو المعجزة أنك ستكف عن الكلام لمدة ثلاثة أيام وأنت سليم ليس بك
مرض ، ولكن ممكن أن تشير للناس بما تريد وهنا يوجهه الحق لإصلاح عقيدته
فيقول له : اذكر ربك كثيرًا وسبحه من الزوال إلى الغروب ومن طلوع الفجر إلى
الضحى ، وهذان الوقتان هما الصلاة الوسطى السابق ذكرها .

وهنا الحق يهب الولد ويهب العلم والتربية لنبيه زكريا هل رأيتم رحمة كهذه ؟

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ ﴾

نرى أنهم آل عمران كلهم يرون الملائكة يتكلمون معهم وهذه نوع من أنواع
المكاشفة من الله لهذه العائلة الصالحة المصطفاة من الله فهذه مريم تكلمها
الملائكة وتبشرها بأن الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين فهي
أطهر نساء العالمين .

فالاصطفاء الأول هو صفاء روحها ونفسها لله حتى أصبحت قديسة وطاهرة
مطهرة من أي إثم فليس لها ذنوب ولا مشاعر سيئة وكانت حنونة ذات خلق صافي
رائع متسامحة وزكية ونقية من رحمة الله حتى تكون الأرض الصالحة لإنبات
عيسى روح الله التي نفخها في بطن الطاهرة ، هذه الآيات رحمة في رحمة .

حين يصطفي الله عز وجل أحداً من عباده هناك أمور يجب أن تتضح من كلمة
اصطفاء .

فالاصطفاء له معاني كثيرة :

1- صفاء الروح والنفس والجسد من كل الآثام والذنوب والأخلاق السيئة

حتى تصبح كالماء الصافي ليس له لون أو طعم أو رائحة ، فتصبح هذه النفس كالمرآة المصقولة اللامعة الرائقة فتكون أهل لينعكس عليها أي شيء وخاصة الأشياء شديدة الشفافية مثلها كالنور مثلاً ، فتكون هذه النفس في حالة مكاشفة تامة لكل ما يحيط بها من غيبات ، فمثلاً ترى الملائكة والشياطين والأموات ، وقد تترقى في النقاء والطهر حتى ترى الله عز وجل ، فلا شيء فيها يحجب عنها نول الحق .

وحين أقول : ترى النفس لا أقول : ترى العين ، ولكن المتعارف عليه في علم الضوء أن الضوء يسقط على الأشياء فتعكس أشعته إلى العين فتري العين الجسم فترسل إشارة إلى العقل فيترجم معنى الجسد ويرسله إلى النفس والعين لتعرف هذا الشيء ما هو .

أما في حالة الصفاء يحدث العكس ، النفس هي التي ترى الغيبات عن العين لأن إشعاع مثلاً الملائكة أعلى من أن تلتقطه شبكية العين البشرية ، ولكن الروح التقية تستطيع أن تلتقط هذه الأشعة النورانية الملائكية ، فترسل النفس إشارات إلى العقل بما رأت فيترجمها العقل إلى معانيها ويرسل المعنى في الكيان البشري كله وأول شيء هو العين فكأن العين ترى ما لم تراه من الخارج تراه من داخلها .

وكان رسول الله ﷺ يرى ما لا يراه الآخر ، وكان يرى الملائكة والأموات في قبورهم ، وكان يرى المعذبين والمنعمين منهم ، وكان يرى الجان وما لا يراه الصحابة ، ثم ارتقى في السماوات العليا حتى التقى بالله عز وجل ورآه لأنه هو المصطفى من الله .

ونعود لمعنى الاصطفاء .

2— أن يستخلص هذا العبد من البشر ويخصه بعنايته بمعنى أنه يختاره من غيره من الناس .

لماذا ؟ ليقوم بدور في الحياة الدنيا يساعد غيره من البشر على طاعة الله .

ولذلك إذا أحب الله عبداً ابتلاه ثم اجتباه ثم اصطفاه .

وفي رواية أخرى : «إذا أحب الله عبداً ابتلاه ثم اقتناه» ، ومن كلا الروايتان نجد أن عبيد الرحمن يصطنعهم الله لتنفيذ أوامره في الأرض

ونجد في هذه الآية أن الله تختص مريم بجميع أنواع الاصطفاء السابق ذكرها .

أي أنها خلقت من سلالة مطهرة وتقية ثم أن الله اصطفاها لنفسه وصفى نفسها من كل شيء إلا من حب الله حين يصف الحق مريم أنها سيدة نساء العالمين فهذا من شدة نقائها ومن معرفة الحق بروحها الطاهرة في كل حرف من حروف هذه الآية أشعر بحب الله لعباده وخاصة المصطفين منهم مثل مريم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَمْرِيْمُ أَتَقِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ (٤٣)

هنا أمر الحق مريم أن تخلص في العبادة ودوام الطاعة لله وأن تخشع وتخضع وتركع وتسجد مع الخاضعين لله ، وطلبه هذا فرضاً منه عليها حتى تكون دائماً في حالة وصل مع الله حتى يحافظ عليها الرحمن نقية طاهرة طول الوقت لا يشوب نفسها شيء من الدنيا حتى تظل في صفائها واصطفائها رحمة من الله وحب .

هنا وضع الرحمن المنهج المتبع لمريم في هذا الوقت ما هو مطلوب منها ؟ الصلاة والدوام عليها مع كل من يصلي هي تصلي وهذا نوع من التربية الإلهية للقديسة التي ستحمل المسيح عيسى بن مريم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبِيَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيْهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُوْنَ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُوْنَ﴾ (٤٤)

هنا يعود الحق للحوار مع رسوله ومع من قرأ من بعد الرسول هذا الكتاب فيقول :

هذه الأحداث من الغيب الذي لم يكن رسول الله يعلم عنه شيء وذلك مما أوحاه الله له ليعلمه ما لم يكن يعلم .

وأيضاً لكي يحتفظ الحق بذكرى هؤلاء القوم من آل عمران محفوظة بحفظ القرآن حباً وكرامة لمريم وعيسى وزكريا ويحيا وآل عمران جميعاً حتى تظل سيرتهم محفوظة من التحريف أو النسيان .

وبعد

يصور لنا الحق مشهد من قصة مريم فحين وهبت أم مريم طفلتها لبيت المقدس كانت صغيرة تحتاج من يربّيها ويكفلها بالرعاية وكل من الأحبار كان حريصاً على كفالة الطفلة المقدسة فما كان منهم إلا أن اقترحوا بأن ألقوا سهامهم ليعرفوا من تخرج عليه القرعة ، كل منهم يأمل أن تخرج القرعة عليه حتى يرعى الطفلة ولكن قدر الله قد سبق بأن كفالتها على نبيه زكريا الذي ستحدث له معجزة الولد الذي سيأتي بغير سبب من أسباب الدنيا ، وذلك لحكمة الله الحكيم يعلم فإن زكريا سيكون أكثر إنسان تصديق بطهر مريم وبأن المسيح كلمة الله التي ألقاها إلى مريم فكان منذ المبدأ يهيء لمولد المسيح من يساعد مريم على مواجهة الصعاب التي ستمر بها هي وابنها .

يؤكد الحق أن رسوله لم يكن معهم حين كانوا يختصمون على كفالة مريم أو على القرعة التي تمت بالسهم .

واختيار الحق زكريا يدل على رحمة الله بمريم وابنها حيث يهيء لهم من يسانداهم قبل أن يتم أمره منهم .

وكلمة : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ تعني أن كل امرأة في الدنيا يجب أن يكون لها كفيل واجب أن يرعى شؤونها رجل من أهلها .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

تصور لنا الآية هذا المشهد الرائع بين مريم والملائكة تكلمها وتقول لها :
أبشري يا مريم وافرحي فإن الله يشرك بكلمة سوف يقولها وهي كلمة كن
للمسيح فيكون في بطنك طفل لك اسمه المسيح عيسى بن مريم .
وسيكون ذا جاه وعز وقدر في الدارين الدنيا والآخرة وسوف يكون من
المقربين لله عز وجل .

هذا المشهد يصور رحمة الرحمن قبل أن يفعل ما أمر به لمريم يعلمها ببشارة من
الملائكة ليطمئن قلبها وتبشئها نفسياً لتقبل الأمر وهذا من رحمة الرحمن الرحيم
ومن حنانه يطمئنها بأنه سيكون له معجزة تخرص لسان كل من يشك في طهرها
بأن هذا المولود سيكلم الناس في المهد وهو رضيع قبل أوان الكلام هذا ليبراً
ساحتها أمام بني إسرائيل .

وسوف يكون رسول يكلم الناس عن الله حين تكتمل قوته وشبابه بالرسالة
التي سيحمله الله إياها وهي الإنجيل حيث سيكون معلماً للناس من قبل الله عز
وجل ويطمئنها الحق بأنه من الصالحين في هذه الآيات السابقة تخرج بأننا حين
نطلب من الله شيء يجب أن نوقن بأن الله على كل شيء قدير ولو صدقت النية
والعزم في الطلب والثقة في أن الله على كل شيء قدير فإن طلبك يجاب بإذن الله .

ما لم يكن قبلك هذا فيه ضرر لك واعلم أنك إن في الطلب من الله إن الله
سينفذ طلبك ولكن بعد أن يعلمك بأن طلبك هذا ضرر لك فإذا أصررت عليه
أعطاه لك .

وهذا من رحمته ولكن هذه الدنيا للبشر لهم فيها حرية الإرادة ولكن الحق له
من خلقه من هم مقربين منه لا يدع لهم حرية الاختيار بل يختار لهم ما يراه في
صالحهم في الدارين .

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧)

هنا قالت مريم : يا ربي كيف يكون لي ولد ولم يمسنني بشراً ، وسوء الها هنا للاستفسار والاستغراب ولكن ليس على سبيل الاعتراض فهي أسلمت نفسها لله والله قبلها فلا اعتراض ولكن تعجب !!

تري في هذه الآية رقم (47) والآية رقم (37) والفرق بينهم (10) آيات موقفين مختلفين لمريم فهي وهي طفلة قالت لذكريا حين سألتها عن الرزق الذي يجده عندها فأجابت : هو من عند الله ، وقالت : إن الله يرزق من يشاء بغير حسابات البشر ، وكانت طفلة في طور الأبرار ومن الملاحظ أن الفرق بين الآيتين يشير إلى السنين الفرق بين الحادثتين بين فرق دعاء زكريا لطلب الولد وبين حمل مريم بعمسى وهم عشر سنوات بعشر آيات أي في سن البلوغ لمريم حيث تكون أنثى كاملة تستطيع أن تحمل طفل في بطنها وهذا من إعجاز آيات القرآن .

وفي الآية رقم (47) نجد أن الإنسان حين يكتمل نمو جسمه وعقله ويبدأ في إعمال العقل دون البصيرة البريئة في الطفولة يبدأ في حساب الأمور من خلال سنن الحياة التي يعيش فيها ويدخل حساباته مع حساب ربه فيتعجب من أمر الله مع أنه لو ظل على الصورة الأولى وهي البراءة والطفولة وهو بالغ الجسم والعقل بحيث يتعامل مع الله من منظور الطفل البريء الذي يثق ثقة مطلقة في قدرة الله ويعلم بفطرته النقية أن الله على كل شيء قدير يكون من المقربين الأطهار ويظل في كنف الله عز وجل بفطرته النقية ولا يكله الله لنفسه ولا لغيره بل يظل على الدوام في كنف الله عز وجل .

ولكن حين يعمل عقله يقول له الحق : استغنيت بعقلك فاجعل به ما تشاء بدوني ، إلا عباده المخلصين .

يقول رب العزة كذلك الله يخلق ما يشاء أي أنه حر يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء حين يشاء وبدون أشياء إنما إذا قضى حكمة من حكمه فإنما هي كلمة

يقولها لهذا الشيء وهي كن فيكون ما شاء الله بإذن الله .

وكلمة : «يقول له» تفي أن مجرد تفكير الحق في الشيء يوجد فوراً ولكلمة كن يظهر للناظرين وهذا من طلاقة قدرة الله عز وجل .

وهو الرحمن الرحيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

ينتقل بنا الحق بعد كلمته كن فيكون وكأن المسيح قد كان وبالفعل يشرح لنا الحق سبحانه كيف أنه يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل .

لتفصل هذه المعاني بالترتيب يعلمه :

1- الكتاب الذي هو في اللوح المحفوظ الذي هو «القرآن» .

2- الحكمة «السنة المحمدية» التي علمها الله لرسوله محمد من بعد .

3- التوراة كتاب اليهود .

4- الإنجيل .

واستخدام المسيح لهذه الأربع يترتب بالعكس يعني أنه أول ما يستخدم في الدعوة لله يبدأ بالإنجيل الذي فيه تخفيف من مادية التوراة اليهودية ففي الإنجيل آيات رحمة وحنان على بني إسرائيل يحلل لهم بعض ما حرم عليهم بسبب ما فعلوه بموسى وهارون .

ثم بالتوراة لأن تشريعها هو الملائم لبني إسرائيل في ذلك الوقت ، ثم بالحكمة حين ينزل في آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال وينصر الإسلام ويتبع السنة المحمدية .

يقيم شريعة الله في الأرض التي نص عليها المصحف بالحرف .

ولذلك كان ترتيب التعليم كما ذكرته الآية بهذا النظم ، وذلك من رحمة الله يخلقه السابقين والآتيين بأن هناك يوم سيذهب الظلم على الأرض بنزول المسيح ليقيم الخيرات على الأرض فبعد أن ملئت جوراً وظلماً ألا يستحق الله أن نقول له :

الحمد لله رب العالمين .

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

يعدد الحق ما هو دور المسيح في بني إسرائيل فيقول : إنه رسول لبني إسرائيل ويقول لهم : أن معه آية من الله تثبت أنه رسول فإنه يأخذ من الطين ويشكل على شكل طير ثم ينفخ فيه فيصير طيراً بإذن الله ويشفي الأعمى الذي ولد أعمى يجعله مبصراً ويشفي الأبرص ويحيي الموتى كل هذا بإذن الله عز وجل .

ثم يخبرهم بما يدخرون في بيوتهم وما يأكلون وهذا كله آيات لكم يا بني إسرائيل إن كنتم مؤمنين .

يعلم الله أن بني إسرائيل لا يصدقون نبي بسهولة فيرسل لهم آيات ومعجزات على يد رسوله ونبيه عيسى حتى يصدقوه .

ما زال الحق حريص على بني إسرائيل يدعوهم للحق ويرسل لهم آخر رسلهم الذي لم يجعله من ذريتهم على الرغم من أن أمة منهم ولكن ليس من صلبهم ذلك ليكون في آخر الزمان لا ينسب لبني إسرائيل فهو المسيح عيسى بن مريم مسيح

فهو من يقتل المسيح الدجال في آخر الزمان في هذه الآية يعمل بالإنجيل للدعوة ليصبح اليهود مسيحيون وهذا أول الترتيب التصاعدي في الآية (48)

الإنجيل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠ ﴾

كانت التوراة هي شريعة اليهود بعد موسى عليه السلام وكانت بني إسرائيل قد شددوا على أنفسهم وعلى موسى مما جعل الله يشدد عليهم في أحكام التوراة وحرم عليهم بعض الأشياء .

فلما أرسل الله عيسى بالإنجيل كله علم المعاملة وعلم الرحمة وعلم التسامح فقد أباح لهم بعض ما حرم عليهم في التوراة .

ولقد قدم عيسى عليه السلام كلامه مع بني إسرائيل بأنه مصدق ومؤيد لما سبقه من كتاب وهي التوراة وهي شريعته هو أيضًا في الأحكام الشرعية وقواعد الدين الأساسية أما بعض ما ليس بحرام في حقيقته فقد أباحه الإنجيل لهم .

ولقد جاءهم بآيات من الله وقال يد الله دعوني بآية منه فاتقوا غضب الله وأطيعون .

نرى رحمة الحق ببني إسرائيل حتى يرسل لهم نبي التسامح والمحبة والحنان والرحمة كلمة الله عيسى ليحل لهم بعض ما حرم عليهم ، ويصدق بتوراتهم .

وهذا ثاني الترتيب التصاعدي في الآية (48) وهو العمل بالتوراة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ ﴾

هنا الدعوة الأساسية لكل نبي أرسل من الله للبشر وهي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أن الطريق المستقيم في الدنيا هو إن الله رب

العالمين يجب أن يعبدوه العالمين .

حين نفخ الله في آدم من روحه ظن أنه ذا قوة عظيمة وقدرة على كل شيء ومن هنا حمل تكليف ليس له فيه أي دور واعتقد أنه هو فاعل كل شيء ولذلك تركه الله في الدنيا بحرية الاختيار ولكن الرحمن لم يتركه جون تدبير شئونه فسخر له الملائكة في كل مكان في الكون للقيام على قدمه بني آدم من زرع وعلاج ونزول ماء وإجراء أنهار وبحار وسحاب وكل شيء حتى الخدمة داخل جسده وداخل كل الأحياء الموجودة على الأرض وقدر الرحمن رزق الإنسان وعمره في الحياة الدنيا ليخرج منها وقد تم نضجه وأهم شيء في النضج هو أن يعترف أمام الله ونفسه والناس أن لا إله إلا الله وأن الله ربي وربكم فاعبدوه .

والعبادة هي قمة الحب والطاعة والسلوك الموافق لهوى المعبود .

وهذا لا يتأتى إلا بالمحافظة على الروح المنفوخة فينا من الله عز وجل .

يحافظ على نقائها ونظافتها من كل عيب وكل سوء وكل شين .

ثم ينطبع هذا الصلاح على السلوك الخارجي للجوارح فلا يختلف الجوهر عن المظهر وبالتالي يصح البدن وتصح الروح .

وهذا هو الصراط المستقيم الذي رسمه الله لنا لنسير عليه .

بدايته أن الله وحده هو ربي لا إله إلا هو فاعبدوه .

ثم اتبعوا الطريق المستقيم في الدنيا دون خلل أو زلل يسيركم هو على الصراط في الآخرة دون خلل أو زلل .

وهذا هو كلام عيسى عليه السلام في دعواه لبني إسرائيل في أول بعثته .

وهو فكلام عيسى لكل البشر بعد نزوله في آخر الزمان لأن الله قد وضع هذه

المقولة في آية بين آيتين وما دام هي مفصولة فلا ي..... زمان أو مكان وهي : ﴿

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ هذه دعوته في آخر الزمان وإما

الإسلام أو القتل لمن يعصي هذا الأمر وبذلك يقيم شريعة كتاب الله في الأرض ويعم السلام على الأرض أربعين سنة بما يعادل ساعة عند الله .

لماذا خلق الله عيسى بدون أب ؟

إن اليهود في المدينة المنورة حين بعث رسول الله لم يعترضوا على الرسالة ولكن اعترضوا على أن نبي آخر الزمان ليس منهم من بني إسرائيل أحفاد إبراهيم ، ولكنه حفيد إبراهيم من ولد إسماعيل ابن هاجر وبذلك ختمت رسالات السماء ولكن عيسى سبق محمد بحوالي 579 سنة .

جاء محمد بآخر رسالة من السماء تكريماً لخير البشر ، ولكن عيسى ينزل في آخر الزمان ليدعو كل الناس للرسالة المحمدية وهي الإسلام .

ولم يكن من بني إسرائيل حتى لا يكون لهم أفضلية في ختام الرسالات وهي الإسلام لأنهم أضاعوا الكتاب واتبعوا الشهوات وكلما نسب الله عيسى في القرآن نسبه إلى أمه مريم التي نبذها اليهود وقالوا فيها الأقاويل ولذلك فهم لن يكون لهم أي فضل بعد محمد في شيء من دين الله ، وينزل عيسى الذي ليس له أب ووصفه الله أنه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن ، فكان وبما أن الإنسان بدأ بآدم وليس له أب وليس من ذرية أحد وهو بداية البشر في الأرض تنتهي الأرض أيضاً بمن ليس بذرية أحد على الأرض وهو عيسى بدون أب .

آدم أول نبي نزل الأرض ليس له أب وعيسى آخر نبي ينزل الأرض ليس له أب

عكس آدم : مدا .

عكس عيسى : يسيع .

المدى الواسع بينهم هي الدنيا .

لماذا عيسى في آخر الزمان ؟

تغلب الآن على العالم المادية البشعة وظلم رؤوس الأموال للضعفاء ، وتحكم القوي في الضعيف .

انعدمت القيم الروحية إلا من قليل وعلى الرغم من أن شريعة الإسلام هي الشريعة الوحيدة الآن في الأرض التي إذا طبقت تم العدل إلا أن أهلها ضعفاء لا يستطيعون إقامتها إرضاء لقوى الشر والطغيان في الأرض ، وعيسى هو نبي الروحانيات حتى أن الإنجيل ليس فيه كثيرًا من قوانين وتساير مادية أغلبه قيم روحية سلوكيات نفسية وعلاقات إنسانية تعاطفية وقيم تكاد الأرض تخلو منها .

ولذلك كان لابد أن يكون عيسى الذي هو كآدم آخر نبي في الأرض وذلك ليهدم قوى الشر بنشر :
أولاً بحرب الشر والمادية .

ثانياً : لنشر المحبة وإقامة شرع الله في الأرض حتى يعم السلام .

ومن هنا وجب أن يكون هو آخر للأنبياء وليس له أب حتى لا يقال أنه متحيز لفئة دون الأخرى وكون أمه من بني إسرائيل ذلك لأنه سقيم شرع الإسلام وسنة محمد في الأرض فلو كان من المسلمين لاتهموه بالتحيز لدينه ، فهو في النشء أقرب لليهود منه للمسلمين «وشهد شاهد من أهلها» .

هذه الآية يدل على نزوله في آخر الزمان لينشر الإسلام على سنة محمد ﷺ وهذا هو الصراط المستقيم .

وهذا هو الترتيب التصاعدي في الآية (48) في كلمة والحكمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾

هنا يرى مشهد تصويري للمسيح ينزل في آخر الزمان ويقضي على الدجال

ويقيم سنة رسول الله ﷺ ويصلي خلف المهدي مع المسلمين .

ثم يدعو المسيحيين واليهود إلى الإسلام .

فينشر دعوته ويسأل : من أعواني إلى نصره دين الله .

ذلك لأن عيسى وجدهم قد كفروا وحرفوا التوراة والإنجيل وأشركوا بالله .

فهو هنا يسألهم من منكم الذي سيؤمن بالله على التوحيد وإقامة الإسلام ؟
فيجيب صفوة أتباع عيسى وأنصاره : نحن أنصار الله سننصر دينه آمنا بالله واشهد
بأننا مسلمون .

وكلمة : ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ تدل على أن أتباع المسيح سيدخلون
في دين الله وهو الإسلام .

وهذا هو رابع الترتيب التصاعدي للآية (48) ويعلمه الكتاب وهو القرآن
الذي سيحكم به عيسى في الأرض أربعين سنة حتى يعم السلام والإسلام
والمحبة والعدل بدين الله وإقامة شرع الله على سنة نبيه وحبيبه وصفيه محمد ﷺ .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

قال أتباع عيسى : ربنا آمنا بما أنزلت من الكتاب والسنة .

واتبعنا سنة رسول الله ﷺ فاكْتُبْنَا مع الذين شهدوا للرسول بتبليغ الرسالات يوم
القيامة هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام بعد نزول عيسى .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَأَةٌ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾

هناك من يمكر ويدعي الإيمان بالإسلام وسنة نبيه محمد أمام عيسى حتى
ينجو من العقاب وهو القتل لأن عيسى سيحطم الصليب ويحط الجزية وإما

الإسلام أو القتل فمن لم يسلم سيخفي عدم إسلامه حتى يعم على الأرض السلام أربعين سنة وهذا من مكر الكافرين ، ولكن لا يحق المكر السيء إلا بأهله لأن الله خير الماكرين .

هذه الآية قد فسرت قبل هذا على ما حدث في سالف العصر لعيسى من أخبار يهود إذ تأمروا لقتل عيسى بمكرهم وأحبط الله مكرهم ولكن أرى أن تفسيرها أصح لما ذكرت من نزول عيسى للأرض .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾

في آخر الزمان وذلك لما تبعها من الآية رقم (55) .

حيث قال الله لعيسى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وهنا كانت نهاية القصة حيث أتم عيسى دوره الثاني في الأرض وعم السلام والعدل .

وفي عيسى المدى المحدودة له في الحياة المقسومة جزئين : جزء قبل محمد ، وجزء بعد محمد ، وكأنه وضع جزء من الرحمة قبل نزول الرسالة المحمدية ثم يعيده الله للأرض حتى يدعو من يقول أنه يهودي أو مسيحي إلى الدين الحق .

ولماذا عيسى وليس موسى أو إبراهيم أو أي أحد من الرسل ؟

1— أولاً لأن عيسى لا ينسب لبني إسرائيل .

2— ثانياً : أن عيسى لا ينسب للمسلمين .

3— من يتبع عيسى من المسيحيين قد ضلوا من حقيقة التوحيد .

4— لا يوجد على الأرض من الشرائع السماوية إلا اليهودية والمسيحية والإسلام وهو آخر رسالة وينسخ ما قبله من شرائع .

ما هو مكر الله المقصود في الآية (54) ؟

أن الله يتوفى عيسى بعد أن يعم على الأرض السلام ويترك عليها المؤمنين والكافرين الذين يخفون كفرهم فيجعل الله الذين اتبعوا عيسى فوق الذين كفروا إلى يوم الدين بمعنى أن الأرض ستظل في أمان وسلام حتى قيام الساعة ، وحين الساعة تهب ريح طيبة تقيض روح كل مسلم موحد بصدق على الأرض .

ثم بعد ذلك يعم الفساد من الكافرين فيحق الله الحق و يقيم الساعة على أشر خلق الله من الكافرين حيث هم الذين يحضروا اشتعال البحار ودك الجبال وزلزلة الأرض والنصاق القمر بالشمس وهول ورعب يوم القيامة وبعدها يحاسبهم ربهم يوم القيامة .

فيحكم الله بينهم ويوضح ما كنا فيه نختلف من أديان من يقول أنا يهودي وآخر يقول أنا مسيحي وآخر يقول أنا مسلم وآخرون كافرون .

فيوضح لكل منهم من الذي على حق ومن ليس على حق .

الدليل على أن هذه الآيات آخر الزمان أن المسيحيون السابقون لم يعلموا على الذين كفروا ولكن في آخر الزمان سيسود الذين اتبعوا عيسى في الإسلام على الكافرين كما قال الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ ﴾



يقول الحق : فأما الذين كفروا فأعذبهم في الدنيا وهذا يصوره لنا الحق في مشهد القيامة حتى يرى السابق بكل أهوالها تقوم عليهم فقد يكون هذا نوع من أنواع العذاب حضور أهوال القيامة هذا في الدنيا ، وفي الآخرة في النار والعياذ بالله .

وليس لهم في الدنيا أو الآخرة من أحد ينصرهم لأن لم يعد هناك أنبياء أو صديقين أو ناس طيبين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ



أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات واتبعوا أوامر الرسل فيما بلغوا من الله فيوفيههم أجورهم ، وكلمة الحق فيوفيههم بوجود إلقاء في أولها أي في لحظة عقاب الكافرين ، فإنه يوفي أجر المصلحين في نفس الوقت ، والله لا يحب الظلم ولا الظالمين لأنه حرم على نفسه الظلم والذين كفروا أشد ظلماً لأنهم كفروا بالله وكفروا نعمة الله عليهم .

وهنا توجيه لنا ضمني أن من يظلم منا بأي نوع من أنواع الظلم فإن الله لا يحبه .

والعكس بالعكس فمن كان عادلاً فإن الله يحبه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ



ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .

الخطاب هنا موجه لرسول الله ولكل مسلم أو لكل قارئ للقرآن بعد رسول الله .

ما سبق من الآيات السابقة هذا من معجزات الله وتعليمه الحكيم في كتابه المحفوظ الذي أنزله إلى محمد ﷺ وهذا لأن الرسول قال عن القرآن : «إنه الفصل ليس بالهزل» .

وقال : «فيه نبأ من بعدكم» .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

أسباب نزول هذه الآية أن راهبان من نجران سئلوا رسول الله من هو أبو عيسى ؟ فسئل الرسول ربه فأُنزل هذه الآية إن عيسى ليس له أب فهو كآدم خلقه الله من تراب ثم قال له : كن فكان وكذلك عيسى .

وهذا حتى لا يقول على عيسى غير الحق لأن هذا هو الحق من ربك والصدق فلا تكون من الشاكين في أنه الحق .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

هذه الآية لرسول الله خاصة وللمسلمين عامة فمن حاجك يا محمد في أمر عيسى بعد ذلك فقل له : هلموا أنتم وأبناءكم ونحن وأبنائنا وأنفسنا وأنفسكم ثم ندعو الله باللعة على الكافرين منا .

وهذا ما يجب أن يفعله كل مسلم بحاجة أحد في هذه الآيات التي تصف حكاية عيسى منذ خلقه إلى وفاته .

وهذا ما سوف أفعله لمن يعترض على هذا التفسير .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

هذه الآية تؤكد حقيقة التوحيد وأن ما يقوله الله ويقصه علينا فهو القصص الحقيقي لا روايات الخلق .

فهو لم يتخذ ولد ولم يكن له شريك في ملكه ؛ لأنه عزيز وحكيم .
واسم عزيز هنا يفيد أنه لا يذل ولا يُذل وهو قادر بعزته وبحكمته لا يحتاج
لأحد .

وهذا حرص من الله على عباده حتى لا يضلوا عن حقيقة التوحيد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٣)

فإن أعرضوا عن الكلم الحق وحادوا عن طريق التوحيد فإن الله يعلم من هم
المفسدون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

يأمر الحق نبيه محمد ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة لا تختلف عليها جميع
الشرائع السابقة ، وهي أننا لا نعبد إلا الله الواحد الأحد لا شريك له .

ويتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا إله إلا الله .

فإن أعرضوا عن كلمة التوحيد .

هنا وقفة يقول الحق : ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ كلمة قولوا
موجهة للمسلمين منذ محمد ﷺ ومن أسلم إلى يوم الدين يجب أن يقول لأهل
الكتاب هذا الكلام ويشهدهم هذه الشهادة وهذا دور كل مسلم يجب أن يبلغ
رسالة التوحيد لأهل الكتاب الذي يلتقي بهم وهذا أمر إلهي لمن أسلم وجب عليه
التبليغ .

هنا إشارة على عدم أخذ أحد في نفوسنا مكانة الرب في التحليل والتحريم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥)

هذه الآية يوجه فيها الحق الحديث إلى أهل الكتاب بلهجة فيها عتاب ولوم وتوبيخ على غبائهم كيف تجادلون في أن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا وهو بعض قبل نزول التوراة والإنجيل .

وكانكم ليس لديكم عقل تفهموا به .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآَ حَآَجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآْجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ وَآَللهٗ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٦)

يكلم الحق أهل الكتاب فيقول لهم : لقد جادلتم المسلمون في ما كنتم على علم به من أمر إبراهيم أنه بعث قبل التوراة والإنجيل ولم يفلحوا في هذا الجدل ، فكيف تجادلوا المسلمين في خبر السماء وليس لديكم علم به ؟

ولكن الله يعلم وأنتم لا تعلمون .

لماذا هذا الاهتمام من الحق بأهل الكتاب إلا من حرصه على عباده من الضياع والضلال والكفر ثم النار .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ خَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧)

هنا يقرر الحق أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا بل كان مسلمًا مائلًا من الباطل إلى الدين الحق وهو الإسلام والتوحيد الذي معناه الانقياد لله مطيعًا

وموحدًا لله الواحد الأحد لا إله إلا هو .

ولم يكن أبدًا من المشركين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾



إن أحق الناس بإبراهيم الذين اتبعوا ملته في التوحيد لله وأيضًا الذين آمنوا مع رسول الله بالله الواحد الأحد لا شريك له .

والله متولي أمور المؤمنين وحافظهم لأنه هو الرحيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾



تمت طائفة من خبياء اليهود أن يضللوكم ولكنهم حين يتحرون أفعالًا يقصدون بها إضلالكم فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم وهم لا يشعرون بذلك وهذا معناه أن من دخل توحيد الله في قلبه لا يمكن أن يشرك بالله أو أن يضل عن دين الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾

أشعر في هذه الآية لغة العتاب من الله لأهل الكتاب فهو ما زال حريص على هدايتهم فيقول لهم الرحمن : يا أهل الكتاب لماذا تنكرون معجزات الله وقرآنه وأنتم توقنون من صميم قلوبكم أن القرآن حق من عند الله وأن محمدًا رسول الله ما زال هذا اللوم قائم إلى الآن لمن هم من أهل الكتاب وسيظل إلى يوم أن ينزل عيسى إلى الأرض ليلغي هذه الملل ويقيم الإسلام فقط في الأرض .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١)

يكمل الحق عتابه ولو مه لأهل الكتاب على كتمانهم للحق مما نزل عليهم من كتب الله وخلطهم الحق بالباطل وهم يعلمون أنه الحق .

وإخفائكم الصحيح الثابت في كتبكم السابقة قبل القرآن عن القرآن والنبي الخاتم .

وهذا يكشف ما يخفون ويكشف نواياهم السيئة .

وأرى الحق هنا يتعجب من سلوكهم الشاذ هذا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا

ءَاخِرُهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢)

هنا يظهر النفاق على أصله حين تقول طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالإسلام أول النهار ثم اكفروا به آخر النهار لعل المسلمون يرجعون عن إيمانهم .

لماذا كل هذه اللجاجة والجحود والنكران لفضل الله لماذا لا يشكرون الله على أن بعث لهم رسول الله يهديهم إلى الرشاد ، ولكن هذا هو طبع اليهود اللجاجة والنكران والنفاق فلم ننسى ما فعلوه في موسى وهو الذي جعله الله لهم لينجيهم من آل فرعون يسومونهم العذاب .

هذه الآية تحذير من الله للمؤمنين حتى لا ينخدعوا بفعل اليهود وحتى لا يضلواهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ

﴿بَحَّاجُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣)

هذه الآية لها معنيان :

الأول : وما زال اليهود في غيهم فيقولوا لبعضهم لا تؤمنوا إلا لمن كان يهوديًا ، ولا تصدقوا أن الله يؤثر أحد غير يهودي بنوه أو تفضيله على ما آتاكم ولا تصدقوا أن أحد سيقم عليكم حجة يوم القيامة عند ربكم وهذا المعنى كشف لما يخفيه اليهود في أنفسهم .

الثاني : وهو أقرب للتفسير من السابق أن الله ينصح المؤمنين بأن لا يصدقوا إلا المؤمنين مثلهم بالإسلام فلن يؤتي الله مثل ما أتى المسلمين من دين حق وتوحيد خالص من أي شرك ، ولن يجدوا عليكم حجة يوم القيامة عند ربكم لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لأن الله واسع في كرمه وعلمه وعطائه ورحمته ، يعلم أن يضع رسالاته .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤)

هذه الآية تؤكد المعنى الثاني للآية السابقة .

حيث يقول الحق أنه يختص من يشاء من خلقه بالرحمة والعطاء والإيمان والهدى لأنه ذو فضل عظيم وهذا من رحمة الرحمن على عباده المخلصين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

هنا الرحمن يحق الحق بكلماته فيذكر أن من أهل الكتاب من هو ذا أمانة لا يخون من أئتمنه ولو أئتمنه على مال كثير فلا يخون الأمانة ويؤدي المال لصاحبه

ومنهم طائفة أخرى ليس عندها أمانة لو تأمنه على دينار لا يعيده لك إلا إذا كنت تملك صك بهذا أو أنت مراقبه أو محضر له من يشهد عليه أو تقاضيه وتطالبه .

ويبرروا ذلك بأنهم ليس عليهم إثم أو خروج أو عقاب من الله ولا من أحد في أن يأخذوا أموال العرب أو الأمم الأخرى ويقولون أن الله أحل لهم هذا ، وهم كاذبون يكذبون على الله والله يعلم كذبهم .

وهم يعلمون أن هذا كذب إن الله لا يحب الفساد في الأرض أو الظلم والبغي والعدوان بدون حق ترى بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة تستحل أقوال المسيحيين واليهود وبعض المسلمين الذين يعتقدون أنهم خرجوا على الإسلام .

وهم متناسون لهذه الآية فإن الله قد حرم كل ما دل على المسلم إلا ما أخذ في حرب في سبيل الله أو الوطن وكان من خلال جيش له قائد مسلم يوجهه وليس جماعة منشقة متفرقة سرية الفعل ، الإسلام إعلان لا يختلف سره من علنه فهو حق والحق نور والنور لا يحجب .

أما ما يتم في الظلام والأبواب المتعلقة فهو إثم ، وقال رسول الله ﷺ : «الإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس» .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)

ولكن من يوفى بالعهود ولا يكذبون ويوفى بعهد الله ، واتقى الله فإن الله يحب المتقين .

أولاً : ما هو العهد ؟ هو ميثاق بين اثنين على اتفاق معروف أنه حق وحلال .

وأول من يجب أن نوفي بعده هو الله من توحيد وعبادة وحب وتقوى .

ثم يأتي الوفاء بالعهد مع الناس الأقرب فالأقرب ثم الأبعد فالأبعد من أهل ثم جيران ثم أصحاب البلد الواحد ثم العهد مع البشرية كلها .

فكلنا بشر أخوة لآدم يجب أن لا ننشر هذا ، فمن يوفى بعهد الله ثم أهله ثم مجتمعه ثم الكرة الأرضية من الإعمار فيها أو على الأقل عدم الإفساد فيها من فاء بعد إعماء الأرض مع الله ثم نتقي الله عز وجل في محارم وشرائعه من فعل ذلك فهو حبيب الله .

يضع الحق لنا خطة يحبنا الله فيجب ألا نحيد عنها ؛ لأن ما خلقنا لأجله هو أن نحب الله بالعبادة لله ، ويحبنا الله بالربوبية لنا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَمْنَعُونَ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧)

وهنا الصورة المضادة لما سبق من منهج الحب مع الله .

يصور لنا الحق هاهنا بعض من خلقه يبيعون عهده وأيمانهم مقابل ثمن قليل من متاع الدنيا .

هؤلاء ليس لهم نصيب من الخير في الآخرة والعهد هنا هو الذي يعاهد المسلم ربه مثل ما كان رسول الله يفعل في بدأ الإسلام يسميه البيعة .

ومثل ما قال رسول الله ﷺ في بيعته للنساء وهو عهد بأن لا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين بفاحشة إلى آخر الحديث .

أما الأيمان فهي القسم بالله كذباً وهو يعلم أنه كاذب .

والغدر بمن عاهد من الناس .

أرى في كلمات هذه الآية صورة رائعة لحنان الرحمن .

حيث الكلمات التي تحمل معنى العقوبة من ظاهرها ولكن في باطنها تحمل معنى الود والحب الإلهي لعباده حتى العصاة منهم ، وكأنه يقول لهم برحمتي : لا تفعلوا هذا الفعل حتى لا أعاقبكم بأنني لا ألتفت إليكم يوم القيامة ، ولن أكلمكم

ولا أظهركم وسيكون لكم عذاب أليم .

لا يعرف قيمة تهديد الله بأن لا ينظر الله له إلا من عرف معنى القرب من الله فإن أشد أنواع الحرمان في الدنيا والآخرة هو الحرمان في الدنيا والآخرة هو الحرمان من الله .

هذه الآية لمن فهم معناها تبين أقصى عقوبة قد تصيب الإنسان ألا وهي حرمان الإنسان من أن يكلمه الله أو ينظر إليه أو يطهره أو يثني عليه .

وهنا للمحبين لله وقفة في هذا المع **﴿ ٧٨ ﴾** وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ **﴿ ٧٨ ﴾** [سورة آل عمران: 78]

نى يطلقون عليه معنى الهجر .

ومن حرم متعة النظر إلى وجه الله فقد حرم أعظم متعة في الوجود .

ولذلك نجد أن أعلى درجات الجنة هي لقوم لا يفعلون شيء سوى النظر إلى وجه الله عز وجل وإذا حجب عنهم لحظة استعاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار.

فهم لا ييغون عن ذلك حولًا أبدًا فهذا هو النعيم الحق .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّنْتَهِمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

هنا يصور لنا الحق فريقاً من الناس ممن جاءهم كتاب الله .

وليس اليهود والنصارى فقط ولكن من المسلمين أيضًا ، يميلون ألسنتهم عن

الصحيح إلى المحرف بمعنى يكذبون في كتب الله ويفسرونها على أهوائهم .
ليظن الناس أنه من كلام الله وما هو من كلام الله ، ويكذبون على الله وهم يعلمون أنهم كاذبون .

ما هذه الجرأة على كلام الله ؟ كيف يكون هناك إنسان بهذا السوء ؟
والله لو أن أحد من البشر ادعى عليك أيها القارئ بكلام ليس بكلامك ولم لم يكن فيه ضرر لداخلك الغيظ والضيق ، فكيف برب العزة أن يكذب عليه ؟ ومع ذلك فهو الحليم الرحيم الغفور .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾



في هذه الآية ينفي الحق عن أنبياءه الذين اختارهم من البشر أنه إذا أتى أحد من أنبيائه كتاب الله والحكمة والنبوة والملك في الأرض ، أن يقول أحد منهم للناس : كونوا عباداً لي من دون الله لأن هذا — عكس المنهج الذي في كل الكتب التي نزلت من السماء ، ومنهجها الأساسي أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

ولكن يقول النبي للناس : كونوا «ربانيين» يعني منسوبون لله تنفذون أوامره في الأرض وتنتهوا عن ما نهاكم عنه ، وتكونوا علماء معلمين فقهاء في الدين بما أنكم كنتم تعلمون الناس الكتاب وتدارسون ما في هذه الكتب .

وهذا منهج وصفه الله للنبیین ولأنسابهم من علماء الدين أن يتعلموا ويعلموا
الناس ما تعلموه ودرسوه من الكتاب والحكمة وهي قاعدة لكل نبي وفي كل كتاب جاء من الله .

يقول الحق في حديثه القدسي : «أطعني عبدي أجعلك ربانياً تقول للشيء : كن

فيكون» .

وهذا من معنى قول الحق : ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ بماذا يا رب نكون ربانيين ؟ بما درستم من كتاب وبما علمتم منه لغيركم من الناس بمعنى معرفتكم بأسرار كتابي وكلامي وطاعتي فيما أمرت وأحكامي التي في كتابي هذا ما يجعلكم ربانيين تقولوا للشيء : كن فيكون ، والدليل على ذلك في سورة «النمل» : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِنِّي عَلَيْكَ بِـِٔيَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ نجد كلمة ﴿عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾



وهذه الآية نفي مع استنكار فيقول الحق : هل يعقل أن يأتي كتاب من الله يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين من دون الله .

هل يأمركم بأن تكفروا بعد إسلامكم لله ؟

إن النبيين والملائكة مؤيدين من قبل الله ببعض المعجزات ولهم صفات الربانيون وقد شهد بقول بعض الناس هذه الخوارق التي يقوم بها النبي بإذن الله .

مثل عيسى وإحياء الموتى بإذن الله ، وشفاء المرضى بإذن الله .

والملائكة أيضاً لهم طاقات ليست للبشر مكلفين من عند الله بأعمال يفوق طاقة بني آدم .

مثلاً : دفع السحاب في السماء .

وإنبات النبات في الأرض .

وغيرها من الظواهر الكونية التي لا يقدر عليها بشر .

هذا كله بإذن الله وفعله فلا تترك الأصل وهو الله لتعبد الفرع وهم الملائكة

والنبيين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءِ اتَّيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

هذه الآية فيها مشهد تصويري من الحق رائع ، يصور لنا الحق اجتماع شامل كامل قبل تصوير الخلق في الدنيا أي في عالم الأرواح والذر ، يجتمع بجميع أنبيائه الذين أرسلهم من أول آدم إلى عيسى ثم يكلمهم بعد كلامهم بحضور محمد ﷺ ولقد جمعهم رب العزة ليعاهدوه على ماذا ؟

أنه جل وعلا يؤتيهم الكتاب ويعلمهم تفاصيل الشريعة الملائمة لكل نبي منهم

بمعنى أن الكتاب واحد .

ولكن الحق ينسخ لكل نبي الشريعة التي تواكب عصره وتلائم طبيعة قومه والأرض التي يعيشون عليها جغرافيًا .

وهذا يدل على اختلاف شريعة الحق باختلاف الزمان والمكان والناس والنبيين

واختلاف الشريعة يعني اختلاف القواعد الفقهية والمعاملات المالية بحسب كل قوم والشريعة هي العدل الإلهي في الأرض ولكل زمان قانون يحكمه والشرع هو قانون الله فوجب أن يختلف القانون حتى يواكب متطلبات العصر الذي سن له هذا القانون .

فيقول رب العزة لأنبيائه: يجب أن تعاهدوني بعهد وميثاق على التصديق والعمل بكتاب الله وسننه في الأرض مع قومكم هذا أول عهد ثم العهد الآخر

والأخير هنا يحضر رسول الله ﷺ في هذا المشهد الرائع المهيّب الذي يجتمع رب العزة مع رسله وأنبيائه قبل تصويرهم في أجسادهم وإرسالهم كل نبي في زمن محدد ومكان محدد وقوم معلومين ليتم العهد له أيضًا بأن محمد سيأتي بعدكم جميعًا ومعه الكتاب الذي يصدق على ما علمتكم من كتابي ومؤمنًا به وستكون الأرض كأنها قرية واحدة وكل من فيها سيكونوا أشبه قوم واحد .

أمراضهم الجسمانية واحدة .

وأمراضهم الدينية واحدة .

وأمراضهم العصرية واحدة .

وكل عيوبهم مشتركة .

وهذا هو عصر الأقمار الصناعية والبث المباشر في الأرض كلها ، وتكنولوجيا الاتصالات .

مما يلزم شرع واحد هو الشرع الأصلي الذي وجد في الكتاب المكنون المحفوظ عند الله وحين ينزل على محمد ما زال محفوظًا بالله لا يحرفه أحد ولا يبدله أحد ولا يعبث به أحد فهو الثابت المحكم الخلق بحيث ينفع أهل هذه الأرض كلهم .

والعهد هو أن تصدقوه وتؤمنوا به ولتنصرنه .

وكيف ينصرنه ؟

هنا يتجلى دور أنبياء الله في النصر لمحمد بأن يبلغوا أممهم أنه آتى من بعدهم في نهاية الزمان رسول صفته كذا ، ويقول كذا وكذا ، فآمنوا به وانصروه ، وهل سيكونوا هؤلاء القوم موجودين في آخر الزمان ؟ طبعًا لا !!

إذن هم يبلغوا أبنائهم وأحفادهم عن هذا لأن في آخر الزمن سيكون باقي أحفاد تلك الأمم لعلهم يهتدوا مثل أنبيائهم فنجد الآن من هم أتباع عيسى وأتباع موسى

وإبراهيم وأكد يوجد أتباع لأنبياء آخرين .

فعاهدوني عهداً شديداً على ذلك وهذا هو محمد نبي آخر الزمان فرأوه وعرفوه وأعطوا الله العهد والميثاق على ذلك وشهدوا بمعنى شاهدوا محمد في حضرة الله عز وجل وآمنوا بما أمرهم به الله وشهدوا وشهد الله عليهم أنهم شاهدوا وشهدوا وعاهدوا الله على ذلك قولاً وفعلاً .

وشهد الله على شهادتهم وشهد الله على أن محمد فعلاً نبي آخر الزمان ، وهو خاتم الأنبياء ، كم هو متواضع أن يقول : اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، أن يتنزل بكبريائه وعظمته فيقول عن ذاته وأنا معكم من الشاهدين أي رحمة وأي حنان هذا بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢)

هنا يخبرنا الحق ضمناً أن هناك من لن يؤمن بهذا العهد الموثق من الأنبياء لله عز وجل ولكن ليس منهم إنما من أتباعهم .

أو من أحفاد أحفاد أتباعهم .

أي أن الأنبياء عليهم بلاغ هذا الأمر الإلهي لمن هم مرسلين إليهم .

فمن سمع وآمن كان بها ومن لم يؤمن وترك هذا العهد فهم الفاسقون الذين خرجوا عن العهد ، ومعنى فسق أي خرج الشيء عن المألوف والمعروف .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

يسأل الحق سؤال المستنكر المتعجب من أمر هؤلاء الذين يتركون دين الله أي الذين لا يدينون لله بالتسليم كما سبق ووضحنا معنى كلمة دين .

كيف يكون عدم التسليم لله وحده وله أسلم كل مخلوقات الله في السماوات وفي الأرض طوعاً وكرهاً .

مثل السماوات والأرض إذا قال لهم الله : ﴿ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ وفي النهاية كل لله راجع .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤)

صدر لنا هنا أمراً إلهياً من الله عز وجل يجب ألا نجادل فيه وهو أن تقول : آمنا بالله وبالقرآن وبما أنزل من صحف إبراهيم له وإسماعيل وإسحق ويعقوب وما جاء موسى من تورا وما أنزل من إنجيل على عيسى وجميع ما أنزل على النبيين من ربهم لا نفرق بين أحد منهم كلهم أنبياء الله وكلهم جاءوا برسالات الله وهي التوحيد وكلهم كانوا مسلمين لله ويجب أن نكون نحن أيضاً مسلمون له .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥)

هنا قرار إلهي وحكم لا رد له وهو الإسلام والتوحيد لله من يتبغي غير هذا دين آخر فلن يقبله الله منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

منذ أن نفخ الله من روحه في جسد آدم الطيني هذا النفس الرباني وظن آدم أنه على كل شيء قدير فاختار حرية الإرادة في أن يفعل أو لا يفعل ومن هنا عصى آدم ربه في أول اختبار له حين حرّم الله عليه الأكل من الشجرة المحرّمة وكان هذا أول الخيطة فبعد أن نزل آدم من الجنة التي كانت كاملة بإذن الله تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها نزل ليثبت له الله أنه لا يقدر على شيء وأنه مدين بالاعتذار عن قبوله آمنة

التكليف لأنه يجهل معنى التكليف وصعوبته .

ولكن ابن آدم ما زال يعاند ويكابر من حيث أنه مصمم على أن ينجح في كونه إله على الأرض ، ولذلك يقول الحق أن أي من البشر لا يأتي فيقول : أن لا إله إلا الله ويسلم لله نفسه وفعله وروحه وكل شيء فلن يقبل الله منه أي عذر آخر يوم الحساب ، يوم يعلم الإنسان كم هو غبي لا يقدر على شيء وإنما الله وحده هو القادر على كل شيء .

ولذلك يقول الحق : من أدرك شيئاً غير أن يسلم لله فلن يفعل هذا منه وفي الآخرة يعني في الحياة الأبدية بعد الموت والبعث والحساب هو من الخاسرين الذين خسروا كل شيء .

قال رسول الله ﷺ : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم ، فيقول الله : قد أردت منك ما هو أهون من ذلك ، فقد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم ألا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك » .
متفق عليه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٦)

هذه الآية تنطبق على العصر الحالي أكثر مما تنطبق على المرتدين في عهد الرسول ، أو أهل الكتاب الذين كذبوا بالإسلام وبرسالة محمد ﷺ .

فإني أرى أنها تنطبق على كثيرًا من المسلمين هذه الأيام ، حيث أن نجد البطاقة الشخصية مكتوب فيها : الديانة مسلم .

وقد نشأ هذا المسلم في بيت أبواه فيه مسلمان ، إسلامهما مثل إسلامه على

هامش المعنى الإسلامي .

فالإسلام هو رمضان وفوازير التلفزيون والراديو وكعك العيد وثياب العيد وفي عيد الأضحى أكل اللحم ولبس الجديد وفي مولد النبي حلاوة المولد ، وهكذا ، هذا هو الإسلام .

وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ولكن ...

ما هي علاقتهم بالإسلام ؟ لا شيء فهم لا يقيموا من الإسلام إلا مظاهره فقط ويكادوا لا يقيمون فرائض الله من صلاة أو زكاة أو حج وبالكاد يصوموا وقد لا يصوموا .

وهذه الآية تصور لنا هؤلاء المسلمون بالبطاقة أنهم عار على الإسلام .

إن الإسلام كيان كامل ، بنيان قائم إذا هدم منه جزء انهار باقي البنيان ليس الإسلام أن أشهد أن لا إله إلا الله باللسان ولكن الإسلام إيمان بالقلب ويصدق العمل .

فقد علموا أن الرسول حق وجاءتهم آيات القرآن بينات وكانوا مؤمنين وشهدوا أن الرسول حق ولكنهم ظلموا أنفسهم وظلموا دينهم وظلموا الناس .

والله لا يهدي القوم الظالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

أولئك جزائهم أن الله طردهم من رحمته ولعنهم ولعنهم الملائكة والناس أجمعين في الدنيا والآخرة ؛ لأن قول الحق : والناس أجمعين يعني الناس الحاضرين

معهم في الدنيا يرون سلوكهم ويوم القيامة يجتمع كل الناس فيرون أعمال هؤلاء الظالمين فيلعنوههم أيضًا .

خالدين في العذاب لا يخفف عنهم ولا ينظر الله لهم ولا ينظر في أمرهم أو يرحمهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨٩)

تتجلى رحمة الله على عباده هؤلاء في هذه الآية فيفتح لهم بارقة أمل لمن تاب منهم وعاد إلى الحق فإن الله غفور رحيم وهو يقبل التوبة عن عباده .

وهنا يفتح الله المجال لعل هؤلاء الظالمين يعودوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم ويتوبوا إلى الله حتى يغفر لهم الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٩٠)

أما الذين كفروا بعد إيمانهم يعني ارتدوا عن إسلامهم ثم ازدادوا في الكفر وانشرح قلبهم للكفر لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون يعني الضائعون لأنهم بعد كفرهم حاربوا الإسلام والمسلمين وزادوا في إيذاء المسلمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٩١)

ما زال التحذير قائم من الله عز وجل إلى عباده لأنهم إذا ماتوا وهم كافرون فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به نفسه لأن لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين أو مغِيثين من العذاب .

لماذا ؟ لأن العملة المتعامل بها يوم القيامة ليست الذهب أو الفضة إنما التقوى
فإن الله عملته يوم القيامة التقوى فيقول : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْتُمْ﴾ .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢)

يخبرنا الحق في هذه الآية من خلال وصف صورتين : الأولى بينه وبين العباد
يوم الدين ، والأخرى بينه وبين عباده في الدنيا .

الأولى : يصور لنا الحق إحسانه إلى عباده الذين أنفقوا من أموالهم التي يحبونها
وكيف أتم لهم الإحسان والخير الكامل يوم الحساب ، وقد يكون الإحسان للعباد
في الدنيا قبل القيامة فيعطي من أنفق من أحب ماله خيراً ومال خير من ماله ثم يوم
القيامة يدخله الجنة حيث النعيم المقيم .

الصورة الثانية :

العبد ينفق من ماله ورب العزة يرى العبد وهو ينفق ويرى ماله حين ينفقه
ويعلم نوع هذا المال هل هو مال حسن أم أن العبد ينفق من المال ما لا يحب : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ، فهو يعلم لذلك حين تقدم لله شيء يجب أن يكون
أحسن شيء لأنه يقع في يد الله قبل أن يصل لمن يحتاجه فيعلم ما هو وما النية التي
أخرج بها ، هل هي لله أم لغيره ؟ فكن حذراً حين تتعامل مع الله في الخلق والمال .
وما الذي يجبر الحق على أن يثينا ويعطينا وهو صاحب المال وصاحب الفعل
ومالكنا نحن أيضاً إلا لأنه عظيم كريم رحيم رؤوف وهاب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣)

أحل الله كل الطعام لبني إسرائيل وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام ويعقوب

حرم على نفسه بعض أنواع الطعام هذا قبل نزول التوراة على موسى .

هذه الآية تبين لنا سماحة الله عز وجل في حلاله وحرامه فهو لا يكلفنا ما لا طاقة لنا به ولا يحرم إلا ما هو ضار لنا .

هذه الآية توجهنا ألا نشدد على أنفسنا في تحريم ما أحل الله لنا يعني لا داعي أن ينذر أحد منا ما يطيقه الآن وقد لا يطيقه بعد مدة ، فمثلاً من ينذر أن يصوم كل يوم اثنين وخميس طوال حياته فقد يمرض ولا يستطيع أن يوفي بالنذر أو كمن يحرم على نفسه بعض أنواع الطعام وربنا لم يحرم علينا هذا ، وهذا مما لا يجب أن يفعله مسلم .

وكان الله يذكر في هذه الآية أنه لم يحرم في التوراة ما حرم به إسرائيل على نفسه من أنواع الطعام التي كانت حلاله ويحاججهم بأن يأتوا بالتوراة فيتلوها إن كنتم صادقين في أن الله هو من حرم .

ربي لت يا حبيبي في حاجة لتحتاجج هؤلاء فأنت سيدهم ومولا هم فإن ضلوا فعلى أنفسهم وإن اهدوا فلا أنفسهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٤)

إذا ربطنا معنى الآية بالتي تسبقها فإن الله يحذر بعد أن تبحثوا في التوراة والتوراة هي كتاب الله لموسى عليه السلام فتجدوا أن الله لم يحرم على بني إسرائيل الطعام ولكن إسرائيل هو الذي حرّم على نفسه ، فتكون هذه الآية تحذير لبني إسرائيل من الافتراء الكاذب على الله واختلاق الأكاذيب ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى فإنهم هم الظالمون .

ولكن بما أنها آية منفصلة فهي شاملة كل البشر ، بمعنى أن من يخلق الأكاذيب على الله وينسب لله ما ليس لله فإنه ظالم أشد أنواع الظلم ولا يظلم إلا نفسه في النهاية .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أمر إلهي لكل البشر اختص به رسول الله ولكنه أمر شمولي ، قولوا جميعاً أيها البشر السابقين والحاليين والقادمين إلى يوم الدين : إن الله صادق واتبعوا دين إبراهيم الذي سبق التوراة وكان مائلاً من الباطل إلى الدين الحق موحدًا بالله ولم يكن من المشركين وهذا أمر من الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

طلب آدم من الله أن يجعل له في الأرض بيت يكون تحت عرش الرحمن ويكون مثل البيت الذي في السماء السابعة وتطوف الملائكة حوله فأمر الله الملائكة بوضع البيت الحرام في مكة وهي مركز اليابسة على الأرض وفوقها يوجد البيت المعمور في السماء السابعة فوضعت الملائكة القواعد للبيت في ذي القعدة ، وحج آدم وطاف وصلى بالبيت هو وحواء وعمر البيت مدى من الزمان .

ثم جاء الطوفان وتوالت التغيرات على الأرض ونسي الناس البيت الذي كان لآدم ، وبعث الله إبراهيم ليحيي ذكرى أول بيت في الأرض ويقيم مبانيه على نفس القواعد التي وضعتها الملائكة في عهد آدم ، هو هداية للناس من رب العالمين حيث فيه إجابة الدعاء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ وَإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ

أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾

في هذا البيت المقام الذي كان يصلي فيه ووجهه للكعبة فهو الذي أقام البناء فوق القواعد هو وإسماعيل ، وقد كان محمداً في صلب إسماعيل آن ذاك .

والآيات البينات هي معجزات واضحة لمن يحج البيت وهو إذا طلب من الله استجاب له .

فالطلب بدون تغيير في الفعل بمعنى أننا يجب أن نختار ألفاظ الطلب بدقة ونتأكد بأن هذا ينفذ كل ما نطلبه منه في هذا المكان كرامة لهذا المكان ، فالحذر الحذر حين يطلب من الله في هذا المكان فقد يدعو الإنسان بالخير دعائه بالشر وهو لا يعلم .

ومن دخل البيت كان آمناً كم كل سوء لأنه تحت عرش الرحمن حيث الرحمة نازلة على المكان طوال الوقت دون توقف .

يقول الحق : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

هذا أمر من الله لكل الناس منذ آدم إلى آخر إنسان على الأرض هذا حق لله على الناس لأن هذا المكان أول مكان سجد فيه آدم لله ووجب أن يتبع أبناؤه شرعته فقد حج كل أنبياء الله إلى هذا البيت ، والسبيل الآن ليس المال فقط ولكن الإسلام أيضاً، بمعنى الله على الناس أن يسلموا ثم يحجوا البيت ولذلك يقول الحق : ومن كفر من الناس ولم يسلم فإن الله مستغني عن العالمين ولكن العالمين ليسوا في غنى عن الله عز وجل .

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنۢ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوْجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

يقول أهل الكتاب الآن أن حج البيت ما إلا وثنية وعبادة للأحجار وهذا كذب فإنها مشاعر إنسانية ووفاء لآبائنا وأولهم آدم .

يوجه الحق في هذه الآية اللوم لأهل الكتاب بأنهم كفروا بآيات الله وأوامره .

والله يرى ما يفعلون .

ويؤكد الحق هذا الأمر مرة أخرى بأن يجب أن نقول لأهل الكتاب أن لا يمنعوا من آمن عن سبيل الله وذلك إشارة في العهد الحديث أن من يسلم من المسيحيين أو اليهود يلاقي الأمرين من أهله فهم أول من يحاربه وهذا ما يحدث الآن إذا اعتنق أحد من أهل الكتاب دين الإسلام يواجه بكل أنواع الاضطهاد والعقاب من أقرب أقاربه .

ويحذرهم الله نفسه بأنهم من آمن منهم أو من غيرهم يحاربوه يريدون أن تنحرف كل الدنيا على الرغم من أنهم يروم أنها الحقيقة وأن حرية العقيدة هي أبسط حقوق الإنسان والله لا يغفل عما يعملون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا أَفْرَقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ



التحذير هنا لمن آمن وأسلم من المسلمين أو من أهل الكتاب أن يطيعوا فريق من أهل الكتاب الذين يحاربون الإسلام لأن في طاعتهم ارتداد عن الإيمان وكفر والعياذ بالله .

نجد الآن في مصر أن من يريد أن يسلم من المسيحيين تعيده السلطة إلى القساوسة في الكنيسة «قال إيه» ليعرضوا عليهم عدم الإسلام .

ما هذه المهزلة ؟!

أرى أن الإسلام يهان في بلده فأين الجزية المفروضة عليهم وهم صاغرون كما قال الله ورسوله ؟!

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ

هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

هذه الآية تبين سر من أسرار الله عز وجل ، فهو في أول الآية يتعجب كيف يكفر المسلمون وهم يتردد فيهم آيات الله من قرآن ومعجزات تحدث كل يوم والسر هو أن رسول الله ما زال فينا ، أو لا ترك لنا ميراث من السنة النبوية التي وضحت كل أمور المسلمين من قول وفعل وإقرار .

ثم إن الرسول فينا بصورة غير مرئية ، لأغلب البشر ولكن حين يخبر الحق أن فينا رسول الله إذن هو بيننا ولكن لا نراه ولذلك يقول الرسول ﷺ : «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» .

إذن هو معنا يرى ويسمع ما يحدث لأمته .

وفي آية أخرى يقول الحق : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ .

إذن هو بيننا يسمع ويرى أمته .

ويدعونا الحق أن نعتصم بالله يعني نلتجئ إليه ونتمسك بدينه حتى لا نضل ونكون على هدى من الله ونسير على الطريق المستقيم في الدنيا فنعبّر الصراط المستقيم سريعاً في الآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٠)

يقول الحق معنى رائع ينطبق عليه ترتيبه للعلاقة بين العبد وربّه فيقول ما معناه :

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق التقوى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

رتبت العلاقة بين العبد والرب :

1- الإسلام بقواعده الخمس .

2- الإيمان بالله .

3- اليقين .

4- المعرفة .

5- المحبة .

6- الإسلام .

لقد اختصر الحق هذه العلاقة في ذكر ثاني درجات العلاقة وهو الإيمان ثم يذكر أعلاها وهو التسليم لله بكل الكيان والروح والجسد لله وحده هذا قبل الموت فيقول : لا تموتوا قبل أن تسلموا أنفسكم لي .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٣)

هذه الآية تصوير رائع من الحق للعلاقة التي يريد عليها عباده المؤمنين .

على الرغم من أنها أوامر إلهية تأمرنا بالتمسك بعهد الله ودينه وكتابه والصلة الموصولة بالله كأنها حبل مجدول وممدود من الله لنا ولكن كلنا مع بعضنا البعض في اتحاد كامل فلتعلم بيننا وبين بعض وأيضا التصاق بحبل الله .

والتصوير هنا :

كأن الله قد مد لنا حبلًا لنتمسك به في الأرض ونحن جميعًا نتعلق به ونكون كأننا جزء من هذا الحبل من شدة التلاحم والاتحاد وكأن الحبل قد جدل من مدد الله ومن المؤمنين فكان حبلًا متينًا في تكوينه وشديداً في رباطه ولينًا في التفافه حول بعض البعض وكأن المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وترباطهم بالله كالحبل الواحد عراه لا تنفصم أبداً .

ويشبه الحق عهده ومنهجه بأنه حبل والحبل من صفاته أنه مرن على الرغم من شدته وقوته فهو متحرك لين مرن يستطيع أن يتوجه في أي اتجاه وقد يطول ويقصر حسب الحاجة وهذا هو تصرف الله مع عباده الذين يتمسكوا بعهده ومنهجه طرف الحبل في أيدينا نحن والطرف الآخر في يد الله في أعلى عليين يوجهنا حيث مصلحتنا ونفعنا في الدنيا والآخرة .

ويطالبنا الحق أن نتمسك كلنا في توحيد كامل بحبل الله ، وهذا التصوير يبين قيمة غالية لعلماء الاجتماع يجب أن تدرس في الجامعة وهي المجتمع إذا كان كله على منهج واحد متشابه ومتجانس وهذا المجتمع يطبق نفس السلوك والقوانين والقيم والأخلاق وكأنهم رجل واحد .

مجتمع إذا نودي للصلاة ترك كل من في يده الشيء هذا الشيء وتوجه للصلاة مجتمع لا يحتاج إلى حارس من البشر فقد أمن كل من فيه على ماله وعياله وبيته وتجارته فلو ترك باب محله مفتوحاً وبضاعته معروضة عاد إليها بعد الصلاة فوجدوها كما هي لا تمتد يد إليها لتسرق أو تفسد هذا هو المجتمع الذي يريده الله للبشر جميعاً ، مجتمع خلا من الحقد والحسد والغل كل من فيه إخوان متحابين لا يشعب فيه أحد وجاره جائع .

لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بشدة تقواه وورعه وليس بماله وسلطته .

مجتمع تحكمه مكارم الأخلاق قبل أن يحكمه القانون والسلطات .

مجتمع تمشي فيه الملائكة في الطرقات فلا ترى إلا خيراً وبراً ورحمة .

مجتمع تتوافق فيه الطبيعة المنسجمة من سماء وأرض وبحر ونهر وشجر وشمس وقمر مع بشر منسجمين في جمالهم مثل الطبيعة ليس فيهم أي خلال كم هو رائع هذا المجتمع الذي يريده لنا الحق أن نعيش نحن البشر في الأرض هل هناك ما هو أجمل من هذا المجتمع ؟

وهذا يتم بالصدق مع النفس في أنها تريد أن تكون جيدة تحب لغيرها ما تحب

لنفسها ولكن هذه النفس تتضاربها الأهواء والرغبات نفس عكسها : سفن .

وكأنها سفينة في بحر الأهواء .

فمن يملك هذه النفس إلا الله ؟

فإذا صدق النية في الطلب من الله أن يصلح له نفسه ويتمسك بحبل الله وهو رحمته الممدودة له فإن الله يمد له يد العون بأن يصلح له نفسه ويؤلف بينها وبين نفوس باقي المجتمع فيصبح المجتمع كله إخوان بنعمة الله عليه .

ويذكرنا الحق بأن حياتنا منذ اليوم الأول لولادتنا في الدنيا إلى آخر يوم فيها ، كم من الأحداث التي مرت بنا كنا فيها على وشك الهلاك والضياح بأي صورة من صور المحن التي في الأرض من مرض أو فقر أو حوادث أو فقد أهل ومال أو حرب من الحروب أو أحداث مما يتعرض لها الإنسان في حياته وفي كل مرة ينقذنا منها فلعنا نتذكر كل مرة امتد لنا حبل من الله لينقذنا من المهالك .

وهذه كلها آيات معجزات من الله لنا لعلنا نذكرها ونهتدي أن أهم ما في الحياة هو التمسك بعهد الله ونعرف أن حبه لنا أكثر من حبنا له ونتوجه إليه بهذا فلا نترك حبل حبه الممدود لنا ولا نسأل غيره ولا ننتظر أحداً غيره لأنه هو كل ما لنا في الدنيا والآخرة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤)

هذه الآية تبين ما سبقتها من آية يقول الحق : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ يقصد أن تكون كل أمتكم هذه كل فرد فيها كأنه إسلام يمشي على الأرض ، وكأنه يصف في

كلمات الآية هذه صورة المجتمع الذي سبق ووصفته فيقول :

فلتكونوا أمة صالحة كل أفرادها دعاة لدين الله يأمرون بالمعروف ويأثمرون به ، وينهون عن المنكر وينتهون عنه يأمرون بالخير ويأثمرون وينفذوه على أنفسهم قبل الناس ، وهنا هو الفلاح والنجاح في الدارين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

هنا يضرب لنا الحق من الأمثلة بالأمم السابقة التي هلكت وأبيدت بعدما آتاهم الله من فضله هدى ومعجزات وكتب ورسل .

ولكنهم تفرقوا كل واحد يبحث عن رغباته فقط لا يهتم لأمر الآخرين ويبحث عن مصلحته ولو على حساب الآخرين والشرع والدين ، واختلفوا وهم في مجتمع واحد كل يذهب في اتجاه غير الآخر .

تخيل المجتمع هذا مثل قطعة قماش كل واحد يجذبها إلى ناحية بشره ماذا يحدث ؟

تتمزق القطعة إلى أشلاء ، وهكذا المجتمع الذي اختلف أعضائه يتمزق ويضيع هباء ، وتكون حياتهم عذاب في عذاب أي عذاب عظيم ثم يوم القيامة يحاسبوا ويعذبوا أشد العذاب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

يصف لنا الحق يوم القيامة وأثره على وجوه الناس يوم الحشر ففهم أناس تبيض وجوههم حتى وإن كانت في الدنيا سوداء فهي يوم القيامة بيضاء في اللون

ومن الفرح والسرور والبشر تزداد بهاءً ونورًا وبياضًا وإشراقًا من شدة الفرح بما تراه من حسن استقبال الله لهم وبأعمالهم الصالحة في الدنيا فترى وجوههم كأنها نور الشمس من السعادة بما أعد الله لهم .

وفي المقابل ترى آخرين كانوا في الدنيا يبض الوجوه ويومئذٍ تسود وجوههم وتصبح سوداء اللون ومن شدة الغم تظلم أكثر وأكثر فتصبح سوداء كقطعة الليل المظلم من سوء ما عملوا ومن سوء مقابلة الله لهم وحزنهم على ما فرطوا في أعمالهم في الدنيا ولم يعملوا لهذه الساعة التي سودت وجوههم وكأن عملهم الأسود قد طبع على صفحة وجوههم البيضاء فسودها فأما من اسود وجهه يقال له : أنت كفرت بعد إيمانكم ، وهنا تعود إلى مسلمين البطاقات الذين ولودوا من آباء مسلمين ولكنهم بعد أن من الله عليهم بنعمة الإسلام كفروا بأفعالهم واتبعوا شهواتهم وظنوا أنهم لا يرجعون إلى الله فيحاسبهم .

وبدل من أن يكونوا بإسلامهم وإيمانهم أمة صالحة تدعوا للخير نجدهم ضاعوا وأضاعوا مجتمعهم بانحرافهم ، ففي هذا اليوم يذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون والكفر هنا بأنهم طمسوا الإيمان وأنكروا نعم الله عليهم من إسلام وهداية وصلاح .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْضَتْ وَجُوهُهُمْ فَبِإِيمَانِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠٧)

وأما الذين ابضت وجوههم ففي رحمة الله وهي رضوانه وجناته ونعيمه الأبدي الذي لا ينهي وهم فيها أيضًا لا ينتهون وهم فيها خالدون أبدًا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٨)

يقرر لنا الحق هنا أنه ما ذكر هذه الغيبات التي في المستقبل لعل الناس يعقلون

ويفهمون ويؤكدون أن هذا هو الحق .

وهذا خطاب لرسول الله ﷺ ومن بعده لكل فرد من أمة محمد يجب أن يوصل هذه الرسالة لكل من حوله من الناس ويعلمهم ما هو مصير كل من الكافر والمسلم ، ويوضح لهم أن الله لا يريد أن يظلم أحداً من العالمين ، ولا يريد أن يظلم أحداً نفسه رحمة من الله لخلقه وعطف عليهم فيعلمهم بهذا المصير لعلمهم يرجعون .

في هذه الآية كأن الله يتكلم بمتهى الحنان مع خلقه ويصرهم بالمصير المحتوم رحمة وحنان منه عليهم ويقرر أنه لا يريد أن يظلم أحد الناس والخطاب هنا على الآيات السابقة لهذه الآية وأيضاً على الآيات التالية لها في نفس السورة .
فأمة محمد مكلفة بالتبليغ عن محمد لأن الله لا يحب أن يظلم أحد وأن أحد يظلم أحد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

كل ما في السماوات وما في الأرض ملك خالص لله ليس فقط من مخلوقات وأجرام أجسام وكائنات ولكن تصريف أمورهم أيضاً بيد الله عز وجل .

وهذا إعلام من الله لنا أن السماوات مملوئة بمخلوقات الله التي لا نعلم عنها شيء وما نعلمه قليل القليل ، وكل ما نعلمه عنها أن فيها ملائكة كثيرة الأنواع والأشكال وفيها بشر وفيها جن وفيها ما لا نعلمه من مخلوقات كلهم عبيد الله .

وما في الأرض أيضاً من مخلوقات كلهم أيضاً عبيد الله وكل أمور مخلوقات الله ترجع إلى الله في التصريف وهنا كل الأمان لمن آمن بالله .

حيث يطمئن الحق عباده بأنه مولى كل أمورهم فلا خوف ولا حزن ومن يفهم هذه الآية ولا يتوكل على الله في كل شيء فهو غبي ويكلف نفسه فوق ما تطيق فلما

تتكلف ما كلفه الله لك فحين ترجع كل أمورك لله تستريح وتريح فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وكما قال الرسول ﷺ في حديث طويل : «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف» .

بمعنى أن ما سيكون قد كتب ورفع القلم وجف حبره من طويل وهذا معنى وإلى الله ترجع الأمور .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠)

هذا إقرار من الأزل قد كتبه الله في علمه أن أمة محمد كانت خير أمة من الناس الذين خلقهم الله لأن صفتكم أنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

ولو اتبعكم أهل الكتاب وآمنوا بما آمتم به لكان خيراً لهم .

هنا أجد الحق حريص على أهل الكتاب ويتمنى إيمانهم ولذلك نجد لفظ «ولو» وهو حرف تمني من الله عز وجل .

ستقول لما لم يجعلهم مؤمنين لأن الله أعطى البشر حرية الإرادة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهل يعود الله في عطائه لا لن يكون هذا .

لأن الله حق فقد قال أن منهم مؤمنون ولكن أكثرهم الفاسقون ، أي الخارجين على دين الله وعن التوحيد وهذا هو الحق ففي هذه الأيام نجد أن أغلب أهل الكتاب مشركين بالله والعياذ بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدَّ بَارِئُمْ لَا يُضْرُونَ﴾ (١١١)

هذا بلاغ من الله لكل المسلمين الذين وصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس .
والبلاغ أن الفاسق من أهل الكتاب لن يضرروا المسلمين وإن كان منهم ضرر
فهو أذى بسيط بالكذب أو التهديد ليس إلا ، ولكن هذا إذا كنتم على عهد الله
متمسكين بدينكم وعهدكم مع الله ، وإن حدث بينكم قتال فهم في فرار منكم لا
يستطيعون المواجهة وهم لا ينصرهم الله ، ذلك لأنهم ليس لهم ثبات على عهد مع
الله أو مع الناس .

في هذا المعنى ، معنى خاص ، وهو أي إنسان ليس على عهده مع الله فلا تخافه
أيها المسلم الحق من فقد دينه فقد أماته .

وفقد هيئته وقيمته فلا تقيم له وزن أو قيمة فهو حقير لأنه ترك العزة بالله ففقد
عزته وكرامته .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١١٢)

هذه الآية تؤكد المعنى السابق فيقول : أن من فقد دينه وفسق عن أمر ربه فإنه
أحاط به الذل والتصق به المهانة ، في أي مكان وجدوا فيه مهما كان لهم من مال
أو سلطة فهم في ذل ومهانة .

قسم الله في هذه الآية الناس إلى صنفين :

1- المؤمنون حقاً .

2- الفاسقون «الخارجين من دينهم» .

وصف الصنف الثاني هم الذين تركوا دينهم بأنهم كأن الذي قد دمغ ووصم فيهم في جسمهم وأرواحهم في حالة ذل ومهانة مهما وصلوا في الأرض من علو في مال وسلطة وفي أي مكان في الأرض ذلك في كل الأوقات والأماكن والأموال إلا في حالتين أن يعاهد الله الذين آمنوا بأن لا يؤذوهم أو يزلوهم وهذا عهد من الله ومدد منهم لهم لأنه هو خالقهم وهو الرحمن الرحيم .

ولهذا العهد أشكال كثيرة بدأ من دفع الجزية ونهاية برحمة الله بعباده حتى العاص منهم والثانية «بجبل من الناس» .

ذلك لأن الله أمرنا بالوفاء بالعهد والناس جميعاً حتى الذي لا دين له يحترمون مكارم الأخلاق ، ويحبون الموفون بالعهد فمن الناس من يعاهد هؤلاء الفاسقين وكثيراً ما هم هذا الزمان فكم من دولة مسلمة هادنت إسرائيل وعملوا معهم اتفاقيات للسلام والمهادنة والمعاملات المادية على الرغم أن أي مواجهة مع إسرائيل لو اتحدت الدول الإسلامية فإن المسلمون هم الغالبون .

يقول الحق : ﴿وَبَاءُ وَيَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ .

كلمة ﴿وَبَاءُ﴾ توحى بأن الله لم ينزل غضبه إلا من شدة خطاياهم التي تعدت حدود صبر الله عليهم وهذا المعنى يفيد أن الله ليس سريع الغضب على عباده فهو رحيم ، ورحمته سبقت غضبه .

وكأنه سبحانه وهو يقول هذه الكلمة ﴿وَبَاءُ﴾ أشعر أنه حزين عليهم وعلى أنه أنزل عليهم عقابه ولكن الله هو العدل كما هو الرحمن .

وكان أن جعلهم أذلة مهانين في الأرض وأول هذه المهانة أن يحكمهم غيرهم ويتحكم فيهم كل الناس وهم أذلة صاغرون مستضعفون .
والأدلة على ذلك كثيرة .

فرعون يسخرهم ويقتل أنبائهم ويستحيي نساءهم .

الرومان وما فعلوه في أهل الكتاب من قتل وحرق وتنكيل وغيرهم من الأمم مثل الألمان وهتلر الذي كان يحرقهم في أفرن أحياء ... وغيرهم كثير .

ولماذا باءوا بهذا الغضب من الله ؟

لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله من تحريفهم للتوراة والإنجيل وتكذيبهم بالقرآن .

وكذلك لأنهم قتلة الأنبياء بغير حق ظلمًا وعدوانًا مثل يحيى وزكريا وغيرهم .
وكذلك لعصيانهم أوامر الله ورسله وأيضًا لأنهم دائمًا في حالة اعتداء على الآخرين وبينهم بين أنفسهم فهم دائمًا في عدوان .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنِ آتَاهُ سُلْطَانٌ مِّنْهُ لَيَسْجُدَنَّهُ ﴾

﴿ ١١٣ ﴾

ليس أهل الكتاب يستوي واحد مع الكفر والعصيان وليس على علاقة مع الله متشابهة .

فمنهم قوم ما زالت موجودة وهذا معنى قول الحق : ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ كلمة قائمة ، يعني ما زالت موجودة .

يرددون آيات الله في ساعات الليل حيث السكون والخلوة والإخلاص والقنوت لله وحده .

وهم ساجدون لله خاضعون له وبه مؤمنين ، وهذا واضح في كثيرًا من دول العالم حين تمت أحداث 11 سبتمبر بدأ الناس يتساءلون عن دين الإسلام وكثيرًا منهم آمن به بعد أن درس وعرف أنه الدين الحق الذي ذكر في كتبهم التي لم تخرف وهذه هي وصية الأنبياء والسابقين لأممهم وأممهم أبلغت أبنائهم وتوالت الروايات إلى الآن في كتب الله من توراة وإنجيل وغيرهم مما ذكر من صفات النبي

الخاتم وفرقانه ودينه فمنهم من يعتقد في هذا أو يؤمن به ومن ثم بعد أن يعرفوا الإسلام فإنهم يعتنقوه .

ومنهم من يظل على ملته دون تحريف يؤمنون بالله الواحد الأحد على شريعة إبراهيم أو موسى أو عيسى دون تحريف لشرعهم أو دينهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤)

وهؤلاء يؤمنون بالله الواحد الأحد واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ويأثمرون به وينهون عن المنكر ويتتهون عنه .

ويسارعون في عمل الخير الكثير .

وهؤلاء من الصالحين .

وهم من أهل الكتاب السابقون واللاحقون أيضاً فهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وبكل أنبياء الله ومنهم محمد الذي وجدوه مكتوب عندهم في كتبهم أنه نبي آخر الزمان .

وقد يكون عدم شهادتهم بأن محمد رسول الله ﷺ لعدم سماعهم بدعوه محمداً «أو يكونوا سمعوا أو لم» «يبحثوا ولم يكذبوا أو يصدقوا» .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١٦)

وهنا يتجلى الله الحق باسمه العدل فيقول أن فعلهم الخير هذا لن يحرموا منه بل سوف يكافئهم الله عليه لأن الله أعلم بمن هو أتقى .

ولا يتعارض هذا مع قول الحق : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ لأن الإسلام موجود منذ آدم فكل الأنبياء كانوا مسلمين وقد قال كل نبي مقولة في كتاب الله وقال عن نفسه أنه من المسلمين مثل موسى يقول الحق على لسانه : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وعن إبراهيم : ﴿ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ .

وعن سليمان قال الحق عن لسانه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ .

وهكذا باقي الأنبياء من آدم حتى محمد ﷺ فقد يكون هناك أناس من أهل الكتاب لم يسمعوا بدعوة محمد ﷺ وهم على دين عيسى وموسى وإبراهيم أو غيرهم ، فهل يحرموا ثواب إيمانهم بالله لا لأن الله ليس بظلام للعبيد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١٣)

هنا قرار إلهي للذين كفروا أن أموالهم ولا أولادهم لن تدافع عنهم أو تجزي عنهم شيئاً من حساب الله لهم وهم أصحاب النار وهم فيها خالدون .

لن ينفعهم مال أو أولاد وأي شيء سينفعهم أو ينجيهم بعد كفرهم ومصيرهم محدد بالخلود في الجحيم .

الإسلام لله هو المنهج الذي وصفه الله لبني آدم فمن لم يمشي على منهج الله فليس له إلا جهنم ، ولترى كلمة منهج .

منهج عكسها : جهنم .

وهذا معناه أن من يعكس منهج الله في الأرض فليس له إلا جهنم في الدنيا

بعذابها وآلامها من فقر وجهل ومرض وفقد وحاجة في الآخرة هي الجحيم بكل عذابه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

يصور لنا الحق أعمال الذين كفروا في هذه الآية فمنهم من يعمل جمعيات خيرية ومنهم من يفتح ملاجئ للأيتام ، ومنهم من يقدم تبرعات لجهات الخير وأيضا منهم من يفعل الأعمال الصالحة في إصلاح المجتمع ولكن كل هذه الأعمال لا يبعثون وجه الله بها ولكنهم فعلوها ليقال : أنهم خيرين أو لكي يهربوا من الضرائب أو ليقال : أنهم مصلحين ونسوا أن الله أكبر من كل تلك الأشياء ومن أنفسهم .

وفي هذه الآية يصور لنا الحق صورة رهيبة ليضرب لنا بها مثل لهؤلاء الناس .

كأن هؤلاء الكافرين عندهم أرض مزروعة وقد نما زرعها حتى كاد أن يثمر وقبل أن يتم نموه أصابها الله من ظلمهم بريح شديدة قوية عنيفة فيها برد شديد فأهلك هذا النبات فلم تبقى منه شيء بسبب شدة الريح وبرودتها وقد تكون الريح تحمل سموم حارة تحرق هذا الزرع فلا يبقى منه شيء بظلمهم .

ولم يظلمهم الله ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وجعل أعمالهم لغير الله .

فلم يكن الله ليظلم أحدا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخِذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾



هنا يعلم الله الذين آمنوا بعض الحكمة في اختيار الأصدقاء وهذا لنا جميعاً حين نتخذ صديقاً .

فيقول :

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا أصدقاء أو خواص أو تتخذوا أشخاص تثقون في مودتهم وتأمنونهم على أسراركم من ناس غيركم أو أدنى منكم في الدين والإيمان أو من هم ليسوا على دينكم أو ليسوا من بيتكم أو أقل عقل وأدب عنكم أو فيهم فساد من نوع ما .

مما يعبثون بأفكاركم فيجلبون لكم الفساد في دينكم .

وهم يتمنون مشقتكم مشقة شديدة ويظهر الكره لكم في كلامهم ، وما تخفي صدورهم من غل وكره أكبر بكثير .

ويقول لكم الحق : ها أنا ذا أبين لكم بالآيات ما لا تعلمون من نصح لكم إن كنتم تعقلون هذا الكلام وتستفيدون مما أعلمه وأنتم لا تعلموه هذه الآية كلها حرص من الله على المؤمنين وعلى علاقاتهم التي قد تفسد دينهم .

فالحق يعلم مدى تأثير الصديق على صديقه .

وقال الشاعر :

لا تسل عن المرأ واسأل عن قرينه

فكل امرء بقرينه يقتدي

فإن الصاحب له تأثير السحر على صاحبه ولذلك يختار الحق لنا أصحابنا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هَآأَنَآ أُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

الحديث هنا عن نوعين من الأصحاب .

إذ اتخذت من أهل الكتاب أصحاب «الفاستق من أهل الكتاب» .

أو إذا اتخذت من أهل الفسق «من المسلمين بالاسم فقط» .

لا يكون المؤمن مؤمناً إلا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه جميعاً ورسله جميعاً من أول آدم إلى محمد .

إذن أنت مؤمن بكل كتاب نزل من الله توراة إنجيل قرآن ، كل الكتب نحن مؤمن بها .

فإذا صاحبت الفاسق من أهل الكتاب فأنت تتعامل معه يجب إخلاص .

أما هم فحين يقابلوكم يدعون الإيمان .

وإذا خلا بعضهم ببعض انتابهم الغيظ من الذين آمنوا وحقدوا عليهم وعلى نعمة الله التي أنعمها عليكم من قوة ومال ودين وكل شيء .

وكذلك صديق السوء الذي لا يستطيع أن يكون ملتزماً في دينه حين يجلس مع المؤمنين من أقرانه فإنه يدعي الإيمان ويجاري أصحابه في إسلامهم أما إذا انصرفوا عن المؤمنين انتابتهم حالة من الكره والحقد والحسد على الذين آمنوا .
وهؤلاء هم أصدقاء السوء .

يقول الحق سبحانه : موتوا بغيظكم فأنا أعلم بما في صدوركم من حقد وغل على الذين آمنوا وهذه الآية تحذير من رب العزة في حالة اختيار المؤمنون لأنصارهم أو أصحابهم أو أصدقائهم يضع شروط :

1- أن يكونوا على دينكم .

2- أن يكونوا على أخلاقكم .

3- لم تعهدوا فيهم كذب .

4- أن تتأكدوا بطريقة ما من إخلاصهم لكم .

5- أن يكونوا على درجة عالية من الإيمان بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢٠)

يكمل الحق وصف بطانة السوء فيقول:

إن جاءكم من الله نعمة تحزنهم وإن تصابوا بالسوء من الألم أو خطيئة يفرحوا بها ويشمتون .

يأمرنا الحق هنا بالصبر فإن صبرنا لن يضرنا كيدهم في شيء لأن الله يعلم ما يعملون وهو محيط به ومحبطه بإذنه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢١)

يصف لنا الحق موقعة أحد فيقول للرسول وحين خرجت أول النهار من المدينة تتخذ للمؤمنين مواقع ومعسكرات للقتال قبل موقعة أحد قسم النبي جيشه إلى ميمنة وميسرة وقلب وساقة .

وقد حدثت هذه الموقعة في الثالث من شوال سنة 3 هجرية .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣)

كان هناك حيان من الأنصار كانا قد فكرا في الرجوع مع من رجع من المنافقين لكن الله ثبتهما فلم يرجعا ، أو شكت هاتان الطائفتان أن تجبنا وتضعفا عن القتال

ولكن الله تولاهم لأنهم مؤمنين ، والله يتولى المؤمنين وهو وكيلهم وهذا إشارة من الحق لنا .

بأن من كان مؤمناً حقاً فليتوكل على الله ما دام على حق لأن الله وكيل المؤمنين ما داموا على حق يذكرهم الحق بأنه نصرهم في موقعة بدر من قبل موقعة أحد وكان المؤمنون عددهم قليل وعتادهم بسيط لا يملكون من آلة الحرب إلا القليل من السيوف والرماح ، ويذكرهم الله بذلك لكي يتقوه ويشكروه .
هذا حكم من الله أن من يتقي الله ينصره الله ويصل من النصر أن يشكره المؤمنون على نصره .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾



كان الرسول ﷺ يطمئن المؤمنون بقوله : ألا يكفيكم أن الله أمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة نازلين من السماء للقتال معكم في صفوفكم ضد الكافرين .

تخيل أنت أيها المسلم هذه الصورة التي يرسمها الله على لسان نبيه في وصف المعركة الغير متكافئة بين فئة كبيرة من الكفار وفئة قليلة من الذين آمنوا ولكن الله الحق العدل يعدل ميزان الحق فينزل ملائكته من السماء عددهم ثلاثة آلاف مدججين بالسلاح لا تخيب لهم رمية ولا ضربة لا يراهم إلا الرسول ﷺ فالقتل يتم للكفار دون قتال مع الملائكة لأن الملائكة نازلين كل واحد منهم بمهمة قتل عدد من الكفار الخاص هو بهم .

صورة رائعة لمن يرى كيف أن عدالة الله أعظم من كل عدل فحين يغيب العدل على الأرض تنزل عدالة الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥)

يخبرنا الحق أن النصر مع الصبر والتقوى فمن كان مقاتلاً عن حق وصبر واتقى الله حق تقواه ويأتيه الكفار من ساعتهم هذه فوراً دون إبطاء فإن الله يمد المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم وخيولهم بعلامات ومغيرين ومسلحين .

هذه الآية ليست فقط خاصة بأوائل المسلمين ولكنها تنطبق في كل زمان ومكان مع المؤمنين بالله المتقين الصابرين .

إذن في كل أمور الحياة التي فيها قتال بين خير وشر أو بين حق وباطل فمن كان على حق ويدافع عن حقه بشروا أن يتقى الله ويصبر فإن الله يؤيده بجنود من عنده لا يعلمها إلا الله وهذا من رحمة الله بعباده الصالحين يتولاهاهم من حيث لا يعلمون أين ومتى وكيف .

ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١٢٦)

هذه الآية تؤكد المعنى السابق في الآية (125) جعل الله هذه الآية بشري للمؤمنين ليطمئن قلوبهم بهذه البشارة بالمدد الرباني من ملائكة الله المدافعين عن المؤمنين ، وذلك لأن النصر من عند الله وحده .

وهو العزيز الذي لا يغلب ولا يقهر وقوة عزته هذه تأتي بحكمة ليست عشوائية ولكنها بقدر وبنظام وبعقل ولا شروط ضابطة محكمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُ غَيْرُهُمْ فَيَتَّقِلُوا خَابِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

وهنا نلاحظ في هذه الآية أن الله لم ينزل هذه الملائكة أو يأتي بنصره على كل الكافرين ولكن على جزء منهم «..... فقط» فيقول الحق : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

وهذا تخصيص لهذه العقوبة اللاحقة التي هي أن يزلهم ويخزيهم بالهزيمة وهم خائبين يعني يعودوا لأهلهم مقهورين مهزومين .

يخاطب الحق نبيه بأن يترك الأمر لله وحده فقد يتوب الله عليهم أو يعذبهم هؤلاء الخائبين لأنهم ظالمون .

هذه الآية تفيد معنى رائع لرحمة الله بما أنه هو للعزیز الحكيم فإن يعذب أو يرحم فذلك بحكمته هو وأن الملك والملوك بيد الله وحده لا شريك له ولا حتى رسوله فإن الأمر بيد الله لعل الله يرحمهم أو يعذبهم بظلمهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

وهذه الآية أيضًا تأكيد للمعاني السابقة في الآيتين السابقتين .

فهو الذي يعذب أو يرحم من يشاء لأن له هو وحده كل ما في السماوات وكل ما في الأرض ، من مخلوقات وهو حر فيما يفعل بما يملك ، ولكن الرحمن يعلمنا بعد ملكه التام للسماوات والأرض أنه غفور رحيم .

وهنا يعلمنا الحق أن لا نحكم على أحد إن كان في ضلال بأنه ضال لعل الله يهديه ويضلنا ، ولعل الله يغفر لهذا الضال ويرحمه لأنه غفور رحيم .

«الحمد لله رب العالمين»

يَتَائِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ ﴿١٣﴾

نعود إلى حدود الله التي يجب أن نعرفها ومنها عدم أكل الربا كبيره أو قليله
محرم وذلك لتتقى الله وعقابه ونكون من الفائزين .

ما معني الربا؟

هو إخراج المال للدين أو للعمل بفائدة ثابتة أو متضاعفة إذا طالت المدة وهذا خطأ لماذا؟

لأنك إن ثبت الفائدة كأنك تشترط على الله أن يعطي هذا الرجل المقرض هذا المال وهذا شرك والعباد بالله .

أو أنك تريد المال دون النظر من أين أتى فهذا أيضًا ضلال لأنك من الممكن أن تعبر هذا المفترض إلى فعل أخطاء من سرقة أو تجارة محرمة أو أنك تعسر على من هو في عسرة أصلاً هذا لصاحب المال .

والمقترض أيضًا حرم عليه الاقتراض بالربا لماذا؟

لأنه أيضًا اشترط على الله وكأنه مثل للآية التي في سورة مريم: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

كَفَرْنَا بِآيَاتِنَا وَقَالَ لِأُوتَيْنَا مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

﴿ الآية .

إذن هو ليس بضامن للرد بالزيادة .

وإذا قبل لحاجة ملحة أن يأخذ هذا المال فلن تنفع هذه الحالة أبدًا لأن صبري على نفسي أرحم من أكل الربا .

لن يفيد هذا المال ولن ينفع في فك أزمة بل هو في حد ذاته سيكون وبال وأزمة

على من أخذه لأن الله قال : ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ أَرْبُؤًا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ الآية .

فكلمة ربا عكسا : أبر أي أصدق وأنفع .

إذن تقوى الله هي الفلاح ، وجاء بكلمة تفلحون إشارة إلى الفلاح والفلاحة التي هي الزراعة التي هي النبت والزيادة في الزرع والتربية للزرع والمزروع من نبات وحيوان وطيور وإنسان وكل ما فيه فلاح .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَنْقُؤُا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣)

يحذر الله المؤمنين من أن أكل الربا يجعلهم في عداد الذين يدخلون النار التي أعدها أصلاً للكافرين به .

فكان أكل الربا عند الله عقابه كالكاfer والعياذ بالله .

وذلك كما بينا في الآية السابقة أنه في شرط الربا شرك بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢)

هذا أمر من الله بطاعته وطاعة رسوله حتى يرحمنا الله من أي عذاب في الدنيا أو في الآخرة .

يصر الله في إشفاق علينا بأننا يجب أن نطيعه هو ورسوله حتى نرحم كأنه أرحم بنا منّا على أنفسنا .

كم من الرحمة يا الله لا حد له إنك حقاً أرحم الراحمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

الآية السابقة (132) مع الآية (133) يرسمان صورة رائعة .

وكان الله حين يقول : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية ثم يقول : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ الآية .

كأن الله ينادي على عباده ويقول : أطيعوني أنا ورسولي وتعالوا إليّ مسرعين تائبين ومستغفرين لكي أغفر لكم وأرحمكم وأدخلكم جنة أعددتها لكم أيها المتقين عرضها السماوات والأرض .

هذا هو العرض فكيف بطولها فإنها أكبر بكثير .

إن الكرة الأرضية هي رحلة واحدة في السماء الدنيا وهي بالنسبة للبشر كبيرة جداً فكأن الله يصف لنا كم حجم الجنة نسبة إلى السماوات والأرض ، لا يمكن تخيل مساحة أو حجم الجنة لأننا لن نستطيع أن ندرك حجم السماوات كلها .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾

ما هو الإحسان والمحسنين ؟

الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه .

والمحسنين : الذين يعبدون الله وينفذون أوامره كأنهم يرونه عز وجل .

ومن هم المتقين المذكورين في الآية (133) ؟

الذين ينفقون أموالهم في اليسر والعسر في حال غناهم وفقرهم كل على قدره .

بمعنى الكرماء في عطائهم لا ييخلون فإن أسوء رذيلة عند الله صفة البخل .

والذين يمنعون غيظهم ويحبسوه بداخلهم فيصبرون ولا يظهرون له أثر من

انفعالات شديدة كالغضب والصراخ أو الأذية لخلق الله والذين يعفون عن الناس ويغفروا لهم .

وكلمة الناس هنا تدل على العموم ليس فقط المسلم ولكن كل الناس يجب أن تغفر للبشر مهما كانت ملتهم وألوانهم أو مكانتهم الدنيوية أو الدينية .

وهنا تتجلى محبة الله للمحسنين ، أي الذين ينفقون في سبيل الله ويعفون عن الناس بحبهم الله حباً شديداً .

قرأت عند أحد العارفين أن جارية له أسقطت إناءً على رجله فأسرعت وقالت : «والكاظمين الغيظ» ، فقال : كظمن غيظي ، فقالت الجارية : «والعافين عن الناس» قال : عفوت عنك ، فقالت : «والله يحب المحسنين ، فقال العارف : أنتِ حرة لوجه الله ، هذا هو المطلوب في التعامل مع الله في الناس هذه هي المسارعة إلى المغفرة من الله وهؤلاء هم أصحاب الجنة التي عرضها السماوات والأرض وهؤلاء هم المتقين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥)

تابع من هم المتقين في الآية (133) الذين إذا عملوا معصية كبيرة متناهية في القبح أو ظلموا أنفسهم بذنوب صغير تذكروا أن الله رقيب وسوف يحاسبهم فيستغفروه من ذنوبهم .

وهنا جملة اعتراضية : ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا حق الله أقره في تلك الآية .

حقاً هل هناك من يملك المغفرة غير الله لأن من يملك المغفرة هو من يملك العقوبة ولكنه سبق بالمغفرة رحمة وعظمة ومقدرة وقدرة لأنه هو الكامل وهو

الكمال ذاته .

والمتقين هم الذين لا يصبرون على المعصية وهم يعلمون أنهم على معصية أو يعلمون أن الإصرار على المعصية كفر والعياذ بالله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١٣٦)

هنا يبين لنا الحق جزاء المتقين وهذا الجزاء هو المغفرة من الله لذنبهم ويدخلهم جنات تجري الأنهار من تحتها خالدين فيها .

هنا يضع لنا الحق حقيقة خاصة بني البشر ألا وهي الخلود فبني البشر كلهم مخلدون لا فناء لهم بعد البعث في القيامة .

ووصف الجنة بأنهار تجري من تحتها الأنهار ، ولكن أنهارها ليست كأنهار الدنيا ولكن أنهار ليس لها في الأرض مثل ، وخص وصفها بالأنهار لأن أعظم شيء في الحياة لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونه هو الماء ويقول الحق : ولقد جعلنا من الماء كل شيء حي فوجود أنهار الجنة من تحتها هو إشارة إلى المدد الدائم للحياة في الجنة وهذا معنى ضمنى للحياة الأبدية والخلود الدائم وما أحسن أجر الذين يعملون الصالحات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٣٧)

يرشدنا الحق إلى البحث في التاريخ ومعرفته ومعرفة الحكمة الإلهية في من كانوا قبلنا من أمم سابقة ، ونبحث في القوانين الربانية في تنظيم الرحمة لهذه القوانين في من سبق وكيف كانت نهاية كل من كذب بأن لا إله إلا الله فيقول عز

وجل :

قد مرت قوانين في كوني وفي الأرض من قبلكم فابحثوا في كل الأرض وانظروا إلى آثار السابقين من أُمم قد كذبت بما جئكم به من حقائق .

وهذا واضح في الآثار الموجودة الآن للفراعنة أو الرومان أو غيرهم ، كم من أمة كانت في حضارة وتقدم علمي وحضاري ثم أبيدت هذه الأمم بسبب سلوكهم السيئ وأخلاقهم الرديئة وتكذيبهم بأن لا إله إلا الله ، وكما قال شوقي :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨)

هذه الآيات السابقة إيضاح وكشف للناس عامة وكافة مؤمنهم وكافرهم ممن سار في الأرض ورأى آثار الأمم التي هلكت بكفرهم .

يوضح مستقبل كل من كفر ويختص الحق هنا طائفة من الناس وهم المتقين فإن رؤية آثار السلف الهالك تزيدهم هدى ويرون فيها عظمة يستفيدوا منها حتى يثبتوا على تقواهم ترى الحق حريص على كل الناس في هذه الآية وأشد حرصاً على المتقين منهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩)

أنا أرى أن هذه الآية هي دعوة من الله إلى الأمة الإسلامية هذه الأيام .
يأمرنا الله بأن لا نضعف أو نذل ولا نضعف عن الجهاد أو نحزن على أنفسنا أو على ما وصلنا إليه من هوان وذلل بين الأمم الأخرى .

وشرط علينا شرط واحد هو الذي يجعلنا أعلى من كل الأمم وهذا الشرط هو

أن نكون مؤمنين فإن إيماننا بالله هو الذي يرفعنا عن الذل والهوان ومن الحزن والهم ؛ لأن الحزن أشد جنود الله في الأرض ففي حديث الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أشد جنود الله في الأرض عشرة :

1- الصخر في الجبل أشد منه .

2- الحديد أشد منه .

3- النار أشد منها .

4- الماء أشد منه .

5- السحاب لأنه يحمل الماء .

6- الريح أشد منها لأنها تحرك السحاب .

7- الإنسان أشد منه لأنه يحتويها في أنفاسه .

8- الخمر أشد منه لأنها تذهب عقل الإنسان .

9- النوم أشد منه يغلب الترنج .

10- الهم والحزن لأنه يمنع النوم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَوُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾

أجد في هذه الآية كلام من الله يحمل في طياته معنى المواساة ، ففيه من التخفيف والترويح من نفوس المؤمنين يرى المفسرين أن هذا الكلام لما حدث في غزوة أحد وغزوة بدر ولكن أرى هذه المواساة لكل زمان ولكل مكان ولكل الناس لأن الحق يقول : ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولم يقل المؤمنين فقط ، وكأن الله يقول لكل أمة ولكل البشر إن إصابتكم أي مصيبة فليست بجديدة

على الأرض هناك من عانى من هذه الآلام من الناس ، ولن تظل الحياة على نمط واحد عند كل شخص فمرة الحياة أفراح ومرة الحياة أتراح وتلك الأيام دول بين الناس .

ف نجد هذا بين الأمم ، أمة تهلك وأخرى تزدهر ، ناس يعملون وآخرون يهبطون وأحد يعز وآخر يذل ، وهكذا لا دوام لحال على حال .

كان الإمام أبي حنيفة النعمان جالس مع تلاميذه في درس العصر إذ دخل عليه رجل وسأله : يا إمام ، ما شأن ربك الآن ؟ لأنه كل يوم هو في شأن .

يعني ماذا يفعل الله الآن ؟

فقال له الإمام : أمهلني فأمهله إلى الغد ثم عاود السؤال فقال : أمهلني .

تكرر هذا ثلاثة أيام متوالية .

وفي اليوم الثالث رأى الإمام في اليوم الثالث سيدنا رسول الله ﷺ فسأله عن المسألة فقال الحبيب : شأن ربك الآن بيدي أموراً ولا يتديها يرفع أقوام ويخفض آخرون .

وهذا معنى تداول الأيام بين الناس .

حين نزلت هذه الآية خرج عمر بن الخطاب من عند رسول الله وهو يبكي ورأى رعاء الغنم وهم يسوقون غنمهم فقال لهم : أبشروا يا رعاء الغنم سيكون منكم ملوكاً .

هكذا دائماً سنة الله في الأرض .

هذا في المعنى العام للآية .

أما في المعنى الخاص .

فكل إنسان تمر به محن من أمراض أو فقر أو مصائب .

وفي المقابل تمر به أيام فيها صحة وغنى وأفراح فيها يذكرنا الحق بأن كل منا حين يرى أي من هذه المكروهات أن تتذكر أن غير ناقد أصيب بها ثم نجىء بإذن الله وكما تذكر آلامنا يجب أن تذكر أفراحنا لأن الأيام تتبدل ، والزمن حين يتبدل تتبدل معه أحداثه ومجرياته .

ويوضح لنا الحق لماذا هذا التداول في الأحداث بين أفراح وأحزان ، ليبين الذين آمنوا وصبروا وعلموا أن لا شيء يدوم إلا الله ويأخذ منكم شهداء كل على عائلته أو على قومه أو على عصره الذي عاش فيه ليشهدوا على من لم يؤمن كأن المؤمن يوم القيامة سيكون حجة على من لم يؤمن لأن الله لا يحب الظالمين .

أرى الحق يقول : « لا يحب » ولم يقل : أنه يكره الظالمين لأن الحق سبحانه وتعالى لا يكره خلقه حتى وإن كانوا ظالمين ، ولكن لا يحبهم لأن الحق ليس من صفاته الكره لأن الكره سواد والله نور على نور وحب في حب هذا هو الله هو المعاني الراقية الرائعة الجميلة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤١)

وبناء على ما سبق في الآية (140) يوضح الحق لنا أنه بذلك يصفني ويظهر من الذنوب والعيوب الذين آمنوا ليكونوا على مستوى يلائم أن يكونوا شهداء .

وأما الكافرين فإن الله يهلكهم ويستئصلهم بسبب فسادهم في الأرض .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

﴿١٤٢﴾

هل ظننتم أن تدخلوا الجنة قبل أن يعلم الله الذين جاهدوا بالفعل منكم ويعلم من منكم الصابر على فعل الله .

وكلمة : ﴿تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ هنا تفيد معنى رائع أننا الآن في حالة طرد وفي حالة ضياع وتشرد وعدم أمان ، والجنة هي المأوى والملاذ والحمى والوطن والأمان والخلود والنعيم .

فمن جاهد في دنيا الطرد هذه التي نحن فيها جاهد نفسه وحاول مع أهله الصلاح وفي مجتمعه حافظ على حدود الله .

ثم صبر على ما هو فيه مدة إقامته في الأرض من محن ورغبات وشهوات وحرمان وعذاب ومصائب ومحن كل هذا .

كمن يقصد مكان رائع ولكن طريقه إليه كله شوك وصخور وعرة فمن كابد وتحمل واستعان بالله وصل ودخله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ (١٤٣)

هذه الآية توضح موقف المسلمين في حالة الحرب مع وجود الرسول وكيف كانوا يلاقوا الموت في المعارك ، وهذا معنى سابق .

أما الآن ما نحن فيه الآن نجد مظاهر كثيرة لمن يتمنوا الموت فهذا حريص يأس من مرضه وألمه فهو يتمنى الموت ليرتاح .

وهذا عنده مشكلة مادية أو اجتماعية شديدة يتمنى معها الموت حتى يرتاح .

وهذا في جهل وفقر وكفر والعياذ بالله .

كل هؤلاء وغيرهم نماذج كثيرة ليس عندهم ما يثبت فؤادهم على تحمل قدر الله في الأرض من إيمان وهم يرون الموت في كل ما حولهم من شدة بأسهم .

وهناك من يتمنى الموت في المعركة ليكون شهيد وهذا هو أعظم أمنية أن يكون الموت في سبيل الله .

وكلمة : ﴿رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ إنكم في شعور به كل يوم حين تنامون .

أو إنكم ترون من يموت منكم كل يوم .

أو تروا أسبابه من آلام وحرب وفزع أو تفيد أن الإنسان حين يأتيه الموت آخر شيء يموت فيه هو بصره فيرى الموت في جميع جسمه أولاً ثم يتبع البصر الروح في خروجها من الجسم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)

هنا يوضح الحق حقيقة نبيه ﷺ فيقول : أن محمد رسول من الله إليكم قد سبقه كثير من الرسل من عند الله .

فلو أنه مات ، والموت بمعنى أن يتوفاه الله طبعياً وهو أن تخرج الروح أولاً فيموت الجسد بعدها .

أو قتل ، أي لم يموت موتة طبيعية بمعنى أفسد أحدهم الجسد بطعن أو سم أو ضرب أو غيره لم يعد الجسد صالح لإقامة الروح بداخله فتخرج الروح كرهاً من الجسد بعد هلاكه .

إذا حدث هذا بمعنى أن الرسول لم يعد أمامكم عدتم عن الإسلام إلى الكفر إن الذي يرتد منكم عن دينه ويعود للكفر لن يضر الله شيئاً إنما هو الخاسر في الدنيا والآخرة .

وسوف يجزي الله من صبر وشكر جزاءً يليق بهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدِّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥)

هذه الآيات السابقة اللاحقة كلها تحفيز وتحسيس من الله لعباده حتى يصبروا في الجهاد في الدنيا في سبيل الله .

ومن رحمة الله أنه يطمئن الذين آمنوا على أعمارهم في الدنيا فيقول : أن كل نفس لا تموت إلا بإذن الله كتب هذا في كتاب منذ الأزل من قبل أن توجد في الدنيا كتب العمر قبل خلق الإنسان وأجل هذا الميقات حتى يخلق كل نفس وقد سبق كتابه عمرها .

فلن تموتوا قبل أن تستوفوا أجلكم المكتوب لكم من الله .

لم يحرم الله عباده من مثوبة الدنيا فقال : من يريد ثواب الدنيا نوته منها من رحمة أو نعمة أو صحة أو مال أو بنين وأضاف إليه أيضًا ثواب الآخرة فمن يريد ثواب الآخرة يعطيه الله منها .

ولكنه فضل في كلا الحالتين الشاكرين في الدنيا على ثواب الله لهم سيجزيهم ويعطيهم زيادة من فضله في الدنيا والآخرة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٦١)

يضرب الله لنا في هذه الآيات مثلاً لمن سبق من الأنبياء وأتباعهم ، ذلك ليثبت به المؤمنين في القتال .

فيقول : أن كثيراً من الأنبياء السابقين قاتل معهم من أتباعهم علماء وفقهاء قاتلوا مع أنبياءهم كثيراً من المعارك فما ضعفوا أو جنبوا عن القتال بسبب ما أصابهم من الحروب في سبيل الله وما ضعفوا وما خضعوا أو ذلوا لعدوهم والله يحب الصابرين ، كأنه يقول لنا : كونوا مثلهم لكي أحبكم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧)

هذه الآية تحمل في طياتها مفتاح النصر لمن يريد النصر في قتال أو في اختبار أو في محنة أو في أي موقف فيه مواجهة صعبة .

ووصف السر على لسان المجاهدين السابقين من أنبيائهم فقد قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإفراطنا وتجاوزنا حدود ما شرعته لنا وثبتنا حين اللقاء وانصرنا على القوم الكافرين هذا هو السر أن تقول حين المواجهة هذه الآية فتقول : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَأَنذَرْتَهُمْ أَلَّهُ تَوَّابٌ حَسَنٌ تَوَّابٌ الْآخِرَةُ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨)

هذه الآية إجابة دعاء الآية السابقة فمن دعى الله بالآية السابقة وجب له هذا الرد من الرحمن وهذا إجابة هذا الدعاء الذي علمنا الله إياه فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

لماذا ؟

لأن الله يحب المحسنين ، والمحسنين هم الذين يعبدون الله كأنهم يروه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ
فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٤٩)

يحذرنا الله بقوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا تطيعوا الذين كفروا أي لا تسمعون كلامهم أو تنهجوا نهجهم أو تأخذوا منهم مشورة أو نصيحة لأنكم لو أطعتموهم يردوكم عن تقدمكم في القتال أو في العلم أو في الإيمان أو في أي ناحية فعالة في الدنيا فترجعوا خاسرين هذا هو حرص الله على الذين آمنوا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

بل الله هو ناصركم لا غيره ؛ لأن الله خير الناصرين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ

سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

هذه الآية تفصيل كيفية نصر الله للمؤمنين كيف يبدأ ؟

يبدأ بأن يلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والفرع منكم .

وذلك لإشراكهم بالله ما ليس له حجة أو برهان أو قدرة على فعل أو عدم فعل .

ومأوى المشركين النار وقبحت النار مكان إقامة الظالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ

الذُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا

عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

نزلت للخصوص في المعارك .

نزلت الآية هذه في معركتي بدر وأحد .

كيف أن الله صدق المؤمنين ما وعدهم حيث جعلهم يقتلون المشركين قتلاً

زريعاً واستأصلوهم قتلاً بأمر الله وتيسيره .

وهذا في بدر وفي أول غزوة أحد ، ثم في نهاية أحد حيث جنبوا واختلفوا فيما

بينهم وعصوا أمر الرسول في الحرب .

وذلك بعدما أراكم نصره لكم أو الغنائم التي خلفها الكفار حين هزموا فاندفعتم لجمع الغنائم ومنكم من يحب الدنيا ومنكم من يحب الآخرة فشغلکم الله عن قتالهم بمنع معونته لكم ليمتحن صبركم وثباتكم فيظهر للناس الصادق من المنافق ، ولقد عفا عنكم الله لأن الله صاحب الفضل الكبير على المؤمنين .
أو للآن

في كل نواحي الحياة حين نواجه قتال أو اختبار أو شدة فهذه الآية لنا أيضًا هذه الأيام فيها من النصح والتوجيه من الله لنا .

فإذا التزمنا بشرع الله وعدم معصيته فلا شك أن الله معنا وناصرنا بإذن الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٣)

هذا هو معنى سابق :

يصف الحق المؤمنين حين المواجهة مع المشركين حيث يذهبون بعيداً في صعيد الأرض فراراً من القتال ، وتمنعون في الهزيمة فلا تميلون على أحد ممن ثبت مع الرسول بنجدة أو مساعدة والرسول يدعوهم وهو خلف ظهوركم وهو في مواجهة العدو فلم تلبوا نداءه ﷺ فجازاكم الله فَمَا بِالْهزيمة على هم الجراح ، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من خير ولا ما أصابكم من جروح وقتل والله خير بما تعملون .

المعنى الحالي :

ما يحدث الآن حين تصاب إحدى الدول الإسلامية بالغزو أو القحط أو مصيبة ما .

نجد المسلمين لا ينهضوا لنجدها وغوثها أو للدفاع عنها .

والرسول يدعونا الآن في أواخر الدنيا بحديثه الصحيح السابق في أن المسلم أخو المسلم في جميع بقاع الأرض لا يخذله ولا يسلمه ، ولكن لا نجد من يستمع لقول الرسول الآن ، فأصاب المسلمين همًّا على هم مضاعف حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من متع الدنيا ولا على ما أصابكم من تخلف فأنتم السبب فيه والله خبير بما يعمل كل خلقه منذ آدم حتى آخر خلقه في الدنيا والآخرة وفي السماء والأرض .

هذه الآية تبين أن الله يعلم ما فعله المسلمون السابقون وما سيفعله المسلمين الحاليين والآتيين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

المعنى السابق :

يكمل الحق حالة المسلمين في حربهم ضد الكفار فيقول :

أن الله أنزل على المسلمين من بعد الغم الذي أصابكم أمانًا وعدم خوف وسكون وهدوءًا أو مقاربة للنوم يلبس كالغشاء الذي يحتوي طائفة منكم ، يشبه الحق النعاس الذي ألبسه لطائفة من الذين آمنوا .

وهناك طائفة أخرى قد اهتموا بأنفسهم وهم المنافقون الذين لا يهمهم إلا

أنفسهم فلا يهتمون بأمر الدين أو الرسول .

يظنون أن النبي لم يصدقهم فيما أخبرهم به كما ظن أهل الجاهلية ، تنبيهاً أن هؤلاء المنافقين هم خير الكفار .

وهذا ظن سوء وظلم ليس حقيقي .

ليس لنا من الأمر شيء .

قل لهم يا محمد : إن الأمر كله بيد الله .

ويقولون : لو أن لنا من الأمر شيء ما قتلنا في المعركة ، قل لهم يا محمد : إن كنتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل إلى الأمكنة التي كتب عليهم أزلاً أن يقتلوا فيها .

وليختار الله ويمتحن ما في تخفون في صدوركم وهو العليم الخبير ولكن ليبين ما في قلوبكم ليخلصها من كل عيب ويظهرها من وساوس الشيطان .

وهو عليم بخفايا النفوس .

المعنى الحالي الذي أراه :

هذه بشارة لنا أن الله سوف ينزل علينا من بعد الغم أمان وهدوء وسكينة يغشى طائفة من المسلمين ولكن هناك طائفة ليسوا بمسلمين يظنون في الله غير الحق ظن الجاهلية يعتقدون أنهم في الدنيا مسيرين ليس لهم حرية الإرادة في أفعل أو لا أفعل .

نعم إن الأمر كله بيد الله ولكنه من أمره أن أعطانا حرية الاختيار في أن نفعل أو لا نفعل ، ولو ظننا غير ذلك فهذا ظن سوء في عدل الله .

كتب الله لنا شيئين : العمر والرزق ، وقدره مثل أن يخلقنا وكتابه هذه بناء على علمه فيما نحن عليه وما ينفعنا ، ولكن لم يكتب علينا أن نعصاه أو نكفر به فنحن أحرار وقد قال : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ومما كتبه عمرنا وطريقة

موتنا .

ولذلك يقول : إنه لا يحب أن نجبن عن القتال في سبيل الله خوفاً على حياتنا لأن العمر والموت سيده هو فقط ، ولو كنا في بيوتنا وحق علينا القتال لأخرجنا لمكان قتلنا بأمره هو وكتابه علينا القتال ليبين ما في نفوسنا ليس له لأنه يعلم السر وأخفى ولكن حتى يبين لنا أنفسنا على حقيقتها .

فلا يكون لنا عنده حجة في أي موقف يبق الدنيا فيشهدنا على أنفسنا ، وأيضاً ينقي قلوب المخلصين من عباده من أي شائبة جبن أو ضعف إيمان لأنه عليم بما في صدورنا ، ونرى الحق في هذه الآية يربي عباده أعظم تربية وينظم نفوسهم بقدرته كمربي عظيم وعلیم بخفايا نفوس البشر .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (100)

المعنى السابق :

يصف الذين فروا في المعركة من القتال أنهم قد خدعهم الشيطان بوسوسته لهم بصرفهم عن القتال بسبب بعض ذنوبهم ، ولكن الله عفى عنهم لأن الله غفور رحيم .

المعنى الحالي الذي أراه :

إن الله عز وجل خلق الإنسان ويعلم ما في نفسه فحين وضعه في الأرض أراد أن يسوي هذه النفس بنار الدنيا ولا أقصد النار بمعناها المادي ولكن نار المحن والشدائد التي تمر بالإنسان في مراحل حياته من مرض وفقر وعدوان وقهر وظلم وغيرهم كثير فإن المعدن النفيس حين يدخل النار يخرج منه خبثه ويبقى معدنه الأصيل الحسن ، فكذلك الإنسان في الدنيا يستخلصه الله من شوائب النفس لينقي

معدنه الطيب حتى يصلح للإقامة في الجنة الطيبة ولذلك توضح الآية أن بعض المسلمين في عصرنا الحالي لعب بهم الشيطان بحرصهم على بيوتهم وأموالهم وأولادهم وخوفهم من القتل وحرصهم على الدنيا بما فيها ، فنزع منهم المروءة حتى أنهم يرون إخوانهم في أفغانستان والعراق وفلسطين يقتلون ولا يفكر أحد في نصرتهم اللهم إلا بالكلام دون فعل صادق ولولا أن الله حليم بنا عليم بضعفنا لعاقبنا على ذلك ولكنه غفور حليم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

ينادي الحق الذين آمنوا ليقول لهم : لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا خرجوا للسفر في تجارة أو خرجوا للجهاد في سبيل الله فاستشهدوا .

لو لم يخرجوا وظلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا جعل الله ذلك الإحساس حسرة وندامة واغتماماً على ما فات ولا يمكن إرجاعه ليعاقبهم بكفرهم هذا لا يطمئنهم بل يجعلهم يصدقوا أنفسهم والله هو المحيي المميت وهو عليم بما يعمل به كل الناس وبصير بهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

هذا إقرار من الله بحقيقة شرعية ألا وهي أن من قتل في سبيل الله أو مات في جهاده في السفر والتجارة ، سوف يغفر الله لهم ويرحمهم برحمة خير مما يجمعون في الدنيا .

قال ﷺ : « ثلاثة لا ينفع معهم عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار

يوم الزحف» [رواه الطبراني في الكبير] .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » [متفق عليه] .

وفي رواية : « حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .

وفي رواية : « وهم بالشام » .

﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٥٨)

إلى أين يذهبون في كلا الحالتين إن ماتوا أو قتلوا أليس إلى الله .

ينبهم الحق أنه في النهاية راجعين إليه وهم في الأول والآخر ملكه هو .

وهذا معنى القول : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

فنحن عبيده ملك يمينه وفي النهاية له راجعين بالموت أو القتل سواء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩)

هنا يصور لنا الحق قلب رسول الله ﷺ كيف أن الله وضع فيه من رحمته حتى

أصبح هذا القلب رحيم رؤوف على خلق الله .

ويقارن بين موقف الرسول برحمته على المؤمنين ويبين لو أن القلب كان فظًّا

وجافًا في المعاملة والقول فيقول : يا محمد بالرحمة التي وضعتها في قلبك أشفقت

على الذين عصوا أمرك فهذه الرحمة هي التي جمعتهم حولك ولو كنت لا شفقة

عندك لنفروا وتفرقوا من حولك .

فاعفو عنهم وسامحهم واستغفر لهم على فعلهم وهذا لأن الله عفو كريم يحب

العفو .

وشاورهم في الأمر .

فإذا قطعت برأيك وعقدت القلب على إمضاء الأمر فتوكل على الله .

إن الله يحب المتوكلين .

وهنا يبين لنا الحق أن كل من يفعل شيء أو يعقد النية على فعل شيء خير وفي داخله أن الذي سيفعله هو الله مع وجود فعل هذا العبد ظاهراً فقط بأن الله يحبه ، ولذلك كل نية فيها توكل على الله سوف تنجح بحب الله لهذا المتوكل عليه .

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠)

عجبت لمن قرأ هذه الآية وكيف يخاف ممن أحد غير الله .

فهو شرط شرطه الله من نفسه على نفسه وهو إن نصر أحد من خلقه لا يغلبه أحد فيقول : إن نصركم الله فلا غالب لكم ، ولن يقهركم أحد وإن يخذلكم ويغلبكم فمن هذا الذي يستطيع أن ينصركم من بعد الله وهذا أسلوب استنكار واستهزاء مع استحالة أن يحدث هذا .

ثم تغلب رحمته وكرمه وعفوه وحنانه على عبادته فيقول :

توكلوا على الله يا مؤمنين ، يعني من آمن بالله وتوكل عليهم فهو ناصره بإذن الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١)

ما بعث الله رسول أو نبي وفيه شيء من الخيانة إنما كل رسل الله هم أمناء على أمانة الله وهم أمناء على أمهم فما كان لنبي أن يخون في الغنيمة ومن يخون في الغنيمة يأتي بما أخذ بدون حق يوم القيامة ثم تحاسب كل نفس بما كسبت وهم لا

يظلمون .

وهذا المعنى يجب أن يعرفنا أننا يجب أن نكون على أخلاق الأنبياء فلا نخون الأمانة أو نأخذ من مال أحد بدون حق لأن من يأخذ مال ليس ماله أو متاع أو أرض أي شيء سيأتي يوم القيامة وهو يحمله ولسوف يعطي الله كل سارق القدر على حمل سرقة حتى لو كانت أرض يأتي حاملها أو عريضة أسمنت يأتي حاملها حتى يوضع بها بين الخلق ثم يحاسبه الله فيوفي حسابه تمام ولا ظلم اليوم بل العدل المطلق .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ سَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١١٢)

هل يستوي من يتحدى الأفعال التي تجلب له رضوان الله عليه هو ومن باء بغضب الله وسخطه من شدة أخطائه وذنوبه من شدة تحريره ما حرمه الله فيفعله ومكانه الذي سيأوي إليه هي جهنم وبئس هذا المصير .
لا يستوون أبداً .

أهل الرضوان في أعالي الجنان ، وأهل السخط في أسفل الجحيم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٣)

يتكلم الحق عن المؤمنين في حال أنهم في تفاوت في إيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم وكل واحد له درجة عند الله لا يعلمها إلا الله فيعرف من يستحق الرضوان من الله ومن يستحق سخط الله فهو أدرى بعباده وهو بصير بما يعملون .
وهذا تنبيه من الله أن الله يعلم ويرى ويسمع ما قلناه وفعلناه وما دار في عقولنا ولم ننطق به فالحذر الحذر من سخط الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ۖ وَبُزْجِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
﴿١٦٤﴾

لقد مَنَّ الله على المؤمنين منذ بعث محمد إلى الآن إذ بعث فيهم رسول الله ﷺ وهو منهم ويتكلم لغتهم وهو أعظمهم يردد آيات الله عليهم بعد أن قرأت عليه من جبريل .

ويطهرهم ويعلمهم كتاب الله وهو القرآن ويعلمهم الحكمة وهي سنته ﷺ وقد كانوا من قبل في ضلال الجاهلية الشديد من جعل وكفر وعنف وفظاظة وغلظة وقسوة .

أي نعمة هذه التي مَنَّ الله علينا بها نعم صدقت يا إلهي فهذا الرسول هو أعظم نعمة أنعمت بها علينا فلك الحمد ولك الشكر يا أكرم الأكرمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أَوَلَمْآ أَصَبْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدَ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
﴿١٦٥﴾

يعترض الحق هنا على قول المؤمنين حين قتل منهم (70) رجل في أحد فقد قالوا : من أين لنا هذا الخذلان ؟

فيذكرهم الله بأنهم أصابوا مثلها مرتين حيث قتلوا في بدر (70) وأسروا (70) رجل ، يذكرهم الله بفضله عليهم في بدر .

أما الخذلان هذا الذي حدث في أحد فمن عند أنفسكم لأن الله له طلاقة القدرة في أن ينصركم وأنتم ضعفاء وحين قويتم ترككم لأنفسكم ففشلتكم ليعلمكم كيف هي قدرته .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٦)

وما أصابكم يوم لقاء جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أحد .

فهذا بإذن من الله ليبين الذين آمنوا من هم .

يميز المؤمنين عن المنافقين .

وفي وقتنا الحالي نجد أن الله يضع الناس في اختبارات حيث يميز من فيهم

سيصبر ومن منهم سيكفر ليكون المؤمنين مؤمنون على حق .

فلا يجب أن نجزع حيث نصاب بأي ابتلاء في حياتنا ويجب أن نصبر ونعلم

أنها من حكمة الله وسننه في خلقه لأن الدنيا دار ابتلاء ممن صبر واحتسب فهو

المؤمن الحق .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا

لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي

قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١١٧)

من هذا الابتلاء من الله ليعلم الذين نافقوا وقد قيل لهم : قاتلوا في سبيل الله أو

ادفعوا العدو عن وطنكم وأهلكم على الأقل فتعللوا بأنهم لا يعرفون فنون القتال

وقالوا : لو كنا نعلم فنون القتال لاتبعناكم .

يصفهم الحق بأنهم حين ذلك أقرب للكفر من الإيمان .

لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله يعلم ما يخفون ويكتمون في

أنفسهم .

وهذا بكل أسف حال المسلمين الآن فهم في تخاذل وعدم إيمان لا ينتقصون

للدفاع عن دينهم وأوطانهم ومقدساتهم التي تنتهك ولا رادع للطاغين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٦٨)

المنافقون هم الذين قعدوا عن القتال وقالوا لإخوانهم : لو أطاعونا ولم يخرجوا للحرب ما قتلوا يقول لهم الحق : إن كنتم صادقين في قولكم هذا فادفعوا عن أنفسكم الموت ، وطبعاً لا يستطيع أحد أن يمنع الموت إذا جاءه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩)

من الشهيد ؟ هو من قتل في سبيل الله أو مات وهو يشتهي أن يضحي بنفسه في سبيل الله حتى لو مات على فراشه .

وسمي شهيد لأن الله هو الذي يقبض روحه عن جسده وليس ملك الموت لأنه لا يموت ويستل الحق روحه دون ألم وهو يشاهد وجه الله حين الاستشهاد ولذلك يسمى شهيد من مشاهدته وجه الله حين القبض ثم توضع روحه في جسد آخر عند الله ترزق وتعيش أفضل عيشة في الكون كله ولا يتمنى الشهيد أن يعود إلا ليقتل في سبيل الله مرات ومرات من عظمة الكرامة والجزاء الذي أعدّه الله لهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَرَحِّبْ بِمَاءِ آتَانَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠)

والشهداء عند ربهم في حالة من الفرح والسعادة الغامرة من عظمة الكرامة التي آتاهم الله من فضله .

ويستبشرون ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم وتركوهم في الأرض لم يستشهدوا

أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم تولاهم الله وهذا معناه أن الله ناصرهم فلا خوف على الشهداء أو على أهل الشهداء من بعدهم ولا على المؤمنين الذين هم مؤمنين حقاً بأن الله متوليهم وراحمهم.

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١)

المستبشرين هنا بعد الشهداء ، المؤمنين ألقى الله في قلوبهم بشارة بنعمة منه وفضل وذلك لأن الله لا يضيع أجر الذين آمنوا .

وهذه الآية مطلقة لكل عصر فيه مؤمنين حقاً لهم هذا الفضل من الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا

أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢)

من هؤلاء المؤمنين ؟

الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما نالهم من الجراح والهزيمة يوم أحد الذين أحسنوا إليهم أجر من الله عظيم .

هذا فيما سبق .

أما الآن :

فالذين يسمعون كلام الله ويتبعونه ويتبعون سنة رسول الله ﷺ من بعد ما أصابهم أي ابتلاء صبروا وأحسنوا واتقوا فلهم أجر عظيم من الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣)

هذه آية مطلقة على كل الناس منذ آدم وإلى آخر الزمان .

حتى وإن نزلت في كفار مكة يجتمعون على المسلمين ويبلغ المسلمين ذلك ويكون ردهم حسبنا الله ونعم الوكيل .

أما إن أي أحد من الناس يقال له أن هناك من يتربص بك ويصبر ويقول : «حسبنا الله ونعم الوكيل» ، هؤلاء موجودين في كل العصور وعلى جميع المستويات وهم المتوكلون حقاً وصدقاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

هذه هي رد الله على الناس في الآية السابقة الذين توكلوا عليه حق توكل أنهم عادوا بنعمة الله وفضل ولا يمسهم سوء من أي ممن اجتمعوا عليهم نصرهم الله عليهم جميعاً لأنهم اتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم لمن توكل عليه واتبع ما يرضيه عز وجل .

﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا .

هناك نوعان من الناس :

الأول : الذين قالوا للمؤمنين وهؤلاء هم من تولاهم الشيطان وأخافهم وجعلهم يقولوا للمؤمنين أن الناس قد جمعوا بعضهم لحرب المؤمنين .

الثاني : من الناس هم من جمعوا صفوفهم ضد المؤمنين وهم الكفار .

إذن يوجد نوعان من الناس يتبعون الشيطان المنافقين والكفار يخوفهم الشيطان .

ويأمرنا الحق بأن لا نخاف من أولياء الشيطان ويجب أن نخاف الله إن كان في

قلوبنا إيمان بالله .

وهذه الآية ليست فقط في عهد الرسول ولكن في عصرنا الآن يجب أن نخوفنا أولياء الشيطان بل يجب أن نخوفهم فنحن بإيماننا بالله فلا نحشى إلا الله وحده .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦)

يواسي الحق نبيه فيقول له : لا تحزن على الذين يسارعون في الكفر فإنهم بكفرهم هذا لن يضرروا الله شيئاً إنما من كفرهم يريد الله أن يحرمهم من ثواب الآخرة وهي الجنة ولهم عذاب أليم في الآخرة .

وأيضاً لا نحزن نحن على من يصرون على كفرهم في عصرنا هذا لأنهم لا يضررون إلا أنفسهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧)

فمن اشترى الكفر وباع الإيمان من قلبه لن يضرروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم . وهذا تأكيد للآية السابقة ليؤكد الحق أن من كفر لا يضر إلا نفسه في الدنيا والآخرة .

إذن حرص الله على إيماننا لأنه يحبنا ليس لأنه يستفيد من إيماننا ، إنما نحن المستفيدون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

لا يظن الذين كفروا أن إمهال الله لهم مع كفرهم وظلمهم هذا خير لهم بل على العكس إنما إمهال الله لهم ليزدادوا في ظلمهم ويزيدون في كفرهم وطغيانهم حتى يستحقوا العذاب المهين .

حين قتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وحملت رأسه الشريفة ليزيد بن معاوية في قصره وسبق نساء آل البيت إلى يزيد وكانت منهم السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب حفيدة رسول الله ﷺ فما كان من يزيد إلا أن سخر من رأس الحسين ووجه الكلام للسيدة زينب يتباهي عليها بأنه قتل أخاها وأنه أسرها هي ونساء آل البيت .

فردت السيدة زينب عليه بهذه الآية وقالت ردًا على تهكمات هذا الطاغية :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٧٨﴾

وهذه الآية هي إنذار لكل طاغية في كل عصر حتى لا يغتر حين يرى أن الله يمهله ويعرف أن الله يمد له الحبل حتى يشنق نفسه بعذاب مهين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٩﴾

من صفات الله أنه دائماً في تعامله مع المؤمنين أن ينقي ويختار ويرقى منهم المؤمنين حق ومن المنافقين دائماً يميز بين عباده من الطيب المؤمن المخلص ومن المنافق الذي ليس في قلبه إيمان ويدعي أنه مؤمن .

ولكن من حكمة الله عز وجل أنه لا يطلع أحد على الغيب ولا على الحكمة من الأحداث الحاصلة ويتضح بعد ذلك هذه الحكمة فيقول المؤمن حقاً : «لو اطلعت على الغيب لا اخترتم الواقع» .

الواقع الذي يفعله الله .

من حكمة الله أنه يصطفي ويختار من رُسُله ما يشاء .

والمطلوب منا أن نؤمن بالله وبرسله .

ويقول الحق :

إن تؤمن وتتقي محارم الله ونواهيه فلنا أجر عظيم وحين يقول الحق أجر عظيم فهذا معناه أن الأجر على قدر قدره الله في العطاء والسخاء وهو أكرم الأكرمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنَّهُمْ آلَهُمْ مِنَ فَضْلِهِ ۖ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
﴿١٨٠﴾

يتوعد الله الذين يبخلون بالمال الذي آتاهم الله لهم من فضله أن بخلهم هذا خير لهم إنما هو شر شنيع .

فمن بخل بماله سيجعل الله هذا المال طوق من نار في عنقه يوم القيامة ،
والمال مال الله .

والله يرث السماوات والأرض بعد فناء أهلها فكل شيء صائر إلى الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : «من آتاه الله مال فلم يؤدي زكاته مثل له شجاع أقرع» أي
ثعبان له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه «أي شدقيه» ثم يقول : أنا
مالك أنا كنزك» ثم تتلى هذه الآية : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ ... الآية .

[متفق عليه] .

حرص الرحمن على أن ينفق كل ذي مال من ماله حتى يرحمه ويكفر عنه ذنوبه
ولكي يفرج على المعسرين ، لتتم حكمة الله في الأرض من رحمة وتراحم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١)

وقد قال اليهود هذا الكلام استهزاء حين سمعوا قول الله جل وعلا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية .

وقد قال الحق أنه سيكتب قولهم هذا ويكتب أيضًا قتلهم الأنبياء بغير حق مثل يحيى وزكريا عليهم السلام .

ويقول الحق لهم : ذوقوا عذاب الحريق من العجيب أن الحق لم يحدد مكان العذاب والحريق فقد يكون في الدنيا مثل ما فعل بهم في عهد الرومان وبختنصر أو في عهد هتلر في ألمانيا ثم بعد ذلك يذيقهم حريق جهنم .

حق قول الحق عليهم بأنهم سيدوقون عذاب الحريق لا شك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ذَلِكَ بِمَا فَعَلْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٨٢)

وذلك بما فعلوا وبما قالوا لأن الله ليس بظلام للعبيد .

هذا هو الملك الحق العدل هو الله الذي لا يعاتب إلا بذنب وليس ذنب سهل بل غلط في حق الله وغلط في قتلهم أنبيائه أي جريمة أشنع من هذه الجرائم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٨٣)

قال اليهود أنهم أن عهدهم مع الله أن لا يؤمنوا برسول حتى يأتي بقربان تأكله

النار وهذه كانت عادة منذ خلقه الله آدم ولم يكن في الأرض من يأخذ الصدقات فكان أبناء آدم وآدم إذا تقربا إلى الله بقربان كانا يذهبان عند الكعبة فيدعون الله ويقدمون قرابينهم من كباش أو غيره إلى الله فتنزل من السماء نار فتأخذ هذه القرابين وتربي في الجنة .

ومنها القربان الذي قدمه هابيل ابن آدم الذي قتله أخوه قابيل لأن الله تقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل .

ونزلت نار من السماء فأخذت الكبش الذي قدمه هابيل لله وربى في الجنة ولقد قرأت في الأثر أن هذا الكبش ظل يرعى في الجنة حتى فدى الله به إسماعيل ولد إبراهيم .

حيث يقول الحق : ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الآية .

ويعقب الحق على قولهم هذا بأنهم لا يؤمنون برسول حتى يأتي بقربان يأكله النار ، أو تحرقه النار بأنه قد أرسل من قبل أنبياء كثير بهذا فلم قتلتموهم إن كنتم حقاً صادقين في قولكم هذا إنهم قوم بهت وكذب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾



فإن كذبوك يا محمد فقد كذبوا من قبلك رسل وكثيرون جاءوهم بالمعجزات والآيات وكتب المواعظ والزواجر والكتاب المنير مثل التوراة والإنجيل الحقيقيين الذين لم يحرفوا فلم لم يؤمنوا ويتبعوا رسلهم إنكم كاذبون ومضلون وهم أيضاً ضالين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحَّزَحَ عَن

النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

كل نفس ستذوق الموت وهذا حكم صادر من الحق على بني البشر أنهم يموتون ويقف كل واحد يوم القيامة فيأخذ أجر ما عمل في الدنيا من زحزح عن النار أي بعد ونحى عن النار ، وأدخله الله الجنة فقد فاز بالفوز العظيم والأجر الكبير .

لأن الحياة الدنيا متاع الغرور يعني متاعها خداع لأنها تخدع المشغول بها فلا يتنبه لما يستقبله من حظ فإن حلالها حساب .

ومن حوسب عذب ولو لوقفته أمام الديان ومراحها عقاب .

والعقاب هو أشد العذاب .

ومن رحمة الله عز وجل أن يوم الدين والحساب ترد فيه المظالم ويقام فيه العدل ويحق الله الحق فيشفى صدور المظلومين ويكافئ الصابرين ويعاقب الظالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿١٨٦﴾

يعلمنا الحق أننا ما دمنا في الحياة الدنيا فنحن في امتحان واختبار في الأموال من نقص وضياع أو زيادة وربح ليرى ماذا ستفعل في كلا الحالتين فهما سواء في الاختيار فهل نصبر في الفقر ، وننفق في سبيل الله في الغنى أم نجزع في الفقر ، ونبخل في الغنى ، ونختبر في أنفسنا بأن نفتن بالشهوات والمعاصي .

وهناك بلاء آخر وهو قول الذين أوتوا الكتاب من يهود ونصارى ومن المشركين أذى كثيراً وهذا ما يحدث الآن من أفعال في حق الإسلام والمسلمين والتطاول على شعائر الله وعلى كتاب الله وعلى رسول الله .

وقد وصف لنا الحق الطريق فيما سبق من بلاء فقال يجب أن نصبر ونتقي ونعلم أن ذلك من الأمور التي يجب فيها العزم والثبات عليها فلا يتزعزع إيماننا ولا نتحول عن صبرنا وتقوانا لله عز وجل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)

حين أتى الله أهل الكتاب كتابهم أخذ عليهم العهد في أن يتدبروا في آياته ويبينوها للناس ويتعلموها ويعلموها لهم ولا يكتُموا ما فيها من آيات . فطرحوا الكتاب ولم يراعوه لقلّة اعتدادهم به وعدم تدبر آياته . ولم يتفكروا لحظة في أهميته ، والأدهى أنهم باعوا كتبهم وحرفوها مقابل المال والحياة الدنيا .

عشوا بآيات الله وحرفوها لتلائم طمعهم وجشعهم ألا بئس ما يشترون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاوَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨)

لا تظنوا أن الذين يفرحون بما أوتوا من مال وولد أو دنيا .

ويحبون أن يشكرهم الناس بما ليس فيهم أي ينافقوهم لا ييعتقد أنهم سيفوزون بالنجاة من العذاب لا بل لهم عذاب أليم .

يذكر الحق من باع آيات الله بثمن قليل وفرح بما آتاهم من متاع الدنيا وزينتها ولم يراعوا حق الله ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا بالرياء والكذب . إنها خلق الفاسقين الذين لهم عذاب من الله أليم .

وهذا في كل وقت وكل حين نجد من الناس من فيهم هذه الصفات فقد توعدهم الله بالعقاب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩ ﴾

هذه الآية إقرار بحق الله في أنه هو وحده لا شريك له في ملك السماوات والأرض وهو على فعل كل شيء قدير وهو على كل خلقه قدير .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ ﴾

إن من كان له عقل يعي ويتفكر وينظر بعين فاحصة وعقل مفتوح يرى في خلق الله للسماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات كونية رائعة وإذا أراد أن تعرف معنى الآيات الكونية التي يراها أصحاب العقول فاقراً كتابات الدكتور «زغلول النجار» وأنت تعلم معنى الآيات الكونية التي تعجز أصحاب العقول وتحير فكرهم وتجعلهم في حالة من الإيمان بالله لعظم ما رأوا من آيات الله في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١ ﴾

من هم أولوا الألباب أو ذوي العقول الراجحة ؟

هم الذين يذكرون الله على كل حالة لهم فيها قائمين أو قاعدين أو مضجعين على جنوبهم .

ودائماً في تفكير عميق وتدبر في خلق السماوات والأرض .

ثم بعد تعلمهم من الآيات الكونية يقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلاً بل كله عدل وحق ومعجز وآياتك صدق فقد وجدوا بعقلهم أن وراء هذا الكون خالق عظيم نظم كونه بدقة متناهية فهذه الحقائق التي تثبت لهم أن قول الله حق فقالوا داعين الله متوسلين إليه : سبحانه فكنا عذاب النار .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١١٢)

وقالوا ربنا إنك من تدخل النار من أحد فقد أخزيت أي فضحته وأهنته وأهلكته ومن ذا الذي ينصر الظالمين ليس لمن دخل النار من أحد ينصره ويخرجه منها .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١١٣)

ويقولوا : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم .

وهذا المنادي إما أن يكون الرسول ﷺ أو القرآن أو العقل .

وعبر عن الدعوة إلى الإيمان بلفظ النداء ، لظهورها ظهور النداء وحتى الداعي على ذلك كحث المنادي .

فآمننا ربنا بك فاغفر لنا كبائر ذنوبنا وأذل وأحقر صغائر ذنوبنا وحين تتوفانا ، فتوفانا مع الأبرار يعني الأبرياء من الذنوب المغفور لهم أو مثل الأطفال الذين ليس عليهم ذنوب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١١٤)

ويقولون : ربنا آتنا النعيم والجنة ومتعة النظر إلى وجهك الكريم الذي بلغنا بها رسلك ولا تنها ولا تفضحنا يوم القيامة لأن من صفاتك الحميدة أنك لا تخلف وعد وعده أبدًا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِّنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتُلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُنُوبَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

من دعا بهذه الآيات السابقة (191) إلى (194) وكان من أولي الألباب فقد حقت له استجابة ربه له وأنه لا يضيع عمل عامل من البشر ذكر أو أنثى كلكم مثل بعض في الثواب فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأودوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا ليكفرن الله عنهم ذنوبهم كبيرة وصغيرة ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواب وأجر من الله والله عدنه حسن الثواب والأجر .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

نجد أن الذين كفروا في هذه الأيام تمتد تجارتهم كل أنحاء العالم حتى أن في هذه الأيام نجد قارة مثل أوروبا قد فتحت كل أسواقها في سوق واحدة موحدة وتغزو بتجارها أرجاء العالم .

والصين منتجاتها تغزو كل أسواق العالم ويكونوا من هذه التجارة أموال ضخمة

فلا يخدعنا هذا الانفتاح التجاري في البلاد للذين كفروا عن حقيقة أن الإيمان أغلى وأعظم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَتَعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾﴾

إنما هذه السياحة والتجارة متاع قليل من متاع الدنيا الفانية ثم مأواهم جهنم والعياذ بالله وقبح هذا الفراش وهذا المضجع ، وجهنم هي الاسم المطلق للجحيم والعذاب جهنم عكسها منهج .

فمن يعكس منهج الله في التوحيد له ليس له إلا جهنم ينام فيها يقيم فيها .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾﴾

وهنا يفرق بين الذين كفروا والذين آمنوا واتقوا ربهم من مقارنة بالآية السابقة وهذه الآية .

يؤكد الحق أن من يتقي الله جعل الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها «نزلاً» يعني فندقاً أو ضيافة وجزاء ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ .
وهذا أن هناك ما هو خير من ذلك عند الله للأبرار ممكن يكون متعة النظر لوجهه الكريم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿١١٩﴾﴾

هنا الرحمن الحق العدل لا يحرم من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل للمسلمين وما أنزل لأهل الكتاب من قبل وهم متواضعين لله لا يفرطون في آيات

الله مقابل الدنيا أولئك لهم أجرهم عند الله والله سريع الحساب لا يترك أحد إلا أعطاه حقه لأنه عدل ورحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾



يا أيها الذين آمنوا اصبروا بأن تحسبوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهوائكم .

«وصابروا» يعني غالبوا أعدائكم في الصبر .

«ورابطوا» يعني أقيموا بالحدود متأهبين للجهاد في سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون .

يختم الحق هذه السورة بهذه النصائح الغالية والأوامر الإلهية الرائعة لأنه يحب خلقه وخاصة المخلصين المؤمنين المتقين .

سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَفَسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

يبدأ الحق هذه السورة بتحذير مع توضيح فيقول : يا أيها الناس اتقوا ربكم

يعني احذروه .

لماذا هو ربنا ؟

لأنه خلقكم من نفس واحدة وهو آدم الذي خلق منه حواء وهي زوجته وخلق من زوجها رجالاً كثيراً ونساء .

ومن خلقنا فنحن ملك له ويجب على العبد أن يطيع سيده في أوامره ونواهيه .

ويعاود الحق تحذيره مرة أخرى فيقول سبحانه وتعالى : واتقوا الله الذي

تسألون بعضكم بعضاً قضاء حاجتكم به أي الله .

أي أن الله هو وسيلة تشفع بين الخلق وبعضهم فيقول مثلاً : «أستحلفك بالله»
أو «أعطني الله» أو «ناشدتك الله» .

ومن تقوى الله أن نحذر قطيعة الرحم وعدم وصل الأقارب .

ولو نظرنا إلى كلمة الأرحام نجد أن كل إنسان ملتزم تجاه كل البشرية بصلة الرحم التي بدأت بخلق الله عز وجل لحواء أول رحم خلق في الأرض وحقاً على كل نسل آدم وحواء أن يتراحوا فيما بينهم وهذا من تقوى الله والتقوى هي أن تجعل بنك وبين عدم سماع أوامر الله وقاية يعني احذر مخالفة الله في أوامره لك لماذا ؟ لأنه مراقب للناس جميعاً في كل لحظة ومراقب لكل خلقه فالحذر من الرقيب لأنه مشاهد لكل سكناتنا وحركاتنا وأقوالنا وأفعالنا وأحاسيسنا وما تخفي الصدور .

بل هو أدرى بنفوسنا منّا نحن .

فقد يجهل الإنسان حقيقة نفسه ولكن الله يعلم كل شيء في كونه وفي نفوسنا .

ويجب أن نعظم الله لأنه خلقنا والله هو الإخلاص والوفاء المطلق فأوجب على خلقه أن يكونوا أوفياء لأهلهم ورحمهم وبما أننا جميعاً أبناء آدم وكلنا جميعاً إخوان في البشرية فوجب علينا أن نتعامل بالتراحم بين الشعوب وبعضها مع اختلاف ألوانها ولغاتها وأديانها لأنهم إخواننا في آدم نرى الحق يبدأ سورة النساء بهذا التحذير للناس جميعاً .

ونلاحظ أن اسم السورة النساء .

ومادة نساء هي مادة ناس .

هي الثلاث حروف : النون ، والسين ، والألف ، وكلمة ناس آتية من الإيناس يعني الألفة ومن معنى النسيان وهي طبيعة كل إنسان أن ينسى .

فوجد الحق في أول السورة يحذر الناس وينسبهم على تقواه وعدم قطع رحمهم ،
والرحم خلق في النساء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

وهذه الآية مضافة على الآية السابقة من الإنذار من الحق والتحذير للناس جميعاً في أن يعطوا اليتامى الذين فقدوا آبائهم مالهم الذي ورثوه عن آبائهم وأن لا يأخذوا المال الطيب الحسن من أموال اليتامى ويدفعوا لهم المال الرديء على اعتبار أنهم صغار وضعفاء لا يفهمون شيء وإن فهموا ليس لهم حول ولا قوة .
ولا تأكلوا أي تأخذوا أموالهم وتزيدوا بها أموالكم إن ذلك ذنب وإثم كبير .
أي أن أكل مال اليتيم بغير حق من كبائر الإثم .

حرص من الله على الأيتام وأموالهم فلم يكن الله أن يظلم طفل أو طفلة بأن يأخذ عائلة ليتسلط عليه الظالمين فإن الذي يقف لأي ظالم ليتيم هو الله ولذلك الحذر الحذر من مخالفة أمر الله في مال اليتامى .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنًى وَثَلَاثَ وَرُبْعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ ۖ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

كان الرجل يموت ويترك بنات فيقوم رجل آخر على أموال البنات يتاجر أو يزرع فيطمع في مالهن فنجد بعض الرجال القائمين على مال البنت يتزوجها حتى لا يدفع لها صداق ويأخذ مالها إليه وهذه الآية تمنع هذا .

فيقول الحق :

إذا خشيتم ألا تعدلوا في أن تدفعوا لليتيمة حقها في الصداق فتزوجوا ما شئتم

من النساء الأخريات اثنان اثنان أو ثلاثة ثلاثة أو أربع أربع بشرط ألا يجمع على ذمته في وقت واحد أكثر من أربع نساء وبشرط العدل بينهن حتى في النظر والكلمة أما الميل النفس وحب واحدة عن أخرى فلا يحاسب الله عليه .

فإن لم يستطيع أن يعدل فلا يزيد عن واحدة أو ما ملكت يمينه من الإماء ولم يحدد الحق عدد الإماء فالواحدة أفضل حتى لا تعولوا بمعنى تتحملوا نفقات الأربع نساء أو تعولوا بمعنى أن يأتيكم عيال كثيرون فتفتقروا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾

يأمر الحق الرجال بأن إذا عزم أحدهم أن يتزوج أن يدفع لزوجته أو زوجاته مهورهن بطيب نفس غير طامعين في استرداد شيء منه .

فإن تنازلت إحداهن عن جزء من مهرها لكم بطيب خاطر ورضا فأخذه حلالاً طيباً وكلوه هنيئاً مريئاً .

وكان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها كله دونها فنزلت هذه الآية لتأخذ البنت صداقها من أبيها فإذا تركت لأبيها منه شيئاً بطيب نفس فليأكله هنيئاً مريئاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا﴾

يكلم الحق القائمين على أموال السفهاء من أطفال أو شباب أو شيوخ وليس لهم قدرة على التصرف في المال أو الجهال بموضوع النفقة وقيمة المال .

وقد يكون هذا المال تجارة تدار أو زراعة تزرع أو مال سائل نقداً أو أي صورة من صور الأموال لا تعطوها للسفهاء ويضيعوها ولكن قوموا عليها بالعمل والعقل والحكمة وكونوا سبباً في زيادتها وربحها وكلوا منها بالمعروف وارضقوا

هؤلاء السفهاء منها من الطعام والملبس والمسكن بمعنى أن تتولوا أمورهم في تنمية هذه الأموال والمحافظة عليها من الضياع والمتابعة للإنفاق على أصحابها فيما ينفعهم ويحافظ عليهم من الفقر والفاقة أو ضياع أموالهم في شراء ما لا يلزم من أشياء تافهة وليكون تعاملكم معهم برفق ولين ورحمة ومعروف ولا تقسوا عليهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

يقول الحق لنا : أنه يجب أن نختبر اليتامى في كيفية التصرف في أموالهم في سن قبل البلوغ ونحاول أن نعلمهم في صغرهم كيف يتصرفوا في أموالهم بالحق والعدل وإن كانت تجارة نعلمهم كيف يتاجروا وإن كانت أرض تزرع نعلمهم كيف تزرع وإن كان مال نعلمهم كيفية التصرف في أموالهم حتى يحافظوا عليها ولا يضيعوها سدى حتى يبلغوا السن المناسب للزواج فإذا وجدناهم راشدين عاقلين في كيفية تصريف أموالهم دفعنا لهم أموالهم .

ويقول الحق : ادفعوا لهم أموالهم سريعاً ولا تأخذوها وتضيعوها في إسراف وتضييع في سفه .

أو تصرفوها عليهم وهم صغار دون أن تنموها لهم حتى يكبروا .

ومن كان غنياً فليكيف من أكل أموالهم ويكون عفيف النفس فلا يتطلع لأموال اليتامى .

ومن كان فقيراً فليأخذ منها مقابل عمله فيها بالمعروف دون زيادة .

وحين تدفعوا لهم أموالهم فأشهدوا منكم شهداء على تمام تسليم المال لأصحابه ويكفيكم الله عليكم حسيباً ورقيباً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧)

كان قبل الإسلام إذا مات الآباء أو الأقارب ورث المال الرجال دون النساء أو الصغار ، كان الرجل القوي في العائلة يستحوذ على تركه المتوفى دون الآخرين .

فجاء الإسلام ونظم هذه العملية فجعل للرجال نصيب من ميراث الآباء والأقارب وللنساء نصيب من ميراث الآباء والأقارب مهما قل أو كثر نصيباً مفروضاً من الله الحق العدل الرحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٨)

ومن رحمة الرحمن أن يمنع الحسد والحقد من قلوب أولي القربى واليتامى والمساكين الذين يحضرون تقسيم تركه المتوفى بأن يجعل لهم جزء من تركه المتوفى ولم يحدده بقيمة حتى يعطي الفرصة لمن أراد أن يتطوع خيراً فيعطي كل حسب قدرته ويجب أن يقدم لهم هذا المال مع لين الكلام وحسن التقديم لهم حتى لا يشعروهم بأنهم أقل منهم أو أنهم متسولون .

أي رحمة منك يا رب ؟ كم أنت حنان ومنان وقديم الإحسان .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩)

ويحذر الله الذين يحضرون تقسيم التركة أو من يكفل اليتامى أو من يسأل في وصية لميت أو يحضر في موقف ليشهد فيه بشهادة فاصلة في أمر ضعفاء أو من

يتعامل مع اليتامى والمساكين في قول أو فعل أن يتقي الله في أولاده الصغار فقد يكونوا في يوم ما مكان هؤلاء الصغار ويحتاجوا للكلمة حق أو كلمة معروف وحنان وكيف يتقي الله ؟

بأن يقول قولاً سديداً في أمر وصية حق أو بأن يتكلموا مع اليتامى بكلام جميل فيه رحمة ورقة وجبر خاطر لهم .

إلهي كم أنت رحيم ولطيف في صفاتك وفي أوامرك ورقيق في مشاعرك الجميلة وحنان ورؤوف وجميل تحب سلوك الجمال والرقّة من عبادك وتحبهم على أعلى درجة من الرقة والسلوك الراقي في كل موقف .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

يقول الحق سبحانه مخوفاً من يتعامل في أموال اليتامى حتى يحذروا هذه الأموال بأن من يأكل أموال اليتامى ظلماً بغير حق إنما يأكل ناراً في بطنه وما معنى هذا ؟

أن مال اليتيم ينزل في بطنهم كأنه نار تأكل وتحرق والنار ليست فقط بمعناها الحرفي وهو اللهب فقد تكون حقاً ناراً وقد تكون هذه النار مرض مستعصي يمزق أمعاء من يأكل مال اليتيم وهذا في الدنيا ويوم القيامة يصلون إلى الجحيم والسعير والعياذ بالله .

قمة التهديد من الحق سبحانه وتعالى لمن يتعامل مع مال اليتامى .

وهذا حرص من الحق على اليتامى وحقوقهم وحرص على العاملين على تقوى الله في أنفسهم وأولادهم وأموالهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمَتُل حَظُّ الْأُنثَيَيْنِ إِن كَانَ كُ ذَسَاءُ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ النِّصْفُ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

القاعدة الأساسية هي للذكر ضعف الأنثى أي كان هذا الذكر ولد أو أب أو أخ

في هذه الآية يبدأ الحق في تحديد حقوق الورثة والآية حين تقرأها تطبق آخرها قبل أولها بمعنى أنها نازلة تنازلية وحين التطبيق تطبق تصاعدياً «بمعنى» :

أولاً: نبدأ نحصي التركة التي تركها المتوفى .

ثانياً : نبحث عن الديون فنسد هذه الديون .

ثالثاً : نرى هل ترك وصية بحيث هو أدرى بأهله وماله فننفذ وصيته إن لم يكن فيها ظلم لأحد من أهله أو غيرهم .

رابعاً : نحصي ورثته الشرعيين .

خامساً : إذا كان أبواه هم الوراثين له وليس له أولاد فلأمه 1/3 التركة وأبوه له 2/3 التركة .

فإن كان له أخوة بنين وبنات فلأمه 1/6 وأبوه 1/3 والباقي لإخوته للذكر ضعف الأنثى .

سادساً : إن كان له بنات فقط فلأبويه كل واحد منهم له 1/6 ثم إن كانت بنت واحدة فقط لها 1/2 التركة .

سابعاً : فإن كان الورثة بنات الميت فإن كنا بنتين فأكثر فلهن 2/3 التركة .

ثامناً : إن كانوا الأبناء بنين وبنات فللذكر ضعف الأنثى إن كان ولد و بنت .
الولد له 2 / 3 التركة .

والبنت لها 1 / 3 التركة .

يعقب الحق على هذا التقسيم بقوله : أنكم لا تعرفون من أقرب نفع لكم آبائكم
أم أبنائكم .

وهذا فرض من الله والله حكيماً بعلمه المسبق من قبل أن تخلقوا هو أعلم أو
نفع أو أي موقف .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ
الْثُمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَالَّةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ
وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

1- دفع الديون وتنفيذ الوصية أولاً لكلا الطرفين ذكر أو أنثى .

2- إذا ماتت الزوجة وليس لها ولد فلزوجها 1 / 2 التركة .

3- إذا كانت لها ولد فللزوج 1 / 4 التركة .

4- للزوجة من تركه زوجها إن لم يكن له ولد 1 / 4 التركة .

5- إن كان للزوج ولد فللزوجة 1 / 8 التركة .

6- الكلالة هو الميت ذكر أو أنثى ليس لهم ولد أو والد ولهم أخ أو أخت .

فلأخ 1 / 6 التركة والأخت 1 / 6 التركة .

فإن كان لهم أخوة أكثر من ذلك فهم جميعاً شركاء في 1 / 3 التركة .

ذلك من بعد وصية أو دين ولكن لا تكون وصية فيها ضرر للورثة الشرعيين
فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وهذه توصية من الله والله حلیم بعلمه وعليم بحلم واختار اسمه الحلیم لأنه لا
يحب أن آخر من تشريعه ولا يوصي موصي بظلم لآخر من الورثة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣)

هذه هي الحدود الشرعية من الله التي شرعها لعباده بحق وعدل وعلم وحلم
وحكمة ووضحها رسول الله بالتفصيل في سنته فمن يطع الله ورسوله في تنفيذ
حدود الله يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز
العظيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ
عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٤)

أما من يعصي الله ورسوله في شرع الله في تقسيم الميراث أو في التعدي على
حدود الله وحرماته في تشريعه يدخله ناراً خالداً فيها في الآخرة وفي الدنيا له عذاب
معين .

وقد يكون العذاب المهين في الدنيا والآخرة نرى بعض الناس حين يموت
أحدهم يستولي على حقوق الورثة ولا يعطي كل ذي حق حقه لأنه مثلاً غاضب منه
أو أن كل شيء مكتوب صورياً باسمه أو هو الذي يتحكم في التركة فليعلم هذا أن

هذا هو الضياع في الدنيا والهلاك في الآخرة .

ولقد رأيت أحد الرجال مات وترك أطفال صغار وأم كبيرة في السن وزوجة فجرى أبو الزوجة على الأم الكبيرة لتكتب له تنازل عن حقها الشرعي في ابنها لأبنائه الصغار وهذا حرام لأنه استغل موقف الأم الثكلى لولدها في حال ضعفها ليأخذ حقها وهذا ظلم سيحاسب عليه .

تعليق :

وصف الحق نفسه في آيات الميراث بأنه عليم حكيم ثم عليم حلیم .

بمعنى أن جعل في علمه حكمة وحلم وهذا يتجلى في فرضه لحدود الميراث التي جعلها فرضاً لا تحيد عنه حكمة رائعة ناتجة عن حلمه بخلقه ألا وهي : أنه في كل تقسيمة فرضها لوارثين جعل جزء متبقي من التركة لم يحدد لمن هذا الجزء المتروك ذلك ليعطي الفرصة للرسول وللشريع من بعد الرسول ليقسموه حسب الأحقية على حسب الحاجة لكل أسرة ولكل مجتمع ولكل عصر مقبل .

بمعنى أن الحق حين ترك جزء من تركة المتوفى لم يحدد لمن هذا الجزء حتى يعطي فرصة لمن له اجتهاد في العلم أن يقسم هذا الجزء الذي هو بعيد عن الفرض الإلهي حسب علم الشرع الذي يتميز بعقل وعلم ويجب أن يتوفر في هذا المشرع الحكمة والعلم والحلم .

لم يحرم الحق عباده العلماء من فسحة في التشريع ليقسموا بعلمهم وحكمتهم وحلمهم هذا الجزء المتبقى في بعض الحدود والمنصوص عليها .

لم يروه بعلمهم أحق بهذا الجزء من الميراث فإن الحق في بعض حالات التقسيم يترك جزء من التركة لاستنباط الرسول والعلماء والفقهاء وهذا من رحمة الله في إعطاء أحكامه بعض الفسحة للفقهاء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (١٥)

ينتقل بنا الحق إلى قوانين خاصة بالأعراض بعد أن وضع قوانين الميراث .

فهناك من حالات الشذوذ الجنسي ما هو بين النساء وبعضهن وهو ما يسمى «السحاق» أن تعاشر المرأة المرأة معاشرة جنسية .

فمن تفعل هذا من النساء فيجب أن يشهد عليهن أربعة شهود منكم فإن شهدوا عليهن فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن حلاً أو طريقاً .

وهذا من رحمة الله وستره على عباده بأن يشترط على هذا أن يكون على هذه الفعلة شهود أربعة حتى يعطي الفرصة للستر والستر أوجب من رحمة الله عز وجل ولا يرفع الله ستره بإحضار أربع شهود إلا إذا زادت الفاحشة عن حدّها بحيث أن الله لم يجد لهذه النساء توبة أو رجعة فيرفع ستره عنهن .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (١٦)

واللذان يفعلان الفاحشة من الرجال أي أن يمارس الرجل الجنس مع رجل مثله أي الشذوذ الجنسي بين الرجال فأذوهما مما يكون فيه زجر لهما ولغيرهما فقد يأتي الرجل رجل مثله أو يأتي بالفاحشة في صبي صغير وهذه جريمة بشعة .

فيجب أن يعاقب من فعل هذا عقاب يردعه فإن تاب وأصلح كل منهم فاتركوهم لأن الله تواباً رحيمًا .

«ولقد حكم فيهما المسلمون قديماً بالقتل رجماً بالحجار» .

نلاحظ الفرق في العقوبة بين الرجل والمرأة في شرع الله ؛ لأن الله رحيم يعلم

أن للرجال شهوة أشد من شهوة النساء فهو عليهم بحكمه ورحمته .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧)

إنما التوبة على الله «بمعنى» قبول الرجوع عن المعاصي متحقق وثابت عند الله عن الذين يعملون السوء والمعصية بسفه وجهل وطيش وحق أي كل من يعصي الله عن جهل .

هؤلاء إن تابوا سريعاً بعد الذنب مباشرة فأولئك يتقبل الله توبتهم ويتوب عليهم أي يساعدهم على الاستمرار في التوبة لأن الله عليماً حكيماً . وهذا ينطبق على حكمه السابق في الآيتين (15، 16) .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتِّ الْأَنْفَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٨)

يقول الحق الحكيم العليم أن التوبة ليست للذين يعملون السيئات طوال حياتهم ثم إذا حضرت الوفاة وعلموا أنهم يموتون يقول : إني بتبت الآن لا لن تقبل التوبة حين الغرغرة .

وليس التوبة من الله للذين يموتون وهم كفار أولئك أعد الله لهم عذاباً أليماً . نرى في هذه الآيات أن للتوبة شروط يجب أن تتوفر في العاصي حتى يقبل الله توبة العبد .

أولاً : أن ينظر الله إليه برحمة فيشعره ب..... وهذا يتوفر إذا كان العبد لا يصر على المعصية وكان جاهل بعواقب فعله فإن عرف وندم تاب إلى الله من قريب ولم

يصر على المعصية علمه بأن الله محاسبه .

ولا يظل يعصي حتى وقت وفاته فيتوب وهو يموت هذا طبعاً ليست توبة لأنه يموت ولن يعود للمعصية غصب عنه فكيف يهب ما لا يملكه أصلاً ؟
وكيف يتوب على ما استحال فعله أصلاً بموته هذا لن يقبل منه توبة أو يموت وهو مصر على الكفر والعياذ بالله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝۱۱﴾

يضع الحق آداب وحدود وقوانين للسلوك في تعامل الرجال مع النساء .

فقد كان الرجال في الجاهلية يرث الرجل نساء أقربائه يفعل ما يشاء بهن فإن شاء تزوج المرأة منهن بلا صداق وإن شاء زوجها بغيره وأخذ هو صداقها كرهاً وظلماً .

فقد حرم الإسلام هذا فلا حق في أن يرث الرجل نساء أبيه أو أقاربه وليس من حقه التحكم في مصائرهن من زواج أو ميراث وغيره فهن أحرار وليسوا متاع يورث وكان الرجل يتزوج المرأة ويطلقها ثم يراجعها قبل انقضاء العدة ويمسكها ضرراً بها حتى يأخذ منها من مالها أو مما أعطاهها من مهر يعني لا تعصبو ما بشيء إلا فعلت فاحشة من نشوز وسوء خلق واضح .

ويأمر الحق أن يعاشر الرجال النساء بالمعروف من سلوك طيب وعشرة طيبة فيها مودة ورحمة وأداء حقوق للمرأة .

فإن كره الرجل منها شيئاً غير ما سبق مثل كبر سن أو غيره أو أي شيء لا يؤخذ عليها فيه ذنب .

فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

إذا أراد الرجل أن يبدل زوجته بزوجة أخرى وقد أعطى الزوجة الأولى مالاً كثيراً فلا يأخذ منه شيئاً .

فلا يجب أن يأخذ منه شيء باطلاً وظلماً فهذا ظلم وذنوب شديد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

يتساءل الحق في تعجب من أمر بعض الرجال كيف يأخذوا وقد آمن بعضهم بعضاً وأطلع كل منكما صاحبه على عورته ، وكيف تأخذ منها شيء وقد أخذت منك عهداً وثيقاً مؤكداً بيمين وعهد على الأمانة والأمان .

أرى الرجل حين لا يتقي الله في يذكر أن هذه الزوجة شاركته أيام حياته حلوها ومرها وحين يحلو في عينه امرأة أخرى ينسى العشرة والأمانة ويبدأ في أن يبحث عن عيوب في زوجته الأولى حتى يبرر لنفسه أن يطلقها ويأخذ منها مال ولا يكون عنده شيء من الرحمة حيث أنه عاش معها وتمتع بها وأخذ من عمرها وجمالها وصحتها وشبابها الكثير مما لا يمكن أن يعوضه مال .

يطالبنا الحق بالوفاء والأمانة والرحمة .

ما أجمل صفات الله وما أعظم خلاله الحميدة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ

فَاحْشَةُ وَمَقْتَأَوْ سَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

لا تتزوجوا زوجات آبائكم إلا ما مضى فهذا في شرع الله ممقوتاً مبغوضاً مستحقراً جداً وذنب عظيم ونهايته سيئة .

كان الرجل يمون في السابق فيأخذ أشد أبنائه نساءه وماله ولا يعطي شيئاً للنساء وإما أن يتزوجها ويمسكها دون زواج حتى يموت فمنع الإسلام هذا وجعله محرماً من رحمة الله وعظمته وعدله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

حرم الله على الرجل أن ينكح :

- 1- أمه .
- 2- بناته .
- 3- أخواته .
- 4- عماته .
- 5- خالاته .
- 6- بنات الأخ .
- 7- بنات الأخت .

8- أمه من الرضاعة «التي أرضعته» .

9- أخواته من الرضاعة .

10- أم زوجته .

11- بنت الزوجة من رجل آخر إذا دخل الرجل بالأم فلا تحل له البنت فإن عقد العقد على الأم ولم يدخل بها فلم تحرم البنت بعد فلا ذنب أن ترك الأم وتزوج البنت .

12- زوجة الابن الذي من صلب الرجل .

13- عدم الجمع بين الأختين على رجل واحد إلا ما قد سلف فإن الله كان غفوراً رحيماً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢٤)

كان المسلمون قد أسروا بعض نساء من أهل الكتاب فأرادوا أن ينكحوهن فقلن لهم أن لهن أزواج فسألوا رسول الله فتزلت هذه الآية .

أن لا يتزوج رجل بامرأة متزوجة إلا إذا كانت ملك يمين بمعنى أنها من سبايا حرب فهي حلال لمن ملكها .

هذا كتاب من الله بمعنى أن هذا قانون وتشريع إلهي لا يتعداه أحد .

وأحل لكم غير ما سبق ذكره من محارم ويضع الرحمن أسلوباً للزواج فيه كرامة للمرأة بأن يقول الحق .

﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ محصين يعني بالزواج وليس بالزنى والحرام ﴿غَيْرُ مُسْفَحِينَ﴾ فمن تمتعتم بهن فأعطوهن مهورهن فريضة من الله لهن .

فمن فرض على نفسه مهر ولم يستطيع الوفاء به لضيق الرزق فلا ذنب عليه إذا تراضت الزوجة بذلك .

لأن الله كان دائماً عليماً حكيماً بمعنى هذا من حكمة الله العليم بخلقه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَإِنْ كُحُّوهِنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرُ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَنَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥)

هذه الآية نجد لها حل لمشاكل كثيرة في عصرنا الحديث :

أولاً : ما المقصود في هذه الآية بالمحصنات ؟

المحصنة ما هي المرأة الحرة التي لها من يحصنها ويكفلها مثل أب أو أخ أو عم أو جد أو ابن أو هي تعول نفسها ولكنها عفيفة طاهرة حرة لا تقبل الفاحشة أو الخطأ مستقيمة الخلق والدين هذا هو المقصود بالمحصنة في هذه الآية فمن لم يجد امرأة مصانة في بيتها مسلمة حقاً طاهرة خلقاً ودينًا .

ماذا يفعل ؟

فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ملك اليمين في عصر الرسول كانت هي المرأة التي يشتريها الرجل بماله أو التي تهب نفسها لرجل فتكون له دون زواج ليكفلها بمعنى أنها تباع نفسها له وفيما سبق كانت التي تعمل لتكسب رزقها

من الإماء والحرائر قليل منهم من كانت تفعل ذلك .

لنطبق هذه القاعدة هذه الأيام نجد أن نساء كثيرات هن من الإماء أي غير محصنات ، فنجد النساء في الطرقات وفي المكاتب والمحلات حاسرات الرؤوس ثيابهن لا تسترهن ونرى الأب يرى هذا ولا يتكلم أو يعترض والأخ كذلك والزوج أيضًا بل كلهم يحفظوها لكي تخرج لتعمل لتحصل لهم على المال الرجل يبحث عن عمل لبنته والأخ كذلك والزوج يشترط أن تكون زوجته امرأة عاملة ويا ليت يكون مرتبها كبير الكل يتاجر بالمرأة .

فهذه النساء لسن محصنات إلا إذا استعففن بنفسهن وكن مجبرات على فعل هذا لعدم الرجاء في عوائلهن ولكنها متدينة ملتزمة لا تخطئ في علاقتها مع الرجال الأغراب عنها .

ولكن هيهات نسبة صغيرة التي تكون على هذا الحال في العمل تخرج المرأة من بيتها وتأتي للعمل ليكون مكان ليس فيه هموم ومشاكل الحياة الزوجية وكان للفضفضة والكلام المسلي والجلوس دون التزام بواجبات شاقة زوجية أو منزلية فتحدث الألفة كم من العلاقات التي تتم بين المرأة والرجل في علاقات غير شرعية في عصرنا الحالي .

فهي في حالة مقارنة بينه وبين زوجها الذي يطالبها بأن تخرج لتعمل وتحضر المال .

ما هذا الظلم الذي وقع على المرأة في هذه الأيام ، إنهم يقولون : نريد المساواة والحرية أين هذه الحرية وأين المساواة ؟

إن هذا العصر ليس عصر تحرير المرأة بل أراه عصر تعييد النساء ولا أرى المرأة تحرر منها إلا جسدها تحرر من الثياب وروحها تحررت من الأخلاق والإيمان .

هذا هو التجرد وليس التحرر .

ومن المصائب التي تحدث الآن أن البنت فقدت الحياة نجد البنات في الطرقات شبه عرايا ويغازلن الرجال والآن سهولة الاتصال عبر التليفون الأرض أو المحمول نجد هذه الوسيلة قد يسرت الرذيلة للبنات وللشباب .

وهناك زنى غير الزنى المعروف فقد قال رسول الله ﷺ : «العين تزني وزناها النظر ، والأذن تزني وزناها السمع والقلب يزني وزناه الهوى» .

كل هذا يتم الآن إما في التليفون أو في التلفزيون حتى أن الشباب القابض على دينه الآن يعاني المرار والويل .

فهل هذه المرأة هذه البنت التي تقضي الليل في كلام يعلم الله به في التليفون مع الشباب محصنة لا وألف لا إنهم ملك يمين وهبت نفسها دون مقابل لمن يريد هذه الفتيات هن إماء العصر الحديث .

تقول الآية : من لم يستطع أن يتزوج امرأة محصنة مؤمنة حرة ذات قيم وأخلاق ومصانة في بيتها فليأخذ واحدة من هؤلاء النساء الغير محصنات بشرط أن يتزوجها بعلم أهلها ويدفع لها مهرها على قدر دخله ولكن زواج صحيح يشترط فيه إعلام أهلها على الأقل ولا يتزوجها في السر بورقة بينهم هم الاثنان فقط فهذا ليس زواج «وهذا معنى» : ﴿مَتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ يعني علاقة بين رجل وامرأة في السر وهذا زنى فإذا وفر لها هذا الزوج الحصن الذي يحفظها ويحافظ عليها ولكنها ترجع لطبيعتها السابقة وتميل لما نشأت عليه من وفعلت خطيئة من زنى أو غيره فعاقبها نصف عقاب الحرة المحصنة .

وهذه النقطة تبين رحمة الرحمن وحكمته في التعامل مع النفس البشرية لأنها نشأت في حالة من السيب والتسيب ولذلك نفسها سهلت الزلل فلذلك عاذ عليها نصف العقوبة لماذا ؟ لأنها لم تجد من يقوم عليها من رجال الحق ولكن من قام عليها أشباه رجال .

ذلك تشريع من الله لمن خان على نفسه من الزنى الذي يؤدي للهلاك ، ومن

الأحسن لكم أيها الشباب أن تصبروا والله غفور لكل من تاب عن الذنب وهو رحيم بعباده يراعي ضعفهم في تشريعه فلا يقسو عليهم بل يرحمهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢١)

يريد الله أن يبين لكم طرق الأنبياء السابقين والسابقين من أتباع رسول الله الذي نزل عليه هذا التشريع .

ليهديكم بهذا التشريع إلى طريق الهداية والصالح لحالككم في الدنيا والآخرة ويتوب عليكم من آلامكم وذنوبكم والله عليم بما ينفعكم وما يتعبكم ويؤلمكم في الدنيا وبحكمته يشرع لكم ما يصلح حالكم ويهديكم ويتوب عليكم في كل آية أرى الحق في منتهى الرحمة في سننه في تشريعه في توجيهه في منهجه في أسلوبه الرفيق الرائع في توجيهه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧)

هذه حقيقة يقرها الحق سبحانه وتعالى لنضرب مثال والله المثل الأعلى .

هناك في المجموعة الواحدة من الأصدقاء نجد أنواع مختلفة منهم من يحافظ على حدود الله ويقاوم شهواته ويلتزم دينياً وآخرون منحرفون المزاج غالب عليهم شهواتهم .

فحين يرون الملتزمين يتحينوا كل فرصة ليسحبوهم إلى طريق الشهوات حتى يميلوا مثلهم وينحرفوا عن الصراط المستقيم في الدنيا وهذا الميل ضياع في الدنيا والآخرة .

ولكن الله حريص عليكم ويريد أن يتوب عليكم ويهديكم يحرص عليكم وحين لكم وذلك يجب أن نختار أصحابنا ونبحث دائماً عن الصحبة الصالحة .
لأن الصاحب صاحب ، يجر صاحبه إلى طريقه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٨)

علم الحق أن الإنسان مخلوق ضعيف جسمانياً ونفسياً .

ونلاحظ تحذير الحق في آيات الميراث وتشدده في عقوبة من يتعدى حدود الشريعة التي نص عليها المصحف .

ثم يأتي إلى فعل الفاحشة أو الزنى أو أحكام النكاح والزواج نجد أنه يميل في تشريعه إلى الستر دائماً حريص على أن يستر عباده حتى المخطئين ولذلك لو رأيت أحد فضح في مجتمع وعوقب بجريمة الزنى فإنه قد تجاوز كل الستر الذي ستره الله به وأنه مصر على المعصية لأن الله يستر مرة واثنان وثلاث وأكثر .

لماذا ؟ لأن الله يعلم من خلق وهو العليم الحكيم يعلم ضعف الإنسان وضعفه أمام شهواته وعجزه أمام رغباته لأن الله خلقه ضعيفاً ولذلك تتجلى الرحمة في هذه الآية في قول الحق سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ .

وتتجلى حكمته في قوله : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢٩)

يضع الحق في هذه الآية قوانين التعامل في المال أو في الأنفس .

فيقول للذين آمنوا : لا يأخذ أحد منكم مال غيره بطريق غير مشروع ومخالف

يحكم الله تعالى إلا أن تكون شركة بينكم في تجارة عن تراضي بينكم فمثلاً من يوظف أموال غيره في التجارة ويكون الطرفين في تراض بينهم .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني :

أولاً : لا يقتل بعضكم بعضاً .

ثانياً : أن يتحر الإنسان وينهي حياته بيده .

وهنا الإقرار من الله واضح في حبه ورحمته بخلقه فيقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

ومن يفعل ذلك ما هو هذا الفعل ؟ أن يأخذ مال غيره بغير حق أو يقتل غيره أو يتحر من يفعل ذلك متعمداً لا خطأ .

أو يفعل ذلك لا قصاصاً ولا دفاعاً عن النفس فسوف يدخله الله النار ويحرقه بها وهذا كان على الله يسير وشهد أن يحرقهم بالنار ، هذه الآية هي تشريع وفي نفس الوقت تحذير وتنبيه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنْ جَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ

مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

تتجلى رحمة الرحمن في الشرط الذي بدأ به هذه الآية حيث يقول : ﴿إِنْ جَحْتَنِبُوا

﴿أي لا تفعلوا ولا تقربوا كل الكبائر من المعاصي التي اقترن بها وغير شديد أورد فيها حد كالزنا والقتل والسرقة .

﴿نَكْفِرْ﴾ أي نمحو ونستر ونغفر ... ماذا يا رب ؟

ذنوبكم الصغيرة أي التي ليس فيها شيء مما سبق .

وليس هذا فقط بل : ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ هنا أقول مكان حسن شريف والمدخل الكريم ممكن يكون طريق مريح في الدنيا وقد يكون الجنة في الآخرة .

وقد يكون حياة مريحة في الدنيا والآخرة معاً لأن الله هو الكريم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

سألت أم سلمة رسول الله ﷺ وقالت : يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لها نصف الميراث .

وجاءت امرأة لرسول الله ﷺ فقالت : يا نبي الله ، للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة رجل بامرأتين أفنحن في العمل هكذا ؟

إذا عملت المرأة حسنة كتبت لها حسنة ؟

فنزلت هذه الآية ردًا من الله عليهن : ﴿وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي لا يصح أن تتمنى المرأة ما زاده الله للرجال من أعمال .

وساوى الحق في الحسنات فقال : للرجال نصيب من حسناتهم وللنساء نصيب من حسناتهم بمعنى أنهم متساويان في الثواب كل حسب عمله والحسنة بعشر أمثالها للجنسين ويجب أن تسأل الله من فضله في زيادة حسناتها وزيادة عطائه لنا في كل حال وفي الدارين الدنيا والآخرة .

والله بكل شيء عليم ، أي أنه يعلم ما يجول في خواطرنا ويعلم كل خلقه من ذكور وإناث .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٣٣)

حدد الله الميراث في عصبه أو مجموعة معينة يرثون ما ترك والديهم أو أقاربهم كل حسب نصيبه الشرعي الذي حدده الله له .

وكلمة ﴿مَوْلَىٰ﴾ تفيد معاني كثيرة فهي تعني مثلاً الذي يرث الأولى فالأولى حسب ما قسم الله من قبل في أول السورة وقد تعني أن من حضر القسم من الموالى والعبيد أن يرزقوا من التركة .

وقد تعني أن يتولى مجموعة من الأقارب تقسيم الميراث .

وقد تعني أن لكل تركه من هم أحق بها وكثير من المعاني التي تفتح مجال للحوار .

والجزء الثاني من الآية يفيد معنى أن من أقسم على أحد أن يحرمه من ميراثه فمثلاً غضب أب على ابنه فأقسم ألا يورثه فهذا القسم لا يجوز ويجب أن يرث هذا الابن حقه الشرعي لأن الله دائماً شاهد على كل شيء .

ومن رحمة الله أنه لم يمنع رزقه على من كفر به ولكنه يرزق كل خلقه لا يترك أحد بغير رزق فإنه هو الرزاق الكريم ، فإن لم يرزقهم هو فمن الذي يرزقهم؟

كان فيما سبق يورث الرجل رجل آخر عاهده على ذلك وفي الهجرة كان الأنصار يورثون المهاجرين .

ولكن فيما بعد نسخ هذا الأمر وأصبح الميراث للورثة الشرعيين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا ضَلَّحْتُ قَلْبِي قَلْبِي حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ تَحَافُونَ نَشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

لكل مؤسسة أو شركة أو عمل يجب أن يكون له رئيس يدبر الشئون وينظم القوانين ويراعي من هم دونه ويقوم على مصلحة الشركة والعاملين فيها .

كذلك الأسرة وهي وحدة بناء المجتمع الذي يجب أن يكون مترابط ومتماسك وقوي ولن يكون البناء الاجتماعي صلب وقوي إلا إذا كانت لبناته التي هي الأسر قوية وصلبة وقادرة على أن تقيم الأسس السليمة المسلمة داخل الأسرة وفي كل المجتمع .

ولقد اهتم الحق سبحانه بالأسرة حيث لم يجعل في مكوناتها شيء لم يوضح دوره وما يجب أن يكون عليه حتى ينشأ مجتمع مسلم مؤمن قوي البنيان فبدأ بالزواج الذي هو أول درجات تكوين الأسرة .

فمن أول سورة النساء الحق سبحانه يضع لنا قواعد شرعية في اختيار الزوجة التي هي محور الأسرة وهذه الآية توضح الأسرة المسلمة كيف تكون ولنبداً بالمرأة لمن يقول الحق :

1- الرجال قوامون على النساء ؟

ما هي القوامة ؟

القوامة يعني القيادة وتصريف الأمور كلها والعمل الدؤوب لتوفير ما تحتاجه النساء من مسكن وملبس ومطعم وحلي وراحة وكل شيء كل على قدر رزقه الذي يرزقه به الله .

وكلمة قوام على وزن فعال يعني يكون للرجل دور فعال في حياة زوجته وأمه

وأخته وابنته وكل نساء أسرته وعائلته .

والقوامة في أصغر شيء وفي أكبر شيء .

وأهم دور للرجل في القوامة يبدأ من عند باب البيت وخارجه .

وداخل البيت لا يتم أمر من أمور الحياة المحورية التي فيها تقرير لمصير أهل البيت أو لتحول من شأن لشأن في أفراد الأسرة إلا وكان الرأي الأخير للرجل بعد مشاورة كل أهله .

إذن القوامة مسئولية كبيرة أي أنها هي أساس بناء الصرح الكبير وهو الأسرة وهي القانون الذي يدير حياة الأسرة خارج وداخل المنزل ولماذا القوامة للرجل ؟

يقول الحق سبحانه :

بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فضل الله الرجال على النساء بعدة أشياء : الرجل قوي الجسد يستطيع أن يتحمل بهذه القوة ما لا تستطيع تحمله المرأة جسمانيًا والمرأة في بعض الأوقات لا تستطيع حتى أن يقوم بشئونها إلى حملت مثلاً وثقل عليها الحمل لكن الرجل لا يحمل ولا يرضع فبنيان جسمه قائم له هو وحده بذاته .

ومما فضل الله أيضًا أن الرجل دائمًا يحكم عقله على قلبه ، والمرأة في طبيعتها قلبها يسبق دائمًا العقل لأنها مصدر للحنان والأمومة ، فلو أن الأم حكمت عقلها ولم تحكم قلبها لما استطاعت أن تقوم على تربية الصغار الذين يحتاجون لصبر وحنان مع المشقة في تربيتهم وأيضًا حين يرجع الرجل بيته يجب أن يجد زوجة محبة حنونة تخفف عنه أعباء الانغماس في معترك الحياة خارج المنزل .

لا أقول : أن المرأة لا تحكم عقلها بل على العكس أجهل ما في المرأة بعد حنانها هو ذكائها .

حين خلق الله آدم وحواء كان لاسمها نصيب من سلوكها .

فكلمة آدم عكسها : مدا يعني المدا واسع في الضرب في الأرض بما حباه الله به من قوة بدنية .

مدا أيضًا آتية من المدد المادي والإنساني الذي يمد به زوجته وأبنائه ومن يعول من أهله .

أما حواء فآتية من الاحتواء .

تحتوي زوجها وتسكن إليه ويسكن إليها ويسكن عندها ثم يحتوي أبنائها بالحمل والرضاعة والتربية وتحتوي أهلها كلهم بالرعاية والعناية .

ويحتويها بيتها فلا خروج إلا للضرورة القصوى ويحتويها الرجل بحنانه ورعايته وحمايته لها .

أما ما أنفقوا فإن الإنفاق لا يكون لزامًا إلا على الرجل فقط أما المرأة فهي من ينفق عليها ليس العكس .

نلاحظ أن شرع الله منظومة متكاملة يجب أن تأخذ ككل لا نترك منه شيء .

فحين يقول الحق : أن للذكر مثل حظ الأنثيين لم يكن يظلم المرأة ولكن الحق قد وضع على الرجل أعباء كثيرة تجاه المرأة من إنفاق على أمه وأخته وزوجته وبناته .

فشرع الله قسم للرجل ضعف المرأة في الميراث ولكنه أمره بالإنفاق عليها من هذا الضعف الذي أخذه .

إذن الحق عدل ورحمة وحكمة وعلم فهو يقسم المال بحكمة لما شرع من قوامه الرجل على المرأة بما أنفق من ماله وليس مالها هي .

نجد هذه الأيام أن الناس تأخذ من الشرع الجزء الذي يعجبهم وأما ما يتعارض

مع مصلحتهم وطمعهم فهم يتجنبوه .

فكل رجل الآن يبحث عن امرأة ذات مال حتى يستحل مالها وهذا ليس من الشرع فقد حدد رسول الله في حديثه لماذا يتزوج الرجل ؟

تنكح المرأة لأربع :

1- لمالها .

2- لجمالها .

3- لحسبها .

4- لدينها .

وأخرى أن نترك الثلاثة الأولى في الاختيار ونظفر بذات الدين .

لم ينفي أن يكون في المرأة هذه الصفات ولكن يجب أن يكون الاختيار على أساس من المال أو الجمال أو الحسب ولكن الأساس في الاختيار هو الدين .

فمن كانت ذات دين وجميلة حبذا فمن كانت ذات دين وجمال ومال حبذا .

فمن كانت ذات دين وجمال ومال وحسب حبذا .

وهذا ما يشير إليه قول الحق : ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَنَاطٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ .

أساس الاختيار الصالحات المطيعات لله ولأزواجهن صائغات ما ينبغي صونه في غيبة أزواجهن من عرض ومال وولد وذلك بما حفظ الله معنى بما شرع الله عليهن وحفظ لهن حقوقهن على أزواجهن .

في هذه الآية رتب الله الحقوق كالاتي :

1- القوامة للرجل على نساء بيته وخاصة زوجته .

2- حقوق المرأة أولاً حمايتها ورعايتها ثم الإنفاق عليها من مال زوجها .

3- حقوق الرجل بعد ذلك حفظ المال والعرض والولد من قبل زوجته في حال غياب الزوج في العمل طول اليوم أو في الليل أو في السفر ثم طاعة زوجة له بالمعروف ما دام على حق ولم يطلب منها شيء حرمه الله .

وأن تكون صالحة في نفسها ومع الله وصالحة لتربية أولادها وطائعة لأوامر الله زوجها إن كانت أوامره شرعية .

ثم يضع الحق سبحانه قاعدة لا يتعدها الزوج في تقويم حال زوجته إذا وجد فيها عدم طاعة زوجها أو أنها تنظر لرجل آخر غير زوجها فماذا يفعل الزوج في هذا الشوذ ؟

ينصحها ويتفرق في نصحتها يرجعها ويقنعها بالعقل حتى تتوب إلى رشدها وتصلح من شأنها .

ثانياً : فإذا لم تستجيب للنصيحة فاهجرهن في المضاجع بمعنى ألا تقربوهن وهذا معناه عدم النوم معها في فراش واحد فإن لزم ونام فلا يأتيها أو يجامعها حتى تتوب إلى رشدها .

ثالثاً : فإن لم ترتدع وتعود عن خطأها فعلى الزوج أن يضربها ولكن ضرب خفيف للإهانة وليس للألم ولا يلطم الوجه .

ولا يرفع يده فذراعه لا يرتفع إلا ساعده فقط هو الذي يرفعه ولا يؤذيها بهذا الضرب فقط الضرب للإهانة وليس لإصابتها بألم مبرحة .

فإذا عادت الزوجة لطاعة زوجها فلا يسيء معاملتها ولا يزيد ويطغى في إيذائها .

وصف الحق ذاته بأنه على كبير لماذا ؟

لأن الله هو أكبر من الزوج وهو الأعلى على كل خلقه فلا يتهاون أحد في

..... أو يطغى أحد على من هم أضعف منهم .

وكان الحق يقول أنه أكبر من الرجال وأقوم منهم على عباده .

حين يقول : ﴿ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ .

كأن الله يحذر الرجال من استخدام حق القوامة في أن يظلم النساء لأن القوامة صفة من صفات الرجال والرجل يعني شهامة وكرامة وأخلاق وإيثار ورحمة وعدل وكل الصفات الحميدة هذا هو الرجل .

ولذلك يقول الحق إن كنت عالي وكبير فإن الله أعلى وأكبر منك فاتقيه ولا تطغى بما آتاك الله على خلق الله .

وكما قال الرسول ﷺ : « اتقوا الله في الضعيفين : المرأة واليتيم » .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾

ثم يطور الحق إلى ما بعد ما وصل الخلاف بين الزوجين إلى حد الشقاق والخلاف الذي قد يصل لمرحلة الطلاق .

فيقول الحق : يجب أن يأتي حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة .

ويجب أن يتوفر في هذان الحكمان أن تكون نيتهما أن يصلحا بين الزوجين بصدف نية مع الله حتى يوفقهما الله إلى الإصلاح بين الزوجين ويوفق الله بين الزوجين ويجمعهما على خير .

إن الله كان عليماً بنية الزوجين في رغبتهم في الإصلاح من عدمه .

وعالم بنية المصلحين هل هم صادقون في إصلاحهم لوجه الله أم لا .

وعالم بما ينفع كل من الزوجين في الصلح أو الطلاق وهو خير بما سوف

يترتب على النتائج التي يصل إليها هذا الزواج من استمرار أو فشل .

نجد الحق هنا حريص على كيان الأسرة وعلى عدم الخلاف بين الزوجين وحريص على السلام الأسري حتى ينشأ الأبناء بين أب وأم في حالة حب ووداد وود ورحمة حتى يكونوا ذرية صالحة تـا.... في بيئة صالحة ليعم السلام في المجتمع وبالتالي في الأرض .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٣٦)

صدر هنا أمر مباشر من الله عز وجل بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له .

والعبادة كما قلنا هي قمة الحب ، فمن شدة حبنا لله يجب أن نعبد وحده لا شريك ، والشرك ليس في وجود إله آخر فقط ، ولكن الشرك قد يكون أن نحب أموالنا أو أزواجنا أو أولادنا أو أصحابنا أو أي شيء غير الله وممكن يكون الشرك أن نحب أنفسنا ونعجب بأجسامنا وأشكالنا .

يرفض الحق أن يدخل قلب عباده غير حب الله وحده .

وقرن الله عز وجل عبادته بعدة أوامر لمن يعبد:

1- وبالوالدين إحسانًا :

الإحسان هو التعامل بالفضل وليس بالعدل فالأب والأم لا تتعامل معهم بندية أو بالعدل ولكن هم فوق أعناقنا لأنهم السبب الذي جعله الله لوجودنا أي أن الله سخر كل منهما ليكونا سبب في حياتنا في الدنيا وسخرهم لخدمة هذا الصغير لا يأكلوا حتى يشبع ولا يناموا حتى ينام ولذلك وجب احترامهم ورحمتهم ورعايتهم فبروا آبائكم تبركم أبنائكم .

وما زال توجيه الحق بالإحسان .

2- لأقاربنا من جهة الأب والأم أو بالنسب .

3- واليتامى الصغار الذين فقدوا آبائهم .

4- والفقراء والمساكين الذين لا يجدوا ما ينفقوا .

5- الجار ذي القرابة أو الذي قرب جواره ولو لم يكن مسلمًا .

6- الجار الجنب أي البعيد سكنًا أو نسبًا .

7- الصاحب بالجنب أي الرفيق في أمر حسن أو الرفيق في السفر .

8- وابن السبيل وهو المسافر الغريب أو الضعيف .

9- وما ملكت أيمانكم أي العبيد من رجال أو إماء .

نجد الحق هنا يعدد كثير من الفئات شملت كل من له علاقة بالإنسان .

تعالوا معي نتصور مجتمع بهذه المواصفات كل من فيه من نساء ورجال وأطفال وشيوخ في حالة من التعامل بالإحسان مع بعضهم البعض إنها الجنة بعينها .

حين يضع لنا الحق الأسس السليمة لبناء الحياة الدنيا بدايته من تكوين أسر على أساس من الدين والأخلاق إلى التراحم الذي يتعدى إلى الأهل وللجيران ومن حول كل إنسان حتى الخدم التعامل مع كل فئة بالإحسان والتواضع والتراحم هذه هي الجنة الأرضية .

وهذا هو منهج الله الذي وضعه لأبناء آدم حتى يعودوا إلى جنة أبيهم آدم التي كان بها قبل أن يطرد منها .

هذا المجتمع الذي يسود الإحسان والبر لن تجد منه متسول أو سارق أو قاتل أو قاطع رحم أو قاطع طريق أو خوف .

كل ما فيه أمان ورحمة وسلام وسلامة.

هذا ما يريد الله من البشر حتى يصلوا إلى الجنة العلوية بعد الموت .

ألا ترى حب الله للعالمين واضح بين في هذه الآية يحب أن يراهم في أحسن حال .

ثم يختم الله الحق بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿إذن هو يحب ما سبق من صفات الترحم والتواضع بين أفراد المجتمع الواحد ولكم من شمنخ بأنفه ولم يتواضع لله ولم يعامل الخلق بما أمر به الله شر..... وكبرياء فإن الله لا يحب هذا الشخص ومن لم يحبه الله فهو من الهالكين الضالين . كأن الحق يقول : الترفع عن الفئات البسيطة في مجتمعك حتى يجعل الله عز وجل .

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣٧)

هناك طائفة من الناس لا ينفذوا أوامر الله السابق ذكرها في الآية رقم (36) .

هؤلاء هم البخلاء الذين يبخلون بمال الله الذي آتاهم .

وليس هذا فقط بل يأمرؤن الناس بأن يبخلوا بمالهم على مستحقه الوالدين والأقربون واليتامى والمساكين .

والمال في الأصل مال الله يؤتیه من يشاء من فضله على عباده .

فمن يخفي مال الله الذي آتاه ويدعي ظلماً أن الله لم يؤتیه شيئاً فهذا وصفه الله بأنه كافر لنعمة الله أخفاها ولم يظهرها نكران لفضل الله هؤلاء لهم عذاب مذل أعدده الله لهم وهيباً وهذا حكم الله عليهم .

هذا حرص من الله على أن يطبق قانونه الذي سبق وأمر به في الآية (36) .

ليعم السلام على الأرض والرحمة والإحسان والبر .

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨)

يوضح لما الحق في هذه الآية أهمية نية الإنسان في قبول الله عز وجل لعمل هذا الإنسان .

فمن ينفق ماله رياء ليمدحه الناس وليس لوجه الله ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من حساب على النية قبل العمل ؛ لأن الحق سبحانه لا يقبل له شريك في قلب عباده هو وحده الذي يجب أن يكون المقصود في كل عمل يقوم به العبد .

أما من كان الشيطان في قلبه وهو قرينه في فعله حتى يزين له الرياء وحب الجاه وحب الظهور وحب مدح الناس له .

فساء هذا القرين فإنه ضال مضل من اقترن به .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٣٩)

أجد في هذه الآية عتاب رقيق من الرحمن لعباده كأنه يبسط لهم أوامره السابقة بأنها سهلة ويمكن أن يعملوها ببساطة .

فيقول ما معناه :

ماذا يحدث لهم لو أنهم آمنوا بالله وأطاعوا أوامره في أن ينفقوا مما آتاهم الله من فضله وآمنوا بأن هناك يوم أخير في هذه الدنيا والله دائماً بكل ما بهم وما يخصهم وما يشعرون به وما سلف وما هو آت عليهم .

هل ترون هذا العتاب الرقيق من الحق سبحانه وتعالى لعباده حباً وعطفاً ورحمة

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا



حرم الحق على نفسه الظلم ولو كان هذا الظلم بوزن وحدة بناء المادة وهي الذرة التي لا ترى إلا بالميكروسكوب الالكترونى وهذا يعني أنه لا يظلم أحداً أبداً بل على العكس لو كانت هناك حسنة صغيرة يعملها العبد يضاعف أجره أضعافاً على الرغم من صغر هذه الحسنة ويعطي من عنده أجراً عظيماً على بسط المعروف ولذلك يقول الرسول ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيء» .

وقال : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» صدق رسول الله ﷺ .

كم أنت كريم يا رب وعظيم وحليم ورحيم بعبادك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا

يقول الحق كيف يكون حالكم أيها البشر لو أن كل أمة شهد عليها شاهد منها أو نبيها يشهد على أمته كيف كان إيمانها بنبيها وكيف نقلت بدعوته وكيف كان استجابتها لهذه الدعوة إلى الله وساعتها يحق الله الحق ويطل حجم المذنبين من كل الأمم .

ثم يأتي سيدنا محمد شهيد على أمته كلها وهذا يثبت أن الرسول ما زال بيننا ولكن في صورة النبوة والروح يرى أعمال أمته ويشاهدهم وهم ضالين أو مصلحين .

حين قرأ عبد الله بن مسعود هذه الآية على رسول الله ﷺ بكى الرسول بكاءً شديداً وقال : «حسبك يا ابن مسعود» .

لقد تألم لأنه يعلم معنى ما في الآية من هول الموقف الذي أشار الحق إليه يوم الحساب وكيف سيكون حاله وحال المسلمين حين الوقوف بين يدي الجبار ليحاسبهم ويأتي بالرسول ليشهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا وأشفق الرسول من هذه الشهادة على نفسه وعلى أمته لأنه يومها لن يكون هناك غير الحق والعدل . سوف يقول حقيقة ما فعلته الأمة هكذا ترون عدل الرحمن وحكمته حين يحاكم خلقه يأتي بالشهود ويستجوب العباد ويشهد عليهم بالدليل والبرهان لأنه الحكم العدل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا



في هذا اليوم ، يوم الحساب وإشهاده الأنبياء على أممهم يومئذ يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا رسولهم أو رسول الله ﷺ .

لو كانوا هم وتراب الأرض سواء فلا يبعثون لأنهم لن يستطيعوا أن يخفوا حقيقة قولهم وشهادتهم على أنفسهم فإنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على الله أو يخفوا أي شيء من قولهم السابق من كفر وعصيان .

أي خزي وأي خجل أمام الله من عصيانهم وكفرهم .

وهذا ما أبكى رسول الله بكاءً مريراً حزناً على من كفر وعصى لأن رسول الله لن يكتف الله الشهادة لا هو ولا الأنبياء الذين يشهدون على أممهم فمن هنا كان بكاء النبي ﷺ وألمه من شدة إشفاقه على أمته وحزنه على عصيانهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ

الْعَاطِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

يبدأ الحق في هذه الآية بنزول أمر إلهي للذين آمنوا أن لا يقربوا الصلاة وهم
سكارى أي يحب أن يكون الإنسان في كامل وعيه حين يأتي للصلاة .

وهذا الأمر كان بداية من الله لتدريب المؤمنين على تحريم الخمر نهائي مثل ما
جاء في سورة المائدة التي نزلت بعد ذلك في قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
﴿المائدة: 9﴾ ، فحين يسكر الإنسان فإنه لا يعي ما يقول ولا يفهم الألفاظ الذي
ينطقها .

ولذلك أمر الحق أن لا يصلي أحد حتى يكون في حالة من الوعي التام لكي لا
يخطأ بالحديث في الصلاة لأنه بين يدي الله عز وجل بدون الملائكة فيجب أن
يكون حاملاً لأمانة الله كاملة بدون نقص والأمانة هي العقل والوعي ومما يقال :
أن هذه الآية نسخت نزول آية التحريم في سورة المائدة رقم (90) .

وبكل أسف أقول : أن رسول الله قال : «بدأ الإسلام غريباً وسيتهي غريباً
فطوبى للغرباء» .

صدق رسول الله ﷺ .

الآن يحتاج كل من يريد أن يدخل في الإسلام أن يعود للتدريب في أن لا يقرب
الخمر حين يكون في موعد صلاة وليس الخمر فقط ولكن كل المسكرات أو
المخدرات .

حتى يتعود أن يحرمها على نفسه تماماً .

وهذه الآية يصلح أيضاً عندهم من دول أجنبية ويدخلون في الإسلام وهناك لا
يحرمون الخمر بل يشربونها كما يشربون الماء فبداية نبدأ بأن لا نصلي إلا إذا كنا في
وعينا تماماً ثم يحرمها تماماً .

فلا يجب أن يقف أحد بين يدي الله للصلاة وهو سكران يجب أن يعرف ماذا يقول ويعي لكل قول يلفظ به في هذا المقام .

1- إذن أعظم نجاسة تمنع عن الصلاة هي الخمر .

2- ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنباً [ما معنى جنباً؟] .

حين أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم كان هناك لكل مجموعة من الملائكة عمل تقوم به لهذا الإنسان فمنهم من يقوم على حمايته من الخارج من حوله ومنهم من يقوم على حمايته من الداخل في خلايا جسمه ومنهم من يقوم بالعمليات الحيوية ويمد الخلايا بالطاقة اللازمة لبقائها حية وكل هذه الملائكة سجدت سجود طاعة لروح آدم في افعل ولا تفعل إلا طائفة تعمل بدون إرادة الروح في داخل الجسد بأمر الله وهي موجودة في العضلات التي تعمل لا إرادياً من الإنسان ، ومن عجائب الروح أنها إن وصلت للسيطرة الكاملة على الجسد فتحكمت في رغباته ونزواته أنها يعطي أوامر حتى للملائكة الذين يعملون بدون إرادتها فتكون هي من القوة بحيث تتصرف فيهم مثلاً الخلايا الدموية فيها ملائكة يعملون على سريان الدم من جميع خلايا الجسم .

هناك من البشر النورانية حين يرتفع ضغط الدم أو ينخفض لهم قدره بإصدار أوامر من أرواحهم لهؤلاء الملائكة بأن يرفعوا أو يخفضوا ضغط الدم فترى ذلك فيمن يمارسون ألقاب الرجاء غيرهم .

ولكن المتعة الجنسية من أين تأتي ؟

تأتي من الروح ، والروح تصدر أوامرها للملائكة ليدعوها تتحكم في الجسم أثناء الممارسة للجنس ومن هنا يحدث تجنب للملائكة الذين هم داخل الجسم البشرى من الملائكة الحراس لهم صفات الحياء فينسحبوا من الموقف جزئياً بحيث تكون من الحراسة لهذا الإنسان من بعيد دون مشاهدة موقف الجماع .

وقال الحق : ولقد جعلنا من الماء كل شيء حي ، والملائكة من الأحياء فهم

أنواع فهم من خلق من نور فقط ومنهم من خلق من ماء ونور وغير ذلك كثيرًا فحين يغتسل الإنسان بعد الجماع يمد ملائكة البشارة الخارجية للجسم بالماء الذي هو من عناصرهم فيجعلهم ينشطون للعمل من جديد في الجسد .

وذلك حرم الله الصلاة حين يكون الإنسان جنبًا حتى يغتسل بالماء ليكون وهو واقف بين يدي الله في أتم نشاط للملائكة التي تستمد من هذه الوقعة زيادة في الطاقة وزيادة في الشغل وزيادة في النور وبالتالي تزداد كفاءتها في مقاومة الأمراض وعلاج الجسد ونشاط الخلايا .

واستثنى الحق من الغسل من كان مسافر ولم يجد الماء أو المكان المناسب للغسل فأباح التيمم بالتراب النظيف .

نجد أن الحق حين يأمر بالطهارة من غسل أو تيمم فإنه يختار لهذه العملية عنصرين هما الماء ، والتراب وهي أصل خلقة جسد الإنسان فإن في التراب جميع العناصر من جملة العناصر التي في التراب عنصري الماء الذي هو الأكسجين والهيدروجين .

سيقول أحد : هناك من لا يكون في شرعته الغسل من الجنابة وهناك من هو كافر أصلاً ولا يصلي فيكيف يكون دور الملائكة في جسده .

تعمل الملائكة دورها الذي خلقت له في أجساد الكافرين والمشركين دون أن تكون في حالة من الرضاء وتستمد طاقاتها من النفس الذي هو شهيق وزفير ولكن على مضض وتبعث تراهم مهما وصلوا هؤلاء المشركين في الحياة من مال وعيال وكل شيء في الدنيا يأتيهم رغداً إلا أنهم ليسوا سعداء فهم في غم على مدى الأيام وهذا لا يهم ليس بينهم وبين الملائكة إلا العمل فقط أما الإحساس فغير متواجد .

فليس هناك انسجام بين تسبيح الملائكة وكفر هؤلاء المشركين .

ويسهل الحق تشريعه للصلاة على تيسير الطهور للصلاة لأن الصلاة يجب أن تقام بأي شكل .

لأن الصلاة هي الفرض الوحيد الذي لا يسقط من على المؤمنين حتى يظلوا في معين الله طول الوقت يعالج أجسامهم وأرواحهم .

فمن كان مريضاً أو مسافر في أو عاد من مكان فضاء الحاجة «الحدث الأصغر»

أو جامعتم النساء أو لامستم بشرتهن فلم تجدوا ماء للغسل أي تعذر الغسل لسبب ما فتوجهوا إلى التراب النظيف الطيب فيمسحوا به وجوههم وأيديهم إن الله كان عفواً غفوراً .

إنه يعفو عمن ظلم نفسه يشرب خمر ويغفر الذنوب جميعاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ



نزلت هذه الآية في «رفاعة بن زيد بن التابوت» من عظماء يهود .

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال : كان رفاعة بن زيد إذا تكلم مع رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام دعا به هذا ما يحدث الآن من استهزاء بالإسلام والمسلمين وتوجيه الإهانة لكل مسلم في أخص رموز إسلامه فنجد من يهاجم الإسلام الآن من عندهم جزء من الكتاب أي كتابهم محرف ليس فيه كل ما نزل على أنبيائهم ومن الغريب أنهم يتمنوا أن نكون مثلهم ضالين .

ولذلك يجب أن نتنبه لما يحدث الآن ضد الإسلام .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

تطمئننا هذه الآية أن الله هو أعلم بأعدائنا ويطمئننا أنه كافينا وولينا يتولى أمورنا

ويتولى حمايتنا من أعدائنا وكفى بالله ناصرًا لنا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦)

طائفة من اليهود يغيرون كلام التوراة الذي فيه صفات النبي ليحولوا دون إيمان الناس بالإسلام ويقولون : فهمنا قولك ويظهرون تصديقه ثم يقولون همسًا في أنفسهم لن نأتمر لك بمعنى عصيانك .

﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ هي عبارة تقال إما في الدعاء له في أن لا يشتم وتستخدم في الدعاء على الإنسان بالصمم .

كان اليهود يقولون للنبي يوهمون أنهم يعظمونه وهم يدعون عليه .

ويقولون : راعنا ليًا بالسنتهم .

كلمة : راعنا في العبرية معناها أحققنا وهي في العربية معناها انظرنا .

فهم يتعمدوا الإساءة له ﷺ وطعنًا في ديننا .

بكل أسف هذا ما يحدث الآن من إساءات موجهة لسيدنا رسول الله ﷺ وطعنًا في الإسلام أنه إرهاب وليس سلام وهذا ما يحدث الآن ممن عندهم نصيب من الكتاب وباقي الكتاب محرف ليس فيه من الحق شيء هم الآن في حرب ضد الإسلام وضد رسول الله ﷺ .

وكان هذه الآية هي لسنة 1427 هجرية بعد بعثة الرسول بأكثر من 1427 سنة يأتي قوم سفلة ليس لهم دين ولا ملة ليوجهوا الإهانات لنا .

كم هانت دولة الإسلام وكم هنا وهذا ما حدث عنه رسول الله ﷺ سيأتي على

المسلمين زمن تنهاوى عليهم الأمم كما تنهاوى الأكلة على الشريد .

هذا هو اليوم وليس عن قلة ولكننا كغشاء السيل يعني كالرغوة والفقاقيع والمخلفات التي يكسحها السيل في اندفاعه .

قمة المهانة وقمة الذل أرى رسول الله ينظر إلينا الآن حين تعرض عليه أعمالنا وهو حزين على ما وصل إليه المسلمون من إهانة وهوان لماذا ؟

نعود للآية وي..... ويتمنى أن لو كانوا أهل الكتاب يؤمنوا ويقولوا : سمعنا وأطعناك يا رسول الله واسمع وانظرنا لكان خير لهم وأليق وأعدل وأصوب ، ولكن سبغت لعنة الله عليهم فلا يؤمنوا إلا قليل منهم .

حتى في مثل أفعالهم هذه أجد الحق كان يتمنى أن يثوبوا لرشدكم ويؤمنوا بالرسول .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ ﴾ (٤٧)

ينذر رب العزة الذين آتاهم الكتاب من قبل القرآن بأنهم يجب أن يؤمنوا بالقرآن الذي نزله الله على سيدنا رسول الله ﷺ وهو مصدقاً ومؤكداً لما معكم من كتاب .

فكل التعاليم الدينية واحدة في القيم والأخلاق والسلوك ولا تختلف من نبي لآخر كلها تسير إلى أن يتحلّى الإنسان بالأخلاق الحميدة ولا يفسد في الأرض بل يصلح ويعمر فيها وإن اختلفت بعض الشرائع بحسب الزمان والمكان إلا أنها تصب جميعاً في وعاء واحد ألا وهو طاعة الله عز وجل .

ينصح الحق أهل الكتاب بأن يؤمنوا بنبي آخر الزمان وهو محمد ﷺ وأن يصطبغوا شريعة الزمن الأخير في الدنيا لأن ما بقي من الدنيا لم يعد يسمح بالصبر

على كفرهم فإن ما سوف يحدث بعد ذلك إما الإيمان والإسلام وإما طمس الوجوه بالضلالة أو بمحو ما فيها من عيون وأنف فتكون مطموسة مثل أقفاؤها أو يلعنهم الله ويهلكهم كما لعن أصحاب السبت وكان هذا أمر من الله نافذ لا جدال فيه وأصحاب السبب هي فرية يهودية على البحر عصوا أمر الله فمسخهم الله قردة خاسئين .

وهذا أمر حدث قبل الرسالة المحمدية وهذه علامة لأهل الكتاب ليتأكدوا من صدق الدعوة الإسلامية .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤٨)

تأكيد من الله على أن الشرك هو الفعل الوحيد الذي لن يغفره لأنه واحد لا شريك له فمن يجعل للواحد شريك فلن يغفر له .

أما ما دون ذلك فمن الممكن أن يغفره الله لمن يريد أن يغفر له .

والمغفرة هنا لما دون الشرك ليست مطلقة لأنه قرن المغفرة بالمشيئة الإلهية وقد تكون المشيئة هنا بمعنى من يشاء أن يغفر الله له ويتوب ويكفر عنه الذنب فقد شاء التوبة ، و شاء من الله المغفرة فإن الله يتوب عليه ويغفر له .

لأن الحق يقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية .

معنى القرب هنا عدة أشياء :

1- قرب المكان فهو أقرب لنا من جبل الوريد .

2- قرب الإجابة للدعاء .

3- قرب الرضا : فإن الله يرضى من قريب أي سهل أن ترضى الله مع إن رضا

الخلق صعب جداً .

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ .

افتري : كذب .

إثم : ذنب .

عظيم : مهول فظيع بمعنى جلل .

ليس بعد الفكر ذنب .

فالشرك هو أعظم ذنب وكأن الحق يبرر لماذا لا يغفر الشرك لأنه أعظم خطيئة في الكون أنه خلق الجن والإنس ليعبدوه ويوحده فنجدهم يشركون به ما ليس له قيمة .

فهل هناك أعظم من الخطأ في ذات الله ووحدانيته ولأنه منفي وبكل القيم نجده يضع البراهين حين يحكم على أحد ، كم أنت عظيم يا رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٤٩)

نزلت هذه الآية في أحبار يهود يقدمون صبيانهم في الصلاة ويقدمون القرابين ويقولون عن أنفسهم : أنهم يتطهرون من الخطايا وأنهم ليس عليهم أي ذنب وهذا خطأ ؛ لأن الله وحده هو أعلم بمن اتقى .

فيقول الحق : عجبت لمن يمدح في نفسه ويعتقدون أنهم في طهر وصلاح ، والله وحده هو الذي يطهر ويصلح من يريده هو وهو لا يظلم أحد حين يضع كل واحد في قيمته التي يستحقها .

فهو عدل لا يترك ولا حتى فتيلة يعني شعرة صغيرة .

هذه الآية توجهنا إلى أننا نعبد الله ولكن لا نفرح بأنفسنا حين نحسن في العبادة

أو نعمل صالحًا ونتباهى بأنفسنا أننا عملنا صالحًا .

لأن لا أحد يعلم هل قبل منه هذا العمل أم رده الله عليه بفخره ومنه ومدحه نفسه ولو حتى بينه وبين نفسه فهذا الإخلاص لا يعلمه إلا الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝٥٠ ﴾

عمن يفعل ذلك ويعتقد في نفسه ميزة يفتخر بها بين الناس أو بينه وبين نفسه فهذا افتراء على الله ؛ لأن الله لم يعده بشيء .

ومن مظاهر قبول الحسنات عند الله أن الذي يعمل الصالحات مهما فعل دائمًا يشعر بأنه صغير .

وأيضًا ينسى هذا العمل الصالح لا يظل يذكره في نفسه لأنه إن ذكره دائمًا هذا له معنى واحد أنه ما زال في الأرض لم يقبله الله ولم يرفعه منها ولذلك هو أمامك دائمًا تذكر أنك فعلت كذا وكذا وتعدد من التذكر لتشعر بالكذب أنك صالحًا . وهذا إثماً في حد ذاته واضحًا .

هنا يدخل الحق في داخل النفس البشرية ليعالج إخلاصها لله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ ﴾

كان كفار مكة يسألون أحبار اليهود هل عبادتنا للأصنام أحسن أم دين محمد ؟ فيرد أحبار يهود بأن عبادتهم للأصنام أحسن فتجدهم يؤمنون بما يخضع له الناس من دون الله وكل متعد وكل معبود من دون الله هذا ليعاندوا رسول الله ﷺ وليرضوا كفار مكة .

كمن باع الجنة بالدنيا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجْدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

هؤلاء هم الذين لعنهم الله وطردهم من رحمته ومن يلعن ويطرد من رحمة الله فلن يكون له نصيرًا أبدًا .

وهذا حكم الله على من كفر بدين الله وآمن بالطاغوت والأصنام لجلب مال أو سلطة نجد الآن من المسلمين من يبيع الدين بالدنيا فممن يفعل ذلك من بيع الفتاوى الدينية التي تريح أصحاب المال والجاه أو تحلل ما حرم الله ابتغاء مرضات الناس بغضب الله هؤلاء لعنوا من الله وطردهوا من رحمته .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾

يصف الله الذين اشتروا الدنيا وباعوا الدين وهم الذين لعنهم أنهم لو كان لهم في ملك الله نصيبًا وهم يتحكمون في جزء من هذا الملك لم يكونوا ليعصوا أحد من الناس ولا حتى نقير ، والنقير بمعنى بقدر أو حجم النقرة التي في ظهر النواة .

دلالة على شدة بخلهم وحرصهم وعدم رحمتهم بالناس .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

كأن اليهود يحسدون الرسول على الملك الذي آتاه الله على قلوب المسلمين وعلى عزته وكرامته عندهم فكانوا يقولون أي ملك حصل عليه بالتواضع وله تسع من النساء .

فيرد الحق عليهم بأنه أتى من قبل آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكًا

عظيمًا مثال ذلك : داود وملكه وسليمان وملكه وكان لداود 99 زوجة فلم
الاعتراض على رسول الله ؟

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾

من الناس من آمن بالكتاب الذي أنزل على إبراهيم وهم يعقوب ويوسف
وموسى وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء .
ومن الناس من حارب الدين والكتاب وصد عن سبيل الله وهؤلاء يكفيهم
جهنم نارًا مستعرة .

وقلنا : جهنم عكسها : منهج .

من عكس منهج الله في الدنيا دخل جهنم في الآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَنَّا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾

أصدر الله حكمه على الذين كفروا بآيات الله بأنه سيصليهم نارًا حارقة كلما
نضجت وشويت جلودهم واحترقت بدلهم الله جلودًا غيرها ليستمرروا في الشعور
بعذاب الحريق ؛ لأن الله قويًا بعزه وبحكمه لا يعلو عليه أحد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٥٧﴾

في المقابل لهذا نجد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم الله جنات
واسعة تجري الأنهار من تحتها ويخلدون فيها لا موت بعد ذلك أبدًا في نعيم مقيم

ولهم فيها زوجات طاهرات من درن الدنيا وأنجاسها .
ولهم ظلاً ظليلاً بمعنى ظل دائم لا حرق فيه ولا ... كناية عن رغد العيش في الجنة .

هكذا الحق هو العدل لا يظلم أحد كل حسب عمله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٥٨)

نزلت هذه الآية في «عثمان ب طلحة» الذي كان هو المسؤول عن مفتاح الكعبة فحين فتحت مكة طلب الرسول ﷺ المفتاح من عثمان فقال له عثمان حين سمع العباس يقول للرسول : اجمع لي مفتاح الكعبة مع السقاية .

خذ المفتاح يا رسول الله «بأمانة الله» ففتح الرسول الكعبة ثم خرج وطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح .

فحين استأمن عثمان الله على المفتاح رده الله له على يد رسول الله ﷺ .

ومعنى الآية :

إن الله يأمر بوجوب أداء جميع الحقوق التي لله أو للناس وجميع العباد .
وأداء الأمانة لمن اتّمتك بمعنى لا غدر في الإسلام أو أكل حق أحد من الناس

وإذا وكلتم في القضاء وللحكم بين الناس أن يكون العدل هو حكمكم .

وتلك موعظة عظيمة من الله يعظكم بها ألا وهي أداء الحقوق ورد الأمانات
والحكم بالعدل بين الناس لأن العدل أساس الملك لم يبن ملكاً على ظلم وإقلال

لأن الله سميع وبصير على كل أفعالكم وأقوالكم وهو الشاهد عليكم في الأمانة أو العدل .

وسوف يحاسبكم على ما فرطتم في أمانات وظلمتم أحد في حكمكم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)

نزلت هذه الآية في أن سرية خرجت من المسلمين ويقال أنه قائدها عبد الله بن حذافة وقد غضب من الجنود فأشعل نار وأمر الجيش أن يقتحم النار فامتثل بعض وامتنع بعض .

ويقال : أنها نزلت في عمار بن ياسر حين أجار رجلاً بغير أمر قائد الجيش الذي كان خالد بن الوليد فتخاصم عمار وخالد فنزلت هذه الآية .

معناها :

يقول الحق للذين آمنوا أن طيعوا الله في أوامره ويطيعوا الرسول في كل ما يأمرهم به وأيضا أولي الأمر طاعتهم واجبة ما دامت أو لعزهم من الكتاب والسنة فإن حدث خلاف بينكم وبين أولياء أمركم فردوا الأمر لحكم الله في القرآن أو ردوه لسنة رسول الله ﷺ ذلك لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا أحسن من يحكم بينكم ويفسر ويحل المشاكل بينكم .

كم نحن الآن في شديد الحاجة لهذه الآية يجب أن نطبقها في حياتنا حتى نستقيم أمورنا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠)

نزلت في أحد المنافقين كان بينه وبين يهوديًا خصومة فاقترح اليهودي أن يحكموا رسول الله لعلمه أنه لا يقبل الرشوة وأنه صادق أمين حق عدل فاختر المنافق كاهن يهودي ليحكم بينهم .

ونجد الآن من هذه الصور كثيرًا من الذين يدعون الإيمان وهم منافقين أنهم يلجئون لمن يضللهم من الطواغيت ويجب أن يكفروا بالطاغوت ولقد استغل الشيطان هذا الضعف الإيماني لكي يزيد في ضلالهم ضلالًا بعيدًا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٦١)

وإذا قال لهم المؤمنون : تعالوا للقرآن الذي أنزل من عند الله وإلى الرسول ليحكم بينكم فتجد المنافقين يعرضون عن رسول الله إعراض شديد لأنهم منافقون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢)

إذا حدث لهم حادث يكشف عن بعض نفاقهم جاءوا للرسول يحلفون له بالله أنهم كانوا يريدون أن يحسنوا معهم وخانهم التوفيق وأنهم أرادوا بالتحكيم لغير رسول الله أن يوفقوا بالصلح بين المتخاصمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (١٣)

يرد الحق على المنافقين بأنه يعلم ما في قلوبهم من نفاق وكذب فأعرض عنهم
يا محمد وعظهم وقل لهم قولاً يغوص في أنفسهم ويبلغ غاية ما يراد منه .
أرى الحق ما زال يحاول أن يهدي هؤلاء المنافقين ولكنهم ما زالوا في غيهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُواكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤)

أشعر في هذه الآية نعمة حزن من الله على عباده الذين ظلموا أنفسهم ولقد حكم
من قبل أن الله لا يرسل رسول من عنده إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم حين أخطأوا
وظلموا أنفسهم جاءوا إلى رسول الله فاستغفروا الله من ذنوبهم وأخطاءهم وتابوا
إلى الله بين يدي رسول الله وعلم الرسول صدق توبتهم فاستغفر لهم وسأل الله لهم
المغفرة لوجدوا الله سريع التوبة عليهم ورحيم بهم .

وهذه الآية ما زالت قائمة حتى الآن ، فمن ظلم نفسه ثم عاد وتذكر الله وتاب
فكيف تتم الصورة السابقة من استغفارهم بين يدي الرسول ؟ هذه الصورة تحدث
كل يوم إلى أن تقوم الساعة فإن رسول الله ما زال بيننا وتعرض عليه أعمال أمته
فمن وجد في فعله توبة واستغفار استغفر الله له وهذا ثابت من حديثه الصحيح
الذي معناه أنه رحمة للأمة حياً وميتاً .

وثم فإن كل مسلم يتوب ويعود يستغفر الله يستغفر له رسول الله ويجد الله تواباً
رحيماً .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

اتفق الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير أن هذه الآية نزلت في الزبير بن العوام اختصم أحد من الأنصار إلى رسول الله ﷺ في ري زرعه فحكم الرسول للزبير بأن يسقي زرعه أولاً ثم يحول الماء لجاره الأنصاري فقال الأنصاري لرسول الله ﷺ: أنت حكمت له لأنه ابن عمك فغضب الرسول لذلك وحزن .

معنى الآية : قسم من الله وشرط للمقبول بالإيمان إن الله عز وجل شرط الإيمان في نفوس المسلمين بشروط إن لم تتوفر فليسوا بمؤمنين .

ألا يكون المؤمن مؤمن بحق إلا حين يحكموا رسول الله فيما التبس عليهم أو اختلفوا فيه أو قامت بسببه بينهم مشاجرة وحين يحكم بينهم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً أو شكاً من قضاء رسول الله ﷺ ويسلموا تسليماً يعني ينقادوا ويذعنوا ويكون الرضا في قلوبهم بحكم رسول الله بينهم .

أشعر في هذه الآية بمشاعر غيره الله على رسول الله .

حتى أنه يقسم بنفسه فيقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ وينسب ربوبيته لسيد رسول بالكاف ضمير المخاطب .

فيقول : «و» قسم «ربك» بك أنت يا محمد .

ويكون من غيرته على رسوله أن شرط الإيمان الرضا من القلب على حكم رسول الله بينهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ ﴿٦٦﴾

يقول الحق عن الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم الذين يعترضون على حكم الرسول : أنه لو كتب عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من ديارهم ما فعلوا

ذلك إلا قليلاً منهم الذين هم مؤمنين حقاً بالله ورسله، وذلك لمن أرادا التوبة منهم إلى الله .

قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه الحاكم وأبو النصر ، صدق رسول الله ﷺ .

وهذا يوضح معنى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ الآية .

لو فعلوا ما أمرهم به الرسول لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة ، وكان أقرب لثبات إيمانهم .

وهنا أشعر بحسرة الله على عباده الذين لا يؤمنون وتعجبه على غباءهم وضلال نفوسهم .

نجد الحق بضرب لنا مثلاً يؤكد حرصه علينا فيقول : مهما أمرتكم من أمور تبدو لكم أنها صعبة وأن عقلكم لا يقبلها ولكن أمرتكم بها فإن فعلتموها فإنها في صالحكم لأنني حريص على عليكم أكثر من حرصكم أنتم على أنفسكم ، والله يعلم ما الذي يصلح لعباده وإن كان ظاهره عذاب فباطنه تكمن الرحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا لَا تَيْتَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾

ثقة الإنسان في الله والتصديق بأنه لن يأمرهم إلا بما فيه رحمة بهم حتى وإن كان قتل أنفسهم أو الخروج من ديارهم وفعلهم ما أمر الله به ثبات قلب ودون تردد فسوف يؤتيهم الله أجراً من لدنه عظيم أي أجر من عند الله عظيم على قدر عظمة عطاء الله ورحمته .

أشعر في هذه الآية قمة التشجيع من الله لعباده في أن يأتروا بأوامره حرصاً على مصلحتهم التي هو أدرى بها منهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٦٨)

ولهدهم الله الطريق المستقين في الدنيا ويهديهم على الصراط في الآخرة .

تكملة للتشجيع السابق لسماع كلام الله في افعل ولا تفعل .

حين يهدي الله أحد من خلقه صراطه المستقيم في الدنيا تجد أن أفعاله وأقواله

كلها في الله ومن الله وبالله والله .

فلا شيء فيه إلا يهدي من الله ويملك قلبه فلا يضل أبداً .

ثم يوم القيامة يعبر به الله الصراط دون خلل أو خوف أو قلق لأنه كافله في كلا

الصراطين في الدنيا والآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩)

كان أحد الصحابة يحب رسول الله حباً شديداً وكان دائماً لا يستريح حتى يملأ

عينيه بمشاهدة وجه رسول الله ﷺ .

فتذكر هذا الصحابي أنه بموته لن يرى الرسول فبكى وحزن حزناً شديداً ففقدته

الرسول في مجلسه وقد كان مواظب عليه فذهب الرسول الكريم إليه يعود له لما

علم من مرضه فسأله عما أمرضه فقال : الحزن لأنك إن مت وأنت نبي فستكون

في جنات العلا وحتى إن دخلت أنا الجنة فلن أستطيع أن أراك وأنا أكون في بيتي

مع أولادي فأشتاق إليك فأذهب إليك لأراك ولا أطيق بعداً عنك .

فتذكرت أنني سأحرم من رؤيتك في الآخرة فحزنت ومرضت .

فنزلت هذه الآية في هؤلاء الصحابة بشارة لهم بحسن صحبة الرسول والأنبياء

ففرح الصحابة بهذه الآية فرحاً شديداً ولقد شرط الحق شرطاً واحداً من يصاحب

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ألا وهو طاعة الله وطاعة رسول الله في

كل ما جاء من عند الله .

وهؤلاء النبيين والصديقين و..... هم أعظم وأحسن صحبة ورفقة هذا الوعد ليس قاصر على الصحابة فقط ولكن على من تبع رسول الله بإحسان إلى يوم الدين إذن هذا الوعد لكل من أطاع الله ورسوله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾

علم الحق بمشاعر من يحب رسول الله وعلم الحق من يطيع الله ورسوله ولذلك جعل كل مع من أحب وهذا فضل الله أعدّه للمتقين وهو أعلم بجمال ما أعد لعباده الطائعين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ۝٧١﴾

هذه أمر الحق فيها المؤمنين بالجهاد في سبيل الله والخروج بحذر حاملين سلاحهم ومؤنهم وليخرجوا في جماعات متتالية أو يخرجوا دفعة واحدة حسب حاجة الحرب وخطتها .

يعلم الحق المؤمنين أن يجب أخذ الحذر حين يخرجوا للجهاد بإعداد السلاح والخطّة اللازمة للحرب وتنظيم الصفوف في الجيش وإعداد العدة لكل شيء بحذر ودقة حتى لا يفوت على الجيش شيء .

ليس لهذا المعنى زمان أو مكان فكل من آمن بالله حق عليه الجهاد ولقد وضع الحق طريق للجهاد بأن يكون كل مؤمن له دور في النصر في سبيل الله ليس فقط في الحرب ممكن بالطرق السلمية وهي متعددة .

ويجب أن نتنبه لها هذه الأيام ، هناك وسائل للحرب لا تقل في شدتها عن القتل مثل : منع الحرب ل..... ، مقاطعة المنتجات الغربية لضرب اقتصاد من يعادي

الإسلام ، السلوك الإسلامي الحقيقي في التعامل مع الآخرين لتكون صورة مشرفة للمسلمين تجعل الناس يسلموا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (٧٢)

يعلم الحق أن هناك من المسلمين من هم متخاذلين يتشاقلوا في الخروج أو في الجهاد بأي صورة ومتواكلين .

فإذا وجد المجاهدين في مصيبة أو هزيمة يقول هذا المتشاقل والمتخاذل عن القتال : هذه نعمة من الله إذ لم أكن معهم شاهدًا حاضرًا في المعركة وأشهد القتل والهزيمة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧٣)

وأما إذا انتصر المسلمون وغنموا من فضل الله الغنائم كثيرة يصيب هذا المتخاذل القاعد عن الجهاد حسرة وحقد على من انتصر من المسلمين وكأنه لم يكن في يوم من الأيام بينهم مودة وصحبة صالحة ونصيحة بينهم يقول هذا المتخاذل بندم : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا .

كل اهتمامه في الحياة الدنيا لا ينظر أبعد من ذلك فإن قاتل فمّن أجل الغنائم والفوز والنصر أما النية الصادقة في الجهاد في سبيل الله غير موجودة في نفسه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤)

يقول الحق سبحانه آمراً المؤمنين بحق فليقاتل في سبيل الله الذين باعوا الحياة الدنيا واشتروا الآخرة ومن أخلص النية في القتال في سبيل الله بحق وصدق وإخلاص .

فإن قتل أو انتصر في الحرب في سبيل الله فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً .
وكلمة فسوف تفيد أن صدق النية في الجهاد في سبيل الله يكتب للمجاهد الجنة إذا قتل أو انتصر .

أشعر هنا في هذه الآية ما يسبقها برغبة الحق في أن يتوجه عباده له بكل فعل يفعلوه يعني يحبوه ويعملوا له وحده .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)

لماذا لا تقاتلوا في سبيل الله ولأجل من استضعفوا من الرجال والنساء والولدان الذين حبسوا في مكة ويدعون الله بأن يخرجهم من القرية التي هي مكة لأن أهلها من الكفار ظالمين ويظلمون من بالله أن يتولاهم ويكون لهم نصيراً .

كأن هذه الآية هي إجابة دعوة دعاها المستضعفين من الرجال والنساء والولدان المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة مع رسول الله فدعوا الله أن يخرجهم هو ويتولاهم وينصرهم فأمر الله المجاهدين من المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله بالدفاع عن المستضعفين .

هذه الآية فيها جزء من الدعاء القرآني الذي إذا دعا به أي مسلم مستضعف استجاب الله له بنصرته وهذا الدعاء لمن كان في بلد ظالم أهلها يظلمون الضعفاء :

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيرًا ﴿٦٦﴾ .

يسمع الحق دعاء الضعفاء ويردده في قرآنه ويستجيب لهم وهذا من شدة حنانه ورحمته ولخلقه وخاصة المظلومين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٦٦)

يقول الحق : إن الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الشيطان ويأمرنا الحق بأن نقاتل الكفار الذين وليهم الشيطان ويطمأن الذين آمنوا بأن الشيطان دائماً كيده ضعيف ويغلب بسهولة لأن الإيمان قوة ضاربة لا يستطيع أن يقف أمامها الكفر والظلام .

قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ، قال : وقعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسمائهم وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال : تقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه وجاهد » .

قال رسول الله : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة » . (رواه أحمد)

يدل حديث الرسول على مدى رحمة الله وعدله وكرمه وجوده وحنانه على المؤمنين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُنَبْ عَلَيْهِمْ أَلْفَنَالِ إِذَا

وَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

يصور لنا الحق مشهد المؤمنين حول رسول الله قبل الهجرة وبعد الهجرة .

فقد جاء الصحابة لرسول الله ﷺ في مكة فقالوا : يا رسول الله ، كنا قبل الإسلام في عز وصرنا بعد الإسلام أذلة ألا أمرتنا بالقتال ؟ فقال رسول الله ﷺ : أمرني ربي بالعمو فكفوا أيديكم من القتال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .

ثم ينتقل المشهد إلى ما بعد الهجرة في المدينة حين كتب على المسلمين القتال .

فإذا فريق منهم يخشون قتال الكفار كخشيتهم من الله أو أشد خوفاً من ذلك .

وسألوا الله أن يرفع عنهم القتال ولو لفترة صغيرة خوفاً من القتل .

فيقول الحق : قل لهم يا محمد : متاع الدنيا منتهى وقليل والآخرة متاعها لا حد له وهو دائم لا ينتهي فمن اتقى منكم له متاع لا ينفذ في الآخرة ولن يظلمكم الله شيء من حقكم عنده .

في هذه الآية يتعجب الحق من سلوك المسلمين في تناقض تصرفهم قبل وبعد الهجرة ولكن يشجعهم ويشبثهم ويمنيهم بالخير إن اتقوا وسمعوا لأوامر الله .

هذا حال المسلمين الآن لا يستطيعون أن يقاتلوا هم في حالة تخاذل يخافون من الناس أشد خوفاً من الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَيَنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

يكمل الحق تصويره لمواقف المسلمين فتبدأ بوصف حتمية الموت إذا حان

الأجل .

فإن أي حصن لن يمنع الموت إن جاء الأجل فمهما فعل الإنسان ليفر من الموت فإنه ملاقيه وإن كان بداخل قلاع وحصون محصنة محكمة الغلق ومرتفعة يصعب الوصول إليها إذا جائتهم نعمة يقولون : هذا من فضل الله وإذا أصابهم من أجر يسوؤهم فيقولون : هذه من عندك يا محمد ، قل : كل من عند الله .

ويتعجب الحق من هؤلاء الناس ومن قولهم فيقول : ﴿فَالِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ، وكأنهم لا يفهمون أي كلام .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٧٩)

يفسر الحق ما سبق وأجمله في الآية (78) فيقول ما معناه :

ما أصابك من نعمة فمن الله ، فضلاً منه عليك ورحمة .

وما أصابك من أمر يسوءك فمن نفسك «أي من ذنب أذنبته فعوقبت عليه من الله» .

فكل من عند الله ولكن فعل الله معك رد فعلك أنت فإن أحسنت أحسن إليه وإن أسأت عاقبك بإسائتك لأنه عدل ورحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (٨٠)

من يطيع الرسول فكأنه أطاع الله لأن الرسول ما ينطق بكلام إلا بوحي من الله ومن لم يطع الرسول وتولى عنه وأعرض فلست يا محمد حافظاً ومهيماً ورقبياً عليهم .

هنا يعفي الحق رسوله من أن يلوم نفسه على معصيتهم فإنه رسول وليس على الرسول إلا البلاغ المبين فقط .

وأشعر بحنان الرحمن على رسوله في هذه الآية .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨١)

يكشف الحق لرسوله عن بعض من المنافقين وسلوكهم المشين في القتال مع رسول الله ﷺ فيقول الحق :

يقول بعض المنافقين إذا كانوا عندك أمرك مطاع فإذا خرجوا من عندك دبرت طائفة منهم بليل غير الذي سبق وقالته من أن أمرك فيهم مطاع والله يكتب ما يدبرون أو يزورون من قولك لهم .

ولكن يا محمد أعرض عنهم وتوكل على الله ويكفيك الله وكيلاً يرد كيدهم وتدبيرهم وتزويرهم يؤمن الله رسوله بأنه وكيله فيما لا يعلم من سلوك من حوله من المنافقين .

أشعر في هذه الآية أن الحق أراد أن يكشف المنافقين أمام الناس وأمام أنفسهم لعلهم يرجعون عن غيهم فإن لم يرجعوا فهو الذي يتولى إحباط أعمالهم وأشعر بحنان الله على رسوله في كلمات التوكل في آخر الآية .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢)

يؤنب الحق المنافقين بقوله : كيف أنهم لا يتأملون معاني القرآن ويتصبرون بما فيه من كشف لأدق مشاعرهم وأخفى سلوكياتهم التي لا يعلمها إلا الله ثم يتعجب الحق من هذا السلوك الغبي من المنافقين .

ويوضح لهم أن كل ما في القرآن فقد صدق على أفعالهم ولو كان من عند غير
علام الغيوب لوجدوه مختلفاً عما في أعمالهم وسلوكهم ولكنه يقص عليهم أدق
تفاصيل حياتهم وأدق مشاعرهم التي لا يعرفها غيرهم .

أليس هذا غباء ؟

أشعر في معنى هذه الآية حالة من الغيظ من الرحمن من غباء هؤلاء الناس
وشيء من الحسرة عليهم والأسف .

هذه الآية ينطبق على كثير من الناس الآن فهم لا ينظرون للقرآن بما يجب أن
ينظر فيه فهو كتاب يتبركون ويقرأونه في المآثم ولكنه يلفت نظرهم إلى أن يتدبروا
الآيات لأنها في صالحهم ومنهاج وشرعة لو أنهم بحثوها لكانوا من سعداء الدارين
الدنيا والآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٣)

وإذا جاءهم أمر من أمور جيوش المسلمين مما يوجب أفعالهم بالأمن أو
بالخوف أفشوه وأشاعوه «وفي ذلك ضرر على الجيش» .

ولكنهم بدل من إشاعة الخوف أو الأمن أو القلق فيما بينهم ردوا هذا الأمر
لِلرَّسُولِ أَوْ لِأُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ بِهِذَا الْأَمْرِ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ خَفَايَاهُ .

ولولا فضل الله على المسلمين ورحمته لاتبعوا الشيطان إلا قليلاً منهم .

هذه الآية نزلت في معنى إثارة الفتن وبلبله الأفكار بين الناس وانتشار الأكاذيب
والشائعات التي تفتت عزم الأمة وتدحر الاقتصاد وتعبث بالقيم والأخلاق .

نزلت هذه الآية في شائعة حين اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً في المسجد

ظن بعض المسلمين أنه طلق نساءه جميعاً وأطلقت الشائعة فبلغت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوقف باب المسجد وقال للمسلمين : لم يطلق الرسول نساءه .

ولذلك وجب على كل مسلم أن يتأكد من صحة ما يقال له ولا يستتج من جزء سمعه ما ليس له مصداقية حتى لا يخلط الحق بالشك .

ولقد أصبح الآن العالم قرية واحدة .

تنقل الأحداث والأخبار في لحظة حدوثها في كل أنحاء العالم في أقل من ثواني مما جعل من السهل جداً ترويج الإشاعات .

واستتباط الاستنتاجات حول الشائعات المعلنة مما يوسع دائرة الخلاف أو الدمار والضياع .

وفي أمور الدين يجب القياس لما نسمع على القرآن والسنة الصحيحة وكيف ذلك برد الأمر لأولي الأمر من علماء الدين الحق هذا في مجال الدين .

أما في مجال الدنيا فيجب أن يترك لأرباب الحرف حرفه فمثلاً ندع المرض للطبيب والتعليم للمدرسين .

والهندسة للمهندسين ، وهكذا لكل شيء ولي أمر يتولى أمرها وفي الحكم القضاة والحكام وهكذا لا يجب أن يفتي فيما لا نعلم حتى لا يضل أو تضل .

نجد الآن أن البعض يطلق بعض الشائعات مثال كتلوث مياه الشرب فتجد مجال في الناس فتسبب بلبلة الخلق والناس .

وهذا الإنسان الذي يطلق الشائعات إنما اتبع الشيطان .

ولو اتبعناه كأننا اتبعنا الشيطان إلا قليلاً من المؤمنين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَقَنْلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤)

يقول الحق مخاطب رسول الله وكل مسلم من بعد رسول الله ﷺ : أن يقاتل في سبيل الله كل إنسان مسئول عن نفسه لا يكلف الله كل إنسان إلا نفسه .

ويجب أن يحرض المؤمنين على القتال في سبيل الله .

لعل الله أن يكف شدة وبطش الذين كفروا عنكم والله أشد قوة وأعظم صولة وأشد عقاباً وتعذيباً هذا الأمر قائم من الله للمؤمنين إلى يوم الدين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ (٨٥)

معنى الآية :

من يشفع شفاعته موافقة لشرع الله يكون له أجر من الله عليها .

ومن يشفع شفاعته مخالفة للشرع يكن له نصيب وحظ من وزرها .

وكان الله دائماً يؤم المسلمين إلى التمسك بشرع الله وسنة رسوله في وقت الشفاعة في شيء حتى لا يعاقب لو ظلم وتشفع في شفاعته ضد الشرع .

يحذرننا الله من الخطأ وينبه على أن يحرص الإنسان على الطاعة لله لأن لا شيء عند الله يضيع .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِنَجِيَةٍ فُحِیُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦)

قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم ؟ الإمشوا السلام بينكم » رواه مسلم .

يأمر الحق بأننا إذا حيننا بتحية ، أي أحد سلم علينا وجب علينا الرد بأحسن منها قولاً وفعلاً وبشاشة أو على الأقل نرد بمثلها .

وهذا ينشر السلام في المجتمع ويمنع البعض وينشر الحب بين الناس .

ويقول الحق عن نفسه أنه على كل شيء محاسباً ومجازياً من فعل هذا الشيء من رد التحية كافته الله ومن لم يرد عاقبة الله .

نرى في هذه الآية اهتمام الحق بأدق تفاصيل تعامل البشر مع بعضهم فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أشار إليها وعلمنا عنها ما ينفعنا منها ووجهنا لفعل ما هو لصالح الفرد والجماعة حرص من الله ومن لحقة ورغبة منه في أن يكونوا صالحين ، نعم الرب أنت يا ربي .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا



يؤكد الحق على أنه هو الإله الواحد الأحد لا إله غيره «هو الله» .

الله لا إله إلا هو .

هذه العبارة هي معنى التوحيد الخالص نلاحظ فيها أن كل حروفها عددها وتر

عدد الألف = خمسة (5) وتر .

عدد اللام = خمسة (5) وتر .

عدد الهاء = ثلاثة (3) وتر .

و = 1 يعني هو واحد .

والواو هو بداية كلمة واحد .

والواو هي نهاية الجملة .

ختمت بالواحد الأحد .

والله جامع الناس إلى يوم القيامة لا شك في أن هذا اليوم آت ولا شك في كلام الله وهل هناك من هو أصدق من الله حديثاً .

أجد لهجة التعجب حين يقول : «ومن أصدق» استهام يفيد معنى النفس مع الإثبات لله صدق الحديث له وحده .

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللام هنا تفيد التأكيد والإلزام بالجمع أي أن الجمع مؤكد في يوم أن يقوم الناس من التراب ومن الهواء ومن الماء كل يجمع ليوم القيامة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨)

حين خرج الرسول لغزوة أحد فعاد بعض من الناس من مع الرسول فانقسم المسلمين فثنين ، فئة تقول : بقتلهم ، وفئة تقول : لا .

فأنزل الله هذه الآية في ذلك فيقول الحق : لا تنقسموا في حكمكم على المنافقين لأن الله نكسهم وردهم إلى حكم الكفر بما فعلوا .

ويتعجب الحق من فعل الذين قالوا : لا تقتلوهم ويتساءل هل تريدون أن تهدوا من أضله الله ويؤكد الحق أن من كاب عليه الضلال لن تجدوا طريقاً لهديته .

من هم المنافقون ؟

الذين يظهرون الإيمان والإسلام وقلوبهم مملوءة بالكفر والعصيان .

الذين يبدون غير ما يبتنون وهم أشد خطر على الإسلام من الكفار الظاهرين الكفر .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾
﴿٨٩﴾

يخبرنا الحق أن المنافقين يتمنون أن يكفر ياقي المسلمين كما كفروا هم فتكونوا جميعاً سواء .

صور الأمر من الحق سبحانه بأن لا يتخذ المؤمنون المنافقين أصدقاء أو أصفياء حتى يكون لهم في دين الله هجرة ، والهجرة هنا بمعنى أن يهجروا ما نهى الله عنه وأن يقاتلوا في سبيل الله فإن تولوا ولم يهاجروا أو يقاتلوا في سبيل الله .

هنا صدر أمر إلهي آخر بوجوب قتل المنافقين أينما وجدوا يقتلوا .

وهنا يؤكد الحق على عدم اتخاذ المنافقين أولياء ولا نطلب منهم النصرة أبداً .

هذا هو المعنى العام للآية ولكن في الآية معنى خاص .

وهو أن هناك من هم ينسبون للإسلام بالبطاقة مكتوب فيها الديانة مسلم وهم للكفر أقرب من الإسلام ولقد كثر هؤلاء المنافقين الآن لا توجد في أنفسهم من الإسلام شيء .

وهي إشارة من الحق للمسلمين الموحدين بحق بأن يحذر من الصداقات التي مع هؤلاء المنافقين بمعنى لا يتخذ المسلم صديقاً إلا إذا كان مسلماً بحق مثله .

إن ربي هو المربي الحق لعباده الذي يحرص على كل ما ينفعهم يحرص على إبعادهم عن الضرر أليس هذا حب من الله لعباده المخلصين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أُنَّ

يُقْنِلُوكُمْ أَوْ يُقْنِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْنَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْنِلُوكُمْ
وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَأَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

يستثني الحق من القتل من فر منهم ولجأ إلى قوم بينكم وبينهم عهد على وقف القتال بينكم وبينهم .

أو الذين جاءوكم وهم في حالة ضيق صدر ومحرجين بين أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم .

مثل ما حدث مع «سراقة بن مالك المدلجي» حين علم أن الرسول ﷺ أراد أن يرسل خالد بن الوليد إلى بني مدلج قوم سراقة .

فلب سراقة من الرسول أن يهادنهم فإن أسلمت قريش أسلموا وكأنه يوضح للرسول إحساسه تجاه قومه بإحساس الرسول تجاه قومه من قريش فأمر الرسول خالد بأن يذهب إلى بني مدلج ويهادنهم على أن أسلمت قريش أسلموا وأن لا يعاونوا أحد على حرب رسول الله ﷺ .

بعد ذلك يوضح الحق أن الله خذل عزيمة هؤلاء الناس فيقول الحق : ولو شاء الله لسلطهم عليكم يقاتلوكم فإن امتنعوا عن قتالكم وتركوكم وشأنكم وقالوا بيننا سلام في تلك اللحظة ما جعل الله لكم عليهم سبيلاً

أجد الحق في هذه الآية أنه لا يحب أن يفرط الناس في القتل وعلى الرغم من أنه أمرهم بأن يقتلوا المنافقين إلا أنه في هذه الآية نهى عن قتل بعضهم .
وأشعر أن الحق يرجع التذكرة للمسلمين بأنهم إخوان لآدم .

ويجب أن يعطي فرصة للمناقشات السلمية والحوار السياسي لحل المشاكل والدفع بالتي هي أحسن ويميل إلى السلام أكثر من الحرب ورغبة من الحق وإعطاء فرص للمخطئ أن يراجع نفسه .

ويحذر المسلمين بأن لا يغتروا بالقوة التي أعطاها لهم من قوة الحق .

لأن الله إن شاء سلط الآخرين على المسلمين لو أن المسلمين اغتروا بكرم الله معهم وهنا درس هام يجب أن يتنبه إليه الدعاة أن أساس الدعوة هي الترغيب قبل التهيب والحب قبل الرعب هذا هو الحق الرحيم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿سَتَجِدُونَ ءٰخَرِينَ يَريُدُونَ اَنْ يَّامِنُوْكُمْ وَيَآمِنُوْا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوْا اِلَى الْفِتْنَةِ اُرْكَسُوْا فِيْهَا فَاِنْ لَّمْ يَبْعَثْ لَوْكُمْ وَيُلْقِوْا اِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوْا اَيْدِيَهُمْ فَخُذُوْهُمْ وَاَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوْهُمْ وَاُولٰٓئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ﴿١١﴾﴾

اختص الحق في هذه الآية أشد أنواع المنافقين ضراوة على الإسلام والمسلمين من هم ؟

الذين ليس لهم مبدأ يهادنوكم وهم يأمنوا أهلهم .

كلما عادوا لأهلهم وعرض عليهم الكفر والوثنية قبلوا في الفتنة أشنع قلب .

فإن لم يتعدوا عن إيذائكم والدس لكم ويسلموا لكم ويهادنوكم ويرفعوا أيديهم عنكم حيث خذوهم واقتلوهم حيث طفرتم بهم أو وجدتموهم وأدرکتهم هؤلاء هم من جعل الله لكم حجة واضحة تبيح لكم قتلهم .

هؤلاء هم أشد خطر على الإسلام من الكافرين الواضحين لأنهم كأنهم جواسيس .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ اَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا اِلَّا خَطَاۗءً وَّمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاۗءً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَّذِيَّةٌ مُّسْلَمَةٌ اِلَى اَهْلِهٖۤ اِلَّا اَنْ يَّصَدَّقُوْا فَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُّؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَذِيَّةٌ مُّسْلَمَةٌ اِلَى اَهْلِهٖۤ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّٰهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴿١٢﴾﴾

ما زال الحق حريص على تنظيم علاقات البشر مع بعضهم البعض في جميع المواقف ينظم ويرتب ويشرح ويرضى جميع الأطراف بشرعة الحكيم فهنا يصور لنا الحق بعض المواقف التي قد يتعرض لها المؤمنون في حياتهم العامة .

فيقول الحق أنه لا يحق للمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، يعني مثلاً في حادثة سيارة غير متعمدة في خطأ عن فعل غير مقصود ، وبدون إهمال .

فمن قتل مؤمناً خطأ فعليه كفارة لذلك وهي تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهل القتل إلا أن يعفوا ويتصدقوا بأن لا يأخذوا دية القتل .

فإن كان القتل من قوم عدو للمسلمين وهذا القتل من قوم بينكم وبينهم عهد فيجب دفع قدر من المال دية عن القتل مسلمة لأهله وإعتاق إنسان مملوك فمن لم يجد ما يدفعه من مال أو ممالك وهذا حادث للآن حيث لم يعد هماً رقيقاً أو عبيد فيجب على من قتل رجل بغير قصد أن يصوم شهرين متوالين لا يفصل فيهم الصيام بفطر يوم وهذا لأجل التوبة والمغفرة من الله لكم .

يتعامل الحق في هذه الآية بالرحمة والتراحم فهو رحيم بمن أخطأ ولم يتعمد الخطأ وحريص على تحرير العبيد من الرق والعبودية ومقابل قتل هذه النفس يقابلها بعقوبة رقبة وتحرير نفس من العبودية .

ويعلمنا الحق السياسة والعلاقات الدبلوماسية التي يتكامل بها الشأن فيما بين الدول .

ونجد أن آخر كفارة لهذا الذنب هو الصيام .

وكان الحق يقول للمخطئين كما أنك حرمت إنسان نعمة الحياة فيجب أن تحرم أنت نفسك من متع الحياة ولو جزء منها لمدة شهرين تصوم نهارهما لتكفر عن القتل الخطأ .

أشعر في هذه الآية برقة مشاعر الرحمن وحنانه وعدله ورحمته وربوبيته حيث يتعامل مع المواقف بحكمة الحكيم الرحيم .

لقد علم الحكيم أبعاد البشر وكيفية تربيتهم وحين يقول وكان الله عليماً حكيماً ذلك لأن علمه بلا حدود ولا نهاية ولكن بحكمة متناهية في الدقة والرحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣)

قال رسول الله ﷺ : «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» .

رواه النسائي والبيهقي .

وقال أيضاً ﷺ : «لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبهم الله جميعاً على وجوههم في النار» .

رواه الطبراني في الصغير .

أشعر في هذه الآية شدة غضب الرحمن فيها يطلق حكم شديد اللهجة نافذ الفعل لا جدال فيه .

فيقول الحق :

ومن يقتل مؤمناً متعمداً أي خطط وبيت النية على قتله وأصر إصرار واضح لا رجعة فيه على أنه قاتله لا محالة فجزاؤه عند الله الخلود في جهنم وغضب الله عليه ولعنه الله وطرده من رحمته وأعد له عذاباً عظيماً .

يكره الحق سفك الدماء ويبغض الحقد الذي يصل بالإنسان لدرجة أن يحرم أخاه الإنسان من الحياة .

فهو يريد التراحم لا الحقد والبغض بين الناس .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ

اَلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيْرَةٌ
كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِّنۢ قَبْلُ فَمَنْ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوْا اِنَّ اِلٰهَ اللّٰهِ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا ﴿٩٤﴾

كان أسامة بن زيد قائد لسرية في إحدى الغزوات فبلغ الرسول أنه قتل رجل
بعد أن قال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وحين سأله الرسول عن ذلك قال أسامة : قالها وأنا شاهر سيفي لينجو من
القتل فقال رسول الله ﷺ : « هل شققت عن صدره لتعلم صدقه من كذبه ماذا
تفعل لو جئت بها يوم القيامة » .

وهذا معناه أن الرسول يعلم شدة حلم الله وعظمة رحمته بأنه قد يقبل حتى كلمة
التوحيد وإن قيلت باللسان فنحن لا نعرف مدى علم الله ومدى حلمه وكرمه
ورحمته .

ولذلك في هذه الآية يبين الحق سبحانه وتعالى لنا أن لنا الظاهر من الأمور أما
حفايا الصدور فهو مسئول عنها وحده ليس من حق مسلم أن يكفر مسلماً لمجرد
ظنه فيه .

ويأمرنا الحق حين يخرج المسلم الجهاد في سبيل الله أن يتبين الحق والباطل
من نفسه قبل الآخرين يعني أن يخلص النية لله وحده بمعنى أن يتهم نفسه قبل أن
يتهم غيره في كل الأمور قبل أن يفعل شيء على سبيل الظن فيصبح بعد أن يتحقق
من الأمر نادماً على فعله .

ولأن أندم على شيء لم أفعله خيراً من أندم على شيء فعلته .

فالشيء إذا فعلته ملكني وإن لم أفعله ملكته .

ويأمرنا الحق بأن لا نقول لمن استسلم لنا أو ألقى تحية الإسلام علينا أنك
لست مؤمناً .

تريدون الغنيمة من حطام الدنيا الفانية .

يأمرنا الحق أن لا نجري وراء متاع الدنيا الزائل وتترك ما عند الله من مغنم كثيرة ونعيم مقيم خالد أبداً .

يقول الحق للمسلمين كذلك كنتم من قبل لا تعرفون الإيمان فمن الله عليكم وهداكم إلى الإيمان به .

لأنه عز وجل بكل ما تعملون خبير والخبرة هنا بمعنى أنه يعرف خبايا الكلام والأفعال وما المقصود بها .

في هذه الآية تتجلى رحمة الرحمن على عباده في رغبته في إعطاء كل إنسان فرصة لكي يؤمن ولا يجب أن يكون في قلوب المؤمنين الحق ضيق أو شك من الناس .
ويحرص الحق على هداية عباده لأنه لا يحب الظلم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥﴾

يقول الحق أنه لا يستوي القاعدون عن الجهاد من المؤمنين من غير أصحاب الأعداء المانعة من الجهاد .

والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لقد فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ولكن من رحمته أنه وعدهما كلاهما النعمة والمثوبة .

يبين الحق سبحانه أن هذه الدرجة التي فضل المجاهدين بها على القاعدين هي أجر من لدنه عظيم ولم يبين أين ومتى هل في الدنيا أو في الآخرة وأنا أعتقد أن هذا الأجر في الدارين الدنيا والآخرة .

هذه الآية تحفز المؤمنين على الجهاد في سبيل الله .

وليس الجهاد في سبيل الله قاصر على القتال ولكنه شامل الساعي على عياله
كالمجاهد في سبيل الله المرأة التي تربي أبناءها مجاهدة في سبيل الله ، العامل الذي
ينفق عمله مجاهد في سبيل الله كل هذا إذا ابتغوا وجه الله وخلصت نيتهم لله فلهم
أجر المجاهدين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٦ ﴾

يبين الرحمن لنا في هذه الآية ما هو الأجر العظيم الذي أعده للمجاهدين في
سبيله :

أولاً : درجات منه ، ما هي الدرجات ؟

من معناها هي علو شأن في الدارين لأنه لم يحدد أين ومتى وعلو شأن الدنيا
مقرون بالماديات والدين والأولاد والنفوذ والسلطان ، وعلو شأن الآخرة .

هو في الجنة حيث الأماكن العليا مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن
أولئك رفيقاً .

ثانياً : المغفرة والرحمة :

كل ابن آدم خطاء وكلنا ذنوب نحصل كل يوم وليلة من الذنوب ما تسود
صفحات كتابنا عند الله فمن رحمة الله أن يغفرها لنا ويعفو عنا ويرحمنا .

ولا يحاسبنا عليها في الآخرة حتى يدخلنا الجنة ويقرر الحق أنه دائماً كان
غفوراً رحيمًا يعني من رحمته أنه يغفر الذنوب ويرحم البشر .

هل هناك تعليق بعد هذا ألا يجب أن تقول الحمد لله رب العالمين على رحمته
بالعالمين .

قال رسول الله ﷺ : تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في

سبيلي وإيمان وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة إذا رجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم «أي جرح» يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه الدم وريحه ريح مسك .

والذي نفسي محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل .

رواه مسلم وروى البخاري بعضه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكَ مَا وَدَّعْتُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

إن الذين توفاهم الملائكة ظالمين لأنفسهم كان بعض المسلمين بقوا في مكة يخفون إسلامهم فلما خرج الكفار لغزوة بدر أخذوهم في الجيش فكانوا يصابوا بالسهم ويموتوا في المعركة .

فنزلت فيهم هذه الآية .

ونزلت في المسلمين للذين كرهوا الهجرة وظلوا كاتمين إسلامهم في مكة .

يصور لنا الحق في هذه الآية مشهد مرعب برعب القلب الذي يتصوره .

حين تتوفى الملائكة من ظلم نفسه بأي نوع من أنواع الظلم كمن أخفى إسلامه وأقام في أرض الشرك خوفاً من الهجرة وترك ماله و.....

أو يظلم نفسه بأن لا يقيم شرعه الله أو بظلم غيره فيأخذ ماله ونحو ذلك أو يظلم غيره بأي شكل من الأشكال يقول لهم الملائكة ماذا فعلتم وفيما كنتم فسيرد دواعيهم كنا مستضعفين في الأرض لا نملك حيلة وضعفاء وتجيبيهم

الملائكة بحزم شديد : لماذا لم تهاجروا من المكان الذي أنتم فيه مستضعفين إلى مكان فيه حرية وشدة على إقامة شرع الله .

وهذا يبطل حجة الظالمين أنفسهم ويقول الحق في آخر تصويره لهذا المشهد حكمه عليهم .

بأنهم مأواهم ومسكنهم الذي هي جهنم وما مصير ومأوى .

وجهنم عكس منهج أي من يعكس منهج الله في الأرض يكون مأواه جهنم في الآخرة لم يترك الحق أي ثغرة لنا إلا وضع لها حل حتى يصل بنا إلى النعيم في الآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾
﴿١٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴿

استثنى الحق من الحكم السابق على الذين ظلموا أنفسهم واشتروا رضا الخلق برضا الرب ولم يهجروا ما نهى الله عنه .

استثنى منهم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين ليس لهم حيلة ولا يجدون طريقاً يذهبوا فيه .

المستضعفين مثل العبيد من الرجال والنساء والأولاد .

أو أولى العاهات والإصابات أو كبار السن ممن ليس لهم جهد يبذل وغير ذلك من مظاهر العجز عند البشر .

هؤلاء حين يقول الحق : «عسى الله» معناها تبشير لهم من الله بأنه سيعفو عنهم لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

لأن الله دائماً عفواً غفوراً .

وصف الحق نفسه ههنا بأنه عفو غفور وهذه الصفة لا تنأى إلا لمن يقدر على

العقاب ولكن رحمته سبقت غضبه وعفوه سبق عقابه هذا هو الرحمن الرحيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٠٠)

يقول الحق لمن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض أماكن للهجرة كثيرة وسعة في كل شيء .

هذا على العموم يعني الهجرة فيما بعد نجد الآن من يهاجر بحثاً عن علم الله هذا في سبيل الله يتحقق على الآية .

ونجد من يهاجر بدينه من الاضطهاد في بلده تنطبق عليه الآية .

ومن يهجر ما نهى الله عنه أيضاً تنطبق عليه هذا الجزء من الآية .

أما باقي الآية .

فمن خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله قد يكون فيها تخصيص على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

من هاجر قاصداً رسول الله ثم مات فقد وقع أجره على الله ويقول الحق أنه دائماً غفوراً رحيمًا .

يحثنا الحق على عدم الرضا بالخزي والذل ويجب أن نبحث عن عزنا في الأرض جميعها لا نستسلم لأمر يحط من قدرنا أو يسيء إلينا .

والمغفرة لمن لم يستطيع الهجرة والمغفرة لأنه رحيم بعباده .

هل رأيت أحد في الكون أحسن من الله على خلقه ؟

لا والله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خَفَئَكُمْ أَنْ يَفْنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (١٠١)

هذه الآية فيها من صور التخفيف من الحق على عباده ففيها التصريح من الحق بالقصر في الصلاة للأسباب التي ذكرها الحق :

أولاً : للمجاهدين الفاتحين في الأرض لنشر دين الله قصر الحق لهم الصلاة الرباعية أن تصلى ركعتان بدل من أربعة .

خوفاً على المسلمين من أن يأتيهم الكفار بمكروه أو قتل أو جرح أو غير ذلك وسميت صلاة الخوف وهي ركعتان ولكنها مثل الأربع في ثوابها وفعلها وقدرها عند الله وهي أمان للخائفين .

ثانياً : للمسافر في الأرض سمح الحق لهم بالقصر في الصلاة حتى لا يفوتهم موعد أو وسيلة مواصلات أو سبب من أسباب الحياة .

أجد الحق في هذه الآية يراعي الزمن ويراعي ضعف نفوس البشر ويعلم أن لكل واحد منا ما يشغل باله وهمه في الدنيا فيكون الحق أسرع في التخفيف على خلقه من رحمته وحين يأمر المجاهدين بالقصر في الصلاة لم يلغي الصلاة ولكن خففها حتى ينال المؤمنون ما في الصلاة من أمان ورحمة وسكن وهدوء ومن ضياع وقت هم يحتاجونه في قتال أو ضرب في الأرض .

هذا من رحمة ربي .

يبين الحق للمؤمنين أن الكافرين أعداء ظاهرين يتحينون أي فرصة للانقضاض عليهم وقتلهم هذا شدة اهتمام من الحق سبحانه بعباده المؤمنين وحب لهم وحرص عليهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُفَقِّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا

أَسْلِحَتْهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا
فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ
أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى
مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

يصور لنا الحق في هذه الآية كيفية صلاة الخوف أو الصلاة أثناء القتال .

وقبل كل شيء أحب أن أوضح أن الحق سبحانه حين يصف لنا هذه الصلاة ذلك لأن الحكمة الأولى من ذلك أن الصلاة لا تسقط عن المسلم حتى وإن كان في حرب أو في أي ظروف ليس هناك أسوء من ظروف الحرب ، إذن الصلاة أهم شيء في الدين فهي صلة العبد بربه ويجب أن يعرض العبد نفسه على ربه في أوقات النهار والليله حتى يرى الحق ما فيه من خلل فيعدلله ويضبطع ويعالجه ويصلح نفسه وروحه وجسده وكل شيء في الإنسان وصلاة الخوف هذه يرسم لنا الحق كيفيتها حتى تقوم با مع رسول الله ومن بعد رسول الله يقوم بها قائد الجيش أو قائد السرية أو قائد الكتيبة حسب المجموعة من الجنود .

يقسم الحق الجيش إلى فرق فرقة تبدأ بالصلاة خلف رسول الله والفرقة الأخرى تحمل السلاح في حالة تأهب للدفاع والفرقة التي تصل أولاً خلف الرسول يكون معها سلاحها ومتأهبة لأي طارئ والفرقة التي لا تصلي تكون خلف المصلين لحمايتهم أثناء الصلاة .

ثم إذا انتهت الفرقة الأولى من الصلاة تحمل سلاحها وتأخذ مكان الفرقة التي لم تصلي حتى تصلي الفرقة التي لم تصلي وفي هذه الصلاة عدة آراء فمن الفقهاء من يقول أنها صلاة قصر للجنود يعني كل فرقة تصلي ركعتين ولكن الرسول يصلي الأربع ركعات بالجيش كل نصف منه ركعتان .

ويحذر الله في هذه الآية من أن يغفل المسلمون ع أسلحتهم أولاً يأخذوا

حذرهم لأن الكفار يتمنوا ويتحينوا أي فرصة للانقضاض على المسلمين فيقتلوهم ويأخذوا أمتعتهم ولكن الحق يعلم أن في أفراد الجيش من به مرض أو به أذى من المطر فلا ذنب عليهم ولا حرج إن وضعوا أسلحتهم بسبب المرض أو الأذى من المطر ولكن يكونوا على حذر وانتباه ولأنفسهم من الكفار ؛ وأن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً.

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١٠٢)

هنا يبين الحق السبب فيما سبق من آيات خاصة بقصر الصلاة وبصلاة الخوف السالف ذكرها .

فيقول الحق :

إذا أديتم الصلاة المفروضة عليكم فيجب أن تكونوا في ذكر لله دائماً في أي وضع تكونوا عليه ، فذكروا الله إن كنتم قائمين أو قاعدين أو مضطجعين على جنوبكم بمعنى نائمين يأمرهم الحق أنهم في حالة الخوف لا يكفوا عن ذكر الله لأن ذكر الله يطمئن قلوب الخائفين ولأن الحق يذكر من يذكره ومن ذكره الله أمنه من خوفه وأعطاه من فضله ونصره على عدوه .

ولذكر الله أكبر من كل شيء .

ثم يقول الحق إذا زال الخوف ولم يعد هناك من يهددكم فأقيموا الصلاة كاملة تامة في وقتها لأن الصلاة كانت على المؤمنين مكتوبة ومحددة في أوقات معينة .

وكتابة الحق علينا الصلاة ليس لأنه في حاجة لها سبحانه وتعالى بل لأننا نحن في حاجة إليها وكأن الحق من حرصه على عباده فرض عليهم الصلاة فرضاً حتى يدخلوا في معية الله في أوقات معينة يصحح أرواحهم ويجدد نشاطهم ويصلهم به ويعطيهم من مدده الرباني ولنضرب مثلاً :

أنت قد تجبر ولدك على المذاكرة حرصاً منك على نجاحه ولن تستفيد شيء من نجاحه ولكن حرصاً وحباً منك له وخوفاً عليه تجبره ليفعل واجبه ، والله المثل الأعلى .

فما هي الصلاة ؟

هي اتصال مباشر بين العبد وربّه وحضور في معية الله ولا تعلم ماذا يحدث أثناء الصلاة في روحك أو جسدك ونفسك أن الجسد طوال اليوم يبحث على سد حاجاته المادية من مأكّل وملبس ومنكح وهكذا اختص الحق أوقات الصلاة للبحث في إثبات الروح وتنمية طاقاتها وأيضاً لعلاج الروح والبدن أيضاً هناك من الملائكة التي تعمل في داخل خلايا الإنسان حين يدخل الإنسان في الصلاة تستمد طاقة على طاقاتها من نور الله عز وجل حين يكبر المصلي تكبيرة الإحرام ويقول : الله أكبر ، يهل الله عليه لأن عكس كلمة الله أكبر عكسها ربك أهل صلاة هي هدية من الحق سبحانه لأمة محمد وبهذه الكيفية التي قد وصفتها سابقاً لحكمة يعلمها الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٠٤﴾

يقول الحق للمسلمين :

لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب أعدائكم من الكفار فإن كنتم في ألم من القتال فإنهم يجدون ألم الجراح ووجعها مثلما تجدون ذلك .

ولكنكم ترجون من الله الشهادة أو النصر والجنة أو الرضوان منه عز وجل وهذا ما لا يجده الكفار .

وهنا قضية واضحة يسببها الحق للمسلمين فأنتم يا مسلمون حين تدخلون في

قتال مع الكفار في سبيل الله فليست كفتكم متساوية .

نعم أنتم تعانوا وهم يعانون من القتال والحرب ولكن أنتم لكم قضية تدافعون عنها وأمل في مستقبل مشرق في الدنيا وفي الآخرة ، أما الكفار ليس لهم قضية حق يدافعون عنها وليس لهم أهل في الله في أي ثواب أو رحم أو ولذلك لستم سواء ودائمًا كان الله عليماً حكيماً أي حكمته عن علم ، وعلمه بحكمة كل شيء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ

خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

هذه الآية وإن كانت نزلت في حالة خاصة فرعها الرسول حيث «سرق طعمة بن أبيرق» درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي أن يجادل ويخاصم عنه ويبرئه فنزلت هذه الآية .

تنهي رسول الله ﷺ عن ظلم اليهودي لأنه يهودي .

فيقول الحق سبحانه :

أنه أنزل الكتاب بالحق يعني فيه تعاليم للعدل والحق والصدق والأمانة لكي يحكم بين الناس جميعاً وليس المسلمين فقط بما علمك الله من الحق والصدق والأمانة ولا تخاصم الناس من أجل الخائنين حتى وإن كانوا من المسلمين فإنهم خانوا الأمانة .

هنا تتجلى عظمة الحق الذي لا يقبل الظلم بين العباد حتى وإن كانوا ليسوا مؤمنين .

وتتضح سماحة الإسلام حيث يسوي بين الناس في العدل لا فرق بين مسلم ويهودي في القضاء والحق والعدل ليس لهم دين أو ملة فهم مطلقيين في الإسلام .

ولذلك نجد الآن من يكفر الناس ويستحل ما لهم وأعراضهم ويأخذون

أشياءهم بالباطل ويظنون أنهم مجاهدين في سبيل الله ، إنما هم لصوص وسفاحين وليسوا من الإسلام في شيء .

عدل أنت يا ربي نعم حقًا يجب أن تكون وحدك رب العالمين وأنت وحدك يقال لك : الحمد لله رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٠٦)

يأمر الحق نبيه بأن يستغفر الله .

لأن الله كان دائمًا وأبدًا غفورًا رحيمًا وهذا الأمر صادر لكل مسلم يجب دائمًا أن يستغفر الله .

يقول المسلم الكلمة يحسبها بسيطة وهينة وهي عند الله عظمة الأثر وقد يكون فيها من الإثم ما يوجب دخول قائلها النار دون أن يدري يجمع من الذنوب ما لا يطيق عقابه ولذلك رحم الله عباده بأن فتح لهم باب التوبة والاستغفار وبما أنه هو الرحمن الرحيم فقد وصف نفسه بأنه غفور ومن عظمة غفرانه أصبحت الصفة اسم يقول الحق : يا عبد الله لا تغفل عن الاستغفار ما دمت حي فأنا الرحيم وسوف أغفر لك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَآنًا أَثِيمًا﴾

﴿١٠٧﴾

يأمر الحق نبيه بأن لا يدافع عن الذين خونون أنفسهم بارتكاب المعاصي لأن الله لا يحب من كان طبعه كثرة الخيانة كثير الإثم والذنب .

هذا وإن كان مسلمًا فلا يجب أن يدافع عن أي خائن لعهد الله أو خائن لوطنه أو خائن لأهله أو خائن لجيرانه أو أي خائن لأن الخيانة هي من أبشع الجرائم .

إن الحق يدعو إلى مكارم الأخلاق ويقول أنه يحب مكارم الأخلاق .
وأنه لا يحب سوء الخلق في أي صورة وهذا دعوة لكل إنسان أن يتجنب
الخيانة بأي صورة من صورها .

أجد في كلام الله في هذه الآية رحمة وحنان حتى حين يتكلم عند عبد خائن
فيقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ .

ولم يقل : إن الله يكره من كان لأن صفة الكره صفة ليست في الله
تجاه خلقه فهو لا يبغض خلقه خلقها ولكن يكتفي بأن يقول : «لا يحب» .
ما أحن كلامك وخصالك يا رب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (١٠٨)

هذه الآية تكشف لنا النفس البشرية في كل زمان ومكان .

ويصف الحق فيها داء من أشد داءات النفس ألا وهو النفاق بكل معانيه .

فالناس جميعاً دائماً نجد أن الناس حين يذنبوا دائماً يحاولوا الاختفاء بذنوبهم
ومشاعرهم السيئة يخفوها عن كل الناس ولكن الله يرى أفعالهم ويعلم مشاعرهم
ويعلم السر وأخفى ولكن أهم من أن يستحقوا من الله لا يهتمون إلا بالاختفاء عن
الناس فقط .

فمثلاً الذي يزني ليتحين الفرصة حتى لا يراه الناس ألم يعلم أن الله يراه وهو
يزني والذي يحقد ويحسد ويفعل لا يراه الناس فهل نسي أن الله يراه ؟

إن كنت تظن أن الله لا يراك فهذا خلل في دينك وإيمانك .

وإنك نت تعلم أن الله يراك فلما لا تجعله أهون الناظرين إليك .

مثل لنا الحق في صورة تصويرية ليعص من المسلمين الذين يقولون في الليل أو في الخفاء همساً في سرية بعيداً عن الناس كلاماً لا يُرضي الله من أنواع القول الذي يؤدي الناس أو يسيء إليهم أو يخططوا لأفعال لا يرضاها الله تخيل نفسك تخطط مع أقرانك لشيء لا يرضاه الله وهو مطلع ومشاهد وسامع لما تقول وتفعل أنت ومن معك ولا تستحي من الله أي إثم حين تعلم أن الله محيط بكل ما تعمل ليس فقط من بداية قولكم ولكن لما بعد ذلك لنتائج هذا التدبير وهذا الكلام فيما بعد .

ويقول الرسول ﷺ : «الإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس» .

أرى في قول الحق حين يقول : ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الرقة في التعامل مع عباده حتى العاصي منه الذي يفعل ما لا يرضاه الله ، وأجده ينييه بمنتهى الرقة والرحمة عباده العصاة فقول : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ .

كأنه يقول يا من لا تعلم أني أراك واعلم ما تفعل اعلم أني محيط بكل قول فعل منك لعلمه يستحي ويرجع ، أي رحمة منك يا رب فعلاً .

الآيات من (104—113) نزلت في المدينة حيث كان هناك من المنافقين من يفعل الفتن والوقعة بين الناس ولذلك نزلت هذه الآيات لتحدد بعض الأشياء والسلوكيات التي يجب أن يحذرها المسلمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿هَآئِنَّمْ هَآئِلٌ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْفَيْكَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (١٠٩)

بعض الناس يظهر منه الصلاح والسلوك الحسن وهو ينطوي على نفس دنيئة وسلوك في نفسه آثم يظهر غير ما يبطن حتى وإن الناس المحيطون به يجادلون عنه ويقولون هو صالح ولا يعلم النية والقوية إلا الله وحده .

ف نجد الآن في هذه الأيام كثيراً من الناس يمتهنون مهنة المحاماة ويدافعون مثلاً

عن الظالمين ويبحثون في ثغرات القانون الوضعي ليخرجوا الظالم من دائرة العقوبة بأي طريقة منهم من يعلم وهو يدافع عن المخطئ أنه مذنب ومنهم من لا يعلم أنه يدافع عن مذنب .

هذا في الحياة الدنيا يجد المذنب من يدافع عنه فماذا يفعل المذنب يوم القيامة ؟

من الذي يجادل عنه بين يدي الله ومن سيكون عنهم وكيلًا أمام محكمة الله العليا .

ليس هناك محامياً كاذباً يدافع عنه ولا محامي ولا يعلم الحقيقة يدافع عنه .

سيكون القاضي والمحامي والنيابة والجلاد هو الله وحده لا شريك له .

وضع الحق في هذه الآية صورايت لمحكمتين الأولى في الدنيا وفيها من الضلال ما فيها ، وأخرى يوم القيامة وكل ما فيها حق وصدق ويقين وعدل وفي النهاية .

يا الله يا أرحم الراحمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١)

هنا تتجلى الرحمة والحنان والكرام الإلهي حين يقدر الكريم فيعفوا ويصفح ويسامح .

يقول الرحمن :

ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله لم يحرم الرحمة على من أساء أو ظلم نفسه بأي صورة من صور الظلم في الأرض ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً مثل المحامي الذي يدافع عن مذنب وهو لا يعلم أنه مذنب ألا حظ أن الحق خص بالرحمة من استغفر الله من عمل السوء أو من الظلم يكتفي الحق في

رحمته بأن يسأل العبد ربه المغفرة فقط يا رب كم أنت رحيم وكريم أن تغفر بمجرد الاستغفار من العبد المسيء كم أنت حنان منان رحمن ولا أجد إلا أن أقول : الحمد لله رب العالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

حين يقول الحق أن من يفعل الخطأ أو الذنب والإثم إنما يفعله في نفسه كيف ؟

لأن إذا ظلم إنسان إنسان آخر تحمل ذنبه بين يدي المحكمة الإلهية العليا التي لا يضيع عندها شيء فيقول الحق لنا : إن من يظلم أخاه إنما يظلم نفسه ومن يفعل السوء يلتصق به الذنب وحده .

وفي هذا معنى مجمل أن الله يعوض على المظلوم في الدنيا قبل الآخرة .

وذلك لأن الله يعلم كل شيء بحكمته ومن حكمته أن يصحح ما فعله الظالم من عباده .

وأجد من حكمة الحق في أنه يعوض على المظلوم في الدنيا ليعطي ذاته العليا وصفاته الحسنی أن تدافع أسماء الجمال وصفات الكمال أسماء الجلال وصفات الجبروت بمعنى حين يكرم الحق المظلوم في الدنيا بصفة العدل يدافع اسم الحق الوكيل الذي استخدمه الحق في الدنيا ضد صفة الانتقام التي تحملها أسماء الجبار القهار في الآخرة ، وبذلك قد يرحم من أساء يوم القيامة من رحمته بعباده حتى المسيء والمذنب منهم .

ماذا أقول عنك يا رب ؟

غير الحمد لله رب العالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٣﴾

يقول الحق : من يرتكب معصية صغيرة أو معصية كبيرة ثم يتهم به بريئاً بأن ينسب إليه ما كسبه من الخطيئة والإثم ، فقد حمل نفسه كذباً شنيعاً يبهت ويحير سامعه .

وهذا ذنب عظيمًا واضحًا أن الله لا يقبل هذا الظلم البين هذا هنا أجد الحق سبحانه يصعب على ذاته هذا الظلم بين العباد ويحذرهم فعله حتى لا يغضب عليهم ولذلك كان رسول الله ﷺ في حديثه الطويل الذي كان فيه يتكأ فقعد وكرر مرات إياكم وقول الزور إياكم وقول الزور إياكم وقول الزور تبيين به على شدة هذا النوع من ظلم على ذات الرحمن .

وهنا إشارة للمحامين الذين يقولون : الزور لتبرئة موكلهم أن يحذروا الله عز وجل أو من يخلص نفسه بآتهام الأبرياء فليتقي الله ويتقي دعواه المظلوم .

هذا أيضًا حب من الله للعالمين يرغب الرحمن في أن يبين شعوره تجاه السلوك البشري حتى يتنبه الناس لما لا يرضي الله فيتقوا الله رحمة بهم أيضًا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾

هنا يتجلى الحق بشرح فضله على عباده ورحمته أيضًا .

ويختص بذلك في حديثه رسول الله ﷺ .

حيث أسباب نزول الآيات كانت في قوم «طعمة» الذين شهدوا بالزور ليضلوا على الرسول في حكمه فكانوا يتحرون أفعال يقصدون بها أن يضل فلا يقضي بين الناس بالحق ، ويقرر الحق أن فعلهم هذا لا يضل إلا أنفسهم ولا يضررون الرسول

في شيء .

وذلك لأن الله أنزل القرآن على رسوله علمه الحكمة وهي السنة المحمدية ،
وعلم رسوله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله على رسوله عظيم .

هذا على وجه التخصيص .

هذه الآية موجهة لكل من يحكم بين الناس أن يكون على درجة عالية من
الصلاح في دينه وعلى تقوى من الله حتى يؤتاه الله من فضله ويعلمه ما لم يكن يعلم
حتى لا يضلّه أحد عن الحق والعدل في الحكم بين الناس .

كأن الحق يرسم لنا طريق نتوجه به حين نحكم بين الناس أن نكون على تقوى
من الله لينزل علينا فضله ورحمته وحكمته وينور بصيرتنا بعلمه وقرآنه وحكمته .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤)

يعلمنا الحق سبحانه سلوك من الأدب في الحوار والجدال والكلام وينهي عن
النجوى يعني الحديث السري بين الاثنين أو الثلاثة حتى لا يكون الشيطان في
وسطهم واستثنى من المناجاة ثلاثة أشياء سمح فيها بالنجوى :

1- الأمر بصدقة يحب الحق أن تكون في الخفاء إكرام للآخذ وأجر كبير
للمتصدق .

2- الأمر بالمعروف لا مانع من النجوى في ذلك .

3- إصلاح بين الناس إذا كان بينهم خلاف فلا مانع من النجوى للإصلاح
وفض النزاع .

ويبين الحق أن من يفعل الثلاث أشياء السابقة فسوف يعطيه الله أجراً عظيماً ولم

يحدد أين ومتى قد يكون في الدنيا والآخرة معاً .

هنا يشجع الحق سبحانه عباده على فعل الخير ويكون في سرية حتى تكون النية خالصة لوجه الله ليكافئ الله من يفعل له بإخلاص يوجه الحق نظرنا إلى أن السرية تضمن أن لا يدخل الشبهة في الفعل من رياء أو شرك ولذلك يبين في قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ يعني النية خاصة لله .

وهذا السالكي طريق المعرفة بالله أن يكون كل فعلهم الصالح في الخفاء ليكونوا أتقياء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥)

يتكلم الحق في هذه الآية عمن يخالف رسول الله في أوامره ونواهيه أو يخالف سنته ﷺ .

من بعد ما عرف الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وتأكد من أنه هدى من الله عز وجل ويسير على منهج غير المؤمنين .

يتركه الحق سبحانه وما اختار لنفسه ثم يدخله جهنم فيشوى بها وساءت مصيراً وكلمة الحق « وساءت مصيراً » كأن الحق يتحسر على عباده الذين ضلوا عن سبيل الله ونجد أن تغيير منهج الله يؤدي إلى جهنم أي سوء المنهج يؤدي إلى سوء المصير في جهنم .

جهنم عكسها : منهج .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١١٦)

هنا حكم صدر من الحق سبحانه بأنه لا يغفر لمن يشرك به أي شيء وهنا معنى الشرك شمولي كامل بمعنى ألا تعتقد في فعل أي من مخلوقات الله وموجوداته أن لها فعل في أي شيء في الكون إن الفعل كله لله وحده والملائكة والجن والإنس والشجر والحجر والحيوانات والأرض والسموات وكل ما في الكون يعمل بالله وحده وبأمره هو ولذلك كانت قضية الشرك بالله خطأ فادح لا يغفره الله ولا يسامح فيه أما ما دون ذلك من الذنوب فإن الله يغفره ولذلك كن موحدًا ثم إذا أذنبت لا تيأس من رحمة الله ومغفرته فإنه هو الغفور الرحيم وعلمه لمن يشاء إما أنه يغفر لمن تاب وشاء من الله المغفرة وطلبها منه أو أنه لمن شاء الله يغفر له بحرية اختيار من الحق سبحانه ، وأنا أرى أنها المعنيين معًا .

ويقول الحق أن من يشرك بالله فقد ضل يعني ضاع وضللاً بعيداً يعني ضاع ضياع وشر وبعيداً جداً بحيث يصعب أن يهتدي .

لأن الخطأ دخل في قضية الوجدانية ويقول الرسول في إحدى الرؤيا لأحد الصالحين عن حقيقة التوحيد «حقيقة التوحيد أن كل ما في بالك هالك وربك بخلاف ذلك» .

ولذلك لأنك إن أردت خطأك في أي شيء لله وحده وعلمت أنه هو وحده المحاسب لك وليس له شريك في حكمه أو وزير يشاوره أو مساعد يسأله رأيه فقد ضمنت أن الحكم صادر من الحق العدل الرحيم الغفور الكريم العفو الرؤوف فكيف يكون حكمه إلا رحمة وغفران ؟

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝١٧﴾

هنا يسخر الحق من المشركين حين اتخذوا آلهة كالإناث ضعيفة لا تدفع عدواً ولا تأخذ ثأراً فقد تصور المشركين في أكثر آلهتهم أنها إناث وسموها بأسماء إناث مثل : «اللات» و«العزى» و«مناة» ولذلك عابهم الله كما تصوروا أن الملائكة إناث

وأنها بنات الله فعابهم بذلك في قوله : ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الآية .

وعيب الحق عليهم أنهم لا يدعون إلا شيطاناً مريداً متمرداً متجرداً من الخير عاتباً في كفره هكذا يوضح الحق من رحمته ما عليه عبیده الضالين المشرکین لیبین للمؤمنين حقيقة التوحيد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ (١١٨)

ينبهنا الحق هنا إلى أن هذا الشيطان المتمرد العاتي الضال قد لعنه الله من قبل حين خلق آدم وعصى الشيطان أمر الرحمن فلعن وطرده من الرحمة الإلهية فتبجح الشيطان وقال لله عز وجل أنه سيأخذ من عباد الله نصيباً معلوماً مقطوعاً له به .

كأن الشيطان في حالة تحدي مع بني آدم ليضلهم حتى لا يؤمنوا ويكون مصيرهم مثل مصيره ملعونين مطرودين من رحمة الله عز وجل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مَئِينَتَهُمْ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَهُمْ آيَاتِنَا أَنْ لَا تُغْفِرَ لَهُمْ خُصْرَانَا مُبِينًا ﴾ (١١٩)

هنا يرسم لنا الحق فعل الشيطان وكلامه عن كيفية إضلاله لبني آدم فيقول الشيطان متبجحاً أنه سيضل البشر ويضيعهم ويضيع الحق بينهم ويستغل رغباتهم وأمانيتهم في أن يزيد في أمانيتهم وشهواتهم ورغباتهم حتى يضلوا ، ثم يأمرهم بما يريده منهم وذلك بأن يضع لهم قوانين من عنده هو ليؤكد تحكمه فيهم وغالباً ما تكون هذه القوانين لا تتفق مع العقل السليم أو المنطق المعقول فتكون شبه خرافات وخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان ، مثل أن يأمرهم بأن يشقون أذن

الناقة أو يقصعونها كعلامة على عدم الانتفاع بها بأي شكل من لبن أو ووبر أو لحم ، ذلك إذا ولدت هذه الناقة خمسة أبطن ، وجاء الخامس ذكرًا ، وهذا من إضلال الشيطان ليحرم ما أحله الله للناس ويستغل بناء الناس في أن يسيطر عليهم .

ثم بعد ذلك يأمرهم بأن يغيروا في فطر الله التي فطر الكون عليها وهي دين الإسلام ويشمل التغيير كل شيء لا يكون فيه إصلاح في الأرض بل فساد في الكون بكل أنواع التغيير المفسد في الكون .

ويحذرنا الحق أن من يتبع الشيطان ويتخذه وليًا من دون الله ويترك شرع الله وفطرته فقد خسر خسرًا مبينًا واضحًا لا نفع فيه ولا بعده .

ألاحظ هنا أن الحق سبحانه يحاول بكل السبل أن يهدي البشر ويوضح لهم كيف يلعب بهم الشيطان من خلال آمالهم وأمانيتهم وأحب أن أذكر بهذا الخصوص مثال على عمل الشيطان مع الإنسان .

وسأذكر قصة محامي أضله الشيطان وقوف المحامي في المحكمة يدافع عن رجل اغتصب طفلة صغيرة في سن الحداثة حوالي 13 سنة هو عمرها وفعل كل ما في وسعه ليخرج الرجل بريء من فعلته ففي وقت استراحة المحكمة دخل إلى دورة المياه وهو يغسل يديه كشف الله له أن الشيطان هو الذي يحثه على هذا الفعل ونمى بداخله شهوة النجاح في العمل حيث أنه يريد أن ينجح كمحامي دون النظر للقيم الأخرى .

وأراه الله كم أن نفسه قبيحة حتى يكف عن الدفاع عمن أذنب في حق هذه الطفلة فأفاق إلى نفسه وعاد إلى قاعة المحكمة بدل من أن يدافع عن المذنب أخذ يكشف حقيقة المجرم أمام الناس والمحكمة وهو يعلم أنه سوف يفقد وظيفته بإفشاء سر موكله ولكنه صمم على تنزيه نفسه من شبهة الظلم .

فماذا يفعل الشيطان يذهب له من ناحية أخرى ، تأتيه أجهزة الإعلام والتلفزيون ليمجدوا فعله الذي فعله ويمدحوا صدقه وأمانته وأخلاقه ويطلبون

منه الكلام في برامجهم وينمي الشيطان في نفسه حب الظهور والشهرة ليضله من خلالها .

وهكذا دائماً يجد الشيطان مدخل للإنسان من خلال أمانيه ورغباته وطموحاته يعبث بأنه من خلالها وهذا يراجع إلى الإنسان الذي يعلم حق العداوة التي بينه وبين الشيطان فلا يطلق لنفسه العنان في أي شيء دون أن يقف أمام نفسه ويصدق نفسه القول لماذا أفعل هذا وهذا معنى قول الحق على لسان الشيطان : ﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ ﴾ .

هنا يوضح لنا الحق كيف يدل لك الشيطان ويحذرك منه فلا تطلق لرغباتك وأمانيك العنان حتى تعلم حقيقة ما تريده نفسك هل هو الله أم أن الشيطان يمنيك بما يضيعك في الدنيا والآخرة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيْنُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٢٠)

هكذا الشيطان يعد الإنسان ويطمعه في الدنيا وفي الرغبات التي بداخله ويمنيه بأنه سيكون كذا ويفعل كذا ويحصل على كذا من زخرف الحياة الدنيا وزينتها .

وما هذه الوعود إلا كذب وغرور وخداع يقربه الإنسان ليضل ويشقى في الدارين هكذا دائماً لا يرتاح الشيطان ولا يكل ولا يمل ولا يعدم وسيلة ليصل بها لابن آدم إلى شقاء الدنيا والآخرة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ جَهَنَّمُ لَا يَخْدُون عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (١٢١)

يصدر الحق حكمة على من تبع الشيطان إن من يتبعون أهوائهم وضلاله الشيطان مصيرهم إلى جهنم لا يستطيعون الهروب منها ما لهم منها من مفر .

هذا هو حكم الله العليم الحكيم ولذلك في الآيات السابقة يحذر وينبه ويبين

كيف يفعل الشيطان بأوليائه لعلهم ينتبهون .

لم يجبر أحد الله سبحانه على أن ينبه خلقه من الشيطان ولكن حرص منه ورحمة ورغبة منه في أن ينجو كل خلقه من جهنم ويقيموا منهج الله لعلهم يفلحون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١١٢)

وبما أن الله حق وعدل فكما توعد أولياء الشيطان بجهنم ، فهو هنا في هذه الآية ينشر ميزان العدل حيث يبين الحق سبحانه أجر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وساروا على منهج الله الحق أنه سبحانه سيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها على الأبد ويقرر سبحانه أنه هذا وعد منه ووعدته حق ثابتاً واقعاً لا محالة .

ويقرر أن لا حد لأصدق من الله قولاً هذا شيء لا يحتاج لإثبات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١١٣)

نزلت هذه الآية بسبب تفاخر المسلمين بأنهم فقط في الجنة ، وتفاخر أهل الكتاب بأنهم هم الذين يدخلون الجنة فقط .

فقال الحق : ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب يشير الحق إلى أنه هو الحق وهو العدل فمن يعمل ذنب قبيح من كل الناس يحاسبه الله عليه ولن يجد له من دون الله مدافعاً يتولى الدفاع عنه ولا نصير ينصره بين يدي الله .

حين نزلت هذه الآية فرح أهل الكتاب وقالوا : نحن وأنتم سواء فأنزل الله الآيات التي بعدها ليبين أنهم ليسوا سواء عند الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٢٤)

اشترط الحق لمن يدخل الجنة أن يعمل الصالحات ويكون مؤمن قبل العمل الصالح ولا شرط لجنة ذكر كان أو أنثى يعني شرط قبول العمل الصالح عند الله أن يكون فاعله مؤمن بالله أولاً هو لا مؤمنين يدخلهم الله الجنة ولا يظلمهم أي عمل صالح عملوه ولو كان شيء ضعيف بسيط .
هذا الحق لا شيء عنده يضيع مهما كان بسيط .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٢٥)

يباهي الحق بالمؤمنين الحق فيقول ليس هناك من هو أحسن دين من أخلص قصده في عبادة الله وحده وهو مجد مجتهد ومحسن في عبادة الله وفي عمله في الدنيا مع الناس .

وهو متبع لملة إبراهيم وهي الحنفية ومعناها الميل عن الباطل إلى الدين الحق وهو التوحيد الخالص ولقد سبق وأن اصطفى الله إبراهيم وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله هنا إشارة من الحق أن الله يجب أن يكون كل مسلم موحدًا خالصًا مجتهدًا مع الله حتى يصل مع الحق إلى مرحلة الخليل إبراهيم من شدة إخلاص العبد لربه ، لقد فسر بعض العباد فيه معنى كلمة الخليل بأن حب الله قد تخلل في خلايا إبراهيم ولذلك سمي خليلًا وهذا حرص من الحق على أن يكون عباده كلهم أخلاء لبعضهم وفي الله أيضًا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (١٦٦)

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً .

نعم الله سبحانه له كل ما في السماوات وكل ما في الأرض من كل شيء وهو محيط بكل شيء كأن الحق يقول أنه خلق السماوات والأرض وهم له وهو محيط بهم علماً وزماناً ومكاناً وملكاً.

وهذا يعطي انطباع بأننا لن نفر من الله وإلى أين نفر وهو محيط بنا إذن يجب أن نفر إلى الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (١٦٧)

في هذه الآية يخاطب الحق رسوله فيقول : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي ويسئلونك الفتوى في أجور النساء وعلاقاتهم بهن .

وهنا يصدر الحق قرار منه لا حياد عنه فيقول : ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ .

إذن الفتوى في النساء ليست لرسول الله ولمن اتبعه من العلماء والفقهاء ولكنها لله وحده ولقد فصل الحق كل قضية متعلقة بالنساء في كتابه حتى لا يترك لأحد أن يفتي فيهن فقد يظلمهن ، ومن الملاحظ أن شرع الله في النساء يجب ألا يتجزأ بل يؤخذ ككل من أول كلمة لآخر كلمة لأن فقدان أي حلقة فيه فإنها تخل بمن بعدها وما قبلها فتفسد بدل من أن تصلح .

ولذلك الشرع حدد دور كل واحد في المجتمع وخاصة دوره حول حقوق النساء .

وبداية من أول ما تكون المرأة طفلة .

فقد وضع أسلوب تربيتها ، ونظم السلوك تجاهها في التربية والميراث والتعليم والزواج والإنجاب وكل ماله علاقة بالمرأة وهذا حرص من الحق على أحد الضعيفين لأن الرسول ﷺ قال : « اتقوا الله في الضعيفين المرأو واليتيم » .

فقد بدأ الرسول الضعيفين بالمرأة لأنها أشد الضعفاء ضعفاً .

قد تستغل المرأة استغلالاً بشع بما يضيع كرامتها وإنسانيتها ، وهنا يتجلى عدل الرحمن ورحمة العادل في تقنين السلوم مع المرأة .

من قوانين الشرع أن يقوم الرجل على مال المرأة وخاصة من كانت يتيمة .

واليتيم هنا ليس فقط فقد الأب بل من ليس لها جد أو أخ أو عم أو خال أو ابن أي ليس لها ذكر يقوم على مصالح أموالها ، وهنا إشارة من الحق على أن خروج المرأة للعمل في المال أو في عمله لكسب الرزق ليس هو القاعدة بل القاعدة هي أن يقوم الرجال بالعمل خارج المنزل عن المرأة وخروجها لا يكون إلا للضرورة وأن ما يحدث الآن هو ظلم بين في حق المرأة فقد تقلدت مقاليد الرجال وحملت على كاهلها الضعيف إعالة الأسرة وبالتالي اختلت الشرائع من المجتمع وأصبح مل شيء فرطاً ولذلك يجب أن نعود لكتاب الله كما قال رسوله : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله » .

كان فيما سبق يعمل الرجل في مال امرأة يتيمة ويريد أن يتزوجها دون أن يدفع لها صداقها ولتتزوجها طمعاً في المال الذي يعمل لها فيه فجاء الحق وشرع أن لا يطمع أحد في ليمنع أن يتزوجها ليأخذ مالها أو يمنع هو زواجها بغيره خوفاً وطمعاً في مالها وإذا تزوجها أوجب الله أن يمهرها حقها من الصداق وأن يتعامل معها بالعدل أفتى الحق في هذه الآية أيضاً للأولاد والضعفاء واليتامى وشرع لهم كيف التعامل في أموالهم لأنهم ثاني الضعيفين الذي ذكره رسول الله في الحديث السابق .

أمر الحق بإقامة العدل في مال اليتامى .

وأخبر الحق إجمالاً في آخر الآية أنه يعلم كل خير يقوم به الولي على المرأة واليتيم حتى وإن كان في طي الكتمان حتى يطمئنه أنه عليه حريص وله الأجر لأن الله لا يظلم عنده أحد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِنْ أَمْرُهَا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾

يصور لنا الحق في هذه الآيات صوراً مختلفة لسوء العلاقات الزوجية داخل البيوت وكيفية التصرف في هذه المشاكل التي تعرض على الأسرة مما يهدد كيانه وبالتالي كيان المجتمع ككل لأنها لبنة بناء المجتمع .

فيصور الحق لنا رجل يعامل زوجته معاملة سيئة يتجافى عنها ويظلمها ويعرض عنها ولا يتحدث إليها أو يأتيها .

فإذا كانت هي زوجة واحدة لهذا الرجل فالآية هنا توجههم إلى الصراحة بينهم لإزالة سبب النزاع وإتمام الصلح بين الزوجين ولا حرج ولا ذنب ولا لون على الزوجة إذا هي بدان بأن تصالح زوجها وتحاول أن تستميله إليها وتعرف سبب إعراضه عنها وتعالجه حتى تستقيم الحياة بينهم .

أما إذا كانت زوجة لهذا الرجل من عدة زوجات اثنان أو أكثر ووجد الرجل نفسه يميل لواحدة دون الأخرى فلا حرج عليها أن تحاول استمالاته لها وإن فشلت في ذلك فالنظر ماذا تريد هل تبقى معه ولا يأتيها أو يأتيها بدون عدل مع الأخريات فإن قبلت نفسها ذلك فلا حرج ولا ذنب عليها وإن لم تقبله فهي حرة في طلب التخليق للضرر ولو كان ضرراً نفسياً ، ولكن الحق يقول : والصلح خير .

نزلت هذه الآية في السيدة سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ وحين كبر سنها وأحبت أن تظل زوج رسول الله فتنازلت عن ليلتها للسيدة عائشة لعلها يتعلق قلب رسول الله ﷺ بها وظلت في بيت النبوة ، ونزلت في امرأة في عهد رسول الله كان لها أولاد من زوجها وأراد أن يطلقها ويستبدل بها غيرها فقالت : اقسام لي من النفقة يعني أنفق عليّ ودعني لا تأتيني فأظل بجوار أبنائي وتزوج أنت ما شئت .

هذا نوع من الصلح على الخير .

ويعلم الحق ويعلمنا في جملة اعتراضية في الآية أن النفس البشرية خلقت وطبعت بالبخل والشح فيقول الحق : ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ .

وينبه على أن من يحسن ويكرم الآخرين بإحسان وتقوى لله فإن الله خير بكل ما يعمل به البشر .

ألاحظ هنا أن الحق ين..... أدق المشاعر الأنثوية ألا وهي الرغبة في الانتماء إلى زوج مهما كان الوضع فوجود الزوج في حياة المرأة عنصر هام جداً .

كأنه حصن في المجتمع الذي نعيش فيه وهناك مشاعر أخرى في وجود الرجل في حياة المرأة وإن لم تقم بينهم علاقة جنسية تجعل في حياة المرأة نوع من السكن والهدوء وإن اكتفت بسماع حسه أو أنفاسه في دارها ، وذلك لأن الدنيا خلقت لأدم وحواء خلقت لأدم فكان محور الخلق هو آدم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَعْكَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٣)

هنا الحق أشعر بصوت الحكمة الذي يشوبه الحنان في مقولته إلى الرجال الذين يريدون تعدد الزوجات .

فيقرر أنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء مهما حرصوا على ذلك ولا

يستطيع رجل أن يرضي جميع نساءه مهما فعل ولن يستطيع أن يحبهم جميعاً بنفس القدر ، يعرفنا الحق أن الإنسان بطبعه قد يميل لواحدة دون الأخرى حتى ولو في المحبة .

فيحذر الله الرجال من الميل التام والظلم لإحدى الزوجات بأن يعرض عنها ويرتبط بالأخرى دون مراعاة لعدل أو رحمة فيذر الزوجة الأولى هذه كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة وأوجب الحق على الرجل أن يحاول أن يصلح بينه وبين زوجاته ويتقي الله بأن لا يظلمهن لأن الحق الذي سيحاسبه على حقوقهن وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله غفوراً لكم يرحمكم ويعذركم .

أشعر في هذه الآية أن الحق يطلب من الرجال أن يتعاملوا بالفضل وليس بالعدل مع نساءهم رحمة من الحق على النساء.

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (١٣٠)

هناك رجال لا يستطيعون أن يقيما تلك الحدود بأن يتعاملوا مع أكثر من زوجة بالفضل والإحسان ، وأيضاً هناك نساء تقتلهم الغيرة ولا يقبلن بالمشاركة في رجل واحد وقد يضيع دينهم إن يستمروا في هذا الزواج فيرخص لهم الحق أن يتفرقا بالإحسان ووعد بأنه سوف يغني كل منهما من سعته وفضله وغناه لأنه هو الغني الجواد الذي يسع كل ما يسأل وهو أيضاً المحيط بعلم كل شيء .

يراعي الحق في هذه الآية اختلاف طبائع البشر فلا يلزمهم بالاستمرار فيما تضيق به أنفسهم وهذه رحمة الحق وسعت كل شيء وكل مشاعر وكل موقف .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا



يؤكد الحق سبحانه أن له ما في السموات وما في الأرض .

ولقد وصى الحق سبحانه أهل الكتاب من قبل الإسلام ووصى المسلمين أن تقوى الله واجبة لأنكم أنتم وما في السماوات وما في الأرض كل هذا لله وحده يفعل فيه ما يشاء .

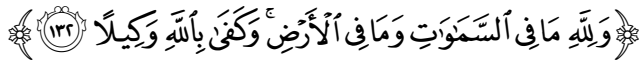
ويؤكد الحق أن الإيمان بالله وتقواه لأجلنا نحن لا يفيدنا هو شيء ويؤكد أن كفر كل من في الأرض ومن في السماء فإنهم جميعاً له ولا ينقصوا منه شيء بكفرهم لأنه هو الغني الحميد يحذرهم الله نفسه أن تتقوه وتتبعوا الذي أنزله لكم في القرآن وفي الكتب السابقة وهنا التحذير من الشعور بأن الله قد يظلم أحد وهذا كفر والعياذ بالله .

والتحذير هنا للرجل والمرأة سواء .

أجد النساء إذا طلقن شكون الدهر ويأسن من رحمة الله وكذلك الرجال والإنسان إذا ضاق رزقه أو وجد ضعف به في الحياة صب غضبه على الفور وأن الله لم يعطيه .

هذه الآية جاءت لتؤكد أنه لا يظلم أحداً وأنه حر فيما يفعل وفيما يقدر وهو لا يحتاج لعباده أحد بل العباد هم في حاجة أن يعبدوه وأنه غني سخي كريم حميد الخصال.

«الحمد لله رب العالمين»



لماذا يا رب تكرر هذا أنت أعلى وأعظم من تكلف تكلف مئونة التوضيح فأنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن أشعر بأن الرحمن في هذه الآيات كأنه ينبه الغافلين ويحرص على إفهامهم وهذا التكرار على رغم معانيه التي تفيد عظمة

العظيم واستغناؤه عن خلقه .

إلا أنها توحى بحنانه وشفقته عليهم وعلى جهلهم ، وكأنه يناديهم أنا عندي كل شيء تعالوا لي أعطيكم فأنا غني حميد ، اعتمدوا عليّ فأنا الوكيل الذي يكفيكم ليس هناك غيري يا خلقي يا عبادي أنا كل شيء مني وكل شيء عندي وأنا كل شيء عندي وأنتم ليس عندكم شيء لا تملكون حتى أنفاسكم ، هنا كلها آيات ترغيب في صدق التوجه لله لأنه هو وحده المالك لكم ولكل شيء .

كلها ترغيب في الجوء لله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا﴾ (١٣٣)

هنا آية ترهيب للتنبيه والتحذير والتفهم فيقول الله سبحانه بلهجة قوية حازمة شديدة يشهد بها الحنان والرحمة .

يا ناس !

إذا أردت أن أزيدكم فهذا عليّ يسير أنا القادر على أن أذهبكم وأخلق آخرين ويؤكد ذلك بقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ قَدِيرًا﴾ وهذا معنى الله أكبر مع كل أذان فهو كل شيء وله كل شيء وبيده كل شيء وهو قدير على كل شيء ولا يضيع عنده شيء ولا يهمل في شيء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

﴿١٣٤﴾

يقول الحنان المنان من كان يريد أجر الدنيا يعني متع الحياة الدنيا فإن الله عنده كل شيء من أجر الدنيا والآخرة وهو دائماً يسمع ويبصر كل شيء كأن الحق يقول لعباده ، إن أردتم الدنيا فهي عندي وإن أردتم الدنيا والآخرة فهما عندي .

بمعنى ليس لكم مناص من أن تسألوني أنا فليست الدنيا فقط ما هي بيدي ولكن الدنيا والآخرة أيضًا .

كأنه يحفز عباده على طلب كل شيء الدنيا والآخرة فيه هو فقط لأنه هو الذي يملك كل شيء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوَّلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَقَانَ ٱللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥)

نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ حين اختصم إليه رجلان غني وفقير وكان النبي ﷺ مع الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير .

يأمر الحق الذين آمنوا أن يكونوا مداومين على القيام بالعدل شهداء بالحق لوجه الله تعالى ولو كانت الشهادة على أنفسهم أو والديهم وأقاربهم .

إن يكن المشهود عليه غنيًا أو فقيرًا فالله أحق بهما ، فلا تتبعوا أهوائكم وتعدلوا عن الحق فالحق أحق أن يتبع .

فلا يحرفوا في الشهادة أو تمتنعوا عن أداء الشهادة لأن الله خبير بما تعملون عنده من الخبرة بما في أنفسكم وفي سلوككم .

هذه الآية لكل من يعرض عليه قضاء بين الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين فواجب القاضي أن يخلي نفسه من كل علاقة إنسانية بينه وبين المتخاصمين لديه ولا يتبع هواه في الحكم .

ويجب على من يشهد أن يكون أمينًا في أداء شهادته ، ولا يحرفها أو يمتنع من أدائها لأي سبب من الأسباب .

في هذه الآية يشعر الحق بخبرته أن أهواء البشر قد تدفعهم إلى ظلم أحد من الناس لإرضاء نزعات النفس فيحذر عباده من الميل والسقوط في هذا الظلم ، لأن الحق يشفق على جميع عباده غنياً كان أم فقير طائعاً أم عاصياً .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

هنا صدر أمر إلهي للذين آمنوا بأن يؤمنوا بالله ورسوله والقرآن والكتاب الذي أنزل من قبل منذ آدم إلى القرآن كل ما نزل من عند الله فهو كتاب واحد وإن اختلفت الأمم واختلفت الشرائع وأن يؤمنوا بالملائكة وجميع الرسل السابقين واليوم الآخر .

ويحذر الحق من أن يكفر بما سبق فيقول : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضاع ضياع بعيد المدى .

وهذا هو الضيع الحقيقي فقد فقد كل شيء حدد الحق هنا ما يجب أن يؤمن به الناس ، وكلمة يؤمن معناها التصديق دون أن يرى ما يصدق به فمثلاً نحن لا نرى الله ولكننا مصدقين بوجوده من حولنا وهذا هو الإيمان ولم نرى الرسل ولكننا نؤمن بهم حتى بعد رفاقهم ولم نعاين الملائكة ولكننا نؤمن بهم دون أن نراهم وهكذا يجب التصديق بكل ما يقوله الحق لنا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

يصور لنا الحق هاهنا صورة لبعض الناص المذبذبين لا يثبتوا على حالة من

إيمان أو كفر فيصور الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثانية ثم كفروا ثم ازدادوا كفرًا بمعنى أن الكفر قد تمكن من قلوبهم فلم يعد يدخله إيمان هؤلاء واضح أن الحق أعطاهم آيات حتى يترددوا بين الكفر والإيمان حتى ثبتوا على الكفر هؤلاء استنفذوا حقوقكم عند الله ولن يهديهم بعد ذلك إلى سبيل الله .

يصفهم الحق بالمنافقين ويأمر رسوله بأن يبشرهم بأن لهم عذاب أليم .

لهجة الحق هنا فيها غيظ منهم مع سخريه منهم فيقول بشرهم نوع من الاستهزاء بهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩)

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتغنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا ما أكثر هؤلاء الآن من أفراد ودول من المسلمين يتخذوا من أعداء الله من الدول غير الموحدة سند وعزوه وهذا ما حذر الحق منه فإذا اتبع المؤمن الكافر ليعتز به فقد اعتر بالشيطان وهذا هو الذل بعينه .

لأن العز بالله والله وفي الله ومن الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أَيْتَ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠)

هذا نهي آخر من الحق نزل في كتابه أن إذا سمع المؤمن من الكفار والمنافقين أنهم يستهزأون بآيات الله من معجزات أو قرآن فلا جلوس معهم في مكان واحد حتى يتكلموا في حديث آخر وإن سمعتم آيات الله يستهزأ بها إذن أنتم منهم أما

منافقين وكافرين والله سوف يجمع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً .
أشعر بإنذار الحق للمؤمنين من الاستهتار بأوامره ويحذرهم بشدة من مجالس
السوء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ الَّذِينَ يَرَبُّونَ يُكْمِ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ فَالُؤْ أَلْمَنَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ
لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤١)

ما زال الحق في هذه الآيات يتكلم عن سلوك المنافقين الذين جعلهم الله أكثر
سواءً من الكافرين لأن الكافر واضح في سلوكه أنه كافي أن المنافقين فهو كالحية
الرقطاء ناعمة الملمس ولكن لدعتها قاتلة فيقول عنهم أنهم ينتظرون ما يحدث
لكم فإن كان لكم نصر وظفر وغنيمة يقولوا للمؤمنين ألم نكن معكم بمعنى أننا كنا
سند لكم وإن كان للكفار حظ من النصر على المؤمنين يقول المنافين للكفار ألم
نكن حوز وحصن لكم وننصركم على المؤمنين إخلاصاً منا لكم ؟

وننصركم على المؤمنين إخلاصاً منا لكم ؟

هؤلاء جمعاً الكفار والمنافقين والمؤمنين يوم القيامة سيحكم الله بينهم جميعاً في
آخر الآية يطمئن الله المؤمنين بأنه لن يمكن الكافرين منهم ولن يستطيع الكفار أن
يجدون طريقاً ليظلموا المؤمنين .

وهذا تفضل من الله على عباده المؤمنين كأن الحق ينظر لأفعال وقلوب كل
البشر فيرى هذا منافق وهذا كافر وهذا مؤمن ويعامل كل على شاكلته بحلم وأناة
وروية وينظم كل أمور الدنيا والآخرة بحكمة يعلمها هو وحده ولذلك كان هو
الحكم الفصل في الآخرة بين كل هذه الفئات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢ مَذْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝١٤٣﴾

يصف لنا الحق من خلال هذه الآية سلوك المنافقين بأنهم يفعلون مع الله سبحانه فعل المخادع وهو سبحانه يفعل معهم فعل المخادع فيحفظ دمائهم وأموالهم في الدنيا وقد أعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار .

ويميزهم بصفة يعرفها كل واحد منهم عن نفسه ، فمثلاً إذا قاموا للصلاة قاموا بتكاسل لينافقوا الناس ويظهروا أمامهم بصورة المصلين ولا يذكرون الله في صلاتهم إلا قليلاً .

ويصفهم الحق بأنهم في تردد دائم ثم بين الكفر والإيمان ، فإنهم لا هم من المؤمنين الموحدين بالله ولا هم من الكفار وهذا هو الضلال الحقيقي ومن أضله الله ماله من هاد وليس له طريق يسلكه .

أي أنه ضائع .

أشعر في هذه الآية السخرية من الله عز وجل من المنافقين والكفار وما أكثرهم هذه الأيام .

أحد من الناس من يحمل دينه كأنه يحمل جبل على كتفه والعبادات تكاد تكون مجرد عادات فقدت الحس الروحاني وهذا لأن الناس لا تفكر فيما تقوم به ، كل يقوم لنفسه «أهو واجب وخلاص» .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَاؤُنَ أَنْ تَجْعَلُوا
لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (١٤٤)

ينادي الحق على المؤمنين ويأمرهم بأن لا يتخذوا من الكافرين أولياء أو

أصدقاء أو حكام أو أي علاقة فيها تأثير على حياة الناس بل يجب أن يتخذ المؤمن مؤمن مثله صديقاً أو والياً أو حاكماً ويسأل متعجب ومحذراً المؤمنين ويقول :
أتريدون أن يكون الله عليكم حجة ظاهرة في استحقاقكم العذاب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾

قرار إلهي بأن المنافقين في الطبقة التي في أقصى قعر جهنم وليس لهم من يغنيهم أو ينصرهم هذا حكم الله فيهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦ ﴾

يستثني الحق سبحانه من هؤلاء من تاب منهم وأصلح عمله وتمسك بكتاب الله وشرعه وأخلصوا دينهم ونيتهم في أفعالهم لله فهؤلاء جعلهم الله مع المؤمنين وسوف يربي الله المؤمنين أجراً عظيماً برحمته المعهودة دائماً يفتح الحق بعد الإنذار في الآية السابقة التي حكم على المنافقين ، بالدرك الأسفل من النار ، يفتح لهم مجال للتوبة والرجوع إليه والعمل الصالح المنجي من هذاب الله هكذا الحق دائماً مع عباده في ترهيب ثم ترغيب حتى يهدي خلقه للرشاد والهدى ولصالحهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧ ﴾

يسأل باستغراب من أمر الناس وطمئينة لهم فيقول الحق : ما الفائدة التي تعود للحق إذا عذبكم فهو يريد أن يرحمكم .

هنا يقول الحق لن يعذبكم الله إن شكرتم وحمدتم نعمة الله عليكم وآمنتُم بالله وحده لأن الله دائماً شاكراً للشاكرين المؤمنين به وعليماً بمن هو مؤمن ومن ليس بمؤمن .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨)

إن الله جميل يحب الجمال في الشكل واللون والسمع أيضاً لا يحب أن يقع بصره على قبيح ولا يحب أيضاً أن يسمع القبيح من القول بل يحب الكلام الحسن العذب السهل الرقيق ولا يحب رفع الصوت بل يحب الصوت الهادئ الرقيق .

ولذلك يقول الحق أنه لا يجب رفع الصوت بالألفاظ السيئة والقول القبيح واستثنى المظلوم الذي لا يجد إلا قوله هذا ليحاول رفع الظلم عن نفسه .

ولذلك هو يسمع كل ما يقال فاحترس أيها الإنسان من سمع الله وهو عليم ، أي أنه يعلم خفايا النفوس حين تتكلم ويعلم كمية الضيق التي في نفس المظلوم وكيف يعاني من الظلم ولذلك يقال : اتقي دعوة المظلوم فإن الله يسمعها وهذه الآية تؤكد ذلك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩)

هذه الآية يعلمنا الحق كيفية السلوك الطيب فيقول : إن تظهروا الخير أو تخفوه ، وتعفوا عن أساء إليكم وتصفحوا .

فهذه من الصفات التي يحبها الله لأنها من صفاته فهو عفواً على الرغم من قدرته على الانتقام فهو يحب العفو والمغفرة .

وهنا يضرب الله لنا مثل في كونه يستطيع أن يقيم العدل ويتنقم من المسيء لكنه يفضل العفو على الانتقام .

وكذلك يجب أن نكون نحن البشر هكذا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ ﴾

جاءت هذه الآية لتجميع الإنسانية والبشرية تحت راية واحدة وهي راية أن لا إله إلا الله وفروع هذه الارية يندرج تحتها إمانيات ليس فيها فصال أو نزاع إذ اختل شيء منها لم تسلم تمامًا من النفاق والكفر والعياذ بالله فيصف الحق أن الإيمان بالله وحده متكاملة يندرج تحتها الإيمان بجميع رسله منذ آدم حتى محمد، يقول الحق سبحانه عن الذين يظهرون الإيمان بالله ويكفرون بالرسول وهذا خلاف ما أمرهم الله به .

ويريدون أن يتخذوا طريقًا بين الإيمان والكفر أن أولئك هم الكافرون حقًا وأعد الله لهم عذابًا مهينًا مذل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٥٢ ﴾

أما الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد من رسله أولئك سوف يؤتيهم الله أجورهم ودائمًا كان الله غفورًا رحيمًا .

ألاحظ أن الآيات السابقة أن الحق وضع مقارنة بين نوعية من الناس ناس تدعي الإيمان بالله وحده ولا تؤمن بالرسول أو يؤمنوا ببعضهم وينكرون بعض مثل اليهود والنصارى الآين حين لا يؤمنوا بمحمد .

إن كان من المسلمين ولا يؤمن بمن سبق من الرسل ويقول : أو من بالله

ورسوله محمد فقط لا هذا ولا ذاك الإيمان ما ذكره الله في الجماعة التالية التي تؤمن بالله وبجميع من أرسل من رسل هؤلاء هم المؤمنون حقاً وهذه دعوة موجهة من الحق للبشرية أن يتحدوا على شرعة واحدة ألا وهي الله واحد تؤمن به ورسله جميعاً تؤمن بهم ولا نفرق بين أحد منهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (١٥٣)

سأل اليهود رسول الله أن ينزل عليهم الألواح مثل ما حدث مع موسى وجاءهم بالألواح من الله .

فأنزل الله هذه الآية ليواسي رسول الله ﷺ فيقول : إن كانوا سألك هذا فإنهم سألوا موسى ما هو أكبر من هذا فقد طلبوا منه أن أرنا الله عياناً بالبصر علانية فأنزل الله عليهم صاعقة من السماء فأخذ منهم بهذا الظلم فدعى موسى ربه فأحياهم ثانياً .

وأنهم بعد أن رأوا الآيات من شق البحر وغرق فرعون ونجاتهم وغيرها مما حدث من أول دعوة موسى لهم في مصر وحين خرجوا كانت هناك آيات بينات ومع ذلك عبدوا العجل من دون الله ومع ذلك عفا الله عنهم ثم أتى الله موسى سلطة ظاهرة قاهرة ليستطيع أن يساير هؤلاء الجبابرة .

وكأن الحق سبحانه يطيب خاطر رسوله بهذه الكلمات وأنه يواسيه ويريد أن لا يحزن على قول أهل الكتاب وهذا من حنان الرحمن على رسوله وأيضاً أرى رحمته على أهل الكتاب لأنه دائماً كلما تعلقوا فيغفر الله لهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ

وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

ما زال الحق يسرد لرسوله فعله مع بني إسرائيل فيقول أنه لما أرادوا الرجوع إلى مصر حيث الذل والمهانة فما منهم من الرجوع إلا أن الله رفع قمة جبل الطور فوق رؤوسهم حتى يرجعوا عن ما أرادوه وذلك بسبب العهد الذي أخذه الله عليهم وأمرهم الله أن يدخلوا بيت المقدس ساجدين وقال لهم يوم السبت يوم قدس لا عمل فيه وأخذ الله منهم عهداً مؤكداً بطاعة الله عز وجل .

وأرى من رفع جبل الطور على بني إسرائيل أنه حرصاً عليهم وعلى عزتهم منعهم من الذهاب إلى الذل بالقوة الجبرية وهذا هو الرب المربي الحريص على عباده على الرغم من معصيتهم وأثامهم .

وهذا يبين أن الحق حريص على العهود والمواثيق وهذا يضرب لنا المثل في الحفاظ على المواثيق مهما يكن يجب الحفاظ على العهد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكَفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾

ثم لكل شيء حدود صبر الحق عليه كثيراً وعلى سلوكهم المشين وبسبب نقضهم العهود لعنهم الله وذلك لأنهم كفروا بآيات الله وأنهم قتلوا أنبياء الله بغير حق وقولهم أن قلوبنا مغلفة بما يمنة عنا فهم ما تقول بل ختم الله على قلوبهم عقاباً لهم فحجبها من العلم بسبب كفرهم .

فلا يؤمنون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وإلا قليلاً هنا معناه قليل منهم الذين آمنوا أو يؤمنوا أو إلا قليلاً معناها أن إيمانهم قليل جداً وهذا المعنى ضعيف .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَبِكَفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَبْتَنَا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ

مَرِّمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾

ما زال يعدد الحق ذنبول بني إسرائيل فيذكر كفرهم بنبوة عيسى عليه السلام وقولهم على السيدة العذراء مريم الكذب والباطل الشنيع الذي يبهت ويحير سامعه وهي منه براء .

وقولهم أيضًا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن ألقى الله على المقتول شبه عيسى فظنوا أنه عيسى والذين اختلفوا في قتل عيسى من عدم قتله هم أيضًا في شك شديد .

فحين رأوا المقتول قال بعضهم الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده وقال آخرون : بل هو عيسى ومالهم بقتله من علم إلا اتباع الظن في قتله الذي تخيلوه وما صلبوه وما قتلوه يقينًا بل حكموا بقتله وصلبه تحمينًا ووهماً .

إنهم في شك فيمن قتلوا وصلبوا .

هل رأيت ذنب أشد من هذا الذي ذكره الرحمن في أهل الكتاب هل هناك أسوء من ذنوب هؤلاء الذين آتاهم الله كتابه وأرسل لهم رسله وآتاهم آياته ومعجزاته .

ومع ذلك ترى الجحود والنكران والكفر والفسوق في صور جليلة من كذب وظلم وبهتان وقتل وصلب ومع ذلك أرى حلم الحليم يتجلى في أروع صورة من رحمة وجبر ومغفرة ولكن لكل شيء نهاية فكان يجب أن يوقفهم الله عند حدهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

ماذا كان مصير عيسى عليه السلام ؟

هنا يقرر الحق أنه رفعه الله إليه ليرحمه من فعل اليهود وذلك من عزة الله التي

تتجلى فتعز عباده الصالحين ورسله أيضاً ويرفعه الله ليعزه عليهم ويرحمه منهم وبحكمته سيعيده إلى البشر مرة أخرى في نهاية الزمان .

وما من أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بعيسى قبل موته عند قرب قيام الساعة ويوم القيامة يجعله الله شهيداً عليهم فيما فعلوه في الدنيا .
وهذا ليقيم الحق ميزان العدل يوم القيامة ويرحم الصالحين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَيُظْلِمُ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٦١)

فسبب ظلم اليهود أنفسهم حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم وذلك أيضاً بسبب صدهم عن سبيل الله كثيراً سابقاً ولاحقاً وإلى أن تقوم الساعة وهم يصدون من يريد أن يؤمن وبأخذهم الربا وقد نهاهم الله عن الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل والباطل ولقد أعد الله للكافرين منهم عذاباً أليماً وهنا تتجلى صفة العدل من الله عز وجل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَنَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢)

يستثني الحق من الحكم السابق على أهل الكتاب الراسخون في العلم منهم والمؤمنون الذين يؤمنون بما أنزل على محمد وما أنزل من قبل محمد ﷺ ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سيؤتيهم الله أجراً عظيماً لأنه هو الرحمة والعدل المطلق .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١١٣)

هل هناك أحد ألزم الله أن يرسل الرسل إلينا ؟!!

طبعًا لا .

لكنه هو برحمته وحنانه وعظمته وعدله أوجب على نفسه ما لم يوجبه عليه أحد بأن يرسل الرسالات على أيدي وألسن الرسل يقول لرسوله ﷺ : أنت لست وحدك صاحب رسالة لست محتلفاً أو جئت بشيء عجيب لم يسبق لم مثل بل سبقك رسل كثير كل منهم أوحى الله له رسالته التي يلغها لقومه مثل نوح وهو أول رسول بعد آدم والنبيين من بعده ، معنى ذلك أن بين نوح وإبراهيم كان هناك أنبياء كثير والنبي لا يجب أن يكون رسول صاحب رسالة ولكن كل رسول يجب أن يكون نبي ثم جاء إبراهيم ومن بعد إسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاد يعقوب وحفدته وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتى الله داود زبوراً وهو كتاب فيه مواعظ وحكم .

هكذا يعدد الحق من الرسل الذي أرسل وأن محمداً ليس بدعاً من الرسل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤)

ويقرر الحق أنه قص حكاية بعض الرسل على الرسول ﷺ من قبل وهناك رسل لم يقصص حكايتهم لرسوله واختص الله موسى بكلامه ، وكلمه تكلماً خاصاً به «دون وساطة جبريل» .

هذه الآية تفيد أن هناك رسل كثيرين لا تعرف عنهم شيء وهذا إن دل يدل على رحمة الله فهو لا يعذب دون أن يبعث رسول .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥)

يبين الحق هنا دور الرسل في أنهم يشيرون الناس بأن بعد الموت هناك حياة أبدية من النعيم والجنة ومنذرين بأن هناك حساب وعقاب ونار لمن يظلم أو يكفر ويرسل الله الرسل لكي لا يكون للناس على الله حجة بأنهم لم يعلموا أو نسوا ما كانوا عليه قبل الخلق في الأرض فبعد إرسال الرسل ليس لهم حجة بعد ذلك وكان الله عزيزاً غالياً نادراً ولكنه حكيم في فعله فكل شيء يفعله يكون بحكمة ولحكمة يعلمها هو .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١٦٦)

هنا شهادة صريحة من الحق سبحانه بأنه يشهد أن القرآن الذي أنزل الرسول ﷺ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ويكفي الله على ذلك شهيد .

هنا يطمئن الحق نبيه بأن لا تقلق فأنا أشهد لك والملائكة أنني أنزلت إليك القرآن ولا تهتم بما يقول الكافرين ويكفيك الله شاهد لك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٦٧)

﴿كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (١٦٨)

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضللاً بعيداً .

يعني ضاعوا ضياع واضح وبعيد جدًا عن الحق .

يقول الحق : إن الذين كفروا بالله وظلموا رسول الله بإنكار صفته التي عندهم في التوراة لا يمكن أن يغفر الله لهم ولا ليهديهم أي طريق للنجاة من النار .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٦٩)

لا يهديهم إلا إلى طريق جهنم خالدين فيها أبدًا وهذا سهل جدًا على الله أن يفعل بعد كل ما فعلوه من كفر وظلم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧٠)

ما زال الحق ينادي على الناس نداء المحب لهم الحريص على هداهم وعلى رحمتهم .

فيقول : يا أيها الناس إن محمدًا ﷺ قد جاءكم بالقرآن والرسالة الحق من ربكم فآمَنُوا بالله وصدقوا رسوله خيرًا لكم ولصالحكم أنتم وإن تكفروا فإن السماوات والأرض وما فيهن ملك لله وحده يفعل به ما يشاء وهو دائماً عليماً حكيماً .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٧١)

يأمر الحق أهل الكتاب هنا بأن لا يتجاوزوا الحدود ولا يفرطوا فيه فلا يقولوا

على الله إلا الحق ، والخطاب هنا خاص بالنصارى الذين عبدوا المسيح من دون الله ومنهم من يقول : أن الله ثالث ثلاثة .

وهنا يؤكد الحق أن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته «كن» ألقاها إلى مريم بدون أب وبلا نطفة من ذكر وروح خاصة منفصلة ليست مادة الروح التي نفخها في آدم هذه روح خاصة بعيسى أما روح آدم فقد استل الحق منها جميع البشر بعد آدم .

فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا : ثالث ثلاثة انتهوا عن هذا القول خيرًا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات والأرض ويكفي أنه يكون هو الوكيل عن كل من في الأرض والسماء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٣)

يقول الحق أن المسيح بن يأنف ويطرف ويستكبر على أن يكون عبدًا لله ولا حتى الملائكة المقربون الذين يحفون بالعرس ويستكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له ومن يأنف ويستكبر على عبادة الله فسيحشرهم إليه جميعًا .

سيجمعهم في حشد واحد في يوم واحد في ساعة واحدة بين يديه ليحاسب كل على شاكلته لا تفريط من الحق في أي حق من الحقوق ولا شيء عند الله يضيع من فعل خير أو فعل ذنب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧٣)

ثم بعد أن يجمعهم يعطي كل ذي حق حقه فمن آمن وعمل صالحًا سيوفيه أجره ويزيده من فضل الله .

وأما من أنف واستكبر عن عبادة الله فسوف يعذبه عذابًا أليمًا ولن يجد من دون الله وليًا ولا نصيرًا .

وأجد الحق في هذه الآية أنه من الممكن أن يرحم هؤلاء على الرغم من توعده لهم بالعذاب الأليم وأشعر هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ في كلمة ﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذن قد يلجأوا إلى الله وقد يغفر الله ويعفو .

أشعر برحمة الله في هذه الكلمة كأنه يقول : لا تقنطروا من رحمتي فإن رحمتي وسعت كل شيء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُلُّهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾

الإسلام هو دين البشرية كلها ولذلك في هذه الآية يبدأ الحق بقوله : ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ﴾ نداء لكل الناس أن قد جاءكم من ربكم رسول وهو محمد ﷺ وكلمة برهان معناها أن الحق جعل محمدًا إثبات منه أن الإنسان ممكن أن يكون مثاليًا في كل شيء ومع أسوء ظروف المعيشة والحياة فهذا محمد يولد في بيئة صحراوية قاحلة وخلق قساة عتاة مشركين بالله ومع ذلك كان مثالًا للإنسانية جمعاء في الخلق والسلوك والأدب وبرهان يعني دليل يجب أن يحتذى فعلًا وقولًا وسلوكًا وإيمانًا وتصديقًا ثم هذا المثال المثالي للإنسان أنزل الله عليه قرآنه وهو نورًا واضحًا موضحة ومبينًا لكل شيء في الكون منذ خلق آدم حتى يستقر أهل الجنان في الجنة وأهل النار في النار ، هذا هو القرآن العظيم .

لم يترك الله أي شيء لم يفعله لرحمة البشر لأنه هو خالقهم وهو راحهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥)

يحدد الحق من الذي سيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إلى الله على الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة .

صراط الدنيا الالتزام بقرآن الله وأوامره وشرعه ، وصراط الآخرة الذي يعبره سريعاً ليدخل الجنة دون ألم من هؤلاء ؟

هم الذين آمنوا بالله واعتصموا بالله وتمسكوا بقرآنه وتنفيذ كل ما في القرآن دون اتباع لهوى النفس أو إضلال الناس والشیطان هؤلاء هم الفائزين حقاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ إِن كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ ۚ ۖ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦)

يختتم الحق هذه السورة بحكم من عنده .

حين يقول الحق : ﴿اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ﴾ فلا اجتهد بالرأي أو تغيير في النص فهو كما حكم لأنه يحكم لا معقب لحكمة .

هنا يفتينا الله في «الكلالة» والكلالة هو الذي يموت وليس له ولد ولا والد .

فإن كان له أخت فلها نصف ما ترك .

وإن كان الكلالة هي الأخت فأخوها يرث كل مالها .

فإن كان للكلالة أختين فلهما الثلثان مما ترك 2 / 3 التركة .

وإن كانوا أخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل نصيب البنين .
يبين الله لنا هذا التفصيل في الكلالة وفي الميراث حتى لا نضل .
والله بكل شيء عليم .

حين يكون الحكم في مال وميراث نجد أن الحق يتشدد في أحكامه ويفصل أدق التفاصيل في المال بالذات لأن المال هو سبب حركة الحياة ، وفيه قد يضل الإنسان ويطمع وهذا قد يفسد في الأرض فساداً واسعاً ولذلك اختص الحق نفسه بتقسيم المال في حال الميراث مع تفصيل كل صغيرة وكبيرة حتى لا يضل الناس ويضيعوا حرصاً على صالحهم في الدنيا وإعماراً للأرض بالصلاح والحلال ونجاة في الآخرة من النار والعذاب .

الحمد لله رب العالمين

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْآنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ

مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

يبدأ الحق هذه السورة بأمر للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود والعقود هي العهود المؤكدة الوثيقة والموثقة .

وكلمة العقود كلمة عامة شاملة كل عقد أو عهد أو ميثاق في الدنيا وفي الدين .

وأهم عقد هو الذي أبرمه المؤمن مع ربه على طاعته وسماع كلامه عز وجل في الأمر والنهي .

حلل الله للمؤمنين الأنعام مثل الإبل والبقر والضأن والماعز وقد حرم الحق أكل بعض الحيوانات مثل الخنزير والحمار الأهلي ولذلك استثنى الحق بعض من البهائم بقوله : ﴿إِلَّا مَا يَتْلِي عَلَيْكُمْ﴾ غير مستحلين للصيد في وقت الإحرام فالصيد حرام في حالة الإحرام بالحج أو العمرة قال الفقهاء : إن الصيد في هذا الموضع من التحريم هو صيد ما يؤكل لحمه بدلالة ما روي «خمسة يقتلن المحرم» .

إن الله يحكم ما يريد :

هنا يطلق الحق أنه هو يحكم بما يريد فيما يريد حين يريد لا معقب لحكمه إن الحق حين يؤمن مكان ويجعله حرم ويؤمن زمان ويجعله حرم يجب أن يأمن في هذا المكان وهذا الزمان كل مخلوقات الله فلا فزع ولا قلق ولا صيد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَنَعَاوُونَا عَلَى الْبَرِّ وَالْقَوَىٰٓ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

الرب هو المرابي وهنا يعلم الله عباده المؤمنين بالتجربة العملية كيفية ضبط النفس والسلوك الذي يجب أن يكونوا عليه حين يتعلق الأمر بالله عز وجل .

فيأمرهم بأن لا ينتهكوا ما جعله الله شعارًا وعلامة على الحج والعمرة من إحرام وطواف وسعي فلا يجوز الصيد في الحرم ولا في حين الإحرام بحج أو عمرة أو في الأشهر الحرم ليس الصيد فقط بل القتال أيضًا حرام في الأشهر الحرم التي هي ذي القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

ولا تستحلوا «الهدي» أي الأنعام المهداة إلى الكعبة حتى يبلغ منحره أي المكان الذي سيذبح فيه والزمان المناسب للنحر في الحج أو العمرة ولا القلائد التي تعلق على الهدى علامة على أنه مهدي لفقراء بيت الله .

وتستحلوا الذين يقصدون بيت الله الحرام للحج والعمرة أو طلب الفضل من ربهم في الرزق في الأشهر الحرم .

وإذا حللتكم من إحرامكم فاصطادوا ولا يحملنكم بغضكم لبعض الناس الذين صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم لتمنعوهم عن المسجد الحرام وتعاونوا على البر والتقوى لله ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله لأن الله شديد العقاب .

تتجلى كمال الصفات الإلهية في تربية المؤمن في هذه الآية .

فيبدأ بالتدريب على ضبط النفس بالالتزام بما أمر الله به من سلوك الإحرام في وقت الإحرام ، وأيضًا ضبط النفس وكظم الغيظ والعفو عند المقدرة كرامة لله عز وجل ولمن قصد بيته .

ويجعل الحق سلوك المؤمن غير متعادل مع سلوك الكافر ، فليس معنى أن أناس منعوني عن شيء أحبه إذا أمكنني الله منهم أمنهم أنا أيضًا فتكون في الذنب سواء ، إذن ما الفرق بيننا كلنا سواء لكن الأفضلية عند الله هي التقوى أعامل الناس بما أحب أن يعاملوني به .

﴿لَا تَحِلُّوا سَعْيَ اللَّهِ﴾ هنا كلمة شعائر يراها المفسرين أنها مناسك وسلوكيات الحج والعمرة ، نعم هي كذلك في ظاهرها ، أما في باطنها فهي

أحاسيس الله ومشاعره تجاه تاريخ هذه الأرض الحرام وما حرمت من أجله وما جرى عليها في الأشهر التي حرمت أيضًا من أجل الأحداث التي حدثت فيها فالزمان والمكان حرما من قبل الله عز وجل لأجل المشاعر التي شعر بها الحق حين أنشأ هذا المكان ومن أجل المشاعر التي عاينها الحق بين البشر بعد ذلك في هذا المكان ومن خلال توالي الزمان .

وقد سبق وأن شرحت لماذا الأشهر الحرم حرم ولماذا البيت الحرام هو حرام ؟ وما هي المشاعر التي بدأت بأنه أول بيت بني في الأرض لله بنته الملائكة وأول موضع سجد فيه آدم لله وذكر اسم الله في الأرض من بشر في هذا الموضع ومشاعر إبراهيم حين رفع القواعد هو وإسماعيل وابتلاه الله بذبح ابنه وكيف الألم الذي عاناه ومشاعر الأبوة التي تأملت ، ومشاعر الزوج وزوجه حين التقى آدم بحواء والسعادة في هذه الأماكن وآلام أم إسماعيل هاجر في هذه الأرض حين تركها إبراهيم وحيدة هي وصغيرها ، هذا المكان شهد ضحكات وآهات وآلام وسعادة وانفعالات شعر بها الرحمن قبل أن يعيشها الناس فمن هنا وجب احترام مشاعر الله وأحاسيسه إن أردنا أن ندخل إلى بيته الذي وضعه في أرضه .

ويؤدبنا الحق أحسن تأديب فيأمرنا أن يكون تعاوننا مع بعضنا على البر وتقوى الله أي الحذر من غضب الله والفعل الحسن الذي يرضاه من إحسان وصدق من خلال البر والعبادة الصادقة لله وحده .

ولا نتعاون على الذنوب والعدوان على خلق الله وهذا لتتقي غضب الله علينا فلا يسخط علينا لمعاصينا وقد يعاقبنا عليها عقابًا شديدًا فهو لا يتهاون في حقوق الخلق .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتُهُ وَلَدَمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا

بِالْأَزَلِّ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾

ينزل الحق في هذه الآية نصوص تحريم واضحة لا جدال ولا فقه معها فهي

صريحة في التحريم فيبدأ الحق الآية بكلمة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ ماذا ؟

1- «الميتة» وهو الحيوان الذي زالت حياته ومات دون ذبح .

2- الدم المسفوح السائل .

3- لحم الخنزير على الإطلاق جميع أجزائه .

4- ما ذكر عند ذبحه غير اسم الله تعالى .

5- الميتة بالخنق فتموت ولا تدرك ذكاتها .

6- «الموقوذة» ما ضربت بشيء ثقیل كحجر أو عصا حتى ماتت .

7- «المرتدية» التي وقعت من أعلى إلى أسفل فماتت .

8- «النطيحة» التي نطحتها أخرى فماتت .

9- ما أكل منها السبع فماتت بجرحها «والسبع كل حيوان مفترس» .

إلا ما ذكيتم وأدرکتومه وفيه حياة فذبحتموه بأن قطعتم أوداجه وأنهرتم دمه
وذكرتم اسم الله عليه .

10- والحيوان المذبوح على النصب وهي حجارة حول الكعبة يعظمونها
ويذبحون الذبائح عندها .

11- تقسيم الذبيحة «بالأزلام وهي القداح» الأزلام مفردا : زلم ، وهو قطعة
من الخشب مسواة تصلح أن تكون سهماً وكان العرب في الجاهلية يقترعون بها .

كل ما سبق ذكره تحت بند التحريم التام من الله عز وجل كله فسق يعني خروج

من طاعة الله إلى معصية فكل ما سبق حرّمه الله كله لصالح البشر والحفاظ على صحتهم وحياتهم ومنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأن الملائكة التي تسمع اسم الله حين يذبح الحيوان وهي بداخله تجعل أكله سهل في الهضم وفيه بركة ولذلك يحرص الحق على ذكر اسمه على ما يذبح حتى يكون هنيء مريء مبارك وحرم الحق الأكل لأنّها تنشر البغض والكراهة والحقد والشحناء بين الناس وهي نوع من الميسر الحرام أصلاً .

يقول الحق : أن هذه الآية يوم نزلت أيّست الكفار من ديتكم بمعنى أن الكافر قد يأس أن يؤمن أو أن يضل مؤمن ويقول الحق : لا تخافوا من الكفار ولكن خافوا مني لأنّي أنا ربكم وفي نفس اليوم الذي يأس فيه الكفار فقد أكملت لكم دينكم وجميع أحكامه وشرائعه وأتممت عليكم نعمتي بأن جعلتكم مؤمنين ورضيت لكم الإسلام ديناً .

وتتجلى رحمة الرحمن حين يشرع بالتحريم لشيء أن يضع بعض التسهيل على خلقه لأن الدنيا والظروف في تغير دائم .

فيقول : كل ما سبق حرام ولكن من الجأته الضرورة للتناول منها بسبب مجاعة شديدة غير متمایل إلى الحرام بتجاوز قدر الضرورة فقط فإن الله غفور رحيم .
سيغفر لأنه رحيم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفِقُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٤﴾

يسألون رسول الله ﷺ ماذا أحل الله لهم من الرزق ؟ قل لهم : أحل الله لكم الطيبات من الرزق وهي ما أذن لكم الشرع في أكله .

وأحل لك صيد ما علمتم من الحيوان المدرب على الصيد كالكلاب والطيور معلمين لها الصيد .

فكلوا مما أمسكن لكم من الصيد ولكن بعد ذكر اسم الله عليه ، ويحذرنا الحق بقوله : واتقوا الله أن تخالفوا شرعه في شيء لأنه سريع الحساب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ أَيُّومٌ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ٥ ﴾

يقول الحق :

إنه يوم إكمال الدين لهم في ذات اليوم أحل للمؤمنين الطيبات وهو كل ما هو طيب من الطعام والزواج ، وطعام الذين أوتوا الكتاب من يهود أو نصارى حلال للمسلمين وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب أيضًا .

هنا يحاول الحق أن يحقق نظرية الوحدة الوطنية من أن الدين لله والوطن للجميع وهذا ما نادى به الإسلام بأن حرية العقيدة مكفولة لكل إنسان فكل إنسان حر في دينه ما لم يضر الآخر بشيء وكون الحق حل لنا طعامهم وحل لهم طعامنا فهذا معناه الألفة والإخاء والمحبة والسلام لأن من يأكل طعامي إلا من سالمني .

وفي الزواج أحل للمسلمين العفيفات الحرائر من المسلمات والعفيفات من اليهود والنصارى حلال أيضًا زواجهن بالرجال المسلمين ولكن بشرط أن يكونوا أولى عقيدة على دينهم الحق فلا تقول الكتابية : أن الله ثالث ثلاثة أو أن العزيز ابن الله فهذه مشركة وليست كتابية ولأن الإسلام عدل فقد شرط النكاح بإعطاء المهر للزوجة مهما كانت ديانتها وذلك يتم بالزواج وليس مجاهرين بالزنى أو مصاحبي خليلات الزنى سرًا ومن ينكر شرائع الإسلام فقد بطل ثواب عمله السابق وهو في

الآخرة من الخاسرين .

نلاحظ في هذه الآية سماحة الإسلام في تشريعه فيسر للمسلم ولأهل الكتاب الحياة مع بعضهم والتعامل والطعام والزواج ليعم السلام على الأرض وهذا من رحمة الله بعباده وعلمه بعقولهم وضعفها .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

هذه الآية تبين قواعد الوضوء وأيضا موجبات الغسل :

أولاً : الوضوء :

يقولون : فلان وضاء يعني وجهه مضى ، وكلمى وضوء آتية من الضوء .

«و» حرف عطف وضوء : يعني نور .

والوضوء يعني زيادة ضوء لنور المؤمن بالماء لأن الماء هو العنصر الأساسي لكل كائن حي ومنهم الملائكة العاملين في الأرض وفي جسم الإنسان فتركيب الملائكة الأرضيين من الماء والنور معاً ولذلك يزداد بريق المؤمن حين يتوضأ بسبب انتعاش الملائكة في الجسم .

ومن الخطأ أن الأعضاء التي يتم فيها الوضوء هي كل ما ليس عورة عند الرجل والمرأة .

وأركان الوضوء الذي هو شرط يسبق الصلاة :

1- غسل الوجه كاملاً .

2- غسل اليدين حتى المرفقين .

3- المسح بالماء على جزء من الرأس أو الرأس كله حسب إرادة الإنسان .

4- وغسل الرجلين حتى الكعبين هذا عن الوضوء .

وإن كنتم جنباً فاطهروا .

ما هو الجنب ؟ حين يمارس الإنسان شهوة الجنس والجماع تأتي المتعة من الروح نفسها وتقف الملائكة التي في الخلايا في حالة تجنب لأجزاء الروح حتى تتم عملية المتعة في الجماع من خلال تفاعل الجسدين والروحين معاً الرجل والمرأة ولذلك في بعض الأحيان بإرادة الله عز وجل يحدث الحمل .

ولذلك أوجب الإسلام الغسل لتنشيط الملائكة المتجنبة داخل الخلايا للعمل باجتهاد ونشاط داخل الخلية بعد الجماع ولذلك يقول الرسول ﷺ : «تحت كل شعرة جنابة» يعني ملك في حالة تجنب لجزء الروح والغسل هو غمر الجسم كله بالماء بعد إزالة أي أذى .

ومن رحمة الرحمن التيسير على خلقه فهنا ينزل حكم التيمم لمن لم يجد الماء ويريد أن يقيم شرط الطهارة لإقامة الصلاة فقال الحق : من كان مريضاً أو مسافراً أو حدث حدث أصغر من بول أو براز أو لامس النساء بتلامس البشرة أو الجماع ولم يجد الماء للطهارة أو للوضوء فعليه بأن يتيمم بما صعد على الأرض من تراب طيب جاف أو حجر ليس فيهم نجاسة بشيء لم تدخل فيه صنعة الإنسان وذلك بأن يمسحوا بهذا الصعيد الطيب الوجه واليدين فقط .

وذلك لأن الله يحب أن ييسر على المؤمن ولا يجعل في حياته مشقة تعب أو حرج بل يريد أن يطهر المؤمنين ويتم نعمته عليهم لعلهم يشكرون ويحمدون الله على رحمته .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧)

واذكروا نعمة الله عليكم في كل الأوقات وفي كل الظروف التي طرأت على حياتكم أنه دائماً كان هو المنعم الأول والأخير ، واذكروا عهده الذي عاهدكم عليه بواسطة الرسول ﷺ إذ قلتم للرسول : سمعنا وأطعنا أوامر الله .

وهنا يحذر الله من قول اللسان دون انفعال القلب بقول اللسان فيقول : اتقوا الله أي اجعلوا بينكم وبين عقاب الله وقاية لأن الله يعلم ما في صدوركم جيداً ، ويعلم الصادق من المنافق أجد في علم الله بما في صدورنا رحمة منه فإن عجزنا عن علاج أمراض النفوس ولجأنا لمن خلقنا وهو أعلم بنا منا لكي يعالج أنفسنا فسوف يعالجها لأنه قال : «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» صدق الله العظيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُوءًا قَوْمِينَ لِّلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨)

هذا نداء من الحق لكل المؤمنين يأمرهم فيه بأن يحافظوا على القيام بكل ما أخذ عليهم العهد به مخلصين في ذلك ، وشاهدين بالعدل ولا يجعلنكم بغضكم وكرهكم لقوم أن لا تعدلوا في الحكم أو الشهادة اعدلوا بشهادتكم وحكمكم لأن العدل هو أقرب للتقوى .

وكلمة : ﴿ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي أن العدل قريب من التقوى أم التقوى نفسها فهي الفضل وليست العدل فالعدل أن أخذ حقي والفضل هو أني

إذا قدرت أن أخذ حقي فالفضل أن أتركه ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

ويحذرنا الحق بأنه خبير بكل ما نعمل فإن ظننت أن الله لا يراك فهذا خلل في عقيدتك وإن علمت أنه يراك فلما تجعله أهون الناظرين إليك ؟

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١ ﴾

هذا وعد من الله رائع جميل مريح للنفس يبعث على الحماس وعلى العمل الصالح ويطمئن القلوب بأن الله لا يضيع عنده شيء فيقول بصريح العبارة :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١ ﴾

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٠ ﴾

في مقابل وعد الله السابق في الآية (9) للمؤمنين بالرحمة والأجر ، هنا في هذه الآية وعيد من الله للذين كفروا وكذبوا بآيات الله بأنهم أصحاب الجحيم فالحق هو ميزان العدل ، يثيب من يصلح ويعاقب من يخطئ فلا شيء عند الله يضيع .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَعْسُطُونَ
إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١ ﴾

هنا يذكرنا الحنان المنان بحنانه علينا ويرسم لنا صورة كثيراً ما تتكرر مع جميع الناس .

حيث يصورنا حين ونحن أمام ناس تمتد أيديهم إلينا بالأذى بأي شكل من القتل والهلاك أو الأذى المادي والبدني والنفسي وكل أنواع الأذى فيأتي الحنان

الرحمن فيكف أذاهم عنا ويرفع أيديهم عنا بأي طريقة يراها هو بأن يحبط كيدهم أو يمنعهم بطريقته هو وبعد أن يذكرنا الحق بنعمته علينا يطالبنا بأن نتقي الله في كل أمورنا وأيضاً حين تتقي الله قد تتضرر ممن لا يتقون الله فيقول الحق قدم التقوى لله ثم توكل على الله وكأنه يطمئنا على أن توكلنا عليه أمان لنا من كل خوف ماد منا مؤمنين متقين لله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ فَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٢)

يروى لنا الحق ما حدث مع بني إسرائيل حين أخذ عليهم العهد وأخذ منهم اثني عشر كفيلاً « كل منهم يكفل قومه أن يفوا بعهدهم لله ، وكان العهد أن الله قال لهم : إني معكم إذا أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي جميعاً ونصرتهم وهم ومنعتموهم من عدوهم ، وأنفقتهم في وجوه الخير ابتغاء وجه الله وأنفقتهم باحتساب لله بطيب نفس وصدق نية خالصة لله هذا ما طلبه الرحمن في عهده مع بني إسرائيل في مقابل ماذا ؟

أن يكفر عنهم ذنوبهم ، وتكفير الذنب له أساليب كثيرة ممكن يكون مال الصدقات مكفرة للذنوب أو للبلايا التي تصيبهم مكفرة للذنوب وقد يغفر الله دون تكفير بكثرة الطاعات مع الله وبكثرة العبادات والتقرب إليه ثم بعد إزالة الذنوب يدخلهم الجنة وذلك لأن الله عدل مطلق مثل ما هو رحمة مطلقة فلا دخول للجنة قبل التخلص من الذنوب .

وعدهم الله بجنات تجري من تحتها الأنهار فيها كل ما تشتهي نفوسهم وما لا

عين رأت ولا خطر على قلب بشر .

ثم توعدهم أن من كفرهم ونقض العهد السابق ذكره هذا فقد ضل وسط الطريق المنجي لكم والمدخل لكم الجنة .

هل هناك عهد أروع ولا أكمل ولا أعظم منها ذكر من الرحمن لعباده ما أروع عهودك يا رب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحْرِفُونَ﴾^{١٣} أَلَكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

فسبب نقضهم العهد مع الله لعنهم الله وطردهم من رحمته ، وجعل الله قلوبهم قاسية ليس فيها رحمة ولا إيمان لأن الإيمان لا يسكن إلا في القلوب الرحيمة وكانوا يغيرون الكلام ويؤولونه بالباطل وتركوا نصيباً وافراً مما ذكروا به في التوراة .

ويذكر الحق رسوله ويذكرنا نحن أيضاً لأن ما ذكره بعد ذلك ما زال قائماً إلى الآن ، فيقول : أنت ما تزال ترى خيانتهم وغدرهم أو غدر جماعة منهم ما زال في طبعهم الغدر إلا قليلاً منهم فاعف عنهم يا محمد ، واعفوا عنهم يا مسلم واصفح إن الله يحب المحسنين يتجلى الإسلام في أبدع صورهِ حين يأمر الحق عبده المسلم أن يعفوا ويصفح ويتسم بالإحسان لهؤلاء الخائنين ، أي رحمة يطالبنا بها الرحمن حقاً إنه هو الرؤوف الرحيم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَأَعْرَضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^{١٤}

هنا ينتقل الحق إلى الذين قالوا : إنهم نصارى أي أنصار المسيح عيسى ابن مريم هم أيضًا أخذ الله عليهم العهد مثل عهد اليهود السابق ذكره .

وأيضًا تركوا نصيبًا وافرًا مهما ذكروا به في التوراة والإنجيل .

فماذا حدث لهم هيج الله بينهم العداوة وتباعد القلوب والبغض والكره لبعضهم البعض إلى يوم القيامة .

ويومها سوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون في الدنيا من فساد ودمار وشرك وغدر .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

يجمع الحق في هذه الآية كل أهل الكتاب أصحاب التوراة والإنجيل وغيرهم من أصحاب الكتاب السماوي .

يخبرهم بأنهم قد أرسل لهم رسول الله ليبين لهم كثيرًا مما كانوا يخفون من كتاب الله الذي أنزل من قبل لهم وهذا الرسول سيعفو عن كثير مما تفعلون يا أهل الكتاب قد جاءكم من الله نور وهو محمد الهادي البشير وكتاب مبين وهو القرآن الجامع في طياته كل الكتب السابقة والأحكام النافعة الناجعة الشافية لكل داءات الحياة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

يستمر الحق في دعوة أهل الكتاب بقوله أن الكتاب المبين هو النور الذي

أرسله الله على يدي خاتم رسله محمد ﷺ ليهدي به الله من تتبع رضوان الله طرق السلامة من مخاوف الدنيا والآخرة ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، ومن ظلمات النار إلى نور الجنة ، وذلك بإذن الله وحده ويهديهم إلى الطريق المستقيم في الدنيا ويهديهم على الصراط في الآخرة ليصل بهم للجنة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾

في هذه الآية بعد الآيات السابقة التي امتلأت مشاعر التشجيع والتحفيز لأهل الكتاب لاتباع رضوان الله .

أشعر في هذه الآية بالحسرة من الله على عباده الضالين الذين كفروا وصلوا وقالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وصفهم الله بأن كل من قال : إن المسيح عيسى ابن مريم هو الله فقد كفر بالله والعياذ بالله من هذا .

يقول الحق فمن منكم يستطيع أن يملك من الله أي شيء لكي يمنع مشيئة الله إذا أراد الله أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً من خلق ومخلوقات ذلك لأن الله ملك السماوات والأرض وما فيهم وما بينهم وهو يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير .

هنا أشعر بغضب الرحمن وتجلي صفة الجبار في كلامه لهؤلاء الكفار .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝١٨﴾

أشعر هنا بسخرية الحق من اليهود والنصارى حين قالوا : أنهم أبناء الله وأحبابه ويقول للرسول : قل لهم إن كنتم كذلك فلما يعذبكم بذنوبكم ، لا لستم كذلك بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .

والله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، من خلق ومخلوقات وكل شيء ملك لله .

وفي النهاية مصيرنا إليه كل من في السماوات ومن في الأرض مصيرهم بين يدي الله يفعل فيهم ما يشاء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

هنا ينادي الحق أهل الكتاب ويقول لهم : لقد أرسلت لكم رسولي وهو محمد ﷺ على حين فتور وانقطاع من إرسال المرسلين وذلك لأن بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ أكثر من خمسمائة سنة .

جاءكم محمد ليبين لكم الدين الحق ويكون حجة عليكم حتى لا تقولوا : ما جاءنا من بشير ونذير فقد جاءكم محمد بشيراً ونذيراً والله على كل شيء قدير .
إنه قدير على أن يفعل ما يشاء .

وإنه قدير عليكم إن يشاء يرحمكم وإن يشاء يعذبكم وإنه قدير على أن يرسل المبشرين والمنذرين وقدرته مما لا يمكن إحصائه إذ الإحاطة بها حتى علماً .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

يذكر الله لنا هنا قول موسى عليه السلام حين واجه قومه من بني إسرائيل فقال لهم : اذكروا نعمة الله عليكم أرسل فيكم ومنكم أنبياء وجعلكم ملوكاً في الأرض إشارة إلى أنهم كانوا أذلة فرفعههم الله بأن مكن لهم في الأرض وجعلهم ملوكاً وآتاهم ما لم يعطي أحد مثل ما آتاهم من العالمين ومثال على ذلك أن اليهود منذ القدم هم ملوك المال في الأرض يتحكموا بما لهم في مصائر الشعوب الفقيرة والغنية أيضاً ، نرى اليوم إسرائيل الدولة الصغيرة تتحكم في قوة أمريكا العظمى وسياساتها الداخلية والخارجية لماذا ؟ لأن رؤوس أموال الشركات العالمية التي تتحكم في اقتصاد أمريكا في أيدي اليهود الأمريكيان وغير الأمريكيان .

وهذا معنى قول الحق سبحانه : ﴿وَأَتَّكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فهم الآن ما زالوا ملوكاً للمال في أرجاء الكرة الأرضية .

هنا يذكر الحق اليهود بفعله معهم على لسان موسى عليه السلام ويذكرهم بنعمه وآلائه عليهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَقُومُواْ دَخُلُواْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّواْ عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُواْ

خَاسِرِينَ ﴿١١﴾﴾

بعد أن ذكرهم موسى بنعم الله يأمرهم بما أمر الله به ، وهو أن يدخلوا الأرض المقدسة يعني المطهرة التي كتبها لكم أنكم تسكنونها ولا ترجعوا إلى ما كنتم عليه خوفاً من الجبارين فتكونوا من الخاسرين آتاهم المال والأرض وكل شيء وهم في جدال وحوار وقلق وهذا من ضعف إيمانهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

الحوار في نفس المشهد بين موسى وقومه ورد قومه عليه ورد بعض منهم على قول الخائفين منهم .

رد قوم موسى عليه بقولهم : يا موسى إن في الأرض المقدسة قومًا جبارين أشداء البطش وهم «الكنعانيين» .

وإننا لن ندخلها حتى يخرج الجبارين منها فإن خرجوا منها فسوف ندخلها فرد عليهم رجالان يخافون الله وأنعم الله عليهما بنعمة الإيمان .

قالوا : يا قومنا ادخلوا عليهم من باب المدينة فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأن هذا وعد الله ووعد الله حقًا لا يتغير ويجب أن تتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

﴿٢٤﴾

ما زال الحوار قائم بين بني إسرائيل وأنها مسألة الحوار بأن قالوا لموسى : يا موسى إننا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون هذه الآية تدل على عدم إيمان بني إسرائيل لأن الإيمان أن تثق في قول الله وفعله أكثر من ثقتك بما في يدك من فعل أو شيء ولم يكن الله مكلفهم شيء إلا أن يدخلوا من باب المدينة فتفتح لهم بإذن الله ولكن اللجاجة والسماجة التي في دعائهم وعدم الإيمان والخوف من فقد الحياة والحرص على المال والنفس ورغبة البقاء أعمتهم عن أهم شيء وهو أن الله الذي أمرهم هو القادر على نصرهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٥)

هنا دعا موسى ربه بأنه لا يملك إلا نفسه وأخيه هارون ليس له حيلة أن يفعل شيء .

وسأل الله أن يفصل بينه هو وأخيه وبين القوم الذين فسقوا وخرجوا عن أمر الله بحكمة بينهم .

وهنا رجاء من موسى أن لا يحاسبه هو وأخيه على ما فعله الذين عصوا أمر الله .

وهذه الآية توضح أن موسى كان في حالة خوف ورعب من عقاب الله على العصاة وخشي أن تشملهم هذه العقوبة لأن موسى علم أن الله قد غضب على بني إسرائيل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦)

وهنا صدر الحكم الإلهي على الفاسقين من بني إسرائيل .

بأن الأرض المقدسة حرمت عليهم أربعين سنة ، أن يتيهون في الأرض يسبغون في الأرض متحيرين ضائعين قد ضلوا الطريق .

ثم يتوجه الحق بالحنان إلى موسى مواسية إياه بقوله أن لا تحزن على تعذيبي للقوم الفاسقين .

هكذا الرحمن يحن على عباده الصالحين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧)

يعيد الحق على لسان نبيه محمد هذه الآيات السابقة واللاحقة ليثبت لبني إسرائيل أن محمد نبي آخر الزمان وأن القرآن هو كتاب الله المحفوظ الذي نزل ولن ينزل بعده شيء لعلهم يؤمنون ولذلك يقول الحق لنبيه : ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ كأنه يأتي ببرهان في القرآن على قصة هم بها عالمون موجودة في كتبهم السابقة وهي قصة ابني آدم قابيل وهابيل فيقول : اقرأ عليهم خبر ابني آدم وهي حقيقة حدثت وروايتك هذه حقيقة .

إِذْ قَرَّبَ كُلِّ مَنْهُمْ اللَّهُ قِرْبَانَ مِنْ ذَبَائِحَ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ .

فقبل الله قربان أحدهم لأنه كان صالحاً ولم يتقبل من الآخر لأنه غير صالح ولا يقبل الله إلا من الصالحين وظهر فسق الذي لم يقبل الله قربانه وظهر حقه وغله وحسده لأخيه الصالح وقال لأخيه : لأقتلنك .

فقال الأخ الصالح : إنما يتقبل الله من الصالحين ، يعني أنك لست صالحاً ولو كنت صالحاً لتقبل الله منك وكان في عهد آدم لم يكن هناك من يأخذ الصدقات أو يأكل لحم القرابين فكانت تنزل من السماء نار تأخذ القرбан وترتفع به إلى السماء . ولقد قرأت في الآثار أن هابيل تقرب إلى الله بكبش مريح أقرن حسن فنزلت نار أخذته إلى الجنة وتربى فيها حتى جاء إبراهيم وكاد يذبح ابنه إسماعيل فنزل كبش هابيل ، ففدى به الله إسماعيل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَيْنٌ سَطَتْ إِلَيْكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

يكمل لنا الحق القصة التي تصور لنا ما حدث بين الأخوين .

قال هابيل لأخيه قابيل لأن مددت يدك إلي لتقتلني فإنني لن أمد يدي إليك لأقتلك لأنني أخاف الله رب العالمين الذي لا يحب العدوان أو قطيعة الرحم أو

قتل النفس ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، فقال الصحابة: هذا القاتل يا رسول الله، فما بال المقتول؟ قال: «كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه.

ولقد علم هابيل هذه القضية من الله وعلم أن من يمد يده بالقتل لأخيه فهو في الجحيم لا يرحمه الله لأنه لم يرحم رحمه.

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَإِيمِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ



يكمل لنا الحق الصورة حيث يقول هابيل الصالح لأخيه إني أريد أن تبوأ بذنبي قتلي وذنبي الذي منع أن يقتل الله قرباتك من قبل فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين.

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا

يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِرَبِّهِ، كَيْفَ يُؤَرِّى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِّى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

يصور لنا الحق المشهد المأساوي الذي حدث بين الأخوين حيث طوعت نفس قابيل أي زينت وسهلت له نفسه قتل أخيه فقتله وأصبح من الخاسرين أصحاب الجحيم حمل قابيل جثة أخيه ولا يدري ماذا يفعل بها واحتار سائر هائم على وجهه ماذا يفعل؟

ومن رحمة الرحمن وإكرامه لأول شهيد قتل من البشر ظلماً وعدواناً بعث لهذا الجاني ما يعلمه كيف يدخل جثة أخيه فبعث الله له غرابين قاتل أحدهم الآخر وأخذ القاتل يحفر في الأرض ويدفن الغراب المقتول ليعلمه كيف يدفن أخيه وهذا رحمة بالقتيل لأن الرسول ﷺ قال: «إكرام الميت دفنه».

وهنا يصور لنا الحق مدى الحسرة والأسف والأسى على نفسه كيف أنه غبي وأن الغراب أذكى منه ، ويقول : أعجزت أن أفكر مثل ما فكر هذا الغراب وأداري جثة أخي إلى التراب وأصبح من النادمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣٢)

يقول الحق من جراء ذلك وبسبب فظاعة هذا الجرم الذي قتل أول أبناء آدم أخيه ظلم وحسدًا .

كتب الله على بني إسرائيل أنه من قتل نفس بغير حق أو بغير قصاص لنفس أخرى يوجب إهدار دمه فكأنه قتل الناس جميعًا لأنه حين قتل هابيل لم يكن على الأرض غيره هو أخيه وادم وحواء وبناتهما كأن البشرية كلها قتلت في هابيل ومن منع جريمة قتل النفس وجعلها تحيا فكأنما أحيا الناس جميعًا وله أجره عند الله .

بعد ذلك يقول الحق أنه أرسل لبني إسرائيل رسل الله بالآيات والمعجزات والمنهج الذي يجب أن يتبعوه ومع ذلك نجد أن كثيرًا من بني إسرائيل مسرفون في القتل ومفسدون في الأرض هذه حقيقة أقامها الله في هذه الآية وما زلنا لآن نعاني من فعل اليهود وعذرهم وفسقهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٣)

هذا حكم من الله نافذ لا فقه معه أنه من يحارب الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً يقطعون الطريق بالقتل والسلب والنهب ، ولقد سمى الله قطع الطريق بالقتل والسلب محاربة لله ورسوله ، وذلك لمخالفة أمره في ذلك أي تحدي أمر الله بعدم القتل أو السلب أما الجزاء والحكم الإلهي هو من يفعل ذلك أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف «اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو العكس» ، أو ينفوا من الأرض بالإبعاد أو السجن وذلك لهم ذلك وفضيحة وعقوبة في الدنيا أما في الآخرة فلهم عذاب عظيم .

أجد الحق في هذه الآية يشدد من عقوبة الدنيا ليستقيم ميزان العدل في الأرض ، وليعلم السلام بأن يكف الناس من أذى الناس رحمة من الله بعباده .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿٢٤﴾

استثنى الحق مما سبق الذين تابوا إلى الله وأسلموا قبل أن يصل إليهم المسلمون فيقتلوهم .

لماذا ؟ لأن الله غفور رحيم وهذا إعلام من الله للمسلمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

هنا ينادي الحق على الذين آمنوا برحمة وحنان أن يتقوا الله وأن اطلبوا ما يتقرب به إلى رضاه سبحانه من فعل الطاعات وترك المعاصي وأن يجاهدوا في سبيل الله لأن الجهاد هو سبيل العلاج والنجاح في الدنيا والآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦)

يصور لنا الحق في هذه الآية حال الكفار يوم القيامة كيف أنهم على استعداد للتضحية بكل غالي ولو أنهم يملكون ما في الأرض جميعاً من كنوز وخيرات وأضعافهم من الخيرات والأموال لينقذوا أنفسهم من عذاب يوم القيامة هذا قبل الحساب يعني أثناء قيام القيامة والبعث والنشور قبل أن يحاسبوا .

وهنا أشعر بسخرية الحق منهم وكأنه يقول لهم : مهما تفعلوا لن يقبل هذا منكم ولكم عذاب أليم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٧)

تنتقل الصورة بعد ذلك إلى ما بعد يوم القيامة ونهاية الحساب ودخول الكفار إلى النار فيصف الحق أنهم يريدون أن يخرجوا من النار ويقرر الحق أنهم لن يخرجوا منها ولهم عذاب دائم لا ينتهي .

وهنا أشعر بحالة أسى الكفار بأن الناس والعذاب دائمين عليهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨)

هنا في هذه الآية نص شرعي في حكم الله في السارق والسارقة .

أولاً : من السارق ؟

هو من تمتد يده إلى مال غيره فيأخذه من غير حقه بدون علمه خلسة أو بالإكراه والعنف .

ولا يكون له في ذلك عذر من أنه مجنون أو جائع في زمن مجاعة يسرق رغيف ليأكله.

والحد هو قطع يد السارق والسارقة عقوبة تمنع من العودة للسرقة وتكون عبرة للآخرين فيسود المجتمع السلام والأمان .

يصف لنا الحق نفسه بأنه عزيز حكيم معناه هنا أن الحق حكيم في سن هذا الشرع عزيز لا يحب من يزل نفسه بخطيئة السرقة وهي دعوة للإنسان أن تكون نفسه عزيزة لا تزال تمتد اليد إلى ما حرم الله من مال الغير .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩)

هنا يتجلى الحق بصفته الغفور الرحيم ولكن على من تاب بعد ظلمه نفسه بالسرقة ، وأصلح بأن أعاد المال لأصحابه وانصلح حاله ودينه والتزم بشرع الله فإن الله يتوب عليه ويغفر له ويرحمه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤٠)

إطلاق شعار الحرية المطلقة لله وحده فهو سبحانه حر في ملكه يفعل فيه ما يشاء حين يشاء كيف يشاء .

فيقول الحق : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ أسلوب استفهام يفيد الإقرار مع الكبرياء الذي هو الله وحده كأنه يقول : أنت تعلم جيداً أن الله هو مالك السماوات والأرض ومن فيهن .

وهو حر يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء من خلقه وهو القادر على كل شيء فعلاً وخلقاً وتعييلاً وعدمًا ورزقاً وإيجاداً وإفناءً وكل شيء .

هذه الآية تشعرني أن عقلي عاجز على أن يدرك هذه القوة ولن يستطيع أي إنسان أن يدرك هذه القدرة بهذا العقل فقف أيها العقل عند حدودك .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا
ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ
أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

هنا أسلوب الرحمن كله حنان ومواساة لرسول الله ﷺ .

علم الله حزن رسوله على من نافق من الناس فقال له هذه الآية يواسيه ويخفف عنه هذا الإحساس المؤلم بالأسف على من كفر .

فيقول الحق بحنان لرسوله : يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون إلى الوقوع في أسباب الكفر من المنافقين الذين يقولون : أنهم آمنوا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، ولا تحزن على اليهود الذين كثيروا التسمع عليك من أجل أن يسمحوا كلامك من أجل أن يمسخوا كلامك ويكذبوا عليك .

ويسمعون كلامك متجسسين لينقلوه إلى زعمائهم الذين يستكبرون عن الإتيان للرسول ﷺ .

هؤلاء اليهود بيدلون الكلام أو يتولونه بالباطل فقد كانوا إذا ارتكب غني منهم خطيئة ، وكان حكم التوراة فيها شديداً ، وهذا الغني قدم لأخبار اليهود رشوة يقولون له : اذهب إلى محمد ، فإن كان حكمه خفيفاً ككذا مثلاً فخذاه واقبله .

وإلا فاحذره وابتعد ، بمعنى أن كان حكم محمد خفيفاً فأقبله واعمل به وإن

كان شديداً فلا تقبله واعرض عنه .

وهذا إقرار ضمنى منهم بأن محمد على حق وأن الدين هو الإسلام وإن كانوا يستخدموه على هواهم فمن يعلم هذا منه يفهم أنهم بعقولهم موقنين أن محمد رسول الله الخاتم جاء بآخر الرسالات ولكن عنادهم وحقدهم عليه لأنه نال هذا الشرف هو ما جعلهم يكذبونه وينكرونه .

يعود الحق للإقرار لنفسه بخصوصية أخرى أولاً وهي «الهداية» .

فهو وحده الذي يهدي من يشاء من عباده وهو وحده الذي يفتن من يشاء فيقول الحق من يريد الله فتنه وكفره فلن تملك يا محمد له أي شيء لكي تهتديه لأن أولئك الذين لم يريد الله أن يطهر قلوبهم من رجس الكفر والإثم لهم في الدنيا افتضاح وذلك ولهم في الآخرة عذاب عظيم مهول .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢)

يكمل الحق وصفه لبعض اليهود بأنهم سماعون للكذب أكالون للمال الحرام من رشوة وربما سمى المال الذي يكتسب من وجه حرام سحتاً لأنه يمحق الحلال ويستأصله .

ويضع الحق بين يدي رسول الله حرية الفعل في أن يحكم بين من يأتي إليه من اليهود ليحكم بينهم أو يعرض عنهم ولا يحكم بينهم ولن يضره شيئاً إذا أعرض عنهم وهذا أمان من الله لرسوله خاصة وإن حكمت فاحكم بينهم بالعدل بحكم الإسلام .

لأن الله يحب العادلين فيما ولوا وحكموا فيه .

هنا حنان الرحمة على رسوله وإعطائه مساحة من حرية الفعل حتى يدعونا لنكون مثله في أن تفعل مثل فعل رسول الله أن تحكم بالعدل ولا نخشى إلا الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٣)

أسلوب تعجب من الله عز وجل من سلوك اليهود الذين يحكمون رسول الله في قضاياهم وهم عندهم التوراة فيها حكم الله .

وليتهم يأخذوا بحكم الرسول إلا ينصرفوا ولا يؤمنوا بما قاله لهم من حكم ولا بما أنزل إليهم من حكم الله لأنه لا يوافق هواهم ولا بما جاءهم في التوراة أيضًا .

ويصد حكم الله فيهم وما أولئك بالمؤمنين وهذا أيضًا أسلوب إخبار مع تعجب مع استخفاف بهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)

هنا تتجلى رحمة الرحمن فيخاطب اليهود ويوجه كلامه لهم مباشرة وفي هذا عناية وأي عناية إنها العناية الإلهية التي ترحم كل خلق الله ولا يترك عباده ما داموا أحياء ألا يحاول بكل وسيلة أن يجمعهم على دينه كمثال الراعي الذي يجمع غنمه حتى لا تضل أو تضيع أو تسقط أو يأكلها الذئب هكذا الله الرحمن الرحيم يقول في هذه الآية والكلام موجه لنا ولبنينا إسرائيل أنه أنزل التوراة فيها هدى ونور يعني رشاد

وقوانين وشرائع يحكم بها النبيون موسى ومن بعده أنبياء بني إسرائيل ويصفهم الحق بأنهم أسلموا والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً ومعناه الاستسلام لله عز وجل والفرار إليه من كل شيء حتى أننا تفر منه إليه ، وهذا هو دين الأنبياء جميعاً الإسلام .

ويطيع هؤلاء النبيين ويتبعهم الذين اهتدوا من عبّاد اليهود وأهل الورع والتقوى منهم وهم الربانيون والأخبار وهم علماء اليهود الذين استحفظهم الله على كتابه وشرائعه وهم عليه شهداء يعني رقباء يحمون التوراة من التغيير أو التحريف ويقول لهم الحق لا تخافون من الناس ولكن خافوني أنا الله .

ولا تتركوا العمل بأيّاتي التي في التوراة لتأخذوا بدل ذلك عوضاً حقيراً زائلاً ثم يصدر الحق حكمه النافذ بأن الذي لا يحكم بشرع الله فولئك هم الكافرين .

هذه الآيات يحب أن يعرضها المسلمون اليوم على أهل الكتاب حتى يكونوا بحق خلفاء رسول الله في أداء الأمانة والتكليف .

فهي ليست تاريخ يذكره الله في قرآنه إنما تعاليم يجب أن توصل لأصحابها في كل زمان وفي كل مكان .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

يقول الحق في هذه الآية بعض من التشريع الذي أنزله في التوراة وهو ذاته ما جاء في القرآن وهو حكم العدل الإلهي الذي ليس بعده حكم وليس معه اجتهاد ولا فتوى فهو صريح واضح جلي بين يقول الحق : أن تشريعه لهم في التوراة كان من قتل نفس بغير حق يقتل لأن النفس بالنفس ، من فقأ عين أحد فقأت عينه والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن وهكذا كل الجوارح ، والجروح

قصاص يعني في الجروح يقتص من الجاني بمثل ما فعل بالمجني عليه كاليد باليد والرجل بالرجل وهكذا كل الأعضاء .

هذا هو شرع الله العدل والحق في التوراة وفي القرآن وهي قانونه الأبدي الأزلي

ولكن هناك روح القانون والرحمة فوق العدل أحياناً .

فيستدرك الحق في هذه الآية لأنه هو الرحمن الرحيم بأن يذكر الناس بالفضل بينهم حتى يتعامل الله معنا بفضله فيقول : فمن «تصدق به» يعني نتنازل عن حقه في القصاص من أخيه فهو كفارة لهذا المتصدق من جميع ذنوبه هذا هو فضل الله يتجلى مع قمة شرعه لأن الشرع هو العدل .

والفصل فوق العدل دائماً .

ثم ينبه الحق بأن من لم يحكم بحكم الله الذي نزل في كتابه فهو لاء هم الظالمون الذين يظلمون الناس ويظلمون أنفسهم بعدم تطبيق شرع الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٦)

نجد الحق في هذه الآية فصل عيسى عن أنبياء وبني إسرائيل وكأنه يشير إلى أنه ليس منهم وأن نزل فيهم فإنه ليس من صلب إسرائيل إنما هو كلمة الله التي ألقاها لمريم إذن ليس من بني إسرائيل ، ولكن الحق يقول أنه بعث عيسى متبعاً لآثار وطرق أنبياء بني إسرائيل ومصدقاً للتوراة وتعاليمها وتشريعها التي سبقتها في النزول على موسى وآتاه الله كتابه هو أيضاً وأسماء الإنجيل وهو كتاب فيه هداية من الله ونور يضيء دروب الحياة ويحل مشاكلها لو اتبعه المؤمنون .

وهذا الإنجيل مصدقاً بمعنى موافقاً لما جاء من تشريع في التوراة وهدى من الله

يهدي به عباده لنبيهم من عذاب الدنيا والآخرة .

وفيه من المواعظ التي تفيد المتقين .

ألاحظ من هذه الآيات أن الحق سبحانه يعدد أشهر الكتب التي أنزلها على أنبيائه وأنه يوضح أنها كلها شرع واحد ومنهاج واحد وإن اختلفت بعرض الأحكام الفرعية وليست الأصول فالأصل ثابت وهو شرع الله منذ آدم إلى آخر الرسالات وهو الإسلام فإن الدين واحد والرب واحد ويوم القيامة واحد ولذلك نجد الحق يكرر أن كل كتاب من توراة أو إنجيل أو قرآن كلها تسير على منهج واحد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧)

يأمر الله أهل الإنجيل أي الذين عاصروا عيسى واتبعوه ومن تبعهم من نصارى ومن سبقهم من اليهود أن يحكموا حياتهم وفيما بينهم بما نزل في الإنجيل من أحكام ويقرر أن من لم يحكم بما أنزل الله في كتابه وشرعه فهو لاء هم الفاسقون الخارجون على دين الله .

أشعر بصيغة الأمر هنا بالجدية من الله في أوامره ثم إصراره على لفت نظرهم إلى الإيمان والشرع .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَفِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٨)

وأخيرًا يذكر الحق أنه أنزل آخر كتبه وهو القرآن وهو الكتاب الذي كان يستمد منه ما سبقه من كتب فهو جامع شامل لكل الكتب السابقة مشتملاً على الصحيح والثابت من الأحكام فهذا القرآن مصداقاً لما سبقه من الكتب مثل التوراة والإنجيل وهذا القرآن مهيمناً على الكتب السابقة بمعنى أنه جاء ليصحح ما حرف في الكتب السابقة وبمعنى أن هذا القرآن هو القائد والرائد فلا حكم إلا حكمه ولا شرع بعد نزوله فاحكم يا محمد بما جاءك في القرآن ولا تتبع أهوائهم بل احكم بالعدل الذي أنزله الله لك في القرآن وهو الحق لكل أمة سبقت جعل الله لها شريعة ومنهج ولو شاء الله لجعل الناس كلهم أمه واحدة ودين واحد وكتاب واحد وشرع واحد ، ولكن جعل الاختلاف في الشرائع ليختبركم وهذا أعلم بكم ولكن ليكشف لكم أنفسكم أمام أنفسكم بما آتاكم من كتاب وشرع فيا أيها الناس سارعوا إلى أعمال الخير قبل الموت فإن مرجعكم إلى الله جميعاً فيخبركم بما كنتم فيه على خلاف وشقاق .

أرى الرحمن في حالة حرص شديد على عباده جميعاً يريد أن يهتدوا جميعاً حباً ورحمة عليهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَن أٰحْكَمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَٱحْذَرُهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ يَرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾



روى ابن عباس أن بعض علماء اليهود قالوا : يا محمد ، نحن أحبار اليهود ، ولو اتبعناك لاتبعك اليهود كلهم وإن بيننا وبين الناس من قومنا خصومة ، ونريد أن نتحاكم إليك فإن قضيت لنا أعلننا صدقك .

فلم يقبل ﷺ فأنزل الله فيهم هذه الآية ، إقراراً من الله عز وجل على فعل الرسول معهم .

هنا يأمر الحق نبيه بأن يحكم بين اليهود بما جاء في القرآن ولا يتبع أهوائهم وأن يحذرهم ويحذر إغوائهم له بالأمنيات الكاذبة فيجعلوك تنصرف عما جاءك من العدل والحق .

فإن تولوا عنك فاعلم أن إنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم ولأن الله يعلم أن كثير الناس لفاسقون خارجون عن دين الله وشرعه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥٠)

أسلوب تعجب من الحق على سلوك الناس واليهود بالذات فيقول متعجباً من جهلهم ، أيريدون أن تحكمهم بأحكام الجاهلية فاسدة التي فيها الأحكام على حسب الأهواء والشهوات .

ويقرر بحزن على الناس وجهلهم سائلاً ومجيباً في نفس الوقت بأسلوب استفهام إخباري تعجبي فيقول : هل هناك أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون بالله وحده .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

هذا وحكم الله لآخر الزمان من بعد بعثة محمد ﷺ يخاطب الذين آمنوا بالرسالة الخاتمة وهي الإسلام فيقول يا أيها الذين آمنوا بما أنزل على محمد أو يا مسلمون لا تجعلوا اليهود والنصارى أصدقاء وأولياء أموركم تستنصروهم وتطلعونهم على أسرار دولتكم .

لماذا ؟

لأنهم أولياء بعض ولن يكونوا مخلصين إلا لبعضهم البعض .

ويقول الحق أن من يتخذهم أولياء من المسلمين فإنهم في هذه الحالة منهم ليسوا بمسلمين بل هم نصارى أو يهود .

إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا يستمعون لأوامر الله وهذا ما هو حادث الآن فمعظم الدول الإسلامية قد دخلت تحت سيطرة أمريكا وإنجلترا وإسرائيل .

الثلاثة هم النصارى واليهود

ولقد تغلغل الاحتلال الفكري قبل احتلال الأرض فقد أصبحت الثقافة الأمريكية هي المسيطرة الآن على شعوب الإسلام مما حق به قول الحق من أنهم تأمرك المسلمون وأصبحوا مثل الأمريكان والانجليز والنصارى واليهود في كل شيء .

وهذا هو الظلم البين لأنفسهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (٥٢)

ونجد الآن أن أغلب حكام المسلمين الآن في قلوبهم مرض (أي أن أغلبهم منافقين) .

ولذلك يسارعون في مودة اليهود والنصارى ويقولون نخاف أن تصيبنا هزيمة وشدة من شدائد الدهر فتحيط بنا .

هؤلاء هم الضعفاء من المسلمين ، ذكرهم الله منذ 1426 سنة ذكرهم بأنهم سيكونون في عهدنا هذا ضعفاء منقادين لأهوائهم خائفين فمن لا يجب أن يخاف منهم .

ثم يضع لنا الحق حقيقة نحن في انتظارها قد لاح زمان ظهورها وهذه لحقيقة هي ما جعلتني أكتب (قرآن الحزيف) فحين يقول الحق (عسى) فهو أكيد أن الله سيأتي بالفتح والنصر لرسوله ودينه وللمسلمين الحق . يأمر الحق بقتل المنافقين الذين ذلوا أمة محمد وأهانوها ويومئذ يصبح هؤلاء المنافقين في ندم على ما أسروا في نفوسهم من موالة النصارى واليهود .

هذه الآية تثبت أن حديث الرسول عن المهدي المنتظر حق وأنه في سبيله إلى الظهور ليجمع الأمة حوله فيسود بها العالم مرة أخرى مثل عهد الصحابة الفاتحين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (٥٣)

يرسم لنا الحق صورة للمؤمنين وموقفهم من بعد فضيحة المنافقين وهو يستهزئون بالمنافقين فيقول الحق على لسانهم بأسلوب سخرية واستهزاء : أهؤلاء الذين خلفوا واجتهدوا في الحلف بأغلظ الإيمان وأكدوا أنهم مع الذين آمنوا

هؤلاء حبطت وبطلت وضاعت أعمالهم فأصبحوا خاسرين .

تبين لنا الصورة سخرية المؤمنين من سلوك المنافقين وحسرة المنافقين حين يجدوا فشلهم وضياع أعمالهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

هذه الآية توضح أن جيش الله على وشك الظهور ويضع لذلك علامات ، فحين يرتد المسلمون عن دينهم .

وهذا ما هو حادث الآن فقد فقد معظم المسلمون هويتهم الإسلامية ولم يعد من الإسلام سوى كلمة الديانة في البطاقة والتجأوا للغرب من نصارى ويهود وتولوهم وفعلوا فعلهم وأخذوا ثقافتهم وتشبهوا بهم ولم يعد من القيم إلا القليل ولا أعرف لآلى أي مدى سيصل هذا التيار بالمسلمين .

ولكن هذه الظاهرة تؤكد أن جيش النصره على وشك الظهور وأن الله حين يعد يوفي بما وعد فإنه يقول انه سوف يأتي بقوم لم يحدد هويتهم ، هل هم عرب أم غير العرب ؟ ولكن حدد مشاعرهم ومشاعره تجاههم فإنهم قوم يحبهم الله وهم يحبونه .

هنا أشعر بمشاعر الحق تجاه من تخلى عن إسلامه ، أشعر أنه يستهزئ بهم ويهون من شأنهم وأنه لا يأبه لفعلهم مع وجود حزن غير واضح عليهم ومن غبائهم وغفلتهم لأنه يناديهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إذن هو قد رأى فيهم الإيمان ثم منهم من تخلى عن إيمانه .

كان الله يقول إذا كنتم يا من آمنتم بي قد ارتديتوا عن الإيمان بي فسوف آتي بقوم آخرين أحبهم ويحبونني وكأنه يواسي ذاته في ضياع الإيمان من قلوب عباده

المؤمنين .

ويصف الحق هؤلاء الذين يحبون الله ويحبهم الله في تعاملهم مع المؤمنين في غاية اللطف واللين والرقّة والرحمة والحنان والسهولة في التعامل معهم ، وفي المقابل في تعاملهم مع الكافرين بشدة وعسرة وغلظة وقوة .

وهم يجاهدون ويقاتلون بشدة في سبيل الله ويضحون بكل غالي ورخيص في سبيل الله يقاتلون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم لا يخافون في الله أي معترض في نصرهم لدين الله ، لا يهتمون بشيء إلا بالله ودين الله والمؤمنين وهذا من فضل الله عليهم أن هداهم لهذا واختصهم بهذه الخصال ليأجرهم في النهاية عليها وهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء ويختص برحمته من يشاء .

والله واسع كثير الفضل والجود على عباده المخلصين وعليهم بمن يستحق هذا الفضل من عباده الصالحين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

حدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية لمن تكون الولاية على المؤمنين ومن يكون قائدهم وكيف يكون اختيارهم لأولي الأمر .

فيحدد أنه هو الولي الأول فوق كل ولي ويجب أن يوضع كل ولي بعد ذلك في ميزان صفات الرحمن قبل أن يولي على المؤمنين فهل هو فيه من أخلاق الله الكريمة أم لا ؟

ولذلك الترتيب في الائتمام يكون كالتالي :

أولاً : الانتماء لله وحده لا شريك له .

ثانياً : بالتبعية لله تنتمي إلى رسول الله ﷺ .

ثالثاً : تنتمي للذين آمنوا وأخلصوا لله .

ومن هم الذين آمنوا .

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم خاشعون متواضعون لله وخاضعون
لأمر الله عز وجل ، هؤلاء المؤمنون حق .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٥٦)

هنا يصدر حكم الرحمن بأن من يتولاه الله برعايته ورسوله والمؤمنين فإنهم
حزب الله وأنصار الله وحزب الله هم الغالبون المنتصرون دائماً .

وقد يكون في هذه الآية تحديد لمن يتولى زمام المؤمنين وصفاته وكيفية اختياره
وهذا الولي لأمر المسلمين حين يكون الله هو وليه والرسول يستمد من القرآن
والسنة حكمه في الرعية وفي المؤمنين أي يحكم بين الناس بما أمر به الله ورسوله
فهذا هو ولي الله الذي يتولاه الله هو من اتبعه ، هذا المجتمع الذي بني على أساس
الولاية لله ورسوله هم حزب (الله) وحزب الله لا بد أن ينتصر وهو الغالبون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ
أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧)

نجد الآن في الغرب تحقيق هذه الآية فهذا هو الغرب قد بدأ بالإساءة لرسول
الله ومن قبل كانوا يقولون عن المسلمين أنهم متخلفين وأنهم وثنيين يطوفون
حول الكعبة المصنوعة من الحجر ويسخرون منهم في صلاتهم وصيامهم وكل
شيء وهنا ينبه الحق الذين آمنوا فيقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا أولياء
وأصدقاء من الذين يسخرون من دينكم ويستهزئون بشرعكم الذي
شرعه الله من صلاة أو حج أو غيره ، أو الذين يسخرون من رسولكم من أهل
الكتاب (اليهود والنصارى والكفار) .

ويحذر الله الذين آمنوا بأن يتقوا الله إن كانوا مؤمنين بأن يسمعون الأوامر لأنه هو أعلم بما في صالحهم وما ضدهم .

أجد الحق حريص على المؤمن أكثر من حرص المؤمن على نفسه وهذا كله من محبة الخالق لخلقه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥٨)

يصف الله أهل الكتاب والكفار في هذه الآية بأنهم غير عاقلين ، بمعنى أنهم غير عقلاء ولا يفهموا شيء وجاهلين أيضًا لماذا ؟

لأنهم حين يسمعون صوت الأذان للصلاة استهزئوا وسخروا من المسلمين ومن الصلاة والأذان وتلاعبوا بالأفعال والأقوال التي تسيء لقيمة الصلاة والإسلام .

ولو كان عندهم عقل لفهما قيمة هذا الأذان فإن المؤذن هو داعي الله ينادي على عباد الله الصالحين ليسرعوا إلى ربهم فيدخلوا في رحاب رحمته ويتواصلوا مع ربهم فيطلب كل من مولاه أو لا يطلب فإن الله يرى ويسمع ويعلم حاجة كل منهم فيعطي كل منهم طلبه ويصلح شأنهم ويمحو ذنوبهم ويخرجوا من الصلاة ، وقد تبدل حالهم من الضد للضد فلا عبء نفسي ولا مرض جسدي ولا هم قاتل بل رحمة وأمل وتفاؤل ورغبة ورهبة لله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَآ أَن ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن تَكْفُرُ

فَلَسِقُونَ ﴾ (٥٩)

يقول الحق :

قل لهم يا رسول الله أو قل لهم يا مسلم : يا أهل الكتاب هل تكرهون منا أو

تتكرون علينا إلا أننا آمنّا بالله وبما أنزل إلينا من ربنا من قرآن وما أنزل من قبل من رسالات سابقة من عند الله .

وأننا نعلم أن أكثركم فاسقون وخارجين من الدين السابق واللاحق هنا أجد الأسلوب الإلهي فيه استهزاء بأهل الكتاب السابق ذكرهم في الآيات السابقة الذين يسخرون من الذين آمنوا ومن دينهم وهنا قمة الاستهتار بهم والسخرية من سلوكهم الغبي الناتج من فسقهم .

وفي نفس الوقت في هذا الأسلوب تثبيت للمسلمين وتدعيم لهم وتعلية من الله لهم حباً فيهم وكرامة لهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠)

هنا أشعر بغضب الله من الذين يسخرون من المؤمنين ويذكرهم من شدة غضبه عليهم بأوزارهم ودناستهم ويعرفهم بأنهم في أشد أنواع العقاب والعذاب من الله فيقول لنبيه قل لهم أو أنت يا مسلم قل لهم هل أخبركم عن أنفسكم حقيقتكم التي أنتم عليها وما سوف يؤول إليه أمركم من أشر أنواع العقاب والجزاء الثابت في حكم الله من لعن وطرده من رحمة الله وغضب من الله عليكم وجعل منكم القردة والخنازير بالمسخ .

أشعر أن هذه الآية تشير إلى أن القردة والخنازير كانوا من قبل بشر ثم مسخهم الله عقوبة لهم ولعن . وقد يكون في هذه الآية تفسير منطقي لما ذهب إليه بعض علماء النشو والارتقاء الذين يبحثون في أصول المخلوقات فقد ذهب داروين من تجاربه إلى أن الإنسان أصله قرد وخذا خطأ فادح ولكن الصحيح هو أن القرد هذا قد كان في يوم من الأيام إنسان ثم مسخ عقاب من الله له وهذا هو الأصوب في الرأي .

ويقول الحق أيضًا :

أن منهم القردة والخنازير وعبد الشيطان وعبد كل طاغية جبار مثل عبدة النمرود وعبد الفرعون وهكذا .

أولئك شر مكان وعقاب وضلال عن الطريق المعتدل (طريق الإسلام) نلاحظ أن الحق يقول (القردة والخنازير) معرفين بـ(أل) وهذا يفيد معنى من (الجنس القردي والخنازيري) وهذا يفيد أن كل القردة والخنازير هم بشر ممسوخين عقوبة لهم وذريتهم وأن الله سحب منهم روحه وتركهم أحياء دون تكليف .

وهكذا هؤلاء المنافقين الذين عوقبوا من الله بأن أصبحوا جنس آخر غير البشر سحبت روح الله من أجسادهم وتحولت أشكالهم إلى كائنات حية أخرى بلا روح ولا عقل مثل القردة والخنازير وأصبح جنسهم هذا متناسل ومتواجد في الأرض لحكمة يعلمها الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (١١)

من شدة نفاقهم إذا اجتمعوا مع المسلمين يقولوا آمنا وهم متلبسون بالكفر ، وقد تغلغل الكفر في كيانهم ومهما سمعوا أو عرفوا من صدق الرسول والإسلام والقرآن إلا أنهم خرجوا أيضًا متلبسين بالكفر لم ينتفعوا بالحضور بين يدي الرسول ولم يؤثر فيهم ما سمعوا من كلام الله .

والله أعلم بما يكتُمون في أنفسهم من كفر لا زال أسلوب الرحمن وشعوره تجاههم بالغيظة والضيق من سلوكهم وغفلتهم وكفرهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢)

وترى كثير منهم من شدة حبسهم للخطيئة يسارعون في الوقوع في الإثم

بالكذب والتعدي والظلم وأكلهم المال الحرام وأفحشه الرشا والربا .

يعلق الحق على أفعالهم بفعل ذم حيث يقول (لبئس ما كانوا يعملون) بمعنى ما أسوء هذه الأفعال التي كانوا يعملونها .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ



أسلوب تمني يفيد الامتناع حين يقول لولا بمعنى هلا بمعنى يا ليت أن يكون للعباد الربانيون من اليهود أهل الورع والأخبار يعني علماء اليهود ورد في نهى هؤلاء الفاسقين فينهوهم عن قولهم الإثم وأكلهم الحرام ويا سوء ما كانوا يصنعون من آثام ودمار في الأرض وخراب في الأرض وفي الذمم وفي الدم والزرع والحرث والنسل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ

وَلِكَيْزِيدَ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

كان اليهود إذا حدث جذب ، وطلب منهم الإنفاق في عمل الخير اعتذروا بأقبح عذر فيقولوا إن الله سبحانه قتر عليهم ، ولكنهم اختاروا هذه العبارة التي لا تصدر إلا عن جلف غليظ الطبع .

فيقولوا بسفالة :

يد الله مقبوضة عن العطاء بخلاً وهذا كفر وظلم والعياذ بالله .

وهنا دعا الله عليهم بقوله (غلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا) هذا الدعاء عليهم ما زال ساري فيهم حتى الآن فكلّهم بخلاء ملعونين مطرودين من رحمة الله .

بلى الله هو الكريم الغني الحميد يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء حين يشار ما يشاء لمن يشاء .

وينبه الحق إلى أن الإسلام حين نزل زاد كثيرًا من اليهود طغيان وكفر وألقى الله بينهم وبين بعضهم وبينهم وبين الناس العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن الملاحظ الآن أن جنسهم مكروه من كل الناس .

يشير الحق أن كل حرب منذ موسى للآية السبب فيها اليهود فلذلك يقول الحق كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفاها الله وهو يسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ



أيضًا هنا أسلوب تمني من الله سبحانه يبدأ الآية بقوله (ولو) كأنه يقول (ليتهم) و (الواو) تفيد اليقين في فعل الله لو أن أهل الكتاب من يهود ونصارى آمنوا بالله واتقوا الله بعدم الإفساد في والعمل على صلاح الدين والدنيا لكفر الله عنهم سيئاتهم وأدخلهم جنات النعيم .

كأن الحق يقول أنه غير مسئول عن كفرهم وعذابهم بل هو كفرهم وفعلهم كأن الله يؤكد أنه لم يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْنَصَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

وأيضًا تبدأ الآية بنفس حروف التمني (ولو) لو أنهم أقاموا التوراة الحقيقة والإنجيل الحقيقي الغير محرف وتبعوا ما أنزل إليهم من هدى ومنهج من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، هذا كناية عن توسيع الرزق عليهم وهناء

العيش من كل جانب .

ويقر الحق أن من أهل الكتاب طائفة معتدلة (وهي التي سارعت إلى الإسلام) ولكن أكثرهم أعمالهم سيئة للغاية (ساء ما يعملون) كأن هناك حسرة على شدة أعمالهم السيئة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك من قرآن ومنهاج ، وإن لم تفعل هذا التبليغ فما وصلت رسالته ولا تخاف من الناس فقل كل ما أنزل إليك والله حافظك وحاميك من الناس .

هنا صدرت الحماية الإلهية لرسول الله من رب العزة بأنه هو الذي يحميه من الناس فليبلغ الرسالة ولا يخاف من أحد .

وهذه الآية تضع قاعدة سياسية بين المسلمين ألا وهي أن الرسول أي رسول يحمل رسالة بين أو بين الدول أو بين القادة أو بين المؤمنين والكفار لا يجب أن يضره أحد هذا تشريع من الله في السياسة ويجب أن يتبع .

ثم يكمل الحق كلامه للرسول ﷺ بقوله (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) الكافر هنا ليس فقط من أنكر وجود الله بل من أنكر نعمه وفضله من ذكر السالب وترك الموجب من سعى في خراب الأرض من لم يطبق شرع الله في كتبه من أظهر غير ما يبطن .

وغير ذلك من المنافقين ومعنى الآية أن عليك أنت يا محمد البلاغ وعلى الله الهادية وذلك هناك من صدر الحكم بأن الله لن يمد يد الهادية له من الكافرين وليس هذا شأنك . فهذا شأن الله يهدي من يشاء ولا يهدي من يشاء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٨)

قل يا أهل لستم على أي شيء من الحق والدين حتى تؤتوا حقوق التوراة والإنجيل بالعلم والعمل وما أنزل إليكم من شرع الله وتقيموا حدود الله .

ثم يخبر الحق رسوله بحقيقة أن أهل الكتاب في أسلوب فيه رحمة وحنان ومواساة لرسوله ﷺ فيقول أن كثيراً من أهل الكتاب سيزيدهم القرآن الذي أنزل إليك طغياناً وكفراً وعناداً ، فلا تحزن ولا تتأسف على عدم إيمانهم بمعنى لا تحزن على القوم الذين كفروا بالله فلا يستحقون منك الحزن .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١)

هنا تظهر صفتين لله عز وجل هما العدل والرحمة حيث أنه قرر كل من آمن بالله واليوم والآخر وعمل صالحاً فلا يُخاف عليهم ولا هم يحزنون بمعنى أنهم في رحمة الله وعفوه مهما كانت ديانتهم قبل الإيمان إن كان مسلم أو يهودي أو صابئ (عبد الكواكب والملائكة) .

أو النصراني ثم تاب وآمن بالله واليوم الآخر وعمل في الدنيا ما يصلح فيها إذن باب الرحمة وقبول العباد قائم ما زال الرحمن يرحم عباده الذين آمنوا به ويوم الحساب ويتقي الله في عمله في الدنيا .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠)

هنا يتعجب الحق من فعل بني إسرائيل فبعد أن أخذ عليهم العهد المؤكد

بالإيمان بالله وحده وإقامة التوراة والشرع الإلهي ثم بعد ذلك أخذ يرسل إليهم رسلاً ذلك لأنهم كثيروا لانحرافات ودائماً في حالة من الرجوع عن الدين والعهد فإذا جاءهم رسول بما لا يجد في أنفسهم هوى فمنهم من كذبوه وكذبوا رسالته مثل عيسى عليه السلام وغريقاً آخر من الأنبياء قتلوههم مثل يحيى وزكريا هؤلاء هم بني إسرائيل منذ بدايتهم من عهد أبيهم يعقوب ورميهم يوسف في الجب وهم دائماً في حالة نفور وخروج على الدين ولولا رحمة الله لآبادهم وإن دل فعله معهم على شيء إنما يدل على تجلي اسم الله الحليم عليهم والرحيم أيضاً لعلهم يرجعون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١)

وبناء على تكذيبهم بعض الأنبياء وقتلهم البعض ظنوا ألا يصيبهم الله ببلاء وعذاب شديد ، فأغمضوا عيونهم عن غيرهم ممن مضى من الأمم ولم يصغوا إلى الحق من أنبيائهم ولم يتقبلوه فلما تابوا بعد أن تاب الله عليهم ونجاهم من إذلال البابليين لهم .

ثم مرة أخرى أغمضوا عيونهم عن البراهين القاطعة التي جاء بها المسيح عليه السلام وجاء بها محمد ﷺ وهم معظمهم الذين عموا وصموا ولم يصغوا إلى الحق أما القليل منهم فهم الفئة المقتصدة المعتدلة التي تقبلت الحق وأسلمت .

فيقول الحق (والله بصير بما يعملون) بصيغة المضارع لأنهم في حالة استمرارية لما سبق من وصف الحق لهم بأنهم عموا وصموا ثم عموا وصموا وهكذا إلى نهاية الدنيا يعلم الله أنهم دائماً في حالة تردد بين الكفر والتوبة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ

اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٣﴾

دائمًا أنت يا ربي في حوار وتفهم وتعليم للبشر الأغبياء الجهلاء ، أرى من حلمك مع بني آدم ما يفوق وصف الخيال والعقل مددت لهم وصبرت عليهم وتحملت أفعالهم وأقوالهم السيئة برحمة وحنان وحلم اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأشهد جمع الخلائق أنني في إعجاب وحب لك وحيره في قدرتك وعظمة رحمتك مما لا يسعه عقلي الضعيف أمام عظمة العظيم في هذه الآية يتكلم الحق بهدوء وسكينة مع عظم الذنب وظلم البشر وأي ظلم كيف يتسنى لمخلوق أن يكذب على الله ويقول إن الله هو المسيح ابن مريم كيف يجروا إنسان على أن يصف الله بأنه مولود من امرأة وأنه رجل من البشر هنا يقول الحق :

من قال ذلك فقد كفر فقط يا رب ، ما أحلمك وأرحمك ثم يأتي بكلام المسيح لبني إسرائيل فيقول لهم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، لا تشركوا بالله لأن من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومقره في النهاية إلى النار وليس له ناصر ولا معين .

وكلام المسيح هنا يبطل حجج القوم الكافرين الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى بن مريم فهذا هو المسيح يقول لهم أن اعبدوا الله وأنه نبي الله ورسوله إليهم وأنه إنسان ورسول وليس إله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

مرة أخرى يبدأ الله الآية بقوله (لقد كفر الذين قالوا)

إذن الكفر بدايته قول ثم بعد ذلك فعل من الذي كفر . الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة أي أن الآلهة ثلاثة والله واحد منهم وهذا ظلم وكفر شديد ما من إله إلا إله

واحد وهو الله وحده لا شريك له وهنا أخيراً بدأ الحليم يهدد بأنهم إن لم ينتهوا عن هذا القول فسوف يمس الذين كفروا منهم عذاب أليم ، وأشعر بعطف الرحمن على عباده حتى في كلام الوعيد ، فإنه يقول مهدداً متوعداً وراجياً أن ينصلحوا (وإن لم ينتهوا) كأنه سيغفر لهم إن انتهوا عن هذا القول ثم إذا لم ينتهوا واستمروا على كفرهم وقولهم الكذب بأن الله ثالث ثلاثة ماذا ؟ (ليمنن الذين كفروا) مجرد مساس للعذاب ويحدد حتى لا تكون عامة فقط من قال هدم القول وكفر بالله الواحد أي رحمة منك يا رب وأي حلم وأي فضل لا يسعني إلا أن أقول الحمد لله رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٦)

هل ترون ما أرى في هذه الآية (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) آية كاملة كلها رجاء وأمل في أن يتوب هؤلاء الكفار عن قولهم من أن الله هو المسيح وأن الله ثالث ثلاثة كأن الله مشفق عليهم من كفرهم ويتمنى أن ينتهوا ويتوبوا ويستغفروه فيغفر لهم لماذا ؟

لأنه دائماً غفور رحيم (والله غفور رحيم)

كأنها أسلوب قسم بالله أنه غفور رحيم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٧)

هنا يوضح الحق حقيقة المسيح وحقيقة أمه مريم حتى لا يكون للضالين من حجة هنا بمعنى مليء باللوم والعتاب والأسف والحزن على هؤلاء الأغبياء حين يقول (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) .

يقول الحق المسيح هو ابن مريم وما هو إلا رسول من عند الله قد أرسل قبله كثيراً من الرسل مثل موسى وهارون وداود ونوح وإلى آدم .

وأمة سيدة صالحة صدقت الله في الفعل والقول وصدقت مع نفسها فكتبها الله عنده صديقة وهي الدرجة التي تلي درجة النبوة .

ويوضح الحق أنهم بشر ممن خلق فيقول أنهما كانا يأكلان الطعام وهذا يفيد أم من يأكل الطعام لا بد له من إخراج وهذه صفات البشر وليست صفات إلهية ثم يأتي الأسف على القوم الأغبياء حيث يقول الحق لنبیه (انظر) ثم (انظر) طأنه يشكو خلقه الأغبياء الذي لم يدخر وسع في تبیین الآيات لهم ومع ذلك فإنهم يتبعون الشيطان الذي يقلب لهم الحقيقة ويصدقون كذبهم وإفكهم . ويقنعهم الشيطان بهذا الكذب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾



هنا أسلوب لو مع أسف على عباده الضالين . ويقول لرسوله قل لهم أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والضرر والنفع بيد الله وحده لعلهم يفهموا أو يؤمنوا بالتوحيد وهو السميع العليم .

يسمع كلامهم الذي فيه الشرك ويعلم ما تكن صدورهم من كذب وتصديق بالكذب وأيضاً هو الذي يسمع الدعاء بطلب النفع ودفع الضرر وهو العليم بمن يجب أن يجيبه ومن لا يجيبه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾



قل يا أهل الكتاب: النداء هنا لأهل الكتاب من هم هنا أهل الكتاب ؟

إنهم كل من أنزل إليهم كتاب من عند الله حتى المسلمين الذين يعملون بالكتاب ويدرسونه ويعلمونه .

الخطاب هنا عمومي لكل من له كتاب من الله يطالبهم الله بأن لا يتجاوزوا الحد ولا يزيّدوا في دينهم بغير الحق غلوّاً باطلاً مدعين غير ما أنزل الله .

ولا تتبعوا شهوات الرؤساء السالفين من قبل ، وكلمة من قبل هذه تفيد عديد من الأمم فمن قبل بعثة محمد أو من قبل بعثة عيسى أو من قبل بعثة موسى أو من قبل إبراهيم وهكذا .

وأيضاً قد يكون مقصود بها من قبل أى الآباء والأجداد ولكل إنسان .

فهي مفتوحة لكل من ضل ويضل ممن هم من قبل .

فمنهم من يقول كذلك وجدنا آبائنا يفعلون وهؤلاء الآباء ضالون . لا يجب أن إذا وجدنا القول ضال حتى وإن كان القائل هو أبي أن أتبعه بل يجب من القياس على القرآن والسنة فإن لم أجد أقيس على عقلي حتى لا أضل عن طريق الهداية والرشاد البعيد عن العقبات .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨)

قال رسول الله ﷺ : إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا ؟

اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه ، وقعيده فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض : ثم قال (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) إلى قوله (فاسقون) .

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم

ولتأطرنه على الحق أطراً (أي لتمعطقنه) ولتقصرنه على الحق قصراً (أي لتحبسونه على الحق) .

أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن) .

يقول الحق في هذه الآية أنه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل أي طردهم من رحمته فلن يغفر لهم الله ، وتم اللعن على لسان اثنين من أنبيائه متواليين الأول داود والثاني عيسى بن مريم ذلك لأنهم عصوا أمر الله وتعدوا حدود الله وكانوا يعتدون على الناس واختص اللعن على لسان داود وعيسى لأنهم النبيين الذين اتهمهم اليهود وخاضوا في سيرتهم أيما خوض ولأن عيسى هو آخر أنبياء بني إسرائيل ومن قبله داود سبقه بعده أنبياء .

كأن الله يقول أنهم لعنوا من بعد موسى على لسان أهم أنبياء بعد موسى وهو داود ثم نبي الله عيسى الذي سيكون له الدور النهائي في القضاء على طغاة اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه وصلبوه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

هنا يوضح الحق سبحانه : لماذا لعنهم ، وكأنه حين يصدر حكماً لأنه عدل ورحمة لا بد وأن يذكر حيثيات هذا الحكم ، فيقول : إن الذين كفروا من بني إسرائيل الذين لعنهم الله على لسان أنبيائه لم يكونوا ينتهون عن فعل المنكر والكبائر والخبائث جامحين لا يردهم رادع عن أي فاحشة أو سوء وما أسوأ ما كانوا يفعلون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

ما زال يسرد نوع آخر من حيثيات حكمه عليهم باللعنة .

أنك تجد كثيرًا منهم يصادقون المشركين ويعينونهم على رسول الله ﷺ هذا في عهد الرسول معا قبل عهد الرسول كانوا ينصروا الحاكم الكافر على أنبياء الله ودين الله .

وهم في العهد الحالي ما زالوا على هذا الوضع فإنهم يتحالفون مع الشيطان ضد المسلمين في أي أرض وفي أي زمن وبكل وسيلة نجدهم في عداوة دائمة للمسلمين أشعر كأن الحق في هذه الآيات يتحسر على عباده الذين كفروا وكأنه يقول لقد أعطيت لكم حرية الاختيار في الدنيا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فما أسوء ما اخترتم لأنفسكم من كفر ، حتى سخط الله عليهم وجعلهم مخلدون في العذاب .

وهو كان يتمنى أن يتنازلوا عن اختيارهم الكفر لأن الله رؤوف بالعباد رحيم .
ولا أجد تعليق إلا أن أقول الحمد لله رب العالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨١)

يتابع الحق أسلوب التمني مع الامتناع فيقول ، لو أنهم كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه من حكه وقرآن أو من كتب سابقة على القرآن ما اتخذوا الكفار أولياء .

ولكن ، بحسرة وألم على عباده الضالين يقول كثيرًا منهم فاسقون خارجين على شرع الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم

مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

لنأخذ حذرنا هنا بهذه الآية حيث يقول الحق .

لتجدن أشد الناس عداوة الذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وهذا بيان من الله لحقيقة واقعة فإن اليهود والمشركين بالله في حالة حرب دائمة للذين آمنوا بالله ، ومنذ بعث الرسول ﷺ وهم في حرب مع الإسلام حتى أن الراهب بحيره حين رأى الرسول وعرف فيه سمات النبوة حذر عمه أبو طالب من اليهود أن يقتلوا محمد وهو صبي ن لعلمه من شدة عداوة اليهود للإيمان والمؤمنين وبحيره هذا من الرهبان المنقطعين لعبادة الله وحده أي أنه نصراني حق .

ويقول الحق أما أقرب الناس مودة للمؤمنين النصارى الموحدين بالله أي المسيحيين الذين لم يقولوا إن عيسى ابن الله أو أن الله ثالث ثلاثة ، لكنهم آمنوا بالله على ملة إبراهيم ، وموسى وعيسى ، الله الواحد الأحد ، هؤلاء هم أقرب الناس مودة للمسلمين ذلك لأن منهم من درس الإنجيل والتوراة الحقيقيين وعرفوا الحقيقة التي أخفاها اليهود بأن محمد هو خاتم الرسل ولذلك يذكر الحق منهم في هذه الآية القسيسين (علماء النصارى) ورؤسائهم ورهبان وعباد منقطعين للعبادة) .

ومن علمهم بالحقيقة تواضعوا لله ولم يستكبروا على خلق الله ولم يستكبروا الذين آمنوا وفي كل أحوالهم هم في تواضع .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

هؤلاء النصارى الموحدين بالله إذا سمعوا القرآن ترى أعينهم تفيض بالدموع من شدة الوجد الذي يشعرون به في أنفسهم حيث يسمعون آيات القرآن وذلك من

توافق القرآن مع ما عرفوه من دينهم السابق علمه من المسيح ويعرفون أن هذا الكلام هو كلام الله وهذه آيات الله تتلى لأن الرهبان الذين يعبدون الله متوحدين بعيدا عن الناس ليس لهم مصالح دنيوية قد تكون محرفة في شرع الله مثل ما رفض اليهود القرآن لأنهم لا يحرمون الربا والقرآن يحرم الربا ، هناك تعارض مع رغباتهم المادية الدنيوية دين شرع الله الذي فيه صلاح البلاد والعباد .

ويقول هؤلاء النصارى الموحدين بالله ربنا آمنا بك وبرسولك وبكتبك واليوم الآخر فاكتبنا مع الشاهدين لك بالوحدانية .

والشاهدين العدول على غيرهم يوم القيامة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٤)

هنا أسلوب بالتعجب مع إقرار فيقول النصارى الذين آمنوا ، ولما لا نؤمن بالله وما جئنا من القرآن لأنه حق ونطمع أن يدخلنا ربنا يوم القيامة في جماعة القوم الصالحين الذين يدخلون الجنة .

هذا إقرار منهم بأنهم مؤمنين موحدين لله رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٥)

فما رد الله عليهم بعد أن آمنوا ؟

فأثابهم ، (الفاء) تنفيذ السرعة في الثواب من الله ، بما قالوا من كلمة الإيمان والتوحيد جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وهذا هو جزاء المحسنين .

الذين يتعاملوا مع الناس بالحسنى أو المحسنين لعبادتهم لله

أو المحسنين في أنفسهم ومع الغير
أو المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٨٦)

في الجهة الأخرى عناك من رفض الإيمان وكفروا بالقارآن وآياته مصيرهم
أنهم أصحاب الجحيم .

تعليق :

أن الله إذا أدخل عباده الجنة أو الجحيم ، هذا يدل على شيء مهم جداً ..
ألا وهو أن الله في حالة اهتمام دائم بخلقه وفي عناية تامة لهم لا يخلقه عبث
أو لهو ولكن هناك جدية واهتمام بخلقه مهما كانوا كفرة أو مؤمنين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧)

هذه الآية تشريع من الله

يبين أن كل شيء حلال ومباح ما لم يحرم بنص من الله أو بسنة رسوله ﷺ .

فيقول الحق ، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .

إذن كل شيء لم يحرمه الله فلا يجب أن نحرمه نحن

، وأيضاً يقول ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ، بمعنى أن لا تتجاوزوا الحدود التي فصل بها

الله بين الحلال والحرام يعني لا تتعدوا حدود الله .

أو تعتدوا على الناس وعلى المخلوقات بغير حق أو تعتدوا على من هم دونكم

يعني حرّم الاعتداء بكل أنواعه دون استثناء بمعنى لا تعتدي على حرّمات الله

لا تعتدي على حرمان الناس

لا تعتدي على محرمات النفس

لا تعتدي على حقوق الغير

لا تعتدي على الطبيعة وتلويث البيئة بأي نوع من الملوثات

لا فساد في الأرض ولا في السماء ، لأن الله لا يحب من يعتدي بأي شكل مما

سبق ذكره .

فهو يحب المصلحين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

من التعدي أيضاً لحدود الله أن نأكل مما حرمه الله علينا (مال حرام) (لحم

خنزير) (الميتة) أو أي مما حرم الله .

ويأمرنا الحق أن نأكل مما رزقنا الله مما أحله لنا من طعام ومن حلال ولقد

أحل لنا الله الكثير من نعم الدنيا والأصل في الشرع الحلال والحرام هو استثناء

وهو قليل بالنسبة لما أحل الله لنا من الطيبات من الرزق .

ثم يأمرنا الحق بتقوى الله الذي نحن به مؤمنين بأنه سيحاسبنا وسيجزى

المتقين .

هذا كله حرص من الله على عباده يريد لهم الرحمة والسعادة والجنة ولا يريد

لهم العذاب أو الحساب .

فالدنيا متاعها نوعان كلاهما مر ،

حلالها حساب

وحرامها عقاب

فكلاهما شديد إلا ما رحم الله .

ونزلت هذه الآية في رهط من الصحابة حرموا على أنفسهم أكل اللحم والرسم وأرادوا بعد ذلك أن يمتنعوا عن النساء أيضاً ومنهم من أراد أن يقطع ذكره حتى يتفرغ للعبادة ، فنهى الله عن ذلك ونزلت هذه الآيات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨٩)

هنا من رحمة الله لا يحاسبنا على اللغو في الأيمان كأن تحلف على شيء تعتقد صدقه والأمر بخلاف ذلك أو ما يجري على اللسان مما لا يقصد به اليمين ، نحو لا والله ، وبلى والله .

هذا من رحمة الله أن الكلام الذي ليس فيه تعمد القسم بيمين كذب أو نحو ذلك لا يحاسب الله عليه وهذا من قمة الرحمة والمغفرة لعلمه بجهل خلقه وعدم إدراكهم الكامل لما ينطقون به .

ولكن الحساب من الله يكون على الإيمان التي فيها توثيق القصد والنية والعزم في القسم وهو يعلم بما يقول من الحلف بالله .

وهذا القسم إن نقص وجبت الكفارة وهي إطعام عشرة مساكين مما تأكلون منه لتتم أيمانكم ويجب أن يكون طعام المسكين الواحد ليكفي الغذاء والعشاء أو كسوة عشرة مساكين بتياب أو تحرير رقبة يعني عتق إنسان مملوك فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

هذا من رحمة الله على عباده أن يضع لهم المكفرات التي تمحي الذنوب ولا يحملهم ما لا طاقة لهم به .

هذا هو الرحمن الرحيم

هل رأيتم أحن من ذلك يتنازل عن حقه في اليمين المنقوضة والقسم الذي يهتز له ملائكة السماء ، ويترك حقه للمساكين يترك حقه مقابل رحمة الفقراء وعق الرقاب أو تدريب الفقير الذي لا يجد المال على التقوى بالصيام .

لأن الله حين فرض الصيام ذكر في آخر آية الصيام حين قال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ إلى آخر الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، وكلمة تقوى آتية من الوقاية من أهوال يوم القيامة

وتقوى بالتشديد على الدال يعني تعضد وتدعم وهذا فعل الصيام في الإنسان يقوي من عزمه وصلابته وصحته وروحه وقدرته على الصبر والحلم وهذه كلها صفات يحب الله أن تنتشر في خلقه حتى يحبهم ويرحمهم .

وهذه هي كفارة الأيمان إذا حلفتם وينصح الحق عباده بأن لا يحلفوا دون سبب قوي للحلف ويعزم على عدم نقض اليمين .
ينهي الحق هذه الآية بما أقصي أنا فيه من أول المصحف .

فيقول : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

فهذه الآية تبين أن الحق لا يريد من الناس إلا حسن الخلق ويضرب المثل في التنازل عن الحق في سبيل تعضيد الأخلاق الحميدة ؛ فنراه يترك حقه في القسم مقابل التراحم بين البشر ويترك حقه مقابل أن يرحم الإنسان نفسه ويروضها على الطاعة بالصيام ويجب أن يكون ردنا على ذلك أن نقول اللهم لك الحمد ولك الشكر وهو منى الحمد لله رب العالمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِئِ الْوَسْطِ وَالْآخِرِ وَالْأَزَلِمْ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَقْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

هذه الآية فيها تحريم لأربعة أشياء :

(1) الخمر (2) الميسر (3) الأنصاب (4) الأزلام

(1) الخمر : كل ما يذهب العقل من شكر ومخدرات أو مثبطات ومهدئات تأخذ للمتمتع والذهول عن الواقع ولكن إذا وصفها طبيب لعمل عملية جراحية فلا حرام في البنج ما لم يضر صاحبه أما غير العلاج فهو خبيث ، قدر ، نجس .

(2) الميسر : وهو القمار بكل صورته لعب الورق على مال أو الرهان في سباق أو غيره من المقامرة .

(3) الأنصاب : أحجار كانت حول الكعبة يعظمونها ويذبحون الذبائح عندها .

(4) الأزلام : جمع زلم وهو قطعة من الخشب مسواه على شكل سهم وكان العرب في الجاهلية يقرعون بالأزلام يكتب على أحدها أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، ويكون الثالث غفلا لا كتابة عليه ، فإذا خرج ما عليه الأمر فعلوا أو إذا خرج ما عليه النهي امتنعوا ، وإذا خرج الغفل أجالوا الأزلام مرة أخرى .

وكل ما سبق ذكره فهو من عمل الشيطان ليس لله فيه شيء وأمرنا الله بتجنب هذه الأشياء والتجنب أشد من التحريم بالامتناع ، إذ من الممكن أن أجلس في مكان يشرب فيه الخمر ولا أشرب ولكن الله نهى حتى عن التواجد في الأماكن التي فيها هذه الأشياء الأربع السابق ذكرها وهذا حرص من اله في تربية الإنسان المستقيم الذي يتقي الله وينفع نفسه وأولاده ومجتمعه ، فلا يغيب عقله وفكره بالخمر ولا يعظم شيء غير الله وهذا قمة التوحيد .

ولا يلعب الميسر لأن فيه ضياع المال أو كسب مال حرام من غلول وغل القلوب التي تخسر المال في الميسر نجعل هذا المال نقسمه على كاسبه ، فرحمنا الله من هذا العناء والألم والأزلام : وهي بلغت العامية لعبة الحظ أو البخت هذا حرام حرام .

نجد الحق قد حرم علينا كل خبيث حرص ورحمة من الله عز وجل واهتمام

بخلقه .

ونجد هذا الكتاب هو منهاج إذا سار العبد عليه وصل إلى دار البقاء بسلام وأما وإذا لم يسير عليه تعذب في الدنيا بالشقاء وفي الآخرة بالعذاب فمن عمل به هدي إلى الصراط المستقيم ونعيم الدنيا والآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴾ (١١)

يبين لنا الحق هنا لماذا (حرم) الرحمن ما سبق ذكره في الآية السابقة فإنه قال فيها أن ما سبق رجس من عمل الشيطان .

وماذا يريد الشيطان منا ؟

يريد أن يوقع بين بني آدم ويشير الحقد والغل والحسد والحق بينهم ويبين بعضهم . وذلك يتم بعده وسائل منها أن يشرب الخمر ويذهب عقله فيلعب به الشيطان لأن العقل هو محل التكليف والأمانة في الفعل وعدم الفعل في الأرض فإذا ذهب العقل توقع أي فعل من الإنسان والقمار أيضاً تأخذ مال أخيك دون تعب باللعب والنصب وهذا أيضاً يثير الفتن والأحقاد بين الناس .

فإذا كسبت فرحت بالكسب السهل وحزن أخيك الذي ذهب ماله بسهولة وإن خسرت حزنت وخسرت مالك وفرح الكسبان بمالك الحرام .

إذن هذا مثير للأحقاد والفتن ويريد الشيطان أن يصد الإنسان عن الإيمان والذكر وعن الصلاة لأن الخمر تذهب العقل والميسر ينسي الإنسان ذكر الله أنه هو الرزاق .

وينهي الحق آيته بقوله فهل أنتم مهتدون وفي حدة وحرص شديد عن الانتهاة عما حرم الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢)

يأمرنا الحق بطاعة أوامره ونواهيه ونطيع الرسول فيما بلغ عن ربه ويحذرنا من المخالفة لأن في مخالفة الله ورسوله ضياع في الدنيا والآخرة وهذا المنهج الذي نزل على رسوله هو الطريق الوحيد لسلامة الإنسان فإن لم تطيعوا الله ورسوله فما على رسول الله ﷺ إلا البلاغ الواضح الجلي البين الذي لا يذل شيء .

هنا اللهجة الإلهية فيها تحذير وإنذار وخوف على العباد من العصيان وتحذير كمن يخاف على رعيته من الشرود والضياع .

فحين يمنع الله ويحرم بعض ما هو موجود في الدنيا من شراب أو سلوك أو انفعال ، فمعنى ذلك أن فيه خطر على حياة الإنسان على مستقبله القريب والبعيد .

ولقد عصى آدم ربه فكان العصيان هو الطرد من الجنة والنزول لأرض الواقع تحاول أن تصل بها لمستوى الجنة التي كان يعيش فيها آدم ولا نستطيع إلا إذا استمعنا لله وأطعناه وأطعنا رسوله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)

لم يحرم الله الخمر مرة واحدة ولكن أنزل بعض الآيات السابقة على هذه الآية فيها الحد ولو لشيء من الوقت والكم في الخمر .

مثل : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾

﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾

ثم نزلت الآية (90) وفيها تحريم الخمر نهائي تسائل المسلمون بعد هذه الآية عن الذين ماتوا ولم يحرموا الخمر وكانوا يشربونها ويأكلون الميسر فنزلت تلك

الآية لتبرئ الذين ماتوا قبل نزول التحريم النهائي .

فيقول ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الأحياء والأموات والغائبين والحاضرين إثم وخرج فيما أكلوا وشربوا فيما مضى قبل العلم بتحريم الخمر والميسر إذا ما اتقوا ما كان محرماً وأمنوا بما نزل من القرآن ، وعملوا الصالحات التي كانت قد شرعت ثم اتقوا ما حرمه الله بعد ذلك وأمنوا بما نزل من هذا التحريم ، ثم اتقوا وأحسنوا وارتقوا في درجات التقوى فابتعدوا عن الشبهات وأحسنوا كل أعمالهم .

والله يحب المحسنين

هنا كلمة (يحب) معناها أن كل من يتقي الله ويحسن في عمله فإن الله يحبه ومن أحبه الله كان الله هو سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطن بها وهكذا في كل جوارحه يكون الله معه فيها .

هذه نزلت فيما سبق بذلك التحريم أما الآن فماذا في هذه الآية ؟

هناك تحريمات كثيرة وأقوال كثيرة فيما يطعم ويشرب وأقوال غير واضحة في التحريم والتحليل للأسماء المطعومة ولكن الحرام بين والحلال بين وبينهم أمور متشابهات فيجب أن تنقي الشبهات .

ففي الدين الأصل الإباحة لكل مطعم ومشروب ما لم يضر إلا ما حرمه الله بنص وعلى لسان نبيه في السنة المؤكدة ولذلك هذه الآية جاءت لتمنع الحرج عن المسلمين في كثيرا مما يختلفون فيه من طعام وشراب ويؤكد الحق أن الأساس في كل ما أراده الله هو الإيمان والتقوى وعمل الصالحات والإحسان في الأعمال .

فإذا توفر في العبد هذه الأشياء من إيمان بالله وتصديق بتحريم كل ما حرمه الله

ثم إتقاء كل ما هو مضر للإنسان وللبيئة ومضر للصحة والمال والعيال من شراب و طعام ونحصل على الطعام والشراب من الأعمال الحلال الصالحات

ونحسن في أعمالنا ظاهرة وباطنة ونبر ونعطي من أموالنا للآخرين فلا ذنب ولا حرج مما نأكل أو نشرب هذه هي رحمة الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ
بَالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

يقول الحق يا أيها الذين آمنوا ليختبركم الله ويمتحنكم بشيء من الصيد تنالوه بأيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .

حين يضع الحق قاعدة للمسلمين في نهيه عن شيء أو أمر بشيء فإنه يضع لهم اختبار أولي قبل أن يحكم حكمه عليهم .

فمن عظمة الرب العظيم الكريم الرحيم بعباده أن يدرهم ليمحصهم ويعلمهم بالتجربة العملية القدرة على ضبط النفس وعلى تنفيذ أوامر الله بوازع من ضمائرهم دون رقابة من أحد عليهم إلا إيمانهم وإخلاصهم لله .

فهو يأمرهم بأمر ثم يمد لهم فيه مداً فمثلاً حرم الصيد أثناء فترة الإحرام بالحج أو العمرة ، ثم يضع أمامهم صيد يغريهم فمنهم من يخالف ويصطاد ومنهم من يطيع الله ويخشاه .

فمن أضاع الله فله أجره عند الله ومن خالف فقد أنبه الله ونبه عليه أن لو عاد لما فعل ذلك من مخالفة شرع الله فله عذاب أليم .

ولله المثل الأعلى حين تربي أنت ابنك وتقول له لا تفعل كذا ثم تتركه لنفسه وهذا الأمر فإن سمع كلامك فقد رحمته وكافته وإن عصاك فإنك تلومه وتؤنبه وتهده بالعذاب إن عاد حرص منك على ابنك .

كذا الله حريص على المؤمنين أكثر من حرصك على ابنك فهو ربههم ومربيهم ورحيمهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

هنا يصدر الأمر الإلهي للذين آمنوا بأن لا يقتلوا الصيد وهم في وقت الإحرام بالحج أو العمرة ومن تعمد أن يخالف أمر الله ويقتل الصيد متعمداً ذلك فجزاءه مثل ما قتل من الإبل والبقر والضأن والماعز ، والذي يحكم بكم الكفارة أناس ذوي عدل منكم ويهدي هذا الذي حكم به من إبل أو غنم أو غيره إلى فقراء البيت الحرام أي يصل به إلى الكعبة أو بقدر قيمة الأنعام يقدم للمساكين بقدرها طعام ، فإن لم يجد فعليه أن يصوم يوم عن كل مد من الطعام ، ذلك ليشعر سوء عاقبة ذنبه .

هنا يقول الحق أنه قد عفا عما سلف من قتل الصيد ، ولكن من عاد واصطاد وهو محرم فسوف ينتقم الله منه ، لأن الله عزيز ذو انتقام حين كان الأمر يتعلق بكفارة اليمين الذي هو من أكبر الكبائر أن يقسم الإنسان بالله فهذا القسم تهتز له السماوات وترتجف منه الملائكة ويهتز له عرش الرحمن وكل هذا خوفاً من الله وإشفاقاً وإجلالاً له عز وجل ومع ذلك يكون من الله الرحمة في تكفير هذا اليمين لأنه يخصه هو ، أما حين تتعلق الكفارة بخلق الله من بشر أو كائنات نجد الحق لا يتهاون في حقوق العباد بل يحرص على العدل بينهم ويشرع ما يجعل العدل يعم حتى لا يترك في نفوس خلقه حقداً على خلقه وهذا من عظمة الله العظيم وحكمته البالغة .

ففي كون الصيد محرم في وقت الإحرام هذا لأن الله في هذا الوقت من الزمن يجعل حيز من المكان في الأرض في حلة أمان من أي شيء ممكن أن يفزع خلقه وبما أن الحجاج يأتون من كل بقاع الأرض ففي كل مكان فيه إحرام بالحج أو العمرة من ميقات أو منزل الحجاج والعمار الذين يحرمون في بيوتهم في هذه

الأماكن وفي تلك الأوقات المختلفة على مدار العام أو في وقت الحج يعم السلام على بقاع كثيرة من الأرض فلا خوف لإنسان أو حيوان أو طائر في هذه الأزمنة أو الأماكن كأن الله يشير إلى معنى مهم جداً ألا وهو تحية الإسلام وهو السلام يتمنى الحق أن يعم السلام على الأرض فلا يكون هناك خوف أو فرع لأي من خلقه .

ما أعظم رحمتك يا الله فإنك أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ففي وقت الحج والعمرة لا فرع من أي نوع لأي مخلوق ويتوعد الله من يخالف ذلك بالانتقام فهو يريد أن يعم الأرض السلام ولو لأيام .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١٦)

أحل الله صيد البحر للمحرم بالحج والعمرة وللمسافرين أحل التمتع بصيد البحر من سمك وخلافه وحرم صيد البر من حيوانات وطيور .

ماداموا في إحرام بحج أو عمرة وأمرنا أن نتقي مخالفة الله في أوامره لأننا سوف نحشر بين يديه في يوم الحساب ويحاسبنا على كل شيء .

هذه الآية وما قبلها يؤكد الحث فيها أنه هو مالك البر والبحر وكل ما فيهم ومن حقه كمالك لهم أن ينظم الصيد منهما وهو من يحدد متى وماذا وكيف يأكل منهم .

وهو الحكيم الذي يعرف أبعاد الأشياء ويعرف ما ينفعنا وما يضرنا ولذلك واجب علينا أن نتبع ما جاء به لأن فيه الصالح العام لنا وللأرض التي نحن فيها ليس على المحرم الذي هو في طريقه إلى بيت الله الحرام بمكة أي رقيب سوى ربه وضميره فإن خالف ضميره فمن سيحاسبه هو الله .

وحرم الله الصيد من البر في وقت الحج وزمن العمرة لسبب .

الأمان بخلق الله .

ليتبين الذي يستمع الأوامر - ممن يخالف منكشفة أمام نفسه أولاً والمجتمع
ثانياً

لا يحب الله إراقة الدماء في الأشهر الحرم ولذلك من رحمته بخلقه أحل لهم
صيد البحر للطعام وللبيع وهذا من رحمة سبحانه ويسمى المحرم محرماً لأنه
يحرم عليه ما كان له حلال من قبل الإحرام بالحج والعمرة من الصيد والنساء

«الحمد لله رب العالمين»

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

سمي بيت الله الحرام بمكة بالكعبة لماذا ؟

لكل شيء رأس وكعب ؛ أي قمة وقاع فالبيت الحرام الذي يوجد تحت عرش
الرحمن في السماء السابعة وتطوف حوله الملائكة هو قمة البيت ، وكعبة هو الكعبة
في مكة ولذلك سميت الكعبة بهذا الاسم ولذلك نجد أن جو الحرم حرم لا يصح
أن يمر أحد فوق الكعبة ولكن يطوف من حولها في الأرض أو في الهواء في هذه
الآية ، جعل الله الكعبة البيت الحرام وهنا إشارة (الكعبة البيت الحرام) يعني
الكعب للبيت الحرام وما حولها ، جعلها قواماً للناس في مصالحهم ديناً ودنيا .

لقد ذكر الله في هذه الآية عدة أشياء كلها تصب في قالب واحد وهو مصالح
الناس وليس المسلمين فقط ولكن الناس جميعاً في دنيا كانوا أو في دين .

وهذا ما نراه الآن حادث في مكة في البيت الحرام فقد جعل الله هذا المكان حرم
وفي الأشهر الحرم الأربعة جعل الحج والعمرة في كل أوقات السنة ولذلك يذهب
إلى هذا البيت ثمرات وصناعات من بلاد شتى مثل الصين واليابان وأمريكا
وغيرهم من دول العالم الغير مسلمة وفي الحرم يشتري المسلمون هذه المنتجات
فيستفيد الناس من كل دول العالم من هذا الجمع الغفير من المسلمين في الحج أو
في العمرة طوال العام .

ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى جعل الكعبة البيت الحرام لماذا لمصالح الناس التي تقوم في هذا المكان والحجاج الذين يأتون كل بقاع الدنيا قاصدين بيت الله الحرام وهناك يحملون البضائع معهم إلى البيت الحرام وحين العودة يحملون معهم البضائع الأخرى من البيت الحرام إلى أهلهم وبلدهم ، ويهدي إلى الحرم الأنعام والأموال والهدايا إلى فقراء بيت الله الحرام .

والهدي هو الأنعام المهداة لبيت الله الحرام والقدايد هي أشياء كانوا يعلقونها على الهدى علامة على انه مهدي لفقراء بيت الله الحرام فلا يتعرض له أحد بسوء .

وكأن الله حين يخبر بهذه الأشياء ليعلم المسلمين أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأنه بكل شيء عليم .

مثال على علم الله :

أنه بحكمة يعلم أن هذا البيت حين وضع في هذا المكان هو مثابة ودين للناس وأيضاً رواج للتجار وتبادل المصنوعات وهو أيضاً بعلمه يعلم ما يحتاجه سكان البيت ولذلك جعل من مناسك الحج والعمرة الهدي .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨)

صورتين يعلمنا الله بهم وهما متضادتان

أن الله شديد العقاب

وأن الله غفور رحيم

بمعنى أنه إن شاء عذب أشد العذاب

وإن شاء رحم وغفر فهو الغفور الرحيم

هو واحد وسلوكه في شئونه هو واحد

ولكن الاختلاف يأتي ممن هم دائماً في اختلاف فالبشر دائماً في أغيار فلا ثبات لهم على وضع إلا من رحم الله منهم ولذلك هو مع المذنب الدائم الذنب والمصر على المعصية شديد العقاب

فالله في وضع مع عباده حسب سلوكهم في الدنيا ، وهو أرحم الراحمين نلاحظ هي في النهاية ، في نهاية الآية وبداية الآية أنه شديد العقاب .

وكأنه يضع منهج لمن يذنب فهو قد يعاقب العبد ليتمنعه من الذنب ثم يتوب عليه فيتوب عن الذنب . ثم بعد التوبة فإن الله غفور لما سبق من ذنوب لأنه أرحم الراحمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (١١)

ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتُمون .

يحدد الحق هنا في صورة واضحة جليلة دور الرسول أن رسول كل رسول ما عليه إلا البلاغ ولذلك هنا تشريع سياسي عالي حين نأخذ به في حياتنا حتى بين الدول ، الرسول ما عليه إلا البلاغ ولا يؤدي أي رسول يحمل رسالة هذه قاعدة .

أما في الآية فقد يكون فيها خصوصية لتريح رسول الله من تحمل أي إحساس بالألم فما عليه إلا البلاغ للرسالة فقط وكلمة بلاغ معناها توصيل .

هنا هذه الآية أشعر بحنان الرحمن على رسوله فكأنه يعفيه من أي مهمة أخرى وتحميل نفسه ما لا تطيق ولا يؤنب نفسه على من لم يؤمن فكل ما هو منوط به هو تبليغ رسالته للناس فقط .

أما القضية الأخرى ، ألا وهي هل يؤمنوا أو يكفروا أو ينافقوا بحيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر

فقد حسمها الله في قوله

أنه يعلم ما يظهر وما نبطن

ما نبوح به وما لم نقوله فهو عام بكل شيء . وهنا نقف عند هذا المعنى حيث أن هناك تكليف بالإيمان ومن لم يؤمن فإن الله يعلمه ويعلم المنافق من المؤمن حقاً .

لماذا يحرص الحق على إيماننا ؟

لنضرب مثلاً والله المثل الأعلى

إذا أقدم أحداً منّا على عمل مشروع ما ألا يجب أنا يكون هذا المشروع ناجحاً من كل الجوانب كما رسم له ويحرص كل الحرص على أن يوفر كل السبل لإنجاح هذا المشروع ،

فنحن بالنسبة لله عز وجل مشروع بدأه بوضع آدم خليفة في الأرض

ويجب أن يتم هذا الخليفة ما أمر به من مهام وينجح فيها لأن ذلك سيسعد الله عز وجل والله أيضاً حريص على نجاح آدم وأولاده في قضية إعمار الأرض وأيضاً إعمار النفوس بالإيمان بالله

وهذا هو نجاح مشروع الله في : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَاءُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

هذه قضية كبيرة مفتوحة لا حدود لها سجلها الحق في كلمات قليلة قل يا محمد أو قل يا كل مسلم أسلم بعد محمد لا يستوي الخبيث والطيب

هذه لها عديد من التفاسير :

أولاً : لو لحقناها بالآية السابقة لها (99) فالخبيث والطيب هنا هم الكافرون والمؤمنين الذين يعلم الله ما في قلوبهم فهو أعلم بمن آمن ومن كفر وما يظهر وما بطن ، ولا يستوي عنده الباطن الحسن والباطن الخبيث

أو الظاهر الحسن أو الظاهر الخبيث هذا في حال المؤمن ونفسه وسلوكه مع الله ومع الإيمان .

ثانياً :

المال

لا يستوي عند الله المال الطيب مع المال الخبيث أي المال الحرام ما هو إلا نار تأكل ولا تذر كل شيء الصحة المال العيال وقبل ذلك الدين والإيمان أما المال الحلال الطيب ، فهو ماء يروي وينمي ينبت ويزيد في الدين والدنيا وهو ضرورة لكل مؤمن .

فلا يعجب المال الخبيث وإن كثر فالقليل الحلال خيراً من الكثير الحرام .

ثالثاً :

الطعام

الطعام الذي أحله الله فهو نعمة حسنة تزيد في الصحة وتقوي البدن . أما الطعام الذي حرمه الله أو الذي جاءت تضر بصحة الإنسان فإنه ضار وفعله في الإنسان وفي الأرض شديد على الصحة والمال والحياة إذن لا يستوي الخبيث والطيب .

رابعاً :

الزواج

لا تستوي المرأة الخبيثة والمرأة الطيبة .

فالأولى تهدم والثانية تبني

فالمرأة الطيبة خير متاع الدنيا

والمرأة الخبيثة أسوأ عقوبة في الدنيا .

وكذلك الرجل الصالح فهو رحمة

والرجل الخبيث أسوء شيء في الكون بالنسبة للأسرة والمجتمع .

وهكذا في كل ما هو طيب وما هو خبيث في كل نواحي الحياة ، وحتى في الآخرة هل تستوي الجنة الطيبة مع النار الخبيثة ؟

لا لا تستويان

جمعت هذه الآية فأوضحت كل شيء وحسمت قضية الخير والشر فأنهما لا يستويان أبداً .

ينهي الحق هذه الآية بقوله لأولي العقول والتفكير والفهم .

تذكروا هذه الكلمات يا أيها العقلاء واستخرجوا منها ما ينفع الناس وينفعكم .

واتقوا الله في أفعالكم وأقوالكم لعلكم تفلحون .

في إعمار الأرض بالصلاح

وإعمار أنفسكم بالإيمان

وإعمار الجنة بكثرة السكان

وإسعاد الله بنجاح مشروعه الذي أقامه في الأرض بخلق آدم وذريته ليعبدوا الله وحده لا شريك له .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنۡ أَشْيَآءٍ إِنۡ بُدَّ لَّكُمْ سُؤۡكُمْ وَإِنۡ سَأَلُوا عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ بُدَّ لَّكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌۭ حَلِيمٌۭ ﴾ (١٠١)

(يا أيها الذين آمنوا) هنا النداء للمؤمنين فقط يأمرهم الله بأن لا يسئلوا عن أشياء إن عرفوها تخزنهم أو تتعبهم وتسيء إليهم بأي طريقة نفسية أو جسدية أو

اجتماعية ، كان الصحابة يسألون الرسول أسئلة لا داعي لها كمن يسأل من أبي ومنهم من كان يسأل هل الحج كل عام وهي أسئلة لا يحب الرسول أن يجيب عليها حتى لا يسيء إلى المسلمين أو يحملهم ما لا طاقة لهم به وحين تسألون عنها حين نزول القرآن يعني في عهد الرسول ﷺ بينها لكم ، وقد غفر الله هذا الذي سبق من أسئلة والله غفور حلیم ، هنا يصف الرحمن نفسه بأنه حلیم .

هذه الأسئلة تصف العاقل بالغیظ وتخرج الحلیم عن حلمه لكن الله غفور حلیم ، ومغفرته وسعت كل من سأل أسئلة ليس لها داعي أو سئل الرسول ليستهزئ بالإسلام ويسخر من المسلمين .

وهذا في تفسير الآية عند عهد رسول الله ﷺ .

أما الآن :

فهذه الآية هي مبدأ تربوي يعلم كل مسلم آداب السلوك مع الناس ومع المسلمين بالذات ومع أولى الأمر ومع الآباء ومع الناس بعضهم مع بعض فهذه الآية يطالب كل مسلم بأن لا يسئل عن ما لا يهمه أو عن ما لا يجب فيه السؤال أو عن اللجاجة والسماجة في الأسئلة أو التدخل في شئون الغير أو البحث في أمور قد تسيء إلى الناس أو إلى الباحث نفسه وأن لا يحمل نفسه فوق طاقتها في كثرة السؤال ومن باب أولى أن لا يسئل عن شيء إلا للضرورة القصوى .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ (١٠٢)

يشير الحق هنا إلى موقف بني إسرائيل من موسى حين قال اذبحوا بقرة فأخذ يسألون الله ما لو نها ما هي ماذا عنها وهكذا من الأسئلة السخيفة التي لا فائدة منها غير أنها شددت عليهم ، ولو أنهم حين قال لهم اذبحوا بقرة جائوا بأي بقرة وذبحوها ما كان هناك أي مشكلة ولكن شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال .

وهنا تشير الآية إلى أن الناس من قبل فعلوا نفس الشيء ولم يطبقوا الإجابات والأوامر فكفروا بها ، وهذا أحد معاني كلمة (ثم أصبحوا بها كافرين) .

أو أنهم بعد كثرة السؤال والمعاناة التي عانوها من اللجاجة جعلتهم يكفروا بالإلحاح واللجاجة ويكرهوا السؤال وكثرته من غير داع والله أعلم .

الذي يهمننا في هذه الآيات أن تتعلم من الله الذي يربي عباده أحسن تربية على القيم والأخلاق والسلوك الحميد ، حتى أنه لا يترك شيء دون توجيه ونصح وتربية فيه ولو كان مجرد سؤال مشافهة فهو يهتم حتى بالأنفاس التي تنفسها بأنه بحق أقول (الحمد رب العالمين) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٣)

هذه الآية يتبرأ الله من بعض السلوكيات التي كان عليها كفار مكة والتي روج لها الكافرون ممن يسكنوا مكة ومن حولها وصدقها الناس لأن الذي قالها هم أهل الحرم المكي الذي يحجون إليه ومنها ، أن الله لم يجعل في الأنعام التي أنعم بها على البشر .

(بحيرة) وهي الناقة تشق أذننها وتترك للطواغيت ، كان العرب في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقوا أذننها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ، ولا تمنع عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المريض الضائع في الصحراء لم يركبها ، وهذا ما لم يأمر الله به ولكنها بدع ما لها من أساس عند الله .

ومن البدع أيضاً التي نهى الله عنها (السائبة) وهي الناقة تسبب للأصنام على سبيل النذر للنجاة من الحرب أو الشفاء من مرض .

وأيضاً (وصيلة) وهي الناقة تترك للطواغيت إذا بكرت ثم ثنت بأنثى .

(حام) وهو الفحل لا يركب ولا يحمل عليه إذا ضرب عشرة أبطن .

وهذا كله من الظلم لم يجعل الله هذا فهذا كله محض افتراء على الله قام به الكافرون وأكثرهم لا يعقلون ، عقولهم فارغة لم بدع تافهة يحرمون ما أحل الله لهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُ
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٠٤)

هؤلاء الكفار الذين أيدوا هذه البدع من (بحيرة) ، (وصيلة) ، (سائبة) وغيرها من البدع التي لم ينزل الله بها من سلطان إذا حاولت هدايتهم ودعواهم لما أنزل الله من التشريع الحق والبعد عن الخرافات وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى ما جاء به من العلم والحق والأشياء التي تتفق مع العقل ولا تتنافى مع شرع الله .

تمسكوا بما هم فيه من خرافات وقالوا يكفيننا ما علمنا آبائنا وعلمائنا من موروثات وتصرفات تعودن عليها منذ زمن قام بها أجدادنا ، ويعقب الحق على قولهم السفية هذا بقول بشدة الأسف عليهم والتعجب من سلوكهم الغبي بأسلوب تعجبي إخباري من الله حتى ولو كان هؤلاء الأباء والأجداد لا يعلمون شيء من الحق ولم يهتدوا إلى شيء من العلم والحق .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِيَنبِتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

ينادى الحق على الذين آمنوا أن التزموا بأنفسكم يعني أهم شيء هو أن يزكى المؤمن نفسه ويلتزم بأوامر الحق ونواهيهِ ويعلمنا الحق أن من ضل عن سبيل الله لن يضر المؤمنين بضلاله .

فمن ضل فعلى نفسه ومن اهتدى فلنفسه ثم إلى الله مصيرنا حين تعود إليه في نهاية الدنيا فيخبرنا جميعاً بما كنا نفعل من إيمان أو ضلال .

كأن الحق ينبهنا إلى الحرص على مصالحتنا في أن نكون مهتدين لا نتأثر بمن ضل فطالما نحن في إيمان وهدي فلن يضرنا من ضل ثم يوضح لنا أننا في النهاية مجموعين بين يديه في ميقات للقاء مع الله ليعرفنا ما كنا نعمل .

نلاحظ أن هذه الآية نزلت بعد الآية التي فيها يقول الحق :

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ... الآية (104) نزلت في أصحاب العادات الجاهلية (من بحيرة وسائبة وواصلة) .

ونجد الآن في مجتمعنا موروثات ليس لها من الدين شيء ولكنها عادات وتقاليد وجدنا عليها آبائنا وهذه الآيات (104، 105) تلفتنا إلى أننا يجب أن نقوم العادات والتقاليد التي تتنافى مع شرع الله ورسوله وتدعوا الناس إلى الله ورسوله فإن لم يستجيبوا فنطبق عليهم الآية (105) فعلينا أنفسنا نقومها عن الموروثات السيئة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنتُمْ ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

ينادي الحق الذين آمنوا نداء الذي يؤمن أحد على أمانة يحملها على عاتقه وهي الشهادة التي تحدث فيما بين الناس وبعض في بعض الظروف يحتاج الإنسان لإنسان آخر يشهد معه شيء ما ويكون عليه حجة وينطلق بالشهادة ويصدق إذا سؤل عنها وفي هذا الموقف يصور لنا الحق تصوير دقيق لما يحدث في بعض الأحيان في الحل والترحال في الإقامة في بلادنا أو الغرب في السفر والانتقال فهذا إنسان في حالة احتضار ينزع سكرات الموت ويريد أن يوصي ببعض الوصايا من مال أو قول أو عيال أو فعل أو أي نوع من الوصية هنا يعلمنا الحق من خلال هذه الصورة كيفية التعامل مع هذا الموقف وكيف يكون تصرفنا فيقول إذا رأيتم أحداً

يحتضر وأراد أن يوصي بشيء ما فاختاروا اثنان عندهم من الخلق العدل بمعنى أنهم لم يسمع عنهم أنهم ظلموا أحداً قبل ، وأيضاً عندهم خلق حميد وإن لم يكن فيكم من هذه الصفات ووجدت هذه الصفات في غيركم ، وغيركم هنا لها معاني كثيرة ممكن يكون معناها اثنين أغراب ليسوا من أسرة المحتضر .

أو يكون من ملة أخرى بمعنى ليسوا مسلمين ولكن تتوفر فيهم صفة العدل والأمانة في الشهادة هذا في حالة خروجنا من أرضنا وهذا يفيد معنى أن الاثنين اللذان من غيرنا ممكن يكونوا أجنب من دولة أجنبية ثم بعد ذلك نحجزهما بعد الصلاة لو كانا مسلمان أو بعد أداء صلاتهما إن لم يكونا مسلمان حتى يكونا في حالة خشية من الله في هذا الوقت فلا يكذبان .

وإن دخل قلوبنا شيء من الشك فيجب أن يقسم هذان الشاهدان بالله أن يؤدوا الشهادة بالوصية الحق التي أوصى بها المحتضر ولا يكذبان ويشتريان بقسمهما هذا عرضاً دنيوياً ولو كان لمصلحة أحد أقاربهم ولا يكتمان الشهادة لله وإلا فهما آثمان مخطئان .

أرى الحق هنا حريص على كل من المحتضر أن يتوفر له من يقوم بأوامره ووصاياه .

وعلى الشهود من وجوب توفر الأخلاق في الناس حتى يؤدوا الأمانة بما أمر بها الله حتى لا يضيع الحق في الأرض وتضيع الأمانة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَإِنْ عُرِضَ عَلَيْهِمَا شَيْءٌ فَتَحَرَّيَا إِنَّمَا فَتَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَدِيدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧)

ويكمل الحق صفات الشهود على الوصية فيقول إذا اتضح لكم بعد ذلك أن هذان الشاهدان قد فعلا ما يوجب جزاء الذنب أي أن هناك شك في أخلاقهم ، فاختارا آخران .

يقومان بالشهادة مكانهما ويفضل من الذين وقع عليهم ضرر الشهادة وجنى عليهم بها ، وهما الأوليان الأحقان بالشهادة ولقرابتهما ومعرفتهما للذي يشهدان وصيته .

وهذا الشاهدان يقسمان بالله أن يمينهما بالشهادة حق عن شهادة الآخران ومن القسم أيضًا أنهم ما ظلموا وإن كنا غير ذلك فإننا لمن الظالمين .

هنا يوضح الحق كيفية اختيار الشهود وكيفية إقامة الشهادة ، حتى القسم يحدده الله على الشهود حتى لا يترك شيء دون أن يحدده في مجال الوصية لأن من رحمته وعدله بما أنه هو الذي قبض الميت ونهى عمره أن يوفر أسباب العدل من بعد هذا الميت في ماله وعياله وما ترك ، لأن الله هو قيوم السماء والأرض .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٠٨)

هنا يبين الحق السبب في حرصه الشديد على القسم ، فيقول : إن اليمين بعد الصلاة وتحليف الشاهدين الأولين أقرب أن يؤدوا الشهادة وهي أمانة في عنقهما على وجهها الصحيح أو يخافوا أن يحلف الورثة بعد حلفهم وتخالف ما حلفوا عليه ، فيظهر كذبهم ويقول الحق منذراً واتقوا الله واسمعوا لأوامره ولا تكذبوا وأدوا أمانة الشهادة وإياكم وقول الزور والكذب في الشهادة فهذا فسق والله لا يهدي القوم الفاسقين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (١٠٩)

الآية (110) فهو مشهد خاص جدًا بين الله عز وجل وبين رسوله عيسى عليه السلام .

في حوار من الله عز وجل يرد على عيسى تاريخه معه في الخلق حتى الوفاة ونعمته التي أنعم بها عليه وعلى والدته والحواريون وكل شيء وهذا التخصيص ليس للإدانة للمسيح ولكن لتبرئته أمام الرسل الآخرين وأمام الله عز وجل وأمام الأمم التي لم تشهد الحقائق هذا يدل على أن الحق سبحانه لا يترك شيء إلا واهتم به .

وهنا نصور المشهد برسم الله له بالكلمات الرائعة في هذه الآيات نجد الحوار يبدأ بكلام الله عز وجل مخاطبًا المسيح بقوله يا عيسى ابن مريم نداء من الحق لتخصيص الخطاب لعيسى ولتحديد من الحق أنه ابن مريم وليس ابن الله كما ادعى المشركين ثم يعدد الحق نعمه عليه بأن يذكره بها فيقول : اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بماذا ؟

التأييد من الله (بروح القدس) هنا يقول المفسرين أنه (جبريل) ولكني أرى أن الروح التي نفخها الله في عيسى خاصة مثل روح آدم حين نفخت فيه خاصة فتكلم آدم بمجرد النفخة التي نفخت فيه . وقال (الحمد لله) وهي أول كلمة نطق بها بشر وهي أول كلمة في سورة الفاتحة وهي الكلمة المطلوبة من كل البشر أن يحمداوا الله .

ومحمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين وكانت هي في اسمه وهو حامل لواء الحمد يوم الدين .

إذن روح القدس هي النفخة المقدسة الخاصة بعيسى وحده ولم ينتج من أب بل هو مخلوق من الله مباشرة فكانت روحه قوية بحيث حركت أدوات الكلام فتكلم بتأييد من الله عز وجل فأدام أخذ الله من ظهره ذريته وفيها جزء من روح آدم . فجاء كل من البشر بصفاتنا العادية من صغر وشباب وشيخوخة ولكن عيسى نفخ فيه روح مثل روح آدم ولم يؤخذ من صلبه أي بشر .

فبدأ في الكلام وهو طفل رضيع في المهد ورفع بهذه الروح القوية إلى السماء ليواكب الحياة فيها ويستمر بهذه الروح حتى يعود مرة أخرى إلى الأرض فيكلم الناس كهلاً ويدعوهم إلى الإسلام ثم يعد الحق ما علمه لعيسى من كتب : الكتاب وهو القرآن .

الحكمة وهي السنة المحمدية .

التوراة كتاب موسى .

الإنجيل وهو كتاب عيسى .

وجمع له كل العلوم السابق ذكرها لأنها هي الملل الموجودة الآن ونحن في نهاية الزمان فيجب أن يكلم اليهود والمسيحيين والمسلمين .

ثم يعود الحق فيذكره بالمعجزات التي أيده بها ومن الملاحظ هنا استخدام الحق للفعل المضارع (إذ تخلق) يفيد أن عيسى حين ينزل في آخر الزمان قد يعيد هذه الأفعال أمام الناس ليس فقط ما حدث في الماضي ولكن سيفعلها في المستقبل ليؤيده الله ويثبت أنه هو المسيح الحقيقي .

أولا يخلق يعني يصور من الطين كهية الطير بإذن الله وينفخ فيه من نفسه فيصير طيراً حياً بإذن الله ويشفي الأعمى الذي ولد أعمى ويشفي الأبرص بإذن الله .

ويخرج الموتى بإذن الله من قبورهم بعد أن يحيهم كل هذا بإذن الله يعود الحق للفعل الماضي فيقول (وإذ كففت بني إسرائيل) في الماضي حين قاموا إليه ليقتلوه ويصلبوه واتهموه بالسحر فرفعه ولم يقتلوه ولم يصلبوه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُلِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾



وإذا أوحى الله إلى حواري المسيح أن آمنوا بالله وبعيسى رسول الله وهنا إشارة من الحق قد يكون معناها أن آمنوا (برسولي) الذي يأتي بعد عيسى وهو محمد لأن المسيح أخبر الحواريين وبشرهم برسول سيأتي في آخر الزمان اسمه (أحمد) وأمرهم أن يؤمنوا بهذا وإن عاصروه أن يؤمنوا به وبرسالته .
ولذلك نجد الحق يخبر عن لسانهم قولهم (واشهد بأننا مسلمون) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

يعود الحق ليصور لنا مشهد بين عيسى عليه السلام والحواريين .
حيث دار الحوار كالآتي :

يقول الحواريون يا عيسى ابن مريم هنا تأكيد على أنهم يعلموا تماماً أنه ليس ابن الله بل هو ابن مريم

يقولون هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ يعني طعام جاهز على صحافه للتناول والأكل المباشر دون أن تمتد فيه يد بشر .

فقال عيسى مستنكراً عليهم هذا السؤال

اتقوا الله لعلمه أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ولكن يجب أن يكون هناك أدب في الكلام حين يكون الكلام عن الحق سبحانه وتعالى ، وخاصة كلمة (هل يستطيع) فمن آمن بالله يعلم دون سؤال أن اله على كل شيء قدير

فيقول لهم عيسى مستنكراً ومشككاً في أسلوبهم الذي تلى قولهم (واشهد بأننا مسلمون)

فقال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١١٣)

نكمل حوار الحواريون مع نبي الله عيسى فيقولوا : نريد حين ينزل الله المائدة أن نأكل منها ونحن مطمئنين القلوب دون خوف أو شك ومن اطمئنان قلبنا ونعلم أنك صادق معنا فيما تقول ونكون نحن الشاهدين بأن المائدة معجزة وهي حق وأنت على الحق .

بعد كل هذه المعجزات والآيات التي حدثت مع عيسى يطلبوا منه المزيد .
هذه هي طبيعة بني إسرائيل اللجاجة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١١٤)

هنا دعا عيسى ربه لينزل عليهم المائدة بدعاء كله أدب ويقين بان الله على كل شيء قدير ، فقال :

ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ونزول المائدة ليس للأكل فقط ولكن عيد أي ميعاد كل عام نحتفل به بهذه المناسبة لأول المؤمنين بعيسى وآخر المؤمنين به أيضاً وهو يطلبها لعدة أسباب أنها معجزة وآية مؤيده له ورزق من الله

لأن الله هو خير الرازقين

دعى عيسى وطلب من الله حتى لا يكون هناك أي شك في قلوب الحواريين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٥)

يصدر الحكم الإلهي بإجابة دعوة عيسى بإنزال المائدة من السماء ولكن شرط

النزول أنه من يكفر من الحواريين بعد نزول المائدة أو يتشكك في الله ، فإن الله سيعذبه عذاباً لا ولم يعذب به أحد من العالمين مع عظمة الله وكبريائه فهو من رحمته يتواضع ليجيب لخلقه طلباتهم وأيضاً يؤيد رسله وأنبيائه لا يتركهم دون تأييد .

هذه الآيات من أول الآية (110) إلى (115) كأنها استرجاع لمشاهد ماضية سبق أن حدثت وهذا كله استعراض لعيسى يوم القيامة وتذكير بمشاهد سابقة كما يقول الناس الآن (فلاش باك) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٣﴾﴾

نعود إلى مشهد يوم القيامة الذي لم يحدث بعد ويصوره لنا الحق بكل خلفياته وحيثياته كما سبق الآيات السابقة ثم يبدأ بوضع النهاية لهذه الحوارات التي ستم يوم العرض الأكبر .

هنا في هذه اللقطة يعود الحق لسؤال عيسى فيقول له هل قلت للناس أن اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟

فيسرع عيسى بالإجابة بالتنزيه لله سبحانه وتعالى عن كل هذا فيقول سبحانه لا يمكن أن أقول هذا القول فقد استنكر عيسى على نفسه أن يكون هذا الكلام من قوله فهو مؤمن ومسلم وهذا شرك وكفر .

فيقول عيسى معترراً ونافياً عن نفسه هذا القول وآتى بدليل برائته إلى الله فيقول :

(سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)

ثم يأتي بالبرهان

(إن كنت قلته فقد علمته)

يعني أنت أعلم بأني لم أقل هذا وسؤالك هذا لا يعني أنك لا تعلم بل أنت أعلم بكل شيء

وليس هذا فقط بل تعلم يارب ما في نفوس البشر ولذلك أنت تعلم ان نفسي حتى لم يدور هذا فيها فأنت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك .

إنك أنت علام الغيوب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١٧)

يستمر عيسى في الدفاع عن نفسه أمام الله ولكن أشعر في رده على الحق سبحانه بأنه يرد بطريقة فيها يقين بعدل الله وعلمه المسبق بحقيقة الوضع الذي تم ولكن إذا سئل الله وجب على العبد أن يجيب والله أعلم بكل شيء ولكن حتى تتم سنة الله في الحساب والمواجهة ليعلمنا كيف نواجه المشاكل ويواجه كل منا الآخر فلا نخشى إلا بالله ولا نخشى في الله لومة لائم .

يقول عيسى مدافعاً ومسلماً لرب العالمين ،

ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وحين كنت حر بين الناس كنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم (دعوهم إلى) التوحيد وأنني عن نفسي ما تسبوه لي بغير حق وأبلغهم رسالتك فلما توفيتني كنت أنت يارب الرقيب عليهم ، والرقيب أشد وأقوى من الشهيد .

ويستمر عيسى في قوله لله عز وجل ، أقول لك هذا كله يارب وأعلم أنك شاهد ومشاهد وعارف بكل شيء وأنت تشهد بصدق وبأنني أقول الحق لأنك عالم بكل ما سبق وسئلتني فيه وأجبتك عليه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨)

هنا يتبرأ عيسى من الذين كفروا ويرجع الأمر كله ليد الله وإرادته وفعله ، فيقول

:

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَأَنْتَ حَرٌّ فِيهِمْ .

وإن تغفر لهم فأنت العزيز الحكيم ، بمعنى أنك إن غفرت فهذا لحكمة أنت أعلم بها قد عززت علينا بفهم حكمتك .

وفي كلا الحالتين تنصل عيسى وتبرأ من معنى الإلوهية وأرجع الأمر لصاحب الأمر فهو حر .

نلاحظ أن الحق في الآية (109) كان يسأل جميع رسله في يوم القيامة بعد أن جمعهم في صعيد واحد .

ولكنه لم يناقش أي منهم في هذه اللقطة ولم يسأل أحد من أولي العزم في هذه الآيات إلا عيسى ونلاحظ أنه كان يكرر حين يوجه له الخطاب في كل آية حين يناديه قوله يا عيسى ابن مريم

ولكن أشعر أن الحق تعمد أن يكون حواراه مع عيسى عليه السلام علني أمام الناس جميعا وأيام الرسل جمعا .

لماذا عيسى بالذات ؟

(1) لأنه النبي الوحيد الذي عبد مع الله .

(2) ولأنه النبي الذي هو من أولي العزم الذي جعلوه مرة ابن الله ومره هو الله ومره ثالث ثلاثة .

كانت الأقوال والظلال حول له كثيرة وما زالت الفتنة قائمة حتى الآن بعد آلاف السنين وستظل حتى تقوم الساعة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١)

يعقب الحق على قول عيسى هذا في استمرارية للحوار

هذا اليوم يوم القيامة ينفع الصادقين صدقهم .

بمعنى أن : أني أصدقك يا عيسى فأنت صادق وصدقك هذا نفعك عندي بأن لهم من الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ورضوان من الله .

رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم .

أشعر في الآيات السابقة شدة غضب الله من الذين أشركوا وكيف أن الحق بغار أن يشرك به وأنه كان قد قرر أن كل من أشرك بالله فهو ومن عبد دون الله في النار .

ولأنه يحب نبيه عيسى ويرد أن يبرئ ساحته وينصره على من ضل من أتباعه جعل هذا الموقف الشديد يوم القيامة ليرد الحقوق إلى أصحابها ، فإن عيسى برئ مما نسب إليه وأن الله يعلم ببرائته ولكن الله يغار على نفسه وعلى ملكه وعلى أنبيائه وعلى أحبائه وأوليائه فلا يترك شيء من هذا دون تمحيص وتنقيه وتنزيهه عن كل عيب .

فهو الكامل الأكمل المنزه عن كل نقص وهو المعبود الواحد الأحد سبحانه .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٠)

يختم الحق السورة بقول ليس بعده قول

(لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

وهذا هو الحق بعد كل ما سرده من آيات في سورة المائدة

يعود الحق إلى نصابه بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
وأن الحمد لله رب العالمين .
هذه الآية هي من حيثيات الحكم
التي من أجلها ذكر الحق مشاهد الحساب للأنبياء يوم القيامة السالف ذكرها
منذ الآية (109) .
أنه هو المالك للكون وهو الإله الواحد وهو على كل شيء قدير .

سورة الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

يبدأ الحق هذه السورة بالكلمة التي من أجلها كتبت قرآن الحزيف ، وجعلت
أفسر المصحف من جانب أساسه لماذا الحمد لله رب العالمين ؟
فهو يبدأ بقوله الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض .

هو الذي أنشأ وأبدع الظلمات والنور ليس فقط الظلمات والنور (المادي) بل
أيضاً الظلمات في القلوب والنور في القلوب هو صاحبهما معنى السموات
والأرض ظلمات من أنواع شتى من الظلام والظلمة والظلم ولكن النور واحد في
كل مكان وزمان فنور الله واحد تجلى به على الشمس والنجوم وعلى الأرض فأنا
كل منهم وتجلى به أيضاً على قلوب البشر فأنا تبارك بأناوار المعارف المختلفة .

ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور ثم يتكلم الحق في آخر الآية بأسلوب
تعجبي من سلوك الذين كفروا الذين يرون ربهم بغيره في العبادة كيف يشركون
بالله وليس كمثله شيء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ﴾ ﴿٢﴾

يكلّمنا الحق فيقول لنا أنه هو الذي خلقنا من طين حين خلق آدم من طين ثم
وضع أجلين ، الأجل الأول هو ميعاد موت الإنسان بعد مولده في الدنيا وهناك
أجلاً آخر في علمه هو لا يعلمه غيره وهو أجل البعث لمن يموت .

هذه الآية تبين أن هناك حياة في الدنيا تنتهي بالموت وحياة في البرزخ تنتهي
بالبعث ويتعجب الحق من البشر بقوله أنكم تشكون في هذا الأجل الآخر الذي
فيه تبعثون ، على الرغم من أنكم ترون الجبل الأول وهو الموت في الدنيا يحدث
أمامكم كل يوم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٢﴾﴾

ويكمل الحق تعجبه من عباده مع إيضاح وتأکید أنه هو الله وهو المعبود وحده وهو المتصرف وحده في السماوات وفي الأرض وهو الملك الوحيد لهم يفعل فيهم ما يشاء ويعلم سر الناس وجهرهم من أقوال وأفعال وأحاسيس وضمائر وأنفس ويعلم ما يكسبون من فعل حسنات أو سيئات .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾

هكذا البشر دائماً يمرون على آيات الله وهم غافلون ومعرضون لا يقفوا ليتفكروا فيما يرون من آيات الله .
هكذا دائماً طبيعة البشر .

هنا في هذه الآية دعوة من الحق سبحانه للإنسان أن يعمل عقله ولكنها دعوة غير مباشرة في صورة عرض لموقف الإنسان صاحب العقل حين لا يعمل عقله الذي وهبه الله له ، ما فائدة العقل إذن يا إنسان إن لم تعمله في استقراء المعنى وراء آيات الله التي في كونه مثل الشمس والقمر والسماء والأرض و آيات الله التي في كتابه وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

يدعونا الحق سبحانه إلى الوقف أمامه آيات الله وخاصة في كتابه ففيها سر الحياة منذ خلق الله آدم إلى آخر إنسان يوجد على الأرض وفيه الأحداث التي ستحدث منذ خلق آدم حتى آخر حدث يحدث على الأرض .

وفيه كل شيء جمع فأوعى فيه الحكم بين الناس ، فيه التشريع لمصالح الدنيا والدين .

ولكن يا حسرتي على عباد الله الذين يمرون على آيات الله دون الوقوف على معانيها وعلى ما ورائها .

ولكن الإنسان أعرض عنها وبحث عن الدنيا وانكب على شهواته يطلبها
بالحاح .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبُؤُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

وليتهم أعرضوا عن الآيات فقط ، ، ولكن كذبوا بالشرائع والهداية والقرآن .

ولهذه الآية معنى آخر خاص بأولياء الله في كل زمان يجعل الله في خلقه بعض
من الناس يختصهم برحمة منه ويعلمهم من لدنه علماً ليوضحوا للناس ما غفلوا
عنه من حكم الله وحكم كتابه وحكم سنة رسول الله ﷺ .

ويكون هؤلاء الأئمة على درجة من المعرفة بالله عالية ، ولكن كم من الناس من
أعرض عنهم ولم يستمع لشرحهم بل ومنهم من اتهم هؤلاء العلماء بالكفر
والإلحاد ، ذلك لضيق أفقهم وغباء معتقداتهم وهنا يوضح الحق ويتوعد هؤلاء
المكذبين بأن سيأتي وقت يعلموا قيمة ما أتاهم الله من آياته وتكون الحسرة
والمرارة هي شعورهم حين يعلموا الحق وقيمة ما كانوا به يستهزئون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
عَلَيْهِمْ مَدَادِرًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

حين خلق الله الناس وأسكنهم الأرض جاءوا فيها بشفرة وراثية موجودة من
جيناتهم بإعمار الأرض وتوصيلها إلى مرحلة الجنة التي كانت على الأرض وكان
يعيش فيها آدم وحواء ، قبل أن يأكلوا من الحرام ، أي من الشجرة المحرمة من الله
والتي أصابتهم وذريتهم بداء الفناء والموت فهي شجرة الموت ، وما حرّمها الله
إلا رحمة بآدم ولكنه ترك له حرية الاختيار في الطاعة والمعصية ، فعصى آدم ربه
وغوت ذريته من بعده .

فكان من حكم الله أن أنشئنا في الأرض وهي بكر ليس فيها حضارة لنعمرها ونعود بها للصورة التي يريجوها كل منا .

فكل واحد من أولاد آدم في داخله رغبة في مسكن مريح وحديقة جميلة غناء في كل الزرع وزوجة جميلة وأود كثير وذرية وعزوه وهذا كله رغبة داخلية في كل البشر من لدن آدم أن نصل بحياتنا إلى الكمال ولكن الحق حين وضع قانون الأرض التي نزل إليها آدم ليكفر هو وذريته عن عصيان أبيهم وليس فقط للتكفير ولكن للإثبات من الله أنك يا ابن آدم حين اخترت حرية التكليف والاختيار والإرادة الحرة كنت غبي وظالم وأنت هنا في الأرض فوضعك الله فيها مهمناً ومسيطرًا ووليها وسخر لك ما فيها من مخلوقات وأشياء وملائكة يعملون عندك وفيك ولك كل شيء .

هذا ليثبت لك أنك أعجز من أن تدير شؤون حياتك بدون الله ، وأن تعترف بعد عجزك هذا أن لا إله إلا الله ، في هذه الآية يقول الحق ملفتًا نظر الناس إلى حقيقة واقعة .

فيقول ألك يروا بمعنى أن كل منا يعلم بهذا الذي سبق وحدث لأن التاريخ كله مدون عندنا ماذا رأينا ؟

رأينا كثيرًا من الأمم السابقة كانت على درجات عليية من الحضارة والرقى الغني والعلم والتقدم والأنهار تجري بالخير تحتهم والسماء تمدهم بالماء والملائكة الذين يعملون لهم كل شيء .

فبعد أن يصلوا إلى قمة الحضارة والكمال والرقى بغوا في الأرض وطمغوا ، وكفروا بنعم الله وظنوا أنهم هم الفاعلون لهذه الحضارة فدمرهم الله بذنوبهم وأبادهم ، ثم أنشأ من بعدهم أقوامًا آخرين ونجد على سبيل المثال لا الحصر مثلاً !!

الحضارة الفرعونية وما آلت إليه الآن .

الحضارة الرومانية وما آلت إليه الآن .

قوم عاد وثمود وما آلت الآن .

وغيرهم تجد آثار حضارتهم باقية حتى الآن تشهد على رقي الحضارات ولكن أين هي الآن بل أين هؤلاء الناس لقد هلكوا وهلكت حضارتهم ذلك لأنهم لم يرجعوا لأمر الله وظنوا أنهم هم الفاعلون وغرتهم القوة التي أمدهم الله بها .

ونسوا الله فأنساهم أنفسهم وفوق ذلك طغوا وبغوا وتعدوا حدود الله في الرحمة في الأخلاق فلمواهم ذهب أخلاقهم ذهبوا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كِتَابٍ فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤَيَّنٌ ۝۷ ﴾

يتكلم الحق في هذه الآية بلهجة وإحساس باليأس من أن يؤمن الناس حتى مع وجود المعجزات والآيات فيقول حتى لو نزل على نبيه كتاباً في أوراق فلمسوه بأيديهم ، فسوف يجدون ما يبررون به هذا الكتاب لأنهم كفار فيقولوا هذا سحر واضح يبين .

يا الله يا حبيبي يا ربي كم أنت حلیم ورؤف ورحيم بعبادك تتحمل منهم كفرهم ومع ذلك تغفر وترحم وتعفو عن قدرة على أن تمزقهم لكنك أنت الحلیم الكريم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝۸ ﴾

هنا تغير الأسلوب الإلهي فأنا أشعر هنا يبدأ الغضب ولكن تمنعه الحكمة ، فهو غاضب ولكن رحمته تسبق غضبه .

فيقول عن لسانهم بأسلوب فيه شيء من الحدة والوعيد والسخرية منهم ومن قولهم .

وقالوا هلا أن ينزل عليه ملك يشهد بأنه رسول وأن الكتاب حق وأن الله حق .
فيقول الحق رحمة بهم أيضاً نزول الملك معناها فراغ صبري عليهم ومعناها
هلاكهم وقضاء نحبهم ونهايتهم وهلاكهم فإذا أنزل الملك لن يكون هناك وقت
لينظروا إلى الملك ولا سؤاله سيكون هلاكهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (١)

وتعود مرة أخرى رحمة الرحمن وحلمه الذي لا حد له .

فينزل لمستوى تفكيرهم ويناقشهم في طلبهم ، ويقول لو أنزلنا ملكاً لجعلناه في
هيئة الرجال يلبس مما يلبس الناس من ثياب وسوف يختلط عليهم الأمر أيضاً .

لماذا ؟

هل تستطيع السمكة بتكوينها التي هي عليه أن تعيش خارج الماء ؟

طبعاً لا

هل يستطيع الإنسان أن يعيش تحت الماء دون هواء ؟

طبعاً لا

كذلك الملك إذا نزل إلى الناس ليحي في أرضهم وجب أن يكون في تكوينه
مثلهم وإلا مات ولم يتحمل الحياة في الأرض .

إذن ، يلفتنا الحق إلى أن قدرته في الخلق وحكمته لا يعلمها غيره ولا يصح أن
نتجرأ على الله بطلب ما ليس لنا فيه أمر ، ويجب أن يلزم كل إنسان حدوده مع الله
فلا يتعدها وليقف عند حده .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَىٰ رُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِّنِّ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾



هنا شعور بالمواساة من الحق سبحانه لنبيه ورسوله .

فيقول بحنان لا تحزن فإن كذبوك واستهزؤا بك فقد حدث هذا من قبل كثيرًا واستهزئ برسل منهم .

ولكن الله عدل فقد نزل الله عقابه على الذين استهزؤا بالرسل من قبل ما يستحقون من العذاب والعقوبة فلا تحزن .

وأجد هذه الآية فيها مواساة لكل من دعى إلى الله من العلماء وسخر الناس منه فإن الله يواسيه ويعطف عليه ويطمئنه بأن نصر الله آت .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١١)

هنا يستمر الحق في المواساة لعباده الصالحين من الأنبياء وعلماء الدين الحق فيقول ، سيروا في الأرض وانظروا في آثار السابقون من المكذبين بالله تعلموا من السياحة في الأرض ما حق بالذين كذبوا الرسل ولم يوحدوا الله لا إله إلا الله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ

الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢)

هذه دعوة لكل مسلم وموحد بالله من بعد طبعاً رسول الله أمر إلهي من الله بأن نسأل هذا السؤال ونجيب عليه هذه الإجابة .

يقول الحق : قل لمن ما في السماوات والأرض ؟

قل لله وحده لا شريك له .

كتب هو على نفسه الرحمة ولم يكتبها عليه أحد فهو الرحمن الرحيم .

وتتجلى صفة الرحمة في كل من حروف القرآن وفي كل مظهر من مظاهر الحياة على الأرض .

فما زال الحق مع معصية الخلق وكفرهم يطلع عليهم الشمس وينزل المطر ويرزق الناس والمخلوقات ولم يمنع رزقه مع نكران حقه .
لماذا ؟

لأنه كتب على نفسه الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه وكأن الحق يقول ليرضى ذاته ويرضى أسماء جلاله بأسماء جماله أنه سيجمع كل الخلق إلى يوم القيامة وهنا قال (إلى) لتفيد معاني كثيرة منها أن من أول آدم حتى آخر واحد خلق قبل القيامة .
وتفيد معنى (إلى) هنا أيضاً أن الحق سيجمع كل إنسان ويجمع عظامه ولحمه ويحييه إلى يوم القيامة .

وتفيد أيضاً (إلى) هنا أن الموعد لتجميع الخلق لأخذ العدل مجراه في محكمة يوم القيامة وكثيراً من المعاني التي يؤكد بها الحق بقوله لا ريب ، يعني لا شك في هذا أبداً سيحدث الجمع يوم القيامة لكل البشر ولكل الخلق .

في هذا اليوم الذين خسروا أنفسهم وضيعوها بعدم التفكير فيما جاءهم من الآيات وعدم إيمانهم بالله ضيعوا أنفسهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣)

وله ما سكن في الليل والنهار .

يعني أن الله كل شيء من يهدأ بالليل والنهار من خلقه جميعاً بجميع أنواعهم من إنس وجن وحيوان ونبات وحشرات وكل شيء .

ووصف نفسه بالسميع لأن من سكن لا يحدث صوت والعليم لأنه لا يحتاج إلى من يعلمه خلقه فهو عليم بكل ما هدأ ولم يكون له حس ولا حركة .

فهو يسمع حتى أنفاس المخلوقات الساكنة .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُوا وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

يتعجب الحق ممن اتخذ غير الله ولياً فيقول قل لهم يا رسول الله كيف اتخذ
غير الله إله إلا الله هو ربا ومعبودا وناصرا وهو خالق ومبدع ومخترع السماوات
والأرض لا على مثال سابق ولكن أوجدتهم من عدم .

وهو يطعم خلقه جميعاً الكل يأكل

وهو لا يُطعم يعني لا يأكل

قل لهم يا محمد إني أمرت من الله أن أكون أول من أسلم بالله والله وخاضع
بالعبودية لله وإنقاذ له

وينهاه الحق أن يكون من المشركين بالله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

قل لهم يا محمد أنك تخاف إن عصيت الله أن يعذبك الله في يوم الحساب
عذاب عظيم وشديد .

هنا في تلك الآيات يأمر الحق ورسوله أن يبلغ الناس بعض من صفات الرحمن
وقدراته وما له من ملك ،

حتى يعلم الناس حقيقة الخالق الواحد المعبود بحق ولن يزيده هذا شيء
ولكن ينفع الناس أنفسهم إن آمنوا بالله ربه فإن الله معذبه عذاباً عظيماً بمعنى أن
الحق لا يعرف إلا العدل حتى مع من أحب .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمٌ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

يكمل الحق كلامه الذي أمر رسوله بتبليغه للناس بقوله إن العذاب الذي قد يتعرض له العصي شديد لا يمكن تحمله ، وهنا لهجة إشفاق على عباده من هذا العذاب فيقول من يصرف الله عنه العذاب يومئذاً فقد رحمه .

وهذه الرحمة هي الفوز المبين أي الفوز الواضح الجلي من هول العذاب تأتي عظمة الرحمة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧)

هنا يقر الحق حقيقة واضحة يجب أن يعيها كل إنسان ، إن من أسمائه الضار النافع ولذلك تفصل هذه الآية معنى هذان الاسمان .

فإن أصاب الله أحد بالضرر فلا يكشفه إلا هو لأنه هو النافع .

حتى وإن ظهرت بعض الأسباب الدنيوية فإنها تكون من تسخير هو

وإن أصاب الله أحد بخير فهو على كل شيء قدير وهذه حقيقة .

عجبت لمن أصابه مكروه ولم يلجأ لله داعياً أن يكشف عنه فإنه هو الذي قال :

(وإذا سألك عبادي بي فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) .

وكلمة قريب معناها أنه من أقل كلام من عبده الداعي يستجيب له فوراً

فكيف يترك الإنسان باب الله ويترك كل باب ولو أنه بدأ باب الله لفتحت له

كل الأبواب المغلقة يدخل من أيها شاء لحل ما به من كرب .

وقول الحق أنه علي كل شيء قدير

أنه هو القادر علي أن يفعل أي شيء حين يشاء كيف يشاء وبما يشاء .

قال صلي الله عليه وسلم لابن عباس (يا غلام احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه الترمذي والحاكم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨)

وهو القاهر فوق عباده

أي الغالب المتحكم فيهم بقدرته الكاملة وهو الحكيم الخبير

أشعر برهبة حين أقرأ هذه الآية حيث كأني أسمع صوت الله وهو يتجلي بصفته القهار حين يقول (هو القاهر) ولكن بعد أن أرهب اشعر بأن الحق يعود فيأرف بعباده بقول عن نفسه (وهو الحكيم الخبير)

بمعنى أنه ليس قاهر دون حكمة وخبرة

فإن القهر العشوائي يرعب أما إذا كان معه الحكمة والخبرة فيمن يستحق القهر فلا خوف إلا من ظلم ، فمن ظلم يجب أن يرتعد ويرجف ، أما من آمن واتقى فلا خوف عليه لأن الله حكيم خبير .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ أَتَىٰ سَيِّءَ أَكْبَرُ شَهَدَةٍ ۖ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩)

جاء إلى رسول الله ﷺ جماعة من الناس (النعام بن زيد ، وقروم بن كعب ، وبحري بن عمرو) فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله إلهاً غيره ، فقال : لا إله إلا الله ،

وبذلك بعثت إلى ذلك أدعو .

فنزلت فيهم هذه الآية .

يبدأ الحق الآية بسؤال يفيد لفت الانتباه والإجابة بإقراره الحق فيقول قل لهم يا محمد من اكبر شهادة بمعنى أعظم شهادة ترضونها ممن ثم يستطرد بالإجابة قل لهم يا محمد الله أكبر شهيد بيني وبينكم وهو الذي أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به .

وأنذر به من يبلغه القرآن ويصل إليه إلى قيام الساعة وعلى من بلغ أن ينذر به من لم يبلغ ويعلمه للناس كافة .

ويسأل الحق على لسان نبيه فيقول إنكم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى وهذا كذب يقول الحق : قل لهم يا محمد لا أشهد هذه الشهادة الكذب بل قل لهم إنها هو إله واحد لا إله إلا الله وإنني بريء مما تشركون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾



هذه الآية لها عدة معاني قد ينصرف المعنى لها وهي في حق أهل الكتاب .

فيقول الحق الذين آتيناهم الكتاب من اليهود أو النصارى أو أي دين سبق (يعرفونه) كما يعرفون آبائهم .

ما الذي يعرفونه ؟

أما أن يكون الله الواحد الأحد وأن لا إله غيره .

أو القرآن يعرفون أنه كتاب الله منزل من عنده .

أو يعرفون محمداً أنه الرسول الخاتم مما علموا من صفته في كتبهم السابقة .

أو أنهم يعرفون كل ما سبق وهذا هو الأرجح ولذلك وصفهم الحق لأنهم

علموا هذا ولم يؤمنوا به مع يقينهم أنه حق وصدق بأنهم هم الذين خسروا أنفسهم ، ضيعوا أنفسهم بأنفسهم .

وهنا يتعجب الحق من إصرارهم وكبريائهم وعنادهم ، فأنتم أصحاب علم وتعلمون أن محمد ما جاء إلا لا بالحق فلماذا العناد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

يقول الحق بأسلوب إخباري تعجبي ومن أظلم ممن افترى على الله بالكذب غير الحق وكذب بآيات الله .

إنه لا يفلح الظالمون ، بمعنى : أنه ليس هناك أشد ظلمًا من الذي قال أن الله قال كذا وكذا بالكذب على الله أو قال إن الله سيفعل كذا وكذا أيضًا بالكذب على الله ، أو قال أوحى الله لي بالكذب أو نسى الله أي شيء بالكذب على الله أيضًا أو حين سمع آيات الله أو رأى معجزات الله أنكرها وكذبها .

فهؤلاء ليس هناك من هم أظلم منهم فقد ظلموا ظلمًا بينًا .

وإنهم لن يفلحوا أي لن ينالوا إلا الفشل والضياع في الدنيا والآخرة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّكَاكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

ويم يحشرهم الحق في يوم القيامة ويجمعهم جميعًا ويسألهم ، يا أيها المشركون بالله ، أين شركائكم الذين كنتم تزعمون .

هنا سؤال الحق فيه سخرية من الذين أشركوا وتحقير لهم ولشركائهم وما شركائهم إنهم كل ما كانوا يعملون لهم فمنهم من عبد المال ، ومنهم من عبد النساء ، ومنهم من عبد الملوك ، ومنهم من عبد أولاده ، ومنهم من عبد الأصنام ، ومنهم من عبد نفسه ، وهنا إشارة إلى كل ما خلا الله باطل .

فلا تعمل إلا لله وإلا كتبت من المشركين كل شيء تفعله يجب أن يسبقه نية أنه لله وحده .

لا نعبد إلا الله فهو وحده لا شريك له .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٣٣)

هنا تصوير لمشهد حي يبين لنا فيه الحق حال المشركين حين يواجههم الله بأنه لا إله سواه ، وهم في حالة مزرية من الاضطراب والهلع والحزن على أنفسهم ولا يجدون ما يقولون للحق حين عرفوا حقيقة التوحيد ، وذلك بعد فوات الأوان ونهاية الزمان وبداية الأبدية ، أي فتنة أصابتهم كيف ضلوا عن الله وأشركوا به فلم يجدوا ما يعتذرون به عن إشراكهم إلا أن قالوا والله أنت يا الله ربنا ما كانا مشركين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴾ (٣٤)

يتعجب الحق من سلوكهم ويقول لرسوله انظر كيف كيف أن المشركين كذبوا على أنفسهم وضلوا أنفسهم وأضاعوا أنفسهم ، وقد ضاع وغاب وزال عنهم ما كانوا يكذبون ويفترونه من قول وشرك .

وضاعوا معه !!!

هنا مشهد كله حسرة في قلوب الذين أشركوا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًا بَئِذٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٥)

وما زال الحق يرسم لنا بعض صور المشركين فيقول منهم من يستمع إليك

حين تدعوهم إلى التوحيد بالله ، ولكن جعل الله على قلوبهم أغطية فلا يفهمون ما تقوله ولا تقبله قلوبهم وفي آذانهم صمماً وصقلاً إشارة إلى جهلهم وعمى قلوبهم وصمم فكرهم وعقولهم فلا يعقلوا ما يقال لهم من آيات حتى إذا جاءوك يجادلوك بالباطل ويقول الذين كفروا ما هذه الآيات إلا حكايات أسطورية مما سطرها الأمم السابقة في كتبهم ألا ساء ما يحكمون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣٦)

نزلت هذه الآية في أعمام الرسول ﷺ أبناء عبد المطلب وكانوا عشرة وكانوا يدافعون عن الرسول في الظاهر دفاعاً شديداً ضد المشركين ولكن ليس من إيمانهم بما جاء إنما عصبية ونخوة القبلية وأنه كيف يتجرأ أحد على أولاد وأحفاد عبد المطلب وليس إيماناً بالله ورسوله ، فهم في الظاهر يدافعون عنه وفي الباطن يبتعدون عن الإسلام وعن عقيدة التوحيد .

ويقول الحق فيهم أنهم يهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون .

نجد الآن من هم كأعمام النبي من يدافعون عن الإسلام ليس لأنهم مسلمون ولكن لتحقيق مصالح خاصة بهم .

نجد على مستوى الدول أن أمريكا كانت تشجع الإسلام ليحارب الشيوعية وأسمته التيار الأخضر وأسمت الشيوعية التيار الأحمر وضربت الاثنان بعضهم ببعض حتى قضى على قوة الشيوعية بالانحلال والتفرقة ، والمسلمون من قبل في حالة انحلال وتفرق فلا خوف منهم ولكن س[اتي اليوم الذي يجتمع فيه شمل المسلمين ويكونوا صفاً واحداً وحينئذ سيقف الإسلام لكل طاغية مستغل لقوته وسيكون قوة ضاربة في الأرض .

هذه الآية توضح السبب في ضياع هبة المسلمين والإسلام في العالم .

لأن المسلمين كانوا مثل أعمام النبي يدافعون عنه ويتبعون عنه فإن المسلمين يدافعون عن الإسلام بالكلام وليس الفعل فهم لا يطبقوه فكيف ينجح ويتشعرا إلا عن طريق التطبيق الفعلي للإسلام من المسلمين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَوْ رَأَوْا إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧)

ينتقل بنا الحق إلى وصف مشهد من أصعب المشاهد على البشر ألا وهو رؤيا النار من بعد الحساب فيقول :

إذا وقفوا على النار ، حيث جمعتهم الملائكة ودفعتهم إلى النار دفعا كأنهم كالبهائم التي تساق ، وقبل أن يدخلوها إمعاناً في العذاب يقفوا خارجها ليروها ليزدادوا رعباً وندماً وحسرة في قلوبهم .

فماذا يقولوا بعد رؤيتهم للنار وما فيها من عذاب بكل ألم وحسرة وندم ، يقولون يا ليتنا نعود إلى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا بل نؤمن ونصدق ونكون من الذين آمنوا .

أي حسرة وأي ألم ، يا عباد الله أفيقوا قبل أن تقفوا هذا الموقف الرهيب .

يذكر لنا الحق هذه الآية لعل من ضل يفيق من ضلاله ويعود فيؤمن بالله ويلتزم بآياته ولا يكذب بها .

فإذا صدقت هذه الآية فلن تطبق عليك وإن كذبت وأعرضت عنها فإنها لا محالة آتية إليك .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢٨)

يعلق الحق على قولهم السابق وهو العليم بكل خلقه ما أظهروا وما أخفوا في أنفسهم فيقول : ساحراً من قولهم لعلمه بكذبهم لا بل كل ما في الأمر أن وقوفهم

على النار أظهر الحقائق التي كانوا يخفونها من قبل . أي أن من هول منظر الجحيم جعلهم يقرن بما كانوا يكفرون به من قبل ، ثم يستطرد في كشف حقيقتهم فيقول ، ولو ردهم الله إلى الحياة الدنيا مرة أخرى لعادوا لما كانوا عليه مما نهاهم الله عنه من كفر بآيات الله وعدم الإيمان بالآخرة والجنة والنار وذلك لأنهم كاذبون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩)

ويعرض الحق ما سيقولون لو عادوا إلى الدنيا مرة أخرى ، سيقولون إن هي إلا الحياة الدنيا التي نحيها الآن وحين نموت فلا شيء سوى الفناء وما نحن بمبعوثين وحين يخبرنا الحق بهذا فهو الحق ولا تقف هذه الآية على السابقين وكلنها تنطبق على العلمانيين الذين يعترضون على الدين في هذه الأيام والملحدين وليس لديهم إلا الدنيا ويعترفون بالبعث والحساب والجنة والنار .

وحين يذكر الحق هذه الحقيقة فيجب لمن يقرأها من هؤلاء أن يتعظ وتكون له آية عن حقيقة أن الله يعلم ما يبدو وما يكتمون فيؤمنوا بآيات الله ويعدوا إلى الله مؤمنين تائبين نادمين ولكن ههيات لقد قال الحق عنهم أنهم لن يؤمنوا وقوله حق .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٠)

آية في كلمات قليلة لكنها رائعة البلاغة ترسم لنا صورة في مشهد رائع وهو :

الملائكة تسوق الكافرين ليعرضوا على الله فيجتمعوا للحساب أمام الديان ، ولذلك يبدأ الحق الآية بقوله (ولو ترى) وكأنه يصدر للرسول شريط تصوير يبين المشهد المهيبة المرعب لمنظر الكفار والملائكة تسوقهم إلى الحساب بين يدي الله وكيف هو حالهم من هلع وفزع وجزع وألم من هول الوقوف بين يدي الله عز

وجل للحساب ويسألهم في حوار صريح يقول الله لهم ألسنت الله ربكم الحق أليست القيامة والبعث والحساب حق أليست النار حق كل شيء أخبرتم به في الدنيا وكذبتموه أليس أمامكم الآن حق وعين اليقين .

ماذا يردوا ؟ يقولوا : (بلى وربنا) يقسمون برهم ، الآن تقسمون بالله وتقولون نعم وأين هذا القسم في السابق لماذا لم تقسموا في الدنيا حتى تنجوا الآن لا فائدة من الاعتراف الآن فقد كفرتم من قبل فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .

يذكر الحق هذه المشاهد لعل الناس تعقل وتعي ما سوف تلقى فتتقي يوماً آتي لا محالة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾﴾

إقرار من الحق بخسارة الذين كذبوا بلقاء الله للحساب والوقوف في عمرة يوم الحساب ذلك لأنهم ستأتيهم الساعة بغتة وممكن تكون هذه الساعة هي نهاية عمرهم هم في الدنيا فقد قال الرسول 0 من مات قامت قيامته وقد تكون الساعة العامة التي يفنى فيها كل الخلق وتدمر الأرض والسموات وستأتي فجأة دون أن نشعر يصفهم الحق حين تأتيهم الساعة ويروا دمار الأرض فيقولون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وذلك من شدة الندم على ضياع الدنيا وهم كفار .

ويصفهم أنهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم مهما كانت تلك الذنوب فمن قتل عدد من الناس يأتي يوم الحساب حاملاً قتلاه ومن سرق أرضاً من أحد يأتي يوم القيامة حاملاً الأرض التي سرقها وسوف يعطيه الله القدرة على حمل أي شيء حتى يفضحه بها يوم القيامة ويعلق الحق على هذه الذنوب بأنها شديدة السوء ذنوب بشعة فيقول (ألا ساء ما يذرون) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنفَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٣)

(وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين آمنوا أفلا تعقلون)

هنا كلام الله لا أجد له ما أقوله غير شعوري تجاه مشاعر الحق في هذه الآية يبدأها بالحكمة البالغة في توضيح أن الحياة الدنيا لعب ولهو ، أي أنها وهم فارغ ليس له قيمة من دلائل ذلك أن مقومات الحياة الدنيا بالنسبة للبشر ولكل المخلوقات قائمة على عدة عناصر أهمها (الهواء) ، (الماء) ، (الضوء) هل تجد لهم لون أو طعم أو رائحة كلها أشياء شفاقة ليس لها معنى إلا الوهم إذن هي وهم والدار الآخرة حين يقول الحق هي خير للذين يتقون الله في الدنيا بأن يؤمنوا بالله ويطيعوه في كل أوامره ونواهيه فقد ضمنوا خير الدار الآخرة أكيد .

ماذا فيها في الدار الآخرة يوجد الله والنظر لوجهه هي أمتع متعة يمكن أن يتمتع بها إنسان فإن متعة النظر لوجه الله ليس لها وصف أو مثال في الدنيا تقول أنها مثل كذا وكذا .

وهي نعمة يتفضل بها الله على عباده المحبين له والمقربين والسابقين إليه .

وهناك في الآخرة يعيش على قدرة ربك الذي ليس له حدود أما في الدنيا فعلى قدرك أنت وقدرتك وسعيك في الدار الآخرة .

توجد الجنان المختلفة الأسماء والألوان حيث ما لا يستطيع إنسان أن يصف جمالها ، فإنها كام قال الرسول ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أي أن خيال الإنسان لم يصل إلى مرحلة تصور تصل به إلى معنى جمال الجنة . وينتهي الحق الآية بتعجبه وسخريته من البشر فيقول (أفلا تعقلون) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَاتٍ اللَّهُ بِمَحَادُّونَ﴾ (٣٣)



قمة الرقة والرحمة واللفظ من الله على عبده ورسوله حيث يواسيه بكلمات كلها حنان ومواساة وتقدير ، فيقول له أنه يعلم أنه كلامهم معه وتكذيب ما جاء به يحزنه ويؤثر في نفسه بشدة الحزن والأسى ولكن الحق يثبت فيقول له إنهم يعلمون عنك من سابقة معرفتهم بك أنك الصادق الأمين ، فإنهم لا يكذبوك ولكنهم من ظلمهم لأنهم ظالمين فإنهم يكابرون في التكذيب فينكرون بألستهم ما أيقنته قلوبهم من آيات الله الحق .

وهذه الآية مواساة لكل من بشر بالإسلام بعد رسول الله وكذب من قبل الناس وأتاه الله علماً من عنده وعلمه للناس فأنكروه وكذبوه فهي مواساة لهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأَوْذُواْ حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأُمُوسَايِكَ ﴾ (٢٤)

ما زال الحق يواسي رسوله ويخفف من آلامه وحزنه على تكذيبهم له فيقول له : ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرًا من الله ، ويكمل مواساته لرسوله بقوله أنه لا تبديل لوعده الله لرسله بالنصر في آياته التي سبق وقرر الحق وكتب على نفسه أنه ناصر رسله ولا يخلف الله وعدًا كتبه على ذاته والدليل أن الله قد أخبرك من أخبار الذين سبقوا من الرسل وكيف نصرهم الله ، وكان الله يذكر نبيه بفضل الأنبياء السابقين .

وهذه الآية تؤكد أن النصر مع الصبر وأن الحق ينصر أنبيائه بعد أن يصبروا وعلى الرغم من الأذى الذي يتعرضوا له إلا أنهم صبروا وانتصروا .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٥)

هذه الآية يتجلى فيها المعنى الخالص للتوحيد ، حيث أن ما فيها من انفعال الحق على نبيه من خلال كلامه له بأنه لا يستطيع شيئاً حال عدم إيمان هؤلاء الكفار .

يؤكد معنى التوحيد ، فإن الهدى هدى الله ، ولن يؤمن أحد إلا بمشيئة الله عز وجل ، وليس الإيمان برغبتك أنت يا محمد ولكن هذه هي إرادة الله عز وجل ويذكر الحق رسوله بأن له حدود وقدرات مهما عظم رسول الله وأنه سيد الخلق فإنه في النهاية عبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد المتفرد بالقدرة والمتفرد بالوحدانية والمتفرد بالمشيئة .

فرغ الحق في الآيات السابقة من مواصلة رسوله على حزنه لعدم إيمان الناس بما يقول ثم بدأ يشدد عليه في القول ، وهذا هو أسلوب الرب الذي يربي عبده على الطاقة والقناعة والرضا والتسليم لله ، فيقول له معجزاً إياه إن كان شق عليك وعظم إعراضهم عن دعوتك فماذا تستطيع أن تفعل ، إن استطعت أن تحفر في الأرض نفقاً وتشق طريقاً داخل الأرض للسير فيه أو تبني سلماً في السماء فتصعد فيها فتأتيهم بآية من الأرض أو من السماء وكأنه يقول لرسوله لا داعي للمغالاة لما أنت عليه من انفعال فلن يفيد الانفعال والحرص شيء فليس في يدك شيء فالأمر كله بيد الله وحده ولو يشاء الله لجمعهم كلهم على الإيمان بالله والتوحيد والهدى ، ويحذر نبيه مما هو فيه من ضيق فيقول له لا تكون من الجاهلين أي لا تكون من الذين لا يعلمون أن الإيمان إنما هو بمشيئة الله وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وهذه دعوة موجهة لكل من عمل بالدعوة لدين الله ، أن بلغوا ولكن لا تفعلوا فمن شاء الله يمن ومن شاء الله لم يؤمن لأن الأمر بيد الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣١)

يعود الحق للمواساة والكلام المهدئ لرسوله بعد أن شد عليه في الآية السابقة فيقول له : إنما يستجيب لدعوتك إلى التوحيد والإيمان الذين يسمعون ، سماع فهم ووعي وتدبر لما تقول أي الذين لهم حياة وروح تعي وتفهم ما تقوله لأن الإيمان يأتي بالروح ثم يصدق عليه فعل الجسد ولذلك نجد الحق يشبه الكفار بالموتى ولذلك فهم سواء في الدنيا أو في حياة البرزخ فهم أموات يمشون على أقدامهم لأن الحياة الحق هي في الإيمان بالله ، ولذلك يعقب الحق بقوله والموتى يبعثهم والبعث هنا بمعنى إما أن يهدي الكفار فيؤمنوا أو أنه يبعث الكفار في يوم القيامة ويرجعون إليه ليحاسبهم بعد أن يكون كل شيء قد كشف لهم ولا داعي للإيمان بل أصبح الله حق وعين وصدق اليقين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِلَّ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾



يقول الحق على لسان الذين كفروا لولا أنزل الله عليه آية ومعجزة فيقول له قل لهم يا محمد أن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون وكلمة (لا يعلمون) تفسير أن الآيات كثيرة ولكن الإنسان بطبعه جاهل لا يعلم فكيف أن الشمس تطلع كل نهار من أين جاءت ومن الذي ركبها هكذا في الفضاء لتتير وتمنح الحياة والطاقة على الأرض .

ولكن بتكرار رؤية الشمس يوميًا منذ أن خلقها فهي بالنسبة لنا أمر بديهي موجود قبلنا ولذلك لا تراها أنها آية من آيات الله . بل هي معجزة لو فكرنا قليلاً لوجدناها معجزة رائعة لا يعلمها إلا الله هذا مثال على أن الله قادر على إرسال الآيات ولكن الناس لا يعلمون ولا يردن .

ومهما أنزل الله من آيات ففستجد الكافر ينكر ويستنكر هذه الآيات ، لأنه رافض بقلبه أن يؤمن لأنهم غالباً جهلاء لا يعلمون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨)

يبلغنا الحق إلى أن كل خلق الله التي فيها حركة من طيور ودواب تدب على الأرض من حيوان وحشرات وكائنات ما هي إلا أمم مثل البشر في النظام والرزق من الله والعمر المحدود ولكنهم يختلفون عن البشر في كونهم كائنات حية أما الإنسان فهو كائن حتى ولكن فيه روح الله التي بها يفكر ويبدع .

ويقول الحق (ما فرطنا في الكتاب من شيء) هذه الكلمات لها معاني كثيرة فكلمة الكتاب هنا لم يحدد أي كتاب فإن كان اللوح المحفوظ فهو يعني أن الحق عنده في علمه في اللوح المحفوظ عدد الكائنات وأنواعها وأرزاقها وأعمارها وأضرارها وصلاحتها ونشورها وحشرها هي والإنسان والطيور وكل شيء خاص بكل ما يقال له شيء .

فقد دون وقدر منذ بدأ خلق الله للأرض . في ليلة القدر دون ذلك كله في اللوح المحفوظ .

والمعنى الآخر لكلمة (الكتاب) أن يكون مقصود به (القرآن) أي أن في القرآن إجابة للإنسان إذا سئل الله عن أي شيء فلم يفرط الحق في شيء لم يذكره في القرآن فإذا سألت الله أي شيء كانت إجابته في القرآن وصدق رسول الله ﷺ حين قال (من أراد أن يكلم الله فليصلي ومن أردا أن يكلمه الله فليقرأ القرآن) .

ومن الملاحظ في هذه الآية أن الحق يعطي لحمة لمعنى يوم الحشر فسوف يكون الحشر ليس فقط للبشر ولكن لكل الأمم من الحيوانات والحشرات وكل دابة تدب على الأرض وكل الطيور من لدن آدم حتى قيام الساعة وكل جان وكل ملك من ملائكة الأرض وكل الوحوش وكل المخلوقات كيف يكون هذا المشهد إنه الرعب ذاته والفرع والهلع إلا من رحم ربي .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا صُومُواْ وَبُكِّمُواْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣١)

إذا وصلنا هذه الآية بآخر الآية السابقة لها من مشهد الحشر حيث كل خلق الله محشور لرب العالمين وكلمة حشر معناها شدة الزحام حتى أن البشر شبه ملاصقة في جميع خلق الله .

إحساس بشع حين يحشر الناس ملاصقين مع بعضهم ومع الحشرات والطيور والحيوانات والحشرات والأسماك والميكروبات والفيروسات .

موقف شديد الصعوبة ومع هذا الموقف يحشر الحق الذين كذبوا بآيات الله صم لا يسمعون شيء بكم لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة ويتخبطون في ظلمات كأنهم عمي لا يرون شيء مع هذا الموقف السابق شرحه من شدة الحشر ورعبه شدة الرعب والفرع مع عدم النطق أو السمع أو البصر ليس لهم نور لأنهم كذبوا بالنور فمنع النور عنهم فغلبت ظلمات أنفسهم على نور الحق فجعل الله لهم هذه الظلمات حسية بعد أن كانت معنوية .

ويرجع ذلك إلى مشيئة الله من أرد أن يضلله ويجعل الضلال حوله وفي قلبه ومن حوله ومن يشاء الله يجعله على صراط مستقيم من الهدى والنور والإيمان أو يهدي له مرور على الصراط .

ولما تختلف مشيئة الله من شخص لآخر ؟

وهو باسمه العدل والرحمة ..

تأتي مشيئة الله كرد فعل لسلوك الإنسان نفسه فإن كان هذا الإنسان فيه من الخصال والصفات والسلوكيات التي يحمدها الله ويحبسها يهديه إلى صراط مستقيم في الدنيا والآخرة .

وإن كان سلوك هذا الإنسان قبيح وصفاته سيئة وخصاله دنيئة ولا يتوانى عن

أذية الخلق زد عن منكر إلا فعله يبيت الليل يخطط لأذية الناس هذا الإنسان لا يجد عند الله إلا الضلال والظلمات التي خلقت منها نفسه فيكون الدنيا في ظلمات الجهل والفسق والشرك وفي الآخرة في ظلمات الجحيم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

يتعجب الحق من سلوك الناس ويسألهم بأسلوب تعجب مع سخرية من سلوكهم فيقول (قل أرأيتمكم) بمعنى قل لهم يا أيها الناس أخبروني عن عجب أمركم حين ترون عذاب الله مثل الزلازل والبراكين والفيضان والأعاصير والأوبئة وخلافه من عذاب الله في الدنيا أو أراكم أهوال الساعة من دمار شامل للكون وانهار للسموات والأرض وأنتم تنظرون إلى ذلك .

هل هناك من تدعوه غير الله إن كنتم صادقين .

في هذه اللحظات لا يدعو الإنسان إلا الله في هذه اللحظات حتى الكافر الملحد يرجع فيقول يا الله .

لأن هذه اللحظات يكون الإنسان أصدق مع روحه لأن شيطانه يفر من الهول ونفسه تذهب من الرعب ولا يبغي إلا الروح الصادقة التي ستذهب بعد قليل ولذلك لا يمكن أن يكذب إنسان وهو في حالة رعب لأن الكذب يحتاج لتفكير وتدبير أما الصدق فهو تلقائي لا يحتاج لتفكير .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ بَلْ إِلَٰهُهُمْ دَعْوَانُ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

يقر هذا القول في هذه الآية فيقول بل الله تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وفي تلك اللحظات تنسون الذين أشركتم به .

هنا يتضح أن النفس خلقت على صدق التصديق بالله وحده لا شريك له وإن عادت لصورتها الأولى التي خلقت عليها لكانت في حالة إيمان وثبات مع الله وهذه الحالة من ضمن معنى قول الحق سبحانه (إنا لله وإنا إليه راجعون) يستشهد الحق بهذه المواقف ليعرفك يا عبد أنه يحبك ولا تتعد عمن يحبك فتهلك إرجع إلى الله تجده رءوف رحيم عطوف حنين .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ (٤٢)

هنا يضرب لنا الحق بعض الأمثال في الأمم السابقة ..

فيقول أن سلوكه معهم كان هكذا يعاملهم بالشدة والعذاب والآم والفقر والمرض وأنواع البلايا المختلفة حتى يعود إلى الله متذللين ويخشعون لربهم تائبين توبة دائمة .

وهذه هي القسوة التي كلها رحمة فحين يقسو الحق على عبادة حتى يعودوا إليه عن غيهم فيرحمهم بمعنى قسوة للتربية وليست للقهرة والعذاب .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

في هذه الآية أشعر بتحسر الحق على عباده الذي حاول أن يرد عنهم بالعذاب والتربية بالشدة لعلهم يعودوا إلى الله خاضعين متذللين حتى يرحمهم ويعفوا عنهم .

ولكن على العكس بدل من العودة إلى الله جاءت النتيجة بالعكس فبدل من أن ترق قلوبهم وتلجأ إلى الله ، إذا بها قد قست وأصبحت قلوبهم شديدة القسوة وزين لهم الشيطان هذه القسوة وهذه الأعمال التي أضاعتهم أصروا على الكفر والمعصية والتصميم على ما هم فيه من غي وضلال وأشعر أن الحق حزين على

غبايهم وعلى ضياعهم ، على الرغم من أنهم لا يابهون .

وكأنه في هذه الآية يقول :

يا ليتهم حين أقسو عليهم يعودوا لي فيستغفروني فأغفر لهم ولكن بدل من ذلك قست قلوبهم فلم تقبل التوبة بل استمعت للشيطان الذي أضلها وشجعها على الضياع .

أرى هذا حال كل الناس هذه الأيام فهذه المرأة تخرج للعمل وتقول ليس لي مصدر رزق وأنا أساعد زوجي وهذا الزوج يقول الحياة صعبة ويجب أن تعمل المرأة لتصرف معي على البيت ، وأرى الأخ والأب كلهم ففتصل للنساء وقد قلب الشرع رأساً على عقب أرى من يتولى الإدارة الآن هو أجهل الناس ومن يقود هو ومن يملك السلطة أو المال ، لم يعد يولي الأمر لأهله ، أجد الدول الكبيرة تفرض نفوذها على باقي الدول وتحاول تحديد أنواع السياسات الخاصة بمصالحها في العالم على حساب الضعفاء أرى الفتنة ملأت القلوب وملأت العيون وملأت البيوت وملأت الأرض أرى الإنسان يحاول بكل الطرق أن يحصل على ما يريد دون النظر عن الوسيلة ويطبق مبدأ (ميكافيلي) (الغاية تبرر الوسيلة) وهذا أسوء شيء ممكن أن يقتل الإيمان بالله والقيم والأخلاق وإذا الإيمان ضاع فلا أمان .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ٤٤ ﴿

هنا صورة مرسومة كأن الحق يصور لنا حال هؤلاء الذين قست قلوبهم وصمموا على الكفر وعلى إتباع الشيطان هنا يزيد الله في إضلالهم بأن يفتح لهم أبواب النعيم في الدنيا ، وكأنها كانت في أماكن مغلقة عليهم ففتحها لهم حتى يشعرون بالفرح كمن وجد كنز بعد فقر وفاقة حتى يلهيه أكثر وأكثر .

فيفتح لهم المال والصحة والجاه والسلطان والجمال والمتع الدنيوية ولذلك

إذا رأيت الدنيا مقبلة على العاصي لا تعتقد أنه خير بل هو استدراج من الله سبحانه حتى تكون النهاية مؤلمة .

قال ﷺ (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج) ثم تلا (رسول الله ﷺ) (فلما نسو ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ..) الآية (رواه أحمد)

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله لا أحد يسقط من فوق السجادة ولكن يجب أن يعلو أولاً ثم تكون هي السقطة .

بمعنى أن الله يرفع العبد العاصي حتى يزداد في غيه ثم يأخذه لا يفلقه ولكون عنصر المفاجأة كما فرح مفاجأة جاءه العذاب أيضاً مفاجأة حتى يكونوا في حاله يأس من النجاة من عذاب الله وآيسون من رحمة الله عز وجل وهنا يتضح لنا كيف يمكر الحق بالناس حين يضلوا ويكفروا فإنه يستدرجهم ليخرج كل ما فيهم من كفر وطغيان وظلم حتى لا يبقى في نفسه لهم رحمة أو عطف عليهم فيحق له أن يعذبه دون أن تعترض صفات جماله على صفات جلاله ويكون للجلال حق في النفاذ .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(فقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله العالمين)

هذه الآية هي عنوان لما نقول فمن ضمن ما يجب أن يُحمد الله عليه هو استئصال وإفناء القوم الظالمين لأن أحب شيء لقلب الإنسان هو (السلام والأمان) أهم شيء في حياة الإنسان هما السلام والأمان بعد ذلك يبدأ إعمار الأرض أو البحث عن متعة فإذا لم يتوافر السلام فلا أمان ولا متع ولا راحة ومنذ القدم والإنسان يبحث عن الأمان والسلام على الأرض ، ونجد أن تحية الإسلام هي (السلام عليكم) وهي أعظم منحة السلام متمنين أن يذهب الله القوم

المفسدين الظالمين الذين يملئون الأرض ظلم وجور بحيث تنتشر الحروب للحصول على العدل ثم بعد العدل السلام فهذا هو الترتيب .

لا سلام بلا عدل ولا عدالة إلا بقيم ولا قيم إلا بالإيمان بالله والحق .

إذن أهم شيء الإيمان بقيم السلام ولا يعم السلام إلا بالعدل ، ولا يعم العدل إلا بذهاب الظالمين ولذلك يجب حين يقطع الحق دابر الظالمين أن تقول (الحمد لله رب العالمين) لأن بعدها يعم العدل وبعد العدل يعم السلام وبعد السلام يأتي الأمان والإيمان ، والإيمان هو سعادة الدارين الدنيا والآخرة .

إذن قطع الظالمين رحمة للعالمين من رب العالمين .

وفي الدار الآخرة حين يدخل أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار للنار هنا فصل الله الحق عن الباطل فوجب قول أهل الجنة لهذه الكلمة (الحمد لله رب العالمين) وما خلق الله الناس وأرسل الرسل إلا ليقول الناس الحمد لله رب العالمين ومحمد ﷺ هو حامل لواء الحمد يوم القيامة وإذا قلت الحمد لله في المكروه حوله الله إلى ما تحبه وترضاه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرِفُ أَلَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَن يَصِدْقُونَ﴾ (٦١)

يصور لنا الحق حالنا إذا سلبنا بعض من نعمه وآياته التي أسبغها علينا من سمع وبصر وعقل كيف يكون حال الإنسان إن فقد هذه النعم يتخبط في ظلمات لا يسمع شيء لا يحس بشيء أي حياة هذه ، كأن الإنسان أخذ شكل وتصرف جسم هلامي لا معنى له ولا إحساس فيه وليس له فائدة بل على العكس هو ضار لكل ما في الكلمة من معنى فإنه سيتخبط في الأشياء ويتلفظ بالألفاظ بشعة ويؤذي الناس والكون كله قولاً وفعلاً وسلوكاً ، أي رحمة من الله يذكرنا بها في هذه الآية ، فهو جعل لنا السمع لنسمع الكلام الجميل والعلم والقرآن والأصوات الشجية كخبر

الماء وصوت الهواء حين يمر بين أوراق الأشجار ، وصوت العصافير والكروان والطيور حين تسبح الله بصوت عزب ونسمع صوت أحبائنا وأولادنا وفي الآخرة نسمع صوت الله حين يكلمنا في الجنة أي متعة في السمع رائع ، وكذلك البصر تبصر بديع صنع الله من بشر وبحار وسماء وأشجار وأزهار وكل ما في الكون من جمال واختلاف الليل بقمره ونجومه والنهار بالشمس المضيئة ، أي متعة لا حد لها ثم الروح والعقل إذا لم يكن لنا عقل نميز به الطيب من القبيح الحلو من المر الصح من الخطأ ما فائدة الإنسان .

الحيوان أفيد منه ، وأن لم يكن له مشاعر وأحاسيس وانفعالات وإبداعات من كلام حسن وابتكارات مفيدة ورائعة له وللناس ، وسلوك عاقل مصلح للناس وللكون ، إن لم يكن هذا كله فماذا يكون الإنسان سوى أنه همجي بري عنيف غبي غليظ الطباع شرس السلوك مفسد في الأرض ضال ومضل .

هذه بعض قليل جداً من نعم الله على الإنسان يقول لنا أخبروني لو أني أخذت منكم بعض نعمي عليكم وهم ثلاثة فقط السمع والبصر والعقل فماذا تفعلون وهل هناك إله غيري يستطيع أن يأتيكم بهذه النعم .

ثم يتعجب الحق من أنه يرسل لهم الآيات ويوضحها لهم ومع ذلك فإنهم عن تلك الآيات معرضون لا يهتمون بها ولا يقفوا عندها .

ويتعجب الحق من سلوكهم الغبي مع وضوح آياته فيهم هم قبل الكون ومن عجيب رحمة الله أنه يتنزل لمستوى تفكير البشر ليناقشهم بمبدأ العطاء والمنع حتى يقنعهم بانه هو الله وحده وهو الإله الواحد الأحد المعطي المانع لعلهم يفهمون لكن هيهات إنهم لا يقفوا حتى ليفهموا معنى ما يقوله لهم .

هل هناك من هو أرحم منك يا الله على هؤلاء الخلق رغم إعراضهم تظل تذكر وتنصح وتبين آياتك والآثك وهم في فضله معرضون .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتُمْ أَوْ جَهَنَّمَ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٧)

ما زال يذكرهم بآياته في الكون من أنواع العذاب كأنه يوقظ نيام ولكن هيهات فيقول ما رأيكم أخبروني ماذا تفعلون لو أن الله أنزل عليكم عذابه بعتة مثل الزلزال حتى الآن لم يستطع العلم تحديد وقت حدوث الزلازل وهذا من أنواع العذاب المباغت الفجأة وقد يكون ليلاً أو نهاراً أو يأتي عذاب جهرة أي مثل البركان أو الأوبئة أو الحروب أو الأعاصير والفيضانات أو نزول أي شر بعلم مسبق به من البشر .

يقول الحق سائلاً ومجيباً على نفسه بقوله (هل يهلك إلا القوم الظالمون) قد يكون معناها أن كل من يهلك في هذا العذاب هم الظالمون وقد يكون الهلاك هنا معناها دخول جهنم بعد الموت للظالمين فقط لأن هذه الكوارث التي تحدث من الحق قد يهلك فيها البر والفاجر لأن كثيراً من الناس يكونوا في مكان واحد ممكن أن يكونوا كلهم ظالمون ، وقد يكون بعضهم صالحون ، فالصالحون يدخلون الجنة وقد لا يهلكون أما الظالم فهو هالك في الدنيا وهالك في الآخرة .

والظلم آتية من الظلام وأعظم ظلم هو نكران وجود الله وظلم الناس أنفسهم وظلم الناس للناس ، أي نوع من الظلم يصف فاعله بالظالم فتطبق عليه الآية .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨)

يحدد الحق دور الرسل في هذه الآية الوظيفة التي حددها الحق لكل رسله فهم بين شيتين مبشرين برحمة الله للمؤمنين ومنذرين من عذاب الله للكافرين به فما على الرسول إلا البلاغ ، فهو يبلغ ما أمر الله به من بشارة أو إنذار لا غير ولكن إذا أمر من الحق بأن يقاتل في سبيل توصيل رسالة فلا مانع فهو يفعل ما يأمر به الله ، ونجد الحق يبين أن من وصلته الرسالة فأمن وأصلح نفسه وأهله وعمله ودينه

ودنياه ، فلا يخاف عليه من عذاب أو هم أو أي شيء محزن أو مؤلم لأن الحق آمنه بقوله ولا هم يحزنون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

أما من كفر وكذب الرسل والرسالات السماوية ، فأولئك يقول الحق بمنتهى الرحمة ، يمسهم العذاب بسبب خروجهم وفسقهم وكفرهم . حتى حين يخوف عباده فإن كلامه فيه رحمة فيقول (يمسهم) .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قل لهم يا محمد : أنني لا أقول لكم أن عندي خزائن الله من أموال ورزق أو رحمة أو علوم الله التي اختص به نفسه دون الناي ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك ، بمعنى إنما أنت بشر رسول تحمل رسالة فيها كلام الله لست تملك مال أو سلطة أو تعلم ما لم يعلمك الله به ولست ملكاً ، كل هذا حتى لا يطالب الكفار بأن يفعل لهم المعجزات من أن يكون له جنات وأنهار أو يأتي بكتاب أو يأتي بملك أو أي شيء من عند الله فما له سوى أن يبلغهم ما يوحي الله له من القرآن وأن يتبع أوامر الحق في القرآن ونواهيه بل قل لهم يا محمد هل يستوي الأعمى والبصير .

وكانه يوبخهم بأنهم كأنهم عميان لا يرون آيات الله . ثم يقرعهم فيقول أفلا تتفكرون وكأنه يصفهم بالغباء وعدم التفكير والتأمل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَنْفُقُونَ ﴿٥١﴾﴾

هذه الآية تبين أن كل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التواب منهم .

ولذلك يقول الحق لنبيه ، يا محمد أنذر بآياتي من يخاف يوم الحشر ، وجاء بالحشر هنا لشدة قسوة هذا الموقف من مراحل يوم القيامة حيث يكون كل الخلائق في حالة بعث وتلاصق وتلاحم وتحاشر مع بعضهم حيوانات مع طيور مع حشرات مع جان مع إنسان مع ملائكة كل المخلوقات في حالة حشر في صعيد واحد في وقت واحد فيا هول ذلك اليوم .

فمن كان عنده خوف من هذا الموقف سوف ينذر بآيات الله التي يقرأها عليهم رسوله ومن هول هذا الموقف أيضًا أن يقف الإنسان بكل ذنوبه بين يدي الله يحاسبه وجها لوجه دون محامي يدافع عنه أو ولي يتولى أمره أو شفيع يشفع عند ربه فينقذه من هول موقف الحساب أمام الديان .

ثم يقول الحق لعلهم يتقون ، وكلمة لعلهم هذه تفيد أنه ممكن أن لا يستجيبوا كلهم ، ومعناها أمل من الحق مع التشكك في صدق هؤلاء الناس ، ومعناها يحوي تحسر من الحق على غياب الناس وغفلتهم .

نجد الحق في هذه الآيات حريص على خلقه يقول ويفعل ما يجعلهم ينتبهوا إلى الحق ولكن أكثر الناس في غفلة معرضون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

هذه الآية في مضمونها تؤكد معنى واحد (إن أكرمكم عن الله أتقاكم) .

وليس أغناكم فحين نحكم على الناس يجب أن لا نحكم من مظاهرهم أو أقوالهم أو سلطانهم إنما الحكم على البشر من خلال أخلاقهم ودينهم وسلوكهم أما فيما خلا ذلك فهو زيادة في الفضل ليس إلا .

في هذه الآية يأمر الحق نبيه أن لا يطرد من مجلسه الذين يدعون ربهم دائماً فهم في حالة ذكر لله دائم ليل ونهار ، ولا يردون إلا وجه الله حباً له وعبودية صادقة لله ،

فليس عليك يا محمد محاسبتهم في أي شيء ، ولا هم عليهم محاسبتك في شيء ولكن الذي يحاسب العباد هو الله فقط فلا تطردهم فتكون من الظالمين .

هذه الآية تأكيد من الله في أن الإنسان له حرية الإرادة في أن يفعل أو لا يفعل لأن لو كان الإنسان مسير ومجبر على فعل الأشياء لما كانت آيات القرآن تمتلئ بأوامر النهي والأمر والحث والترغيب والترهيب فما فائدة الكلام إذا كان الإنسان مقهر على أن يفعل ، إذن حتى رسول الله ﷺ لم يكن فوق القانون الإلهي فكل البشر تحت أمر العدالة الإلهية لا أحد مميز عند الله إلا المتقين الذين لا يظلمون أحد فمن لا يظلم لا يدخل تحت قاعدة العقاب أما من يظلم حتى وإن كان نبي أو مرسل من الله فإن الحق يتجلى بقانونه الثابت عليه بصفة العدل فيقيم العدل والحق عليه مثله مثل أي إنسان على وجه الأرض .

هذه هي صفات الرحمن ربكم ورب كل شيء فهو رحمة مطلقة وهو أيضًا عدل مطلق لا جال في ذلك الحق حق .

فكلنا أمام الله متساوين كأسنان المشط حين يكون الموقف معه فيه حكم بين الناس وهذه هي صفات الإله الحق ، لا نقص ولا ضعف ولا ميل ولا هوى إلا إنه ثابت في كل صفاته مع كل خلقه لأنه لا يتغير لماذا ؟

لأنه هو الكمال بذاته !!!

فهل يتغير الكمال وإلى ماذا يتغير إذا كان هو الكمال .

أشعر في هذه الآية على الرغم من أن رسول الله ﷺ هو حبيب الله إلا أنه يشد عليه في هذه الكلمات خوفًا عليه من أن يظلم أحد من الناس وهذا حرص من الحق جل جلاله على حبيبه فلا يتركه لنفسه دون توجيه ، ولذلك فكل ما كان رسول الله يأتي به أو يقوله أو يفعله أو يقره فهو وحي من الله لنبيه ليضع قواعد السنة المحمدية التي هي الأساس الذي يبين معاني الإسلام من أوله لآخره .

وأشعر في هذه الآية شد حب الله لمن يذكر الله دائمًا ويريد وجهه الله لأن

الإخلاص لله سر لا يعلمه إلا الله فهو بعلمه المسبق بإخلاص هؤلاء الصحابة الذين يزدريهم ويحتقرهم الكفار لفقرهم أو لنقص في دنيا أو جاه في نظرهم . فهم عند الله أحباب له وحذر نبيه وحبيبه من أن يطردهم فيكون من الظالمين هكذا الحق دائماً يحب من يحبه ولا يظلم ربك أحد .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

هذه الآية تابعة لما سبقتها في توضيح لماذا هؤلاء الكفار يحتقرون الفقراء لأنها فتنة من الله لكلا الطرفين للأغنياء والفقراء . وكأنه يستدرجهم ليبين لهم أنفسهم أمام أنفسهم حتى إذا حاسبهم في آخرة شهدوا هم على أنفسهم .

فمثلاً جعل بعض الناس أغنياء لينظر كيف سيكون تصرفهم في المال هل سيعملون فيه بما يرضى الله ويحلوا الحلال ويحرموا الحرام ويؤتون الزكاة والصدقات ويعطوا الفقراء حقهم أم لا وهل سيشكرون الله على نعمه ويقولن هذا من فضل الله أم سيجحدوها ويقولوا مثل قارون إنما أوتيته على علم عندي وهل سيتكبر هذا الغني على خلق الله بما له أم سيتواضع لله طالباً عفوه ورحمته .

إذن المال ليس نعمة على صاحبه أكثر من الفقر فإن الفقير لا يتعرض لكل تلك المحن فقط هو مطلوب منه أن يحمد الله ويصبر فقط على فقره .

أما الغني فالمال في الدنيا فتنة وعبأ على صاحبه في الآخرة حساب والعجيب أن حلاله في الآخرة حساب وحرماه في الآخرة عقاب .

إذن الابتلاء الشد هو في الغنى وهنا لا أقلل من شدة الفقر فإنه سبب مصائب كثيرة فإن كانت فتنة المال ليست موجودة فهناك فتن أسوأ وأشد فقد يكون الفقير حاسد وحاقد وهذا أسوأ من أي شيء والفقر هو السبب الأساسي في كثير من

الجرائم كالقتل والسرقة وغيرها وهو الأساس في الثلاثي البشع الفقر أساس الجهل والمرض والعياذ بالله من الثلاثة .

إن الفقير إن لم يصبر على فقره قد يصل به الفقر إلى الكفر والعياذ بالله ، ولذلك حين بعث الله محمداً جعله فقيراً ليكون للفقراء فيه أسوة حسنة حتى يعلمهم كيف يكون الصبر على الفقر . ولذلك جعل الله الناس متفاوتين في الرزق ليلوهم بعضهم ببعض فمنهم من يقول لقد من الله على الأنبياء وحرمانا من الرزق في الدنيا وهذا ظلم ويحدث العكس يوم الحساب فسوف يقول الأغنياء لقد من الله على الفقراء بالفقر فإنهم لم يحاسبوا وادخلوا الجنة ، أما الأنبياء فالمال حلاله حساب وحرمانه عقاب فيحسدوا الفقراء على الرحمة التي هم فيها .

ويتم الحق الآية بقول أنه هو أعلم بالشاكرين من الصنفين الغني والفقير .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٦﴾﴾

هذه الآية من أعظم الآيات التي تثبت فيها رب العزة أنه يحب خلقه وأنه أحن عليهم منهم على أنفسهم فهو يقول (إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) .

هذا الجزء من الآية فيه تخصيص لمن آمن بآيات الله أنهم في أمان وسلام في الدارين ثم يكمل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) لمن يوجب عليه أحد أن يكتب على نفسه بل هو أوجب على نفسه بنفسه الرحمة تفضلاً منه وأحساناً (وهذا برهان على حبه لخلقه) وهذا معنى الحديث القدسي (لو خلقتهم لرحمتهم) إذن هو رحمة حتى على العاصي من عباده .

ومن رحمته أنه من عمل منكم سوءاً أو ذنباً عن جهل يعني بسبب سفاهة وطيش ثم تاب من بعد هذا الذنب وأصلح الذنب ثم تاب من بعد هذا الذنب وأصلح

الذنب أو أصلح نفسه بالمداومة على التوبة والحرص على صالح الأعمال (فماذا؟) فإن الله غفور رحيم برحمته يغفر الذنوب كم أنت رحيم يا ربي .

في هذه الآية يتضح لنا كم الحب الذي يحبه الله لخلقه وهو يريد أن يعرفهم أنه يحبهم وهو لا يريد منهم سوى تلك المشاعر والأحاسيس تجاهه فهو يريد أن يحبه لخلقه ولكن بإرادتهم الحرة وليس بفعل منه يبين لهم آياته ونعمه وعظمته ليقنعوا بأنه حبيبهم فيحبوه من معرفتهم بخصاله وجماله وكماله وجلاله هذا هو المطلوب من معنى الإسلام .

فإن الإنسان إذا أحب إنسان آخر وأحبه هذا الآخر فإن كل منهم يسلم للآخر ما لديه من غالي ونفيس ويسلم له روحه يأمنه على حياته وعلى ماله وعلى كل شيء يخصه وهذا الإنسان قد يغدر به لأن الإنسان ابن أغيار في تغير مستمر لا تضمن ولائه فما بالك بالله الذي هو الثبات ذاته وأنه لا يتغير وإذا أحب أحد فإنه لا يكرهه أبداً وإنه يعمل ما تراه أنت قسوة فهو في علمه هو الرحمة عينها ، ألا نسلم له أنفسنا ونحن مطمئنين أن لن يضيعنا الله أبداً ونأخذ من (أم إسماعيل) السيدة (هاجر) المثل الأعلى حين قالت (ما دام الله أمر بهذا فلن يضيعنا الله أبداً) ثقة عمياء في رحمة الله ألا نجد في أنفسنا هذه الثقة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

يقول الحق سبحانه عما سبق وعما لحق من آياته أنه ينزلها ويفصلها ويوضح معانيها ويظهرها للناس بالتجربة العملية وهذا معنى (نفصل الآيات) .

فالتفصيل هو وضع الآية مع الحدث المناسب لها في كل زمان وفي كل مكان على الأرض وهذا المعنى يفيد أن الآيات لها في كل زمان تفاصيل تختلف عن الزمن السابق له وهذه هي قمة إعجاز القرآن أن المقال القرآني واحد ولكن في كل عصر يفصل على مقاس هذا العصر .

يكمل الحق الآية بقوله (ولتستبين سبيل المجرمين) (واو) العطف هنا معناها أن مع كل تفصيل للآيات في كل عصر من عصور الزمان يستجد معه نوع الإجرام والانحراف ، فمن خلال التفصيل المتغير للآيات تستطيع أن تعرف ما هو الطريق الخطأ الذي يسلكه المجرمين لأن الإجرام والجريمة في حالة من التجديد والابتكار الدائم لمواكبة كل عصر فمثلاً كانت زمان السرقة من خلال مصابات مختبئة في الجبال والجحور والكهوف ، أما الآن فإن السرقة قد تتم في أفخم مباني الشركات الفخمة حين أن اللصوص هم أصحاب الأعمال والمنتجين وأصحاب المصانع ، إذن هناك اختلاف في أسلوب السرقة وإن كانت جريمة السرقة هي هي إلا أن الاختلاف كان في الطريقة التي يسرق بها اللصوص ، ولذلك من إبداع اللفظ القرآني قول الحق أنك سوف تستبين يعني ترى بوضوح من خلال تفصيل الآيات على العصر الذي أتت فيه (سبيل) أي الطريقة التي يسلكها (المجرمين).

ونجد أن (المجرمين) معرفة بـ (أل) يعني المجرم سابق هو المجزم لأل . ولكن الاختلاف هو في طريقة تنفيذ الجريمة ومن العجيب الآن اللصوص الآن يلبسون جريمتهم ثياب شرعية بحيث أنهم ممكن أن يضعوا قوانين مدلسة لكي يجعلوا باطلهم حق ، أو أنهم يلبسون الباطل ثوب الحق ، فيظهر أنه حق ، ولذلك وصل الله الآيات ليهدي كل الناس إلى أن لا ينخدعوا بالباطل المرتدي لثوب الحق ولنضرب مثلاً لهذا الباطل المرتدي لثوب الحق في قضية البنوك التي هي ربا باطنًا وظاهريًا هي محافظة على الأموال فمن تبع تفاصيل الآيات وعلم معانيها لم يتلبث عليه أمر البنوك .

كذلك من فعل أمريكا مثلاً لها أغراض عديدة وفوائد كثيرة هي وإسرائيل من إشعال الحرب في العراق ، فألبست الحرب ثوب البسالة والنضال ضد الإرهاب وضد الطاغية (صدام حسين) الذي يقهر الشعب فذهبت بكل التضحية لإنقاذ الشعب العراقي الذي كان يعيش في رفاهية ورغد في ظل الطاغية فتحول الآن إلى حرب أهلية كله يقتل ويدمر في كله أين هذه الرحمة المزعومة من هذه الدول في فقر

الناس في أفريقيا الذين يموتون جوعاً وعرياً ومرضاً .

هذا نوع من إلباس الباطل ثوب الحق ولكن من يبحث في كتاب الله ويفصل آياته يستطيع ان يميز الخبيث من الطيب ويتضح له طريقه المجرمين فلا ينخدع .

ونجد الحق في هذه الآية حريص على أن يبين للناس أنه لن يتركهم يضيعوا أو يضلوا بل هو دائماً في تفصيل وتبين وتوضيح لآياته مهما طال الزمان .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

بناء على ما سبق في الآية (55) من تفصيل الحق للآيات على مدار الزمان واستبيان طريق الذين أجزموا كل حسب عصره وأسلوبه ، فقل يا محمد وأنت يا كل من أسلمت مع وبعد محمد ، قل إن الله نهاني أن أعبد الذين تدعون من دون الله .

وليس فقط الذين عبدوا آلهة من دون الله ولكن أيضاً (الذين تدعون) أي كل شيء ألبس ثوب الحق وهو باطل من أموال أو أعراض أو حروب أو سلطات كل شيء في الدنيا يجد الإنسان فيه نفسه من دون الله فهو باطل ، فلا يمكن لمسلم أن يتبع الهوى ، أهواء الذين ظلموا وخدعهم الحق المزيف .

فقل يا مسلم إن الله نهاني أن أعبد أي شيء غير الله ، بمعنى لا يدخل قلبي غير الله ، ولا أتبع أهواء الضالين كلمة ضلال معناها آتي من الضلال أي الأوهام أو الخيال أو منع النور عن الشيء فلا يبدو على حقيقته فنراه بدون وضوح ومن الضلال (الأهواء) التي تميل إلى منافع النفس دون النظر هل هذا حلال أم حرام من يتبع الهوى يضل أي يضيع أما أن يضيع دينه أو دنياه أو الاثنين معاً أو يضيع من نفسه فلا يعرف لها هوية .

ولا يجد لها هداية ، والهداية من النور .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۖ مَا عِندِيَ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾

قل يا محمد ، أو قل يا مسلم بحق .

إني أسير فيما أعمله في الدنيا على ضوء بينه لي ربي وهي القرآن ، السنة ، العلم الإلهي الذي يهبه للفقهاء والعلماء .

ولكن الناس كذبوا بهذه الأنوار وهذه الأحكام وهذا العلم .

ليس لدي أحد أي معجزات أو آيات أو عقوبات أو علم غيب إنه من عند الله لا يعلمه غير الله وهو حر حيث يعطي أحد من خلقه أو يحرم أحد فهو صاحب الأمر والحكم فهو المتحكم في كل شيء ، يتبع سبحانه الحق في أفعاله أو يحدثنا بالصدق ، أو يحكم بالقصاص والعدل ، أو يفصل الأحداث مع الناس بحيث تكون منضبطة مع الحق ، وهو خير الفاصلين بين الحق والباطل بحكمه العدل .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾

هذه الآية توضح أن الرسول مهما كان رءوف رحيم فإنه في النهاية بشر ، إنسان له قدره محدودة على التحمل وله انفعالاته البشرية التي تحكمه ولا يمكن أن يكون إله إنما هو بشر رسول .

هنا يقول الحق له قل لهم لكي تبرئ ساحتك منهم انك لو عندك قدرات الله من عقاب وثواب أو إنزال النعم أو إنزال النقم لما كنت انتظرت بل كنت قد أنهيت الموقف الذي بيني وبينكم ، وهذا يعطي إحياء بأن الرسول لو كان الأمر بيده لما انتظر طويلاً عليهم بل كان ممكن ينزل عليهم إما النعم التي يطلبوها ليؤمنوا أو

وهذا هو الأرجح ينزل عليهم العذاب لينهيهم على كفرهم .

وفي النهاية الله أعلم من هم الظالمين بمعنى أنه كرسول في أمان من عذاب الله لأن الله يعلم من الظالم ومن المظلوم وهذه الآية تدل على كمية الرحمة التي لا حدود لها عند الله بعباده حتى العصيين منهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كَنْزٍ مُبِينٍ﴾

تحاول الآية هذه أن تقرب لأذهان البشر كيفية دقة الله وكم علمه الذي لا حدود له وعظمة هذا العلم الذي لا حر له فالله وحده الذي يملك مفاتيح الغيب بمعنى أنه الذي يملك الغيب وقد يفتح لبعض خلقه وقد لا يفتح فهو حر في غيبه وما هو الغيب ، إنه كل ما لا يعلمه البشر ، بمعنى كل العلوم الغيبية عن البشر والتي لا يستطيع بشر أن يعلمها ، ويعطي مثال لهذا الغيب من واقع الدنيا فيقول ، إن الله هو الذي يعلم كل ما في البر والبحر من كل شيء ، مخلوقات وأنواعها وأعدادها وأماكنها ورزقها وحياتها وتكاثرها ومرتها والبتة التي يناسب كل منهم وجميع ما في البر والبحر من جمر أو زرع أو كنوز أو بترول أو براكين أو زلازل أو عدد حبات رمال البر والبحر بل عدد ذرات الكون كله .

وما تسقط ورقة أي ورقة من شجر أو غير . إلا عنده علم بها ولا حبة تسقط في طيات الأرض وطبقات الأرض ولا رطب أو جاف من ثمار أو حيوان أو حي أو ميت من جميع المخلوقات إلا في كتاب مكتوب وواضح يعلمه الله وحده هل يستطيع أحد من البشر أن يصل لهذا العلم .

لا والله

ولذلك يجب أن يحترم الإنسان نفسه ويعلم قدر ضعفه ويذكر أن لا إله إلا الله وحين يقول الحق في كتاب مبين هذا يوضح المعنى الذي سبق أن ذكرته في

موقف سجود الملائكة لآدم ، أن الملائكة مكلفة بالعمل في الأرض والسماء في عمل دائم بإخلاص في كتابة المعلومات عن خلق الأرض من نبات وحيوان وحجر وإنسان وكل شيء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠)

ما زال الحق يؤكد على قدراته وعلمه الذي لا يستطيع أحد أن يكون عنده شيء من هذا العلم ،

فيقول هو الذي يتوفاكم بالليل حين ينام الإنسان ، قال الحق أن النوم وفاة وموت ، ولكن هذا الموت مؤقت بعده بعث ، وكأنه كل ليلة يدرب البشر على الموت النهائي فيدخلهم من رحمته في هذه التجربة حتى إذا جاء الموت النهائي كان الإنسان قد جربه فلا يكون عليه شأن .

وهذا يدل على رحمة الله أيضاً بعباده وحنانه .

يعود فيقول إنه يعلم ما كسبتم بجوارحكم بمعنى بأعينكم وأيديكم وسمعكم ولمسكم وذوقكم وأرجلكم وأفكاركم ومشاعركم وحسايسكم ، كل شيء تفعلوه بالنهار ، وسماء (ما جرحتم) إشارة إلى الجروح والآلام والآثام التي توجع مثل الجرح ولذلك يا أيها الإنسان احذر الله يرى ما تفعل من آثام فإنه لن يدعك طويلا سوف تصل في النهاية إلى مرحلة الحساب والعقاب والموت النهائي الذي لا عودة إصلاح ما أفسدت في الدنيا

ولذلك يقول الحق أنه بعد أن يميّتكم بالليل يبعثكم في النهار ليكتب لكم كل فعل فعلتموه حتى يأتي الأجل المكتوب لكم وبعده لا بعث إلا في يوم القيامة حيث إليه ترجعون في هذا اليوم ثم يخبركم في يوم الحساب ويوم الفصل عما كنتم تعملون وكتب عليكم في كتبكم .

ويعرفكم أنه لم يكون يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (١١)

وهو القاهر الغالب المتحكم في عباده بقدرته الكاملة

وهو يرسل للناس حفظة من الملائكة بجميع أنواع الملائكة ، الذين يكتبون والذين يحفظون الإنسان ويحافظون عليه وعلى حاله وعياله وزرعه وحيواناته وكل ممتلكاته .

حتى إذا جاء واحد منهم الموت نلاحظ هنا قول الحق (توفته رسلنا)

أي أن ملائكته الحفظ يسلمون هذا الإنسان لملائكة آخرون مرسلون من عند الله مختصين بالوفاة وإخراج الروح ، وقد يكون معناه أن الحفظة من الملائكة يتحول عملهم إلى مرحلة أخرى حين يأتي الميعاد المحدد للوفاة فيقوموا بإخراج الروح التي حافظوا على جسدها وعليها طوال العمر لهذا الإنسان . وهم فيما يأمر الله به لا يتوانون ولا يقصرون ، بل فعلهم في منتهى الحرص على تنفيذ أوامر الحق بمنتهى الدقة .

مهما كان المعنى في الآية فالمهم أن الملائكة تعمل ليل نهار طوال وجود الأرض والسماء لا يملون ولا يقصرون ولكل منهم عمل ولكل منهم مكان ومقام معلوم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ آلِهِ مَوْلَهُمْ الْحَقُّ ۚ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (١٢)

(ثم ردوا إلى الله مولا هم الحق)

هذه الآية تكمله لما قبلها فبعد أن تتوفى الملائكة من أمر الله بوفاته ، يردوا هذه

الروح إلى الله مالكتها الحقيقي.

وهو متوليها الحقيقي وهي عبدته هو فقط .

وكلمة (ثم ردوا) معناها أنهم أُعيدوا لما كانوا منه أصلاً ، أرجعوا إلى المصدر الذي نشأوا منه وهو الله الذي خلقهم وأنزلهم الأرض يعيدهم إلى ملكوته الأعلى حيث أنشئ فيه أبيهم آدم وكلمة (مولاهم الحق) تعني أن كل من تدعو من دون الله باطل فهو الذي يتولى شئون عباده لا أحد غيره .

أليس له الحكم منذ الأزل وإلى الأبد

هو المتحكم في ملكه وعباده

وتعني كلمة الحكم هنا معاني كثيرة :

(1) حاكم في ملكه لا معقب لحكمه .

(2) له الحكم على كل مخلوقاته .

(3) متحكم في ملكوت السماوات والأرض .

(4) له الحكم فيما نعلم وما لا نعلم .

(5) له الحكم علينا نحن البشر

(6) هو الذي يحكم بين عباده بالحق ويعطي كل ذي حق حقه .

(7) هو الذي يحاسب عباده ويحكم عليهم بالجنة والنار .

(8) هو الذي يولي من يحكم في الأرض أو السماء لأن له الحكم .

(9) الحكم والأمر بيده هو وحده لا شريك له .

ويصف الحق نفسه بأنه أسرع الحاسبين

أي حساب ؟

حساب الدنيا ، نعم

حساب الآخرة ، نعم

حساب بين الناس ، نعم

حساب بين الخلائق ، نعم

حساب على المتع في الدنيا ، نعم

حساب على الإثم في الدنيا ، نعم

الحسابات كثيرة والحاسبون أكثر ، ولكن الله هو أسرعهم في الحساب

(وهنا معنى خفي في هذه الآية)

حيث يحسب الإنسان أنه مخلوق في الدنيا فيعمل كثير من الحسابات فيبني بيوتاً وقصوراً ويجمع أموال وأولاد ويحسب أنه معمر فيها وهنا يقول له الحق لا تحسب فأنا أسرع منك في الحساب فسوف أنهي حساباتك تلك فتجد نفسك بين يدي الله ليحاسبك ونفد أن الدنيا صغيرة قليلة ما أسرع أن تنتهي ويحاسبنا الله .

أشعر بأن الله على الرغم من معنى الحزن على عباده في هذه الآية أسفه عليهم إلا أنه يخيرهم بالحقيقة مع سخريته منهم ومن غبائهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجَنَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾

يعود فيسأل عباده وهو الذي يجيب عن السؤال فيقول قل لهم من الذي ينجيكم حين تضلوا في ظلمات البر والبحر وما أكثر الظلمات ، وهنا آية بمعناها الشمولي ظلمات حسية من ظلام وضياح في المناطق المظلمة من البر والبحر أو ظلمات بمعنى مشاكل تظلم عليكم حياتكم وأنفسكم لأنها ليس لها عندكم حل

فتضييق الأرض بما رحبت وتظلم النفس بالحزن والكآبة والهم .

فماذا تفعلون تدعون الله معلنين التذلل والخضوع ، ومسررين الدعاء بشدة له وداعين الله أنه إن نجاكم من هذه الظلمات ستكونون من الشاكرين لله الحامدين له .

هنا يعدد الله سلوك الناس مع الله في الأزمات ، وهنا أسلوب كله لوم وعتاب عليهم وعلى ما هم فيه من ضلال ونفاق ، بحيث لا يذكرون الله إلا في الشدة فقط حيث تظلم الدنيا عليهم ويضيق عليهم الحال ، في تلك اللحظة حين يعجزوا عن فعل أي شيء يصرخون ويدعون ويوعدون الله بالتوبة والشكر له والإنابة والطاعة لله ، ولكن هيهات هيهات .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٦٤)

يجيب الحق السؤال الذي سألته في الآية السابقة حين قال (من ينجيكم) فيقول قل لهم يا محمد ﷺ أو يا أي مسلم بعد محمد ، إن الله هو الذي ينجيكم من الظلمات في البر والبحر وينجيكم من كل كرب وهم ثم بعد ما يفعله لكم من فرج بعد ضيق تشركون بالله .

مثال : مريض جداً وميئوس من شفائه فيذهبوا به للطبيب فيصرف له العلاج فيشفى بإذن من الله ، فيقول الناس الطبيب شفاه وهذا بتوفيق الله ، لا يجب أن يكون هذا هو الكلام ، بل القول أن الله شفاه وحده (وإذا مرضت فهو يشفين) إذا دور الطبيب ماذا ؟ (يقبض المال) هذا دور الطبيب أو للمواساة وإعطاء سكن أو لضرب مشرط في حامل ليكون له باب للرزق فقط .

أي أن لا تشرك مع الله أحد من خلقه

فمثلاً : ترى الرجل فقير ثم استغنى وأصبح غنياً تقول ، هذا من سعيه وجريه وكده لا ليس هذا إلا رزق من الله أتاه الله إياه ولو كان الرزق بشدة التعب لكان

الذي يعمل في (الفاعل) أي من يحمل مون البناء على عاتقه أغنى الناس ، ولكن الرزق والعمر بيد الله وحده لا شريك له

وهكذا في كل نواحي الحياة يفعل الله ويحمد غيره .

أشعر بالأسى في معاني كلمات هذه الآية والأسف من الله على عباده الذين يشكرون به ما ليس له حق من خلقه وهو وحده الذي يفعل كل شيء وإن بدا في الظاهر أن معه أحد يعمل فهذا بإذن الله للعباد من ملائكة يعملون في الأرض وفي جسم الإنسان بإذن الله وحده أيضاً إذن التوحيد واضح ولكن كل ألبس عليه ولم يفهم ، فافهم يا إنسان حقيقة الواحد الأحد الديان الذي سيسألك عن مهمتك وعملك ، ولا تجعله يأسف من فعلك ومن سلوكك المشيين حين تشرك بالله وإن كان شرك خفي غير واضح مثل ما ذكرت من أمثلة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شِعْرًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥)

هنا أشم رائحة الغضب حيث أن التهديد واضح من الله حين ذكر أنه يفعل كل شيء ثم يأتي الإنسان فيشرك بالله أحد من خلقه هذا هراء

الله وحده هو الذي يفعل والله وحده هو الذي يشكر والله وحده هو الذي يعبد .

فيقول الحق : قل لهم أنه هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم ، كأن يهدم البيوت عليكم أو ينزل عليكم السيل أو الجراد والرعد والبرق ويحرق بالبر ما يشاء أو الرياح والأعاصير أو أي كارثة يمكن أن تأتي من فوقنا .

أو عذاب من تحت أرجلنا مثل الزلازل أو البراكين أو الفيضانات وغيرها ، أو يقسمكم إلى شعب مختلفة ثم يخلط بعضكم ببعض في ملاحم القتال للتنازع على الدنيا ، مما نسميه الآن الحرب الأهلية تجد أبناء الدين الواحد أو أبناء الوطن الواحد تقع بينهم عداوة وشحناء بسبب اختلاف على دنيا أو اختلاف في دين واحد

كل واحد له شعبه ونحله معينة في نفس الدين ، يقوم من أجل ذلك الحروب المطاحن التي لا تبقي أخضر ولا يابس إلا أنت عليه .

وذا مانده الآن في كثير من الدول الإسلامية بكل أسف ، اختلافات ومشاحنات ولقد قال رسول الله ﷺ : «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سألته ألا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني ، وسألته أن لا يهلكهم بالسنين (أي بالقحط) فأعطاني ، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني » (رواه ابن مردويه)

وهذا ملاحظ أنه تم منذ بدأ الإسلام فلم يأتي فلم يأتي على دول الإسلام أي استعمار وغير في دينهم أو استمر مستعمرأ لهم بل كل من جاء معتدياً خرج بعد أن عانى الأمرين مع المسلمين وهذا أول طلب لرسول الله من ربه .

والأمر الثاني أن لا يسلط عليهم القحط يعني المجاعات ، وهذا أيضاً ملاحظ منذ بدأ الإسلام ولم تعاني أمة محمد من هذه المجاعات التي تبيد شعوب كثيرة .

وهذا هو المطلب الثاني لرسول الله من ربه

ولكن الذي يحدث هو المطلب الثالث الذي رفض الله إجابته ، فإن المسلمين في حالة فرقة وتمزق شيعاً ومن بعد تحطيم الخلافة الإسلامية وتحول الدول الإسلامية إلى إمارات ودويلات ودول متفرقة كل مستأثر بذاته وليس هذا فقط بل نجد أن البلد الواحد يكثر فيه التشيع في الملل مما يدمر الوحدة الوطنية والدينية ، وأبسط مظاهر التفرق أن الأعياد وبداية الشهور العربية ليس للأن توحيد فيها ، نجد بلد مسلم صائم وآخر في عيد ، وهذا ما تنص عليه الآية من أن التشيع والتفرق يجعل المسلم ضد أخيه المسلم في أحوال كثيرة .

وقد يتعدى المسلمون على بعضهم مثل ما حدث من حرب إيران والعراق وحرب العراق والكويت .

ثم نعود للآية : نجد الحق يتعجب من الغفلة التي فيها الناس مع انه يبين

الآيات والمعجزات التي تصدق على كلام الآيات ، وكثير من الحجج التي ساقها الله بأنواع كثيرة وبأساليب مختلفة حرصاً منه على هداية الناس ، لعلهم يفهمون أن الحق من ربهم .

أشعر في الجزء الأخير من الآية بنبرة أسمى وحزن من الله على عباده الغافلين .
ويقول (انظر) هذه الكلمة كأنها تقطر أسمى وحزن على الناس وعلى شدة محاولات الله لتفهمهم وهم في حرص شديد على الغفلة .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٦٦)

وأيضاً ليس الناس فقط من كذب بآيات الله بل قومك أيضاً . كذبوا به مع أنه هو الحق من اله قل لهم لست عليكم بوكيل كأن الرسول يقول لهم لست أنا بحفيظ وكل إلى أمركم فأجازيكم وكأن الحق يتحسر على عباده جميعاً لأنهم في غفلة معرضون .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧)

لكل خبر مهم زمان يقع فيه مضمونة وما دل عليه بمعنى أن ما أخبرتكم عنه سوف يأتي أو ان إظهاره وحين يظهر ساعتها فقط سوف تعلمون أنكم على باطل وان الله حق والقرآن حق والساعة حق ومحمد حق وكل ما أمركم به رسول الله ﷺ حق وصدق .

في هذه الآية أشعر بلهجة بأسمى يشعرها الله تجاه عباده الضالين ، وكأنه يلقي هذا الكلام كأنه يطوي صفحة من الزمان ولي ولن يعود أي أمل كافح من أجله ولن يتحقق لأن تقوى البشر مظلمة غير قابلة للتغير إلا بالقوة الجبرية حين تأتي الساعة ، ويروها بأعينهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨)

وكان الله يقول لرسوله اجمع أوراقك ودع هؤلاء الناس ، وإذا جلست معهم فلا تحدثهم عن آيات الله

وإذا رأيت الذين يتحدثون بالاستهزاء والطعن في القرآن فلا تجلس معهم وابتعد عنهم حتى يغيروا الحديث فيتكلمون في كلام آخر غير آيات الله .

وإذا أنساك الشيطان وجلست معهم فحين تعود إليك الذكرى وتذكر ما قلته لك من عدم مجالسة هؤلاء الناس فلا تقعد بعد أن تتذكر قولي مع هؤلاء القوم الظالمين .

هنا نجد الحق يغار على آياته ويغار على رسوله من القوم الظالمين ، فإن مجلس الرسول له قيمته عند الله مما يضمن به على هؤلاء الناس .

فيأمره أولاً أن لا يجلس معهم حين يسخروا من آيات الله حتى لا يضطر الرسول لمجادلتهم لأن النقاش معهم عقيم لا فائدة منه ، وحتى لا يحزن الرسول من قولهم .

ثم أباح له الجلوس معهم للحديث في أي شيء آخر خلال آيات الله ، ثم نراه بنهاه عن الجلوس معهم نهائي بعد ذلك ، حرصاً من الله على كرامة نبيه ، وحباً وكرامة له .

وهذا يدل على أن الله قد يأس من هؤلاء الناس ولا فائدة ترجي منهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفَوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِىَ لَعَلَّهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ (٦٩)

هنا يطمئن الحق الذين يتقون الله من أنه لن يعاقبهم بعقاب الذين يخوضون في

آيات الله وإن جالسوهم أو كانوا معهم في أمر من أمور الدنيا ،

نجد هذه الآية تيسر على كثير من المسلمين الآن حياتهم فنجد كثيراً من المسلمين الأجانب الذين لهم أقارب غير مسلمين ونجد مسلمين عرب في بلاد أجنبية يتعاملون مع غير المسلمين ، والملاحظ هذه الأيام كثرة الذم في الإسلام والخوض في آيات الله وأحكامه من الذين لا يؤمنون بالإسلام ، ولكن الضرورة تحتم التعامل مع هؤلاء الناس بسبب العلاقات المادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من التعاملات بين الناس وبعضهم على اختلافهم في الملل واختلافهم في اللغات .

ولذلك يقول الحق في كتابه

في آية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ .

إذن الكلام هنا للناس جميعاً لم يمنع الحق التعامل بين الناس بل حصن عليه في قوله (لتعارفوا) ، إذن من مفهوم الآية أن أيها المسلم تعامل مع غير المسلمين ولكن بأخلاق الإسلام وسعة صدر المسلم ولا خوض وتجادل من يسب الإسلام ، ولكن رد بالحسن وهذا في وقت السلم والتعامل المادي ، لأن ممكن من يخوض في آيات الله يكون أباً أو أماً لأحد المسلمين الأجانب ، فليس من الإسلام أن نقف لهم ونحارهم .

ولكن الله رحيم قال ليس عليكم من عقابهم من شيء فكل له حسابه عند الله ولكن التحذير من الله في عدم الجلوس معهم حتى يغيروا الحديث في آيات الله ، ذلك لكي يذكر الله عباده بأن يتقوا الله وأن يتذكروا الله .

أشعر في هذه الآية بالأمان الإلهي والطمأنينة والسكينة من الله بأن الله لا يظلم أحد وأنه لا يحاسب أحد عن ذنب الآخر فلا أجد غير أن أقول الحمد لله رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠)

يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله وبالتبعية لكل من أسلم بعد رسول الله ﷺ دع ، واترك ، وابتعد عن الذين اتخذوا (دينهم لعباً ولهواً)

هذه العبارة لها عدة معاني عديدة :

(1) منها أن الدين الذي اعتنقوه هو اللعب واللهو وهذا ما يعبدونه اللعب واللهو فقط .

(2) أنهم جعلوا دينهم وإيمانهم بالله كأنه لعب ولهو وهذا هو الأرجح والواضح الآن في حزيف الدنيا حيث أغلب الناس حين يتعاملوا مع الحياة اليومية يضعون الدنيا جانباً ويتعاملوا بما يريد من أموالهم ومناصبهم ومتعهم الدنيوية ولو كان هذا على حساب القيم الدينية والحدود الشرعية ، وهذا مثال لذلك :

الرجل يطلق مراته عدة مرات تتعدى الشرع وهو ثلاث طلاقات التي يعدها لا تحل له المرأة إلا إذا تزوجت زوجاً صحيحاً شرعياً ومات عنها زوجها أو طلقها . نجد الناس الآن ما دام لم يرسل لها ورقة طلاقها يراجعها منه لنفسه هكذا ضارباً عرض الحائط وهو وهي بحدود الله (وهذا لعب ولهو) .

مثال آخر :

القروض ذات الفائدة الثانية تأخذ من البنوك ويقوموا بالتجارة بها ضاربين عرض الحائط بشرع الله في الربا (وهذا لعب ولهو) .

المرأة والفتاة تخرج شبه عارية في الشوارع والنواصي والكليات ولا أحد يتكلم ويقولون حرية شخصية (وهذا لعب ولهو) .

أصبح الغش في الامتحانات شيء طبيعي مع أن الرسول قال ن غشنا فليس منا (وهذا لعب ولهو) .

وغيره من الأمثلة في المجتمعات التي تدعي أنها إسلامية

هؤلاء وغيرهم غرتهم الحياة الدنيا وخدعتهم وأطمعتهم بالباطل أضحكتهم لتضحك عليهم في النهاية

وهنا يجب أن نذكر الناس بالقرآن ونذكرهم بأنه سيأتي ميعاد لا ريب فيه ، إذا نفس تحبس في النار أو تلم للتهلكة والعذاب بسبب ما فعلت من ذنوب ليس لها من دون الله أحد يتولاها ويرحمها أو يشفع لها عند الله وإن تفتدي نفسها بكل فداء فلا ينفعها ولا يؤخذ منها هؤلاء الذين حبسوا في النار ، أسلموا للهلكة بما كسبوا من الذنوب ، لهم شراب من ماء بالغ نهاية الحرارة ولهم عذاب أليم بسبب كفرهم وعنادهم .

هذه الآية فيها كلمة (وذكر به) أي أن الله حين يقول هذه الآية ليذكر الذين كفروا وضلوا واتخذوا دينهم لعب ولهو وغرتهم الحياة الدنيا

بأن يوضح لهم ما هم مقبلين عليه من ضياع ، وذلك يدل على حرص الحق على أن يوقظ الغافلين التائبين إلى حقيقة ما هم مقبلين عليه من ضياع . وهذا حرص من الحق على عباده حتى الظالم منهم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُكُم بِالْهُدَىٰ وَالْهُدَىٰ وَامْرَأًا لِّنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

بعد أن أُنذر الله عباده المتقين في الآيات السابقة من أن يجالسوا الذين اتخذوا دينهم لعب ولهو

وبعد أن أُنذر هؤلاء الكفار ، يقول لنبية وبالتبعية لمن تبعه : قل هل من العقل أن تدعوا من دون الله ما لا ينفعنا أو يضرنا ونعود كفار بعد أن هدانا الله ، ويضرب لنا مثال الذي لعبت به الشياطين وجعلته يتبع هواه وجعلت إلهه هواه يقوده حيث شاء وحيث شئت الشياطين وهو حيران في الأرض ، تائه لا يرتاح وهنا الوصف دقيق حيث من اتبع هواه دائماً في بحث عن متع نفسه وكلما جرب متعه مل منها ويبحث عن غيرها لأن النفس لا تشبع ولا تقنع لأنها ملئت بالهوى ، والوصف بكلمة حيران ، كأنه يتلاعب بالإنسان كأنه ورقة في مهب الرياح تكاد تستقر حتى تتقاذفها الرياح وقد تدور في دوائر أو تطير في الهواء أو تزحف على الأرض وهذا هو حال الحيران ، ولكن الله رحيم لا يترك خلقه دون هداية حتى وإن تبعوا أهوائهم فيرسل لهذا الحيران أصحاب يدعونه إليهم ليأتيهم ويقولون له قل إن هدى الله وطريق الله هو الهداية وهو الإيمان الحق والأمان من الضياع لأن الهدى عكس الضياع ، ويقولوا له أمرنا أن نستسلم وننقاد لله رب العالمين .

هذه الصورة التي سبق ورسمها الحق عن شكل الذين يضلوا بأهوائهم في منتهى الدقة في الوصف والتشبيه .

أجد في هذه الآية في أولها تعجب الله من الذين يدعون غير الله وغبائهم ثم في آخر الآية أجد حرص من الله على عباده جميعاً وتنبية لهم بحرص شديد عليهم ، لا أجد إلا أن أقول الحمد لله رب العالمين .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢)

يكمل الحق باقي توجيهه لخلقهم فيقول أقيموا الصلاة بعد أن تستسلموا له تعلوا إلى الوصل في الصلاة مع الله وكأنه يقول لهم حين تسلموا لي تعالوا واتصلوا بي عن طريق الصلاة ،

فالصلاة علاج للنفس والروح والجسد ومدد رباني للروح حتى تستمد من الله

بالوقوف بين يديه طاقة للاستمرار في الحياة ، ثم بعد أن اتصلوا بالله وتستفيدوا من وقوفكم بين يديه اتقوا الله بمعنى لا داعي للأخطاء والذنوب لأنه يعلمها وعقابه شديد فاعملوا حساب اليوم الذي يحشركم فيه أنتم وجميع الخلق لتقفوا بين يديه للحساب .

فإن الإيمان ليس فقط هو قول باللسان وصلاة فقط بل هو تقوى وعمل في الأرض بالصلاح وعدم معصية الله لأن الله سوف يحاسبنا على كل شيء .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَاقَحَقُّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِمُ الْغُيُبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

عالم الملك هو عالم السماوات السبع والأرض هذا هو الملك ، أما الملكوت فهو خارج هذه المنطقة ، فيما بعد السماوات والأرض ، فيما لا يعلمه غير الله ، وإذا كان عالم الملك الذي فيه الأرض التي تحن عليها لا نعلم عنه إلا أقل القليل ، فماذا تستطيع أن تقول عن علم الملكوت ؟

هذه الآية يبين الحق بداية خلق الملك ونهاية هذا الملك .

فيبدأ بقوله أنه هو الذي خلق السماوات والأرض (بالحق) والحق معناه هنا الحكمة والعدل والنظام والميزان وبعد الخلق شرع للخلائق شرائعهم التي تضمن الحق في الأرض والسماوات أيضاً تتضمن الحق بين الخلق وتضمن الحق عند الله .

وكلمة (بالحق) تشمل أيضاً عدل الله في كونه فلا يظلم ربك أحداً .

ويجب أن نضع هذه القاعدة ونطبقها في كل ما نرى من حولنا من أحداث قد تبدو لنا في مظهرها ظلماً ولكنها في حقيقة الأمر هي العد والحق والقاعدة هي (لا يظلم ربك أحداً)

وقيس عليها كل شيء

إذن القاعدة في السماوات والأرض هي (الحق)

بدأ الحق بقوله

(1) خلق السماوات والأرض بالحق .

(2) يوم يقول كن فيكون قوله الحق .

(3) وله الملك يوم ينفخ في الصور .

(4) عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير .

نلاحظ من هذا الترتيب

من رقم (1) خلق الله السماوات والأرض

، رقم (4) عالم الغيب والشهادة

في تلك المراحل لا يوجد زمن حيث أن الزمن وجد بعد خلق السماوات والأرض ، فيقول الحق في رقم (2) (يوم يقول) ، في رقم (3) (وله الملك يوم ينفخ)

ذكر كلمة (يوم) مرتين يدل على وجود الزمن بعد وجود السماوات والأرض وانتهى الزمان بعد زوال السماوات والأرض بالنفخ في الصور

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى ، ويوم يقول كن فيكون لكل مخلوقات الله فيما بين السماوات والأرض قوله هذا حق له هو وواقع يحدث فور قوله هذا لأن هذا الفعل هو حقه فهو المكون لكونه الخالق لخلقه وهو صاحب الملك والملكوت لا أحد له في هذا الكون شيء إلا الله فقد أنشأ الكون كله من عدم وخلق المخلوقات كلها من لا شيء فهو الموجد لها المتصرف في شئونها وهذا حقه وكلمة (قوله حق) يعني حق خاص له هو فقط لا أحد غيره له هذا الحق في الإيجاد من عدم .

(يوم ينفخ في الصور)

سوف ينفخ في الصور مرتين وهما في يوم واحد ، هو يوم النهاية للكون النفخة الأولى لدمار الكون كله سماوات وأرض ، والنفخة الثانية لبعث الخلق كلهم في يوم البعث .

وبين النفخة الأولى والثانية هي (قيام الساعة) لأن بينهم ساعة بحساب الله عز وجل وهي بحساب البشر (40 سنة) يأتي بعدها يوم البعث ولذلك هذه الساعة وجدت في بداية يوم القيامة الذي بعد ذلك يترتب عليه أحداث في أيام متوالية دون وجود للزمن .

سيكون الزمان نسبي يختلف باختلاف الأحداث والأشخاص

وهنا نوضح يعني إليه نسبي

بمعنى أن الساعة عند بعض الناس تمر ساعة وعند غيرهم تمر سنين وعند غيرهم تمر آلاف السنين ، وهذا بعد نفخ الصور في المرتين تبدأ أحداث يوم القيامة بالترتيب الذي ذكره الحق .

بعد النفخة الثانية يأتي :

(1) يوم البعث ثم (2) يوم النشور (3) يوم الجمع (4) يوم التلاق (5) يوم الحشر (6) يوم الفصل (7) يوم التغابن (8) يوم الحسرة .

وكلها أحداث مترتبة على بعضها بحيث الأيام باسم كل حدث فيها وكلها تندرج تحت اسم (يوم القيامة) أما (الواقعة ، والصاخة ، والحاقة ، والقارعة ، والغاشية ، والطامة الكبرى) كلها أسماء لوصف هو هذا اليوم الذي هو يوم القيامة أيضاً .

وله الملك يوم ينفخ في الصور

إذن يقول الحق عن نفسه أنه هو الملك في هذا اليوم ، لأن في الدنيا قد يوجد

ملوك من البشر يملكون بلاد أو ضياع أو

ولكن في هذا اليوم يتجرد كل من ملكه الزائف ويبقى الملك لصاحب الملك والملوك صاحب الملك الحق وهو الله .

يقول الحق عن نفسه أنه عالم الغيب والشهادة فهو يعلم كل شيء في الكون وخارج الكون وفي نفوس الخلائق وفي باطن الأرض وفي ملكوته وملكه .

يعلم ما نراه وما لا نراه ، يعلم ما نعرفه وما لا نعرفه .

وهو الحكيم الخبير ، بمعنى أنه خير بحكمه وحكيم ذو خبرة ، لا شيء عنده اسمه (صدفة) أو عشوائي كل شيء له حكمه كل شيء محكوم بخبرته عز وجل .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤)



هنا ينتقل الحق ليصور لنا صورة حدثت بين رسول الله إبراهيم ، وأبيه (آزر)

فيقول إبراهيم لأبيه أنت يا أبي تصنع التماثيل بيديك ثم تجعلها مقدسة وتألهاها وتعيدها ، قال إبراهيم متعجباً من فعل أبيه وقومه يا أبي هذا جهل وضياع واضح وبين لكل من له عقل ، فكيف تسجد لما تصنع بيديك .

ومن تلك الصورة التي رسمها الحق بالكلمات يتضح أن أبو إبراهيم لم يعره انتباهه ولم يجيب عليه استخفافاً به وبرأيه وقوله واعتزاز بعقله الفارغ وضلاله الواضح هو وقومه ، وفي النهاية هي مصالح له ، فهو يصنع التماثيل ويبيعها فكيف وهي مصدر دخله يشكك فيها .

هل يوجد من بخرب حجارته بنفسه ولذلك نجده لم يجيب على ابنه هذه المرة .

وهذا يبين لنا هذه الأيام في هذا العصر ، أن هناك تجارة تقوم على ضلال الناس وعلى الحروب مثل تجارة السلاح وتجارة المخدرات فمن مصلحة صناع السلاح

أن تقوم الحروب ولا تنتهي ، لذلك نجدهم يلقون بالفتن بين الدول ليبعوا سلاحهم في حروب هؤلاء مثل فعل أمريكا مع العراق والكويت ، ونجد أن الحكام للشعوب الإسلامية لا يعاقبوا المجرمين بمثل قسوة عقوبة الملتزمين ، بل ويسمون الملتزمين إرهابيين .

نجد النقض على الإسلام والمسلمين على أشدة ، أما تجارة الأغاني والأفلام الرخيصة والفن الهابط فكل القنوات الفضائية ترحب بها ، ولا نجد اعتراض من أحد ، بل ويشجعونها ويعملون لها مسابقات فهي مثل تجارة الأصنام عند (آزر) لم مصالح مادية فكيف يقبلوا الهادية ويرمون المصالح المادية .

هنا يقول الحق الرواية ليعتبروا الناس بتاريخ من سبقهم وليس للتسلية فكل شيء في الكتاب لحكمة يراها الحكيم العليم .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

في هذه الآية أرى الحق سبحانه قد رفع إبراهيم خارج ملك السموات والأرض لأن الحق يقول (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) إذن الملك لا يرى إلا من خارجه أي في الملكوت الأعلى حيث يستطيع أن يرى بوضوح كل ما داخل هذه السموات والأرض ولماذا ؟

ليكن من الموقنين ، يعني الذين وصول بعد الإيمان إلى مرحلة اليقين وكلمة اليقين هنا تفيد الإيمان ، لأن الإيمان هو تصديق بشيء لم تراه ولكن عندك أدلة عليه وعلى وجوده فتؤمن بوجوده . أما اليقين فهو كمال المعرفة بالمشاهدة واللمس والشم والرزق والعلم .

وذلك يتم بالمشاهدة أولاً ، وهذا ما قاله الحق حين قال (وكذلك نرى إبراهيم) إذن إبراهيم خرج خارج السموات والأرض ليريه الله آية تؤكد له عظمة الله وتجعله في حالة يقين بالله تام .

وسوف تأتي الآيات التالية لتبين لماذا أرى الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

بدأ الحق في هذه الآية مشوار البحث عن الله من قبل إبراهيم ، وهي بداية التفكير من قبل إبراهيم في أن هذا الكون إله خلقه وصوره وأبدعه ويجب أن يكون هذا الإله عظيم بحيث ينظم كل شيء .

مما سبق في عالم الذر حيث أن كل واحد من البشر قد جمع من قبل وشاهد الله وقال الله (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآية .

إذن كل منا رأى الله .

وبما أن إبراهيم نبي من عند الله فذاكرته مازالت في حالة الفطرة النقية بحيث أنه يعلم بداخله ما سوف يهديه إلى الله .

وبداخله شفرة تدله على الله .

وأول مراحل هذه الشفرة أن الله نور ، ولكن أي نور ؟

وأخذ إبراهيم يفكر وهو ينظر إلى السماء وثاني شيء في الشفرة أن الله عالي في مكان عالي يقول إبراهيم : إذن يجب أن أبحث عنه في أعلى مكان وهو السماء وهنا جاء الليل بظلامه الدامس وهو مستلقي على ظهره ينظر إلى السماء التي أصبحت سوداء حين جن عليه الليل ، وفجأة من خلال الظلام بزغ عليه كوكباً لامعاً في ظلام الليل ، والكوكب هو جسم سيار في السماء الدنيا تنعكس عليه أشعة أي نجم مثل الشمس فيضيء وينير أي أنه ليس مضيء بذاته مثل الشمس .

وحين رأى إبراهيم الكوكب أعطى توافر لديه الشرطين اللذين وضعهما لإلهه الذي في خاطره .

وهو وجوده في السماء وأنه نور وبعد ساعات غاب النجم واختفى عن نظر إبراهيم ،

فقال إبراهيم ليس هذا ربي فإني لا أحب الذين يغيبون ولا أحب الآفلييه وهذه ثالث مفتاح للشفرة الإلهية داخل إبراهيم ، أن الله حاضر لا يغيب ونوره لا يافل إذن ليس هذا هو الله .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (٧٧)

وانتظر إبراهيم أن يهديه ربه وشاهد ظهور القمر بدرًا في أحد الليالي المقمرة فقال هذا ربي لماذا ؟

لتوافر الشروط السابق ذكرها أنه نور ، وفي السماء ، وأنه لم يافل حتى الآن فلما غاب القمر وأفل . علم إبراهيم على رغب تطابق الشفرة إلا أنه ليس هو الله . هنا ضاق زرعًا وتعب فقال لئن لم يهديني ربي لسوف أضل وأصبح مثل قومي الضالين .

تعب العقل عن الفكر وعلت الجوارح من النظر والبحث والتمعن وهذا من تربية الحق لرسوله ونبيه إبراهيم ليعلمه الصبر والحلم حتى إذا وضع في محنة لم يهتز ولم يتردد في دينه لأن الله علمه ورباه .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٨)

وظل إبراهيم في تفكيره في البحث عن الحقيقة وفجأة ذهب الليل وجاءت الشمس بنورها الساطع الشديد وبعد معاناة ودعاء وتضرع من إبراهيم إلى الله أن

يهديه إليه . ظهرت الشمس في الأفق ورآها إبراهيم وهو في حالة تضعف لله أن يهديه فظن أنها ربه لماذا ؟ لأنه طبق الشفرة الداخلية من أن ربه نور وأنه في السماء وأنه كبير .

فقال هذا ربي هذا النور أكبر مما سبق من القمر والكوكب ، ولكن بعد ساعات غابت وأفلت وهذا ينفي كل شرط سبق من أن الله نور وهو في السماء وهو كبير ولكنه لا يغيب ولا يافل فهو متواجد في كل وقت وفي كل زمان وهذا هو الشرط الرابع للشفرة عن الله شروط الشفرة الإلهية داخل إبراهيم هي أنه عز وجل :

نور دائم

يوجد في السماء

كبير

لا يافل ونوره لا يغيب

متواجد في كل مكان وفي كل زمان

لم تتوافر هذه الشروط في أي مما رأى إبراهيم في السماء .

وهنا داخل إبراهيم شهو من الله بالإيمان القوي بأن الله ليس من هذه الأشياء ولا من الأصنام التي يعبدها قومه وأنه لن يؤمن إلا بالله الذي تتوافر فيه شروط المعرفة في داخل إبراهيم فتبرأ إبراهيم من كل هذه المعبودات ونفى عن نفسه الشرك بالله .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾



وقال إبراهيم بعد أن نفى عن نفسه صفة الشرك بالله ، أنه توجه بوجهه إلى الذي خلق السماوات والأرض بغير مثال سابق وانه حنيفاً يعني مائلاً عن الباطل إلى

الدين الحق .

هنا توجه إبراهيم متضرعاً إلى الله الواحد الأحد عابداً مخلصاً موحدًا غير مشركاً راغباً في أن يصل بالمعرفة إلى الله .

وهنا نعود للمشهد الأول في الآية رقم (75) حيث تمت هذه المشاهدة لإبراهيم وما كانت الآيات التي تليها إلا توضيح للمراحل التي مر بها إبراهيم حتى يصل على الله في لحظة الإيمان بالله وعدم الشرك به بالإيمان دون المشاهدة .

تأتي مرحلة المشاهدة بعد المجاهرة والتوحيد والإيمان فيطبق الحق عليه الآية رقم (75) ويقول (وكذلك نري إبراهيم) يعني بعد إيمانه وتوحيده وجب أن نجعله في مرحلة اليقين حتى يطمأن قلبه فأراه الله ملكوت السماوات والأرض .

هذه الآيات تبين عدة أشياء:

أولاً: في الدنيا طريقة منهجية البحث العلمي وهي وصنع فروض وإقامة الدليل عليها مع البحث والدراسة للوصول إلى الحقيقة مع أعمال العقل وجعله حر من كل ما يعوق تفكيره .

ثانياً: توضيح مراحل العلاقة والمعرفة بالله .

تبدأ بالفكر والعزلة ثم الإيمان بوجود الله ووحدانيته ثم يمن الله على من آمن بصدق وبحث عن ربه بعد المجاهدة بمرحلة تسمى المشاهدة وهي مرحلة اليقين بالله التي تنفي كل شك وتجعل التوكل على الله صدقاً وحقاً .

«الحمد لله رب العالمين»

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

نجد في منهجية الله عز وجل حين يرسل رسول للناس هناك مراحل يمر بها هذا الرسول قبل أن يبعث للناس .

ف نجد أن الله يعلم أنبيائه ويدربهم قبل أن يرسلهم مثل ما فعل مع موسى ودربه عند طور سيناء على تحول العصا إلى ثعبان وتحول يده للون الأبيض من غير مرض ثم هذا التدريب حتى يثبت الرسول وقبل أن يرسله لا بد أن يصل بهذا الرسول إلى مرحلة اليقين بالله حتى يستطيع أن يقوم برسالته وهو في حالة ثابتة لا تزعه أي هواجس أو أفكار يدمر المؤمنين فقط .

أما الموقنين الذين لديهم العقيدة ثابتة الذين يعبدون الله وهم يرونه لأن اليقين لا يأتي إلا بالمشاهدة .

ف نجد أن كل رسول وصل لمرحلة اليقين قبل أن يرسل ، ولذلك نجد الحق في الآيات السابقة يرسم لنا المنهج الذي اتبعه مع إبراهيم حتى وصل به إلى ملكوت السماوات والأرض وأراهما له ليكون إبراهيم من الموقنين .

لماذا ؟

ليرسله إلى قومه وليجعله إمام وأب لأنبياء الذين سيأتون من بعده
نجد الحق في هذه الآية يوضح لنا ما الذي حدث بعد أن علم إبراهيم وهده وجعله من الموقنين .

فيصور لنا صورة إبراهيم حين عرض على قومه الإيمان بالله والتوحيد لله وأنه رسول الله لهم ليهديهم إلى الله وإلى الصراط المستقيم .

ماذا فعل قوم إبراهيم ؟

جادلوه وخاصموه وأنكروا عليه التوحيد فما كان منه إلا أن انفعل غاضباً لله ، معترضاً على جدالهم وقال لهم ماذا تقولون أتجادلون في الله وهل هناك في الله شك ، بعد أن هداني إليه علمني ما لم أكن أعلم وأنا ل أخاف من آلهتكم التي تشركونها بالله . إلا أن يشاء ربي شيئاً ، بمعنى أن آلهتكم لا تملك لي نفعاً ولا ضرراً إلا إذا أراد الله بي شيء فهو النافع وهو الضار وليس ما تشركون ، لأن الله علمه وسع كل شيء حتى ما ينفعني وما يضرني .

يا قومي أفلا تتذكرون ؟

ماذا يتذكرون يا إبراهيم ؟

يتذكرون يوم أن كانوا في عالم الله وأخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم وقال لهم ألسن بربكم ، قالوا بلى شهدنا أنك أنت ربنا وهذا ما جاء به كل الرسل من قبل ومن بعد إبراهيم .

(1) التوحيد لله .

(2) أن يذكر الناس بأنهم رأوا الله وأن هناك في أرواحهم شفرة تدل عليه وعلى وجوده حتى وإن أنكروا وأشركوا ، فمجرد شركهم هذا يدل على أن الإنسان بطبعه يبحث عن إله الذي يجد بداخله صدى نفسي يردد أن لك إله واحد .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿ وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨١)

وهنا يبرر إبراهيم لقومه عدم خوفه من آلهتهم ، ويقول كيف أخاف من هؤلاء الذين أشركتموهم بالله ، وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل الله به عليكم سلطاناً يعني حجة قاطعة وبرهاناً أو قدره على الضرر والنفع لكم ، أو معه منهج لكم بأن افعل ولا تفعل وإن لم تفعل فلك كذا وإن فعلت فلك كذا لا شيء من هذا .

ويقول حانقاً وغازباً ومنفعلاً من مننا نحن الفريقين أحق بالأمن لو كنتم تعلمون من منا حقه أن يخاف ومن منا حقه أن يأمن أنتم أم من آمن بالله أرى إبراهيم من شدة غيرته على الله منفعلاً ومتحفزاً لأهله يريد أن يفيقهم من عقلهم .

« الحمد لله رب العالمين »

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

وهنا يقرر الحق على لسان إبراهيم الحقيقة التي لا جدال فيها ولا شك إن الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم (وهو الشرك) .

أولئك لهم الأمن والأمان من الله وهم مهتدون في عقيدتهم الصحيحة ومهتدون إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة .

نزلت هذه الآية في رجل من العدو حمل على المسلمين فقتل رجلاً ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم قال : أينفعني الإسلام بعد هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم ، فضرب الرجل فرسه ، فدخل في المسلمين ثم حمل على أصحابه فقتل رجلاً ، ثم آخر ثم قتل ، فيقول الصحابة أن هذه الآية نزلت فيه .

حين نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة لأن الإنسان لا يملك أن لا يظلم ، فقد يظلم بعض الناس أو يظلم في بعض الأحيان .

فماذا يفعل بعد أن قرأوا هذه الآية فقال النبي ﷺ : ألم تروا إلى قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) .

إذن الظلم هنا هو الشرك بالله والعياذ بالله .